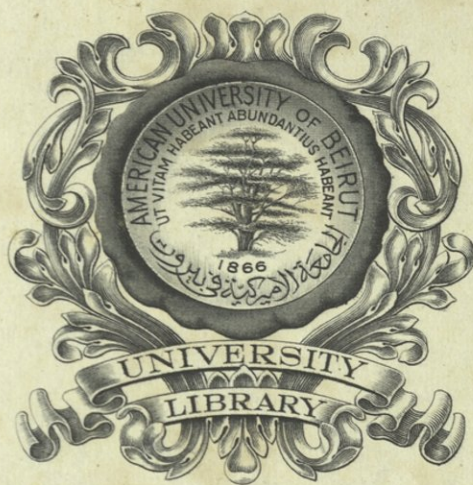
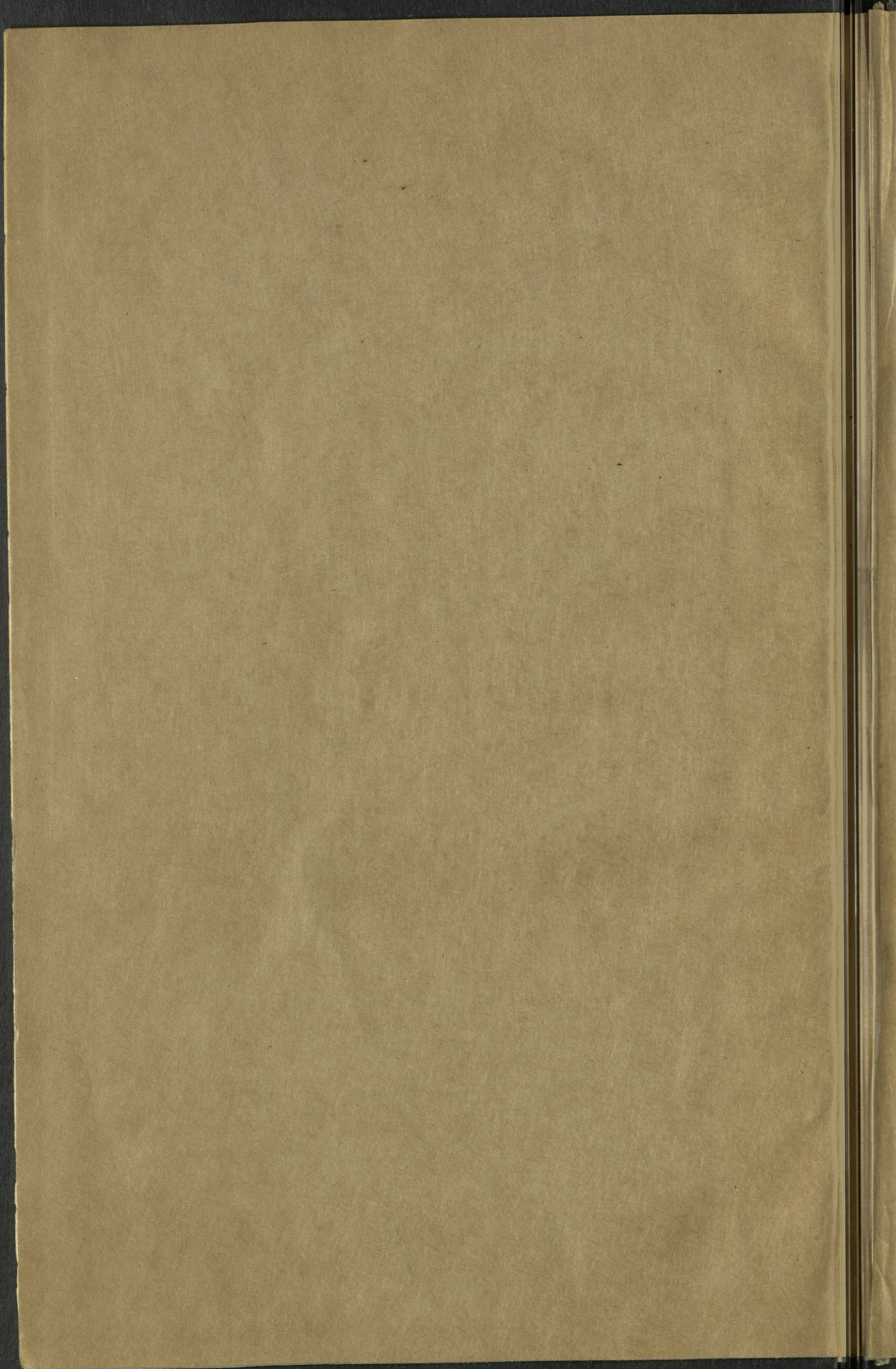
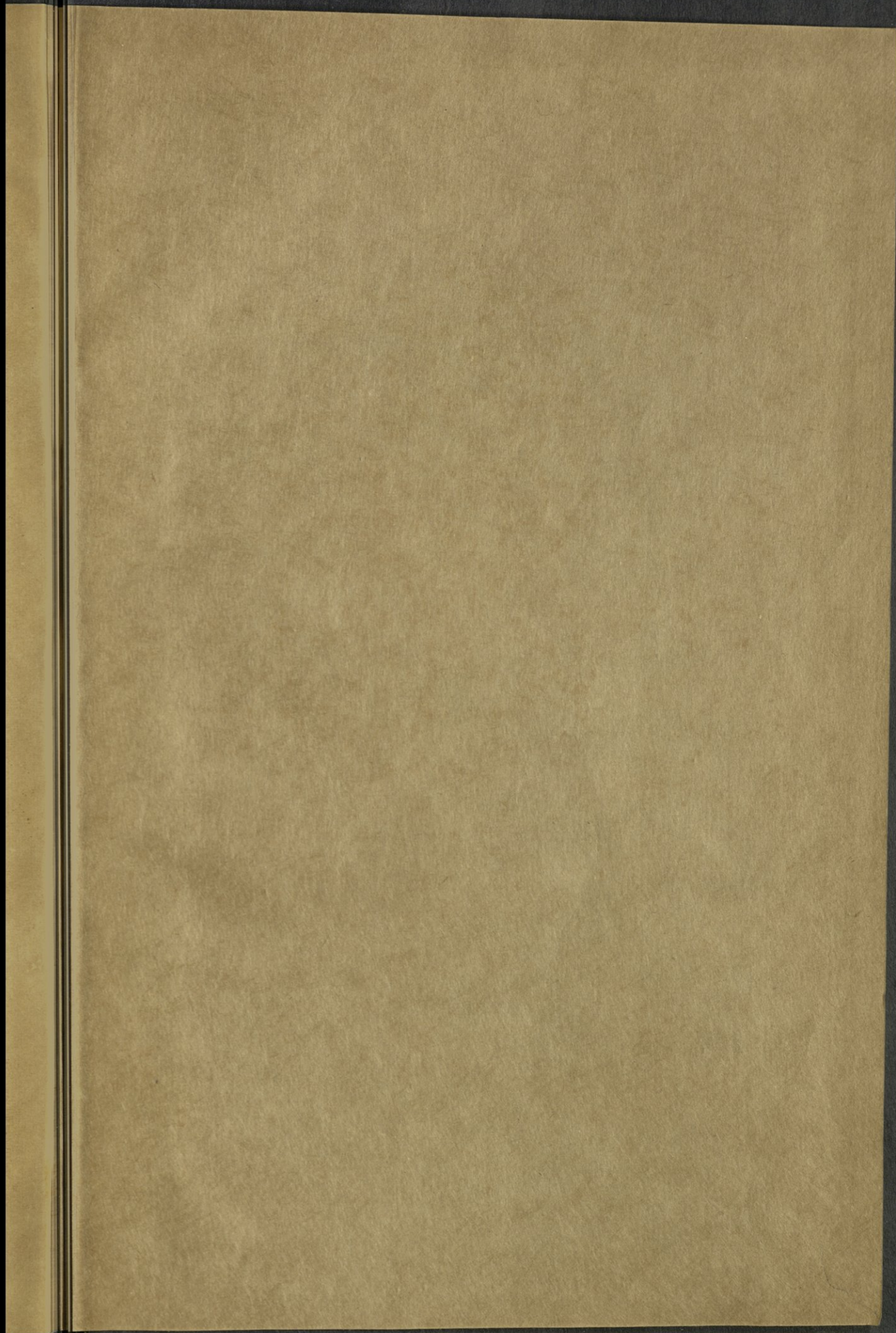
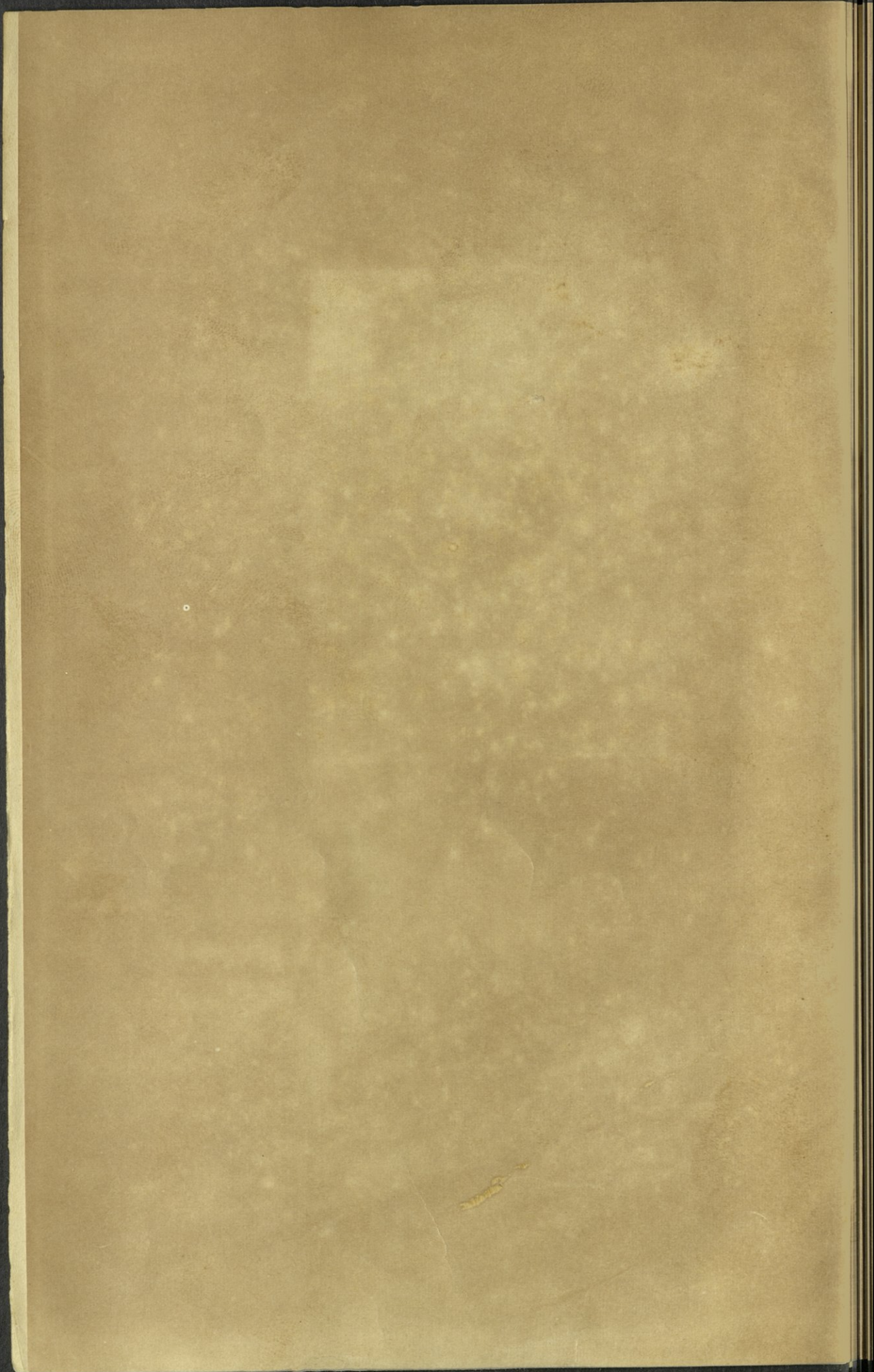


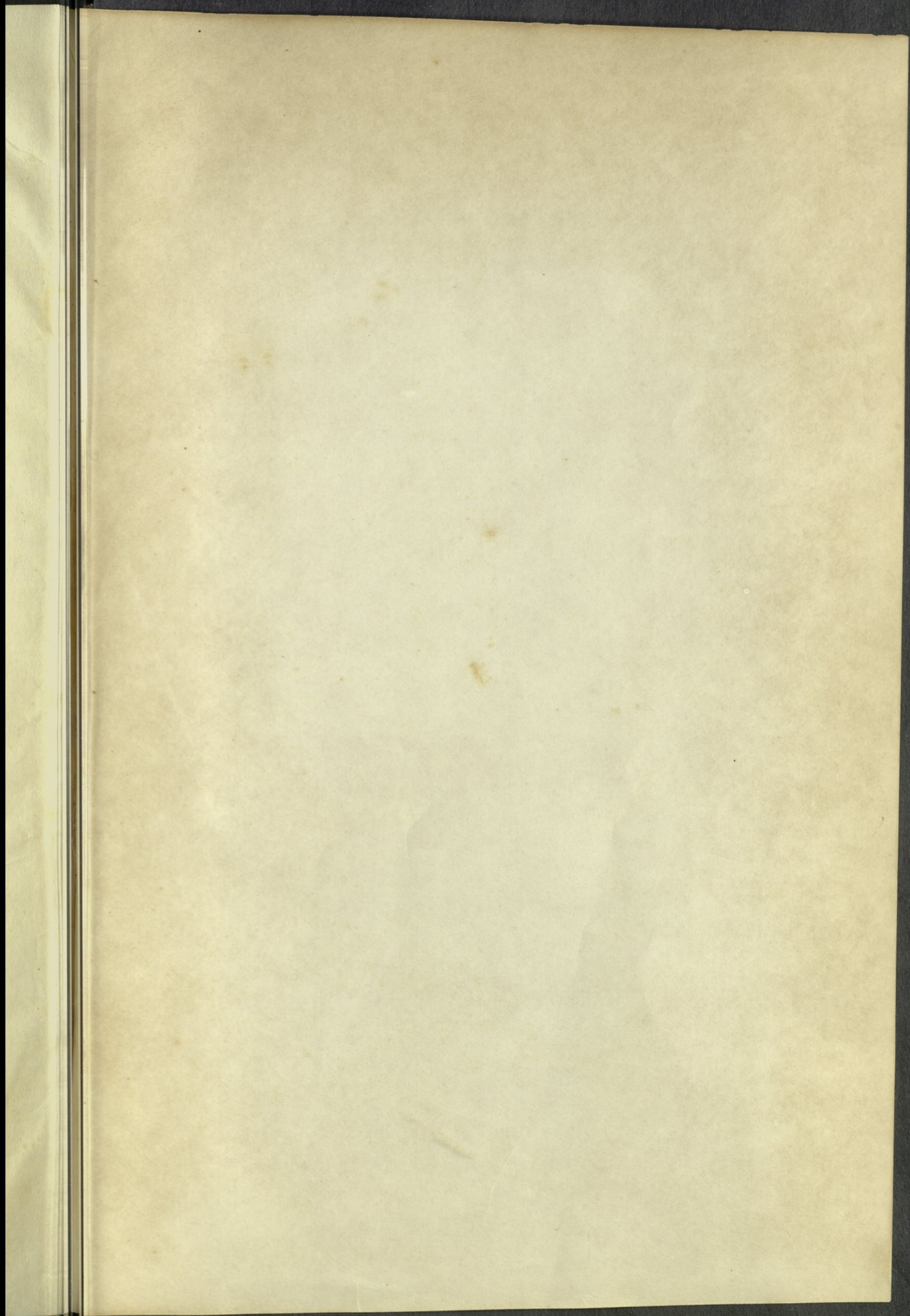
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT











الشرقيات

وهو الجزء الثاني من كتاب

الشرقيات

وهو الجزء الثاني من كتاب

الشرقيات

وهو الجزء الثاني من كتاب

الشرقيات

وهو الجزء الثاني من كتاب

الشرقيات

وهو الجزء الثاني من كتاب

الشرقيات

2
A

R
920.02
M951aA
v.2
c.1

الزواجر

وهو الجزء الثاني من كتاب

إعلام المقتطف

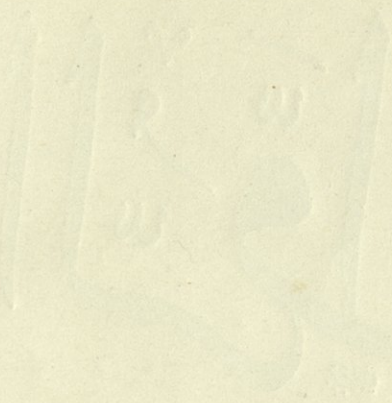
ويشتمل على أكثر ما نشر في مجلدات المقتطف السابقة عن تقدم
علم الجغرافيا وتخطيط البلدان وكشف الجاهل وارتياح
القطين وتمهيد سبل المواصلات في البر
والبحر والهواء وسير اشهر الرواد.

فيه فصل حافل خاص

بجغرافي الاسلام

طبع بمطبع المقتطف والمطبع بمصر

سنة ١٩٢٧



[Faint, illegible text]

[Faint, illegible text]

[Faint, illegible text]

[Faint, illegible text]

[Faint, illegible text]

[Faint, illegible text]

[Faint, illegible text]

[Faint, illegible text]

[Faint, illegible text]

اين يذهب الرواد؟

من غرائب طبع الانسان حبه للاكتشاف . فيضرب في مجاهل
الأرض ويركب متون البحار ويمتطي أجنحة الرياح ويتجشم أعظم المشاق
ويصبر على أنواع المكاره من قيظ وزمهرير وسغب ولغب، لكي يكتشف
بلاداً جديدة أو يختط طريقاً لم تطأه قدم انسان من قبل . ولقد كان
هذا دأبه من قديم الزمان . أما حينئذ فكان مدفوعاً بطلب الرزق
وانتجاع المراعي والمناهل . وأما الآن فيندفع اليه بالملكة التي تملك
أسلافه قروناً كثيرة وحباً بالمنافسة والفوز على الأقران . ولولا ذلك
ما عمرت الأرض بالسكان ولا انتشر فيها نوع الانسان . ومن هذا القبيل
السعي الى اكتشاف القطبين وارتداد المناطق المتجمدة حولهما أو الاهتمام
باجتياز البحار والقارات بطائرات تسابق النسور في الهواء ، ففي كل ذلك
لا يجد الرواد باباً للكسب ولا سبيلاً للرزق . لذلك تحيط بأسمائهم
هالة من المجد لا يفوز بها كثيرون من العلماء لأن اقدامهم على اقتحام
المخاطر وصبرهم وشجاعتهم في مجالدة الشدائد التي تعرض لهم تضرب على
وتر حساس في النفس فينظر اليهم الناس نظرة الاعجاب والاكبار
ويضعونهم في مرتبة بين الآلهة والناس

*

* *

انقضى سبع وعشرون سنة منذ ارتفع الستار عن ميدان الارتياح
في القرن العشرين، بلغ فيها الرواد الى أقاصي الأرض وساروا في مناكبها
العامرة والغامرة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، هنا يرودون صحراء قاحلة،
وهناك يصعدون في قنّة جبل شاهق، وهناك يقتحمون مفازات من
الجليد، أو أدغلاً تعجّ بالحيوانات الضارية والأفاعي السامة. لم يبق
أمامهم سوى أعلى طبقات الجوّ وأعماق أغوار البحار، وهذه قد أخذت
تذلل أمام اقدام الطيارين والغواصين، وابداع العلماء وما ابتكروه من
غرائب المعدات والأدوات للبحث والأكتشاف.

أبسط أمامك خريطة الأرض ترّ في قلب آسيا وأفريقية وأميركا
الجنوبية طرقاً معبدة تسير فيها سكك الحديد أو سيارات فورد أو تطير
فوقها الطائرات والبلونات، وفي صدور الجبال انفاقاً تخترقها وعلى سطوح
البحار مسالك الممالك الى الثروة والسلطان

أين المدن التي لم تفتح أبوابها للعلماء والرواد؟ أين الجزائر التي لم تعين
مواقعها وترسم خططها؟ أين الصحاري التي عجزت عن اختراقها قوافل الجمال
ولم تخترقها قوافل السيارات؟ أي نهر من الأنهر العظيمة لم يعين منبعه
أو لم يعرف مسيله ومصبه وما يدور حوله من الحقائق الجغرافية والعمرائية؟
ان قنن الجبال الشاهقة التي ردت عنها كبار المصعدين بالأمس لا بد أن
تلين للطيارة والبلون في الغد، وقلب جزيرة غينيا الجديدة — أكبر الجزائر
بعد قارة استراليا — الذي ما برح معتصماً بأسراره قد أخذ يفقد ما يحيط
به من الاسرار امام اقدام الرواد والباحثين. فقد جاء في الأبناء الأخيرة

أن الأيرانيين لهم بعثات علمية مختلفة تخرق ادغال غينيا الجديدة وتروود
مجاهلها

وهكذا نرى أن الستار أخذ ينسدل رويداً رويداً على رواية أخاذة
أحكمت وضعها العصور وما زالت منذ فجر التاريخ متصلة المشاهد متسلسلة
الحلقات . ان العالم القديم الذي كان معروفاً للفينيقيين واليونانيين
والرومانيين ، اتسع في القرون الخمسة الأخيرة اتساعاً عظيماً حتى شمل
الكرة الأرضية بأسرها . لقد مهدت السبل ، وعُيِّنت المواقع ، وضبطت
الحدود ، وقيست المرتفعات والمنخفضات ورسمت الخرائط وكان للمخترعات
الحديثة في ذلك الفضل الأعظم فأكمل الرواد على متن البواخر والسيارات
والطائرات عملاً بدأه اسلافهم سيراً على الأقدام أو ركوباً على الجمال أو
سفرًا في السفن الشراعية تتلقفها الأمواج وتتقاذفها الرياح

وأغرب ما في هذا التقدم سرعته . ففي العقدين الثامن والتاسع من
القرن الماضي كان لفنستون وغيره من الرواد الأوكليز وغير الأوكليز قد
كشفوا كثيراً من مجاهل القارة السوداء . على ان العلماء في مطلع القرن
العشرين وجدوا رغم ذلك ، أميركا الجنوبية مجهلاً كبيراً ، وقلب آسيا
معقلاً تحيط به الأسرار والصحراء الأفريقية الكبرى والسودان تغطيها
بقاع لم تطأها قدم انسان ، وكثيراً من جزائر الاوقيانوس الباسيفيكي قطعاً
ترصع سطح اليم تعرف أسماؤها وتجهل مسمياتها ، وبلاد تبيت منيعة على
المرتادين وعاصمتها لاساً حرماً عليهم ، والجو ملسكاً للنسور لا يطمع
الانسان في مزاحمتها عليه

ولكن ما ذا نرى الآن وقد انقضت سبعٌ وعشرون سنة على ذلك؟
ها جنود الانكليز يقودهم الكولونيل يُنغ هزبند بنفسه يكتسحون (سنة
١٩٠٤) تيبِت ويدخلون عاصمتها المقدسة . وها سيارات الفرنسيين
تخترق الصحراء الكبرى حيث تعذر على قوافل الجمال أن تسير من قبل .
وها بعثات الاميركيين بقيادة روزفلت آناً ترود مجاهل البرازيل وتكتشف
أكبر نواصر الأمازون أو بقيادة الدكتور اندروز آناً آخر تخترق منغوليا
تبحث عن آثار الانسان فتعثر على بيوض الدينوسورس المتحجرة التي يرجع
عهدا الى عشرة ملايين من السنين . وها الحلم بانشاء خط حديدي من
القاهرة الى الكاب أخذ يتحقق رويداً رويداً، بل قد يسبقه ويفوقه شيئاً
انشاء خط جوي بين المدينتين . انك ترى الناس في الربع الأول من القرن
العشرين وقد اعترتهم سورة المغامرة وحب الاكتشاف . فالسباق شديد
الى اكتشاف القطبين . ييري يحاول الوصول الى القطب الشمالي يراحمه
ننسن وكوك ورُس . وأمندصن يسير الى القطب الجنوبي لا يقف الجليد
في وجهه ، ويسابقه اليه سكوت وشا كلتن . ثم هذا امندصن أيضاً بعد
فترة الحرب العظمى يطير أولاً بالطيارة محاولاً بلوغ القطب الشمالي فيقصر
عنه على نحو ١٣٦ ميلاً جغرافياً منه ثم يفوز بالطيران فوّه بالبلون في السنة
التالية وبين محاولته الأولى وفوزه يطير الكومندر برد الاميركي من
سبتمبر جن الى القطب الشمالي ذهاباً واياباً في ١٦ ساعة
لقد أخضعت عناصر الهواء، فغلب النسر على دولته وصار فن الطيران
بالآلة أثقل من الهواء، الذي ولد في شهر ديسمبر سنة ١٩٠٣، من وسائل المواصلات

التي ينتظر أن تعم العالم بأسره. إن فعال الطيارين في اجتياز المسافات الشاسعة ونقل البريد والركاب والبحث في طبقات الجوِّ العالية ومسح الأراضي ومحاربة الحشرات نزعت من الجوِّ أسراره وجعلت سبيلاً ممهدة لمطالب الانسان. ولقد كثرت بعثات الارتياح وتعددت غاياتها وأساليبها حتى أصبحت أخبار أكتشافها عادية مهما عظمت المكتشفات التي تكتشفها وصار يتحتم على زعمائها أن يرضوا بالأعجاب الضئيلة التي تكون نصيب التابعين السائرين في أثر من تقدم من الرواد

*

* *

كذلك انقضت الأعوام والقرون منذ فجر التاريخ إلى الآن، والرواد يسرون بعضهم في إثر بعض يحترقون المشاق وينتصرون على العواصف، يفشلون آناً وينتصرون آونة، فعنت لهم الأرض وآتتهم خيراتها. إن صفحاتهم لمن أنصع الصفحات في تاريخ العمران، بل إن حديث أقدامهم وثباتهم ونبلمهم وتفانيهم قصيدة بلغية محكمة الأبيات تثير في النفس تلك النزعات العالية التي بها يتمجد الإنسان. وأننا لا نتردد مطلقاً في الحكم بأن مقامهم في ترقية العمران يأتي بعد مقام العلماء والفلاسفة والمستنبيين بل قد يكونون وإياهم في مستوى واحد

لذلك أفردنا لهم هذا الكتاب، فعسى أن يلقى ما لقيه سابقه «أعلام المقتطف» من الوقع الحسن لدى مشرقي المقتطف ومريديه.

فؤاد صروف

القاهرة ٢٢ يوليو ١٩٢٧

الباب الأول

تاريخ علم الجغرافيا (١)

ان لساني قاصر عن الاعراب عن سروري الفائق يهذه الزيارة الاولى لمهد المدنية القديمة الاولى حيث تحول الناس في فجر العالم الى تعهد العلوم والآداب والفنون ألا يسمح لي في هذا المقام بان اشير الى نفسي اني رجل قدم من العالم الغربي البعيد الذي قد يكون الاتلنيس (٢) المذكور في خرافات الاقدمين ويقال ان كاهناً قديماً من كهنة بلادكم روى قصته رواية مشوقة فرآها افلاطون جديرة بالاعادة والتكرار . ثم هل لي ان اقول فوق ذلك اننا نميل في لغة الشعر الى وصف ذلك العالم الغربي بحديقة هسبريديس (٣) التي تغني بها هزيود (٤) ولو ان كثيراً من الاوصاف التي ذكرها لا تنطبق عليها

اني احمل تحية ذلك العالم الغربي الى هذه الحفلة ، حفلة افتتاح المؤتمر الدولي العظيم ، الذي شماموه جلالتم بجهودكم والذي قدمتم فيه جلالتم برهاناً على اهتمامكم بارتقاء العلوم والفنون . ويلوح لي ان خير كلمة استطيع التفوه بها في حفلة الافتتاح هذه ، هي كلمة تتناول تاريخ علمنا منذ بدايته الاولى الى ان باغ المكان الرفيع الذي يشغله الآن بين سائر العلوم

اظن اني لا اخطئ اذا قلت ان الجغرافيا علم من اقدم العلوم ولا اغالي في تقدير هذا العلم اذا قلت انه شامل متصل بجميع العلوم الاخرى . ومن رأي استرابون (٥) ان الجغرافيين اوفر الناس حكمة واهم كلهم فلاسفة . وقد نشر بياناً في مقدمة كتابه العظيم باسماء الرجال الممتازين وقال انهم كلهم فلاسفة واهم كلهم جغرافيون

(١) هذا الفصل هو ترجمة الخطبة الممتعة التي تلاها الاستاذ ادورد ستيفنسن الاميركي في حفلة افتتاح المؤتمر الجغرافي الدولي الذي التأم في القاهرة في ابريل ١٩٢٥
 (٢) الاتلنيس جزيرة ذكرها افلاطون وقال انها الى غرب المضيق المعروف الآن ببوغاز جبل طارق (٣) هسبريديس في المتولوجية اليونانية الحدائق التي تسمىها حفيدات هسبرس اخي اطلس والتي قصدها هرقل للحصول على احدى اثمارها (٤) شاعر يوناني قديم يظن انه عاش في القرن الثامن قبل المسيح وبعد هوميروس بنحو قرن (٥) مؤرخ وعالم جغرافي يوناني وولد حوالي سنة ٦٣ ق م .

ان الصعوبة التي تعترض الباحث حين يجتهد ان يراجع ارتقاء علم الجغرافيا منذ نشأته هي في محاولة جمع تاريخ يعتمد عليه من اساطير لم تثبت حقيقتها

ولما كنا على جانب كبير من التأكد ان عقل الانسان ارتقى ارتقاء بطيئاً وان الانسان ناضل نضالاً شديداً طويلاً ضد اعداء اقوياء ولم يتغلب على القوى التي تكثفه الا تدريجياً ، اقول لما كنا نعلم ذلك كله فاننا لا نجد حيلة غير الاندفاع وراء التخمين والظن اذا اردنا الوقوف على آرائه في شأن البلدان الواسعة التي كانت تحيط بالبقعة الضيقة التي كان يقطنها. ثم نسأل دون ان نفوز بجواب هل كانت معرفته الجغرافية مقتصرة فقط على البقعة التي يتجول فيها وهل كان يعرف شيئاً عن وجود بقاع اوسع تمتد الى جميع الجهات ؟ ليس لدينا سوى جواب مبني على الزعم والتخمين فيما يتعلق بالآراء التي ارتاها حينها وقعت عيناه لأول مرة على البحر الواسع وراه يمتد امامه الى مسافات شاسعة حتى خيل اليه انه يلتقي بالسماء

وانقضت قرون على ذلك العهد المظلم قبل ان نجد اول دليل على محاولة وصف الارض او وصف جزء منها . وقد وجدت في كثير من البيانات الجغرافية العتيقة التي وصلت اليها آراء وافكاراً لم تبين على مشاهدة او امتحان لاحد المعاصرين بل تضمنت معلومات استقيت من مصادر عريقة في القدم يجب ان توضع اصولها وتواريخها بين الامور التخمينية . وهذا يقودنا الى اصول الاعتقاد الهندي بان الارض قائمة على ظهر سلاحفة او فيل ضخمة والى رأي البراهمة ان الارض زهرة من ازهار النيلوفر المتفتحة طافية على سطح المياه والى رأي المصريين القدماء بان السماء قبة واسعة مرتكزة على الجبال

ثم جاء اليونان فوضعوا علماً لوصف الكون مبنياً على التخيل مثل الشعوب التي سبقتهم وانتقل معظم آرائهم هذه الى الشعوب التي خلفتهم في نشر لواء الحضارة فذكروا حتى في العصور الاولى الشرق بانه بلاد الغنى والثروة الواسعة والشمال بانه مهد سكان الشمال السعداء والجنوب بانه مسكن الاحباش المسلمين والغرب بانه مهد ما يأخذ اللب من الحياض والخرافات . ففيه كانت الجزائر الطافية وجزائر السعادة وجزائر المباركين ومركز جميع مجاري الاوقيانوسات حيث قطنت في الازمنة الغابرة امة غنية منيعة

الجانب وفيه أيضاً حقول اليزيا ^(١) مسكن الابطال الذين ينجون من مخاب الموت حيث الحياة خالية من الهموم والمتاعب . وهكذا يرى للغرب في تصورات العصور الاولى شأنًا جغرافياً خاصاً

ومع ان كثيراً من المذاهب القديمة تبدو وهمية فانها تبين بداية الاهتمام بالمظاهر الجغرافية . وقد ارتقى علم الجغرافيا من هذه الاصول الضئيلة الى ان وصل الى مقامه الحالي الرفيع . ولا بد ان تكون اكثر المذاهب الجغرافية امعاناً في الوهم كلقول بالجزائر وراء اعمدة هرقل قائماً على شيء من معرفة الاراضي غرب الاتلنتيكي وقد بقي كثير منها مشهوراً في القرون التالية فآثر في الآراء الجغرافية حتى بعد ان كشف كولمبوس اميركا

كان الافق في نظر الشعوب القديمة ضيقاً كما اشترت الى ذلك قبلا لا يتعدي المنطقة التي يعيشون فيها فكان من الجرأة العظيمة اختراق هذا الافق والدخول في المنطقة الواقعة وراءه وارتياحها وليس لدينا الآن سوى حقائق ضئيلة عن الاعمال التي قام بها الناس قديماً للوصول الى تلك الغاية ولكن نقل من ذلك العهد الى العصور التالية اقايص عن رحلات واسفار وسعت معارف الشعوب عن وجود بلدان اخرى في انحاء الارض البعيدة . وقد تكون حكاية الارغوثيين ^(٢) حكاية بعثة بحرية حقيقية على جانب كبير من الاهمية بحيث جعلت لها علاقة بحياة الابطال وانصاف الالهة . اما قصة عولس ^(٣) ورحلاته فانها تذهب بنا الى جزيرة فاروس عند مدخل مرفأ الاسكندرية وتشير الى مصر والنيل وشعوب الجنوب وآكلي اللوتس . على ان هذه القصة ليست قصة رحلة فقط بل هي بيان المعارف الجغرافية في ذلك العصر بعد ان جمعت بالسفر والارتحال

والفينيقيين مقام كبير في توسيع المعارف الجغرافية . فقد استولوا في القدم على

(١) حقول اليزيا في المثلوية اليونانية مقام الابطال المباركين بعد الموت وصفها هوميروس بانها عند طرف الارض الغربي قرب الاوقيانوس وقال هزيبود وبندار الشاعران انها في جزائر السعادة . ومن هذه الخرافات نشأت خرافة الاتلنتس التي ذكرت آنفاً

(٢) الارغوثيون هم الابطال الذين سافروا مع ياسون في السفينة ارغو حينما ذهب يبحث عن السلخ الذهبي (٣) عولس احد ابطال اليونان الذي حارب في حروب طرواده وبعد هذه الحروب حاول الرجوع الى بلاده فحملته الرياح الى شواطئ افريقية

التجارة التي كانت بين المصريين في وادي النيل والبابليين في ما بين النهرين . وهم الذين ضربوا في البحر غرباً في اواخر أيام قرطاجنة فاجتازوا بوغاز جبل طارق ووصلوا الى جزائر الفناثر ثم خاضوا عباب الاوقيانوس الاثنتيني الى الشمال فخطوا رحلهم في جزائر سكلي^(١) ومقاطعة كورنول في بريطانيا . وقد يكونون طافوا بحراً حول افريقية قبل ان فعل ذلك فاسكو دي غاما بالفي سنة . وانشأوا مستعمرات تجارية بعيدة عن وطنهم الاصل فنشأ فيها اهم المراكز التجارية التي ترصع شواطئ بحر الروم كما تشهد بذلك اسماء هذه المستعمرات . ثم تقدمت المعارف الجغرافية حينما شرع اليونان ينشئون مستعمراتهم على شواطئ البحر الاسود (اليوكسن) وبحر الروم . فانشاء هذه المستعمرات وسع المعارف الجغرافية توسيعاً سريعاً مطرداً فبعث على البحث عن احوال تلك البلدان ووصف طبيعتها فنجم عن ذلك ما حمل العلماء على التكهن في الاجابة عن المسائل الجغرافية الكبرى كالتي تتعلق بتكون الارض وتركيبها وما من احد كان اقوى اثرأ في الحث على هذه الابحاث من يثياس المسالي او المرسيلى^(٢) ان البيان الذي يشمل اسماء الذين قاموا بخدمات جليلة للجغرافيا بيان طويل حتى ولو اقتصرنا على ذكر علماء العصور القديمة . فيه نجد امثال هكاتوس وهيرخوس وفيثاغوروس واراتوسشينيس الاسكندري العظيم . كل هؤلاء افادوا هذا العلم فائدة خالدة

ثم كيف انسي في هذا المقام اسم هيرودوتوس العظيم الذي يعد تاريخه خزنة غرائب في التاريخ والجغرافيا . ومما يجب ان يذكر هنا اننا نرجع في هذه الايام الى مؤلفات هيرودوتوس للوقوف على معلومات قديمة تتعلق بقلب القارة التي تعيشون عليها . ولعمري لم يبق لدينا شك في روايات فرعون نحو وستاسبس وهانو وكيف ان الاول سير سفينته في القنال الذي كان يمتد من النيل الى الخليج العربي ومن ثم الى الجنوب وكيف أمر بحارها بمواصلة السير الى الجنوب والعودة من خلال عمدة هرقل الى مصر . والسبب الذي ذكره هيرودوتوس للارتياح في صحة أخباره هذه

(١) جزائر سكلي ارخيميل انكايبي صير على ٢٥ ميلا الى الغرب الجنوبي من طرف كورنول بانكترا (٢) ملاح وجغرافي يوناني منه عرف اليونان وصف غرب اوربا والجزائر البريطانية . والراجح انه كان معاصراً للاسكندر ذي القرنين

الرحلة أقوى الأدلة التي تؤيدها — وهو ان الشمس صارت على يمين البعثة حينما كانت تدور حول ليبيا في الجنوب . ومن الغريب ان ما ذكره عن افريقية وجد بعد الابحاث الحديثة غاية في الدقة

وليس من رأي جغرافي بين آراء اليونان القديمة الناضجة أبعد اثرأ في نشر المعلومات الجغرافية وتوسيعها في القرون التالية مثل الرأي الخاص بشكل الأرض القائل انها قرص مستدير مجري حولها محيط هو منبع جميع المياه والانهار والعيون والبحار وانه يوجد بلا ريب شعوب تقطن وراء هذا المحيط. ثم تعددت الآراء خلال القرون التالية عن هؤلاء الشعوب وهل يمكن زيارتهم وهل هم مثل الشعوب التي تسكن البلدان المعروفة

والقول بكروية الأرض اولا كان يستلزم القول بوجود اناس في الجهة المقابلة من الكرة . فاتباع فيثاغورس قالوا ان الأرض يجب ان تكون كرة لان الكرة اتم الأشكال الهندسية وانها يجب ان تكون ساكنة لان السكون اكبر مهابة من الحركة وانها يجب ان تكون في مركز الكون لان ذلك هو مركز الشرف الممتاز . وبعد ان أعلن هذا الرأي القائل بكروية الأرض لم يهمل مع انه انقضت قرون كثيرة قبل ان تثبت صحته برحلة القبطان مجلان المشهورة

ولم يكتف الرومان بنقل المعارف الجغرافية التي اتصلت بهم من اسلافهم بل وسعوها كثيراً بما كشفوه من الحقائق الجديدة حين انهما كهم بالحروب والفتوحات وانشاء المستعمرات وتوسيع نطاق التجارة . فكتاب الرومان كانوا بارعين في رواية اخبار الاسفار والرحلات ووصف البلدان النائية عن ايطاليا وتلخيص ما كان معروفاً عن سطح الأرض في الأيام السابقة لايامهم

وأن نجد في تاريخ علم الجغرافيا كله من افاد هذا العلم أكثر من كلوديوس بطلميوس الإسكندري؟ لقد مررت في طريقي الى القاهرة بالمدينة التي شاهدت أعماله في تلك الأيام السالفة ولا أريد ان اغادر هذه البلاد قبل ان ابذل شيئاً من الجهد لأعرف هل كان بطلميوس يقرن ابحاثه في العلوم الجغرافية بجرائط كالتي أعتدنا ان ننسبها اليه؟ على اننا ندخل هنا مجالاً فيه كثير من الجدل ولذا لا أريد متابعة هذا البحث الآن

وصل التجار في أيام الامبراطورية الرومانية الى اقصى انحاء العالم المعروف في الشرق والغرب فقد كانت جزائر كيناريا معروفة لديهم يكثرون الزدد عليها ولكن هذه الجزائر جهل موقعها بعد سقوط الامبراطورية ثم كشفت ثانية في القرون الوسطى . وعرفوا أيضاً بلاد الهند والشرق الأقصى وجمعوا حقائق كثيرة عن ثروة تلك البلدان الطائفة . وكان اهتمام رومية بالجغرافيا عملياً تؤيد هذه الحقيقة خرائطهم ولا سيما الخاص منها بالطرق . واذا تركنا النظر في الجغرافيا القديمة فاننا نترك عهداً كان هذا الموضوع يلاقي فيه اهتماماً علمياً حقيقياً وندخل في عهد مدهش باساليه البعيدة عن العلم وفروضه السقيمة وما يترتب عليها من النتائج المغلوطة ، ففي العهد الاول من القرون الوسطى المسيحية كان الاهتمام بالجغرافيا من اجل الجغرافيا نفسها قليلاً لان الروح الديني كان مسيطراً على الغرب فلم يبد من الغربيين اهتمام بالجغرافيا الا اذا رأوا فيها وسيلة الى غاية دينية . ولكن كتابات الكتاب الذين جعلوا همهم تنوير معاصريهم في ذلك الزمن تحوي بعض الآراء القديمة في الارض وما عليها كما يظهر من الخرائط التي وصلت الينا من ذلك العهد . فانك تجد بليديوس واسترابون يذكران في روايات سولينوس او ان مقامهما الرفيع يعود الى ما ذكره عنهم في قصصه .

اما قزما انديكو بلنتس فوجد كتب العبرانيين الدينية مصدراً كافياً لكل المعارف الجغرافية التي يحتاج الناس اليها وحين مطالعة كتابه « التبوغرافيا المسيحية » نجد يذكر المذاهب الجغرافية التي سبقت مذاهب العبرانيين ثم يبين ما فيها من الخطأ ومعظم الكتاب في هذا العهد الذين يعرفون بأباء الكنيسة لم يكونوا يهتمون كثيراً بجمع معارف دقيقة عن سطح الارض . وسلطتهم في الامور الدينية التي لم يجرؤ احد على مقاومتها جعلت لا رأهم الجغرافية مقاماً خاصاً فسار علم الجغرافيا في مجاز ضيقة وثبتت عزيمة كل باحث كانت غايته جمع الحقائق العملية عن البلدان القريبة والبعيدة

كذلك نحن مدينون بكثير من معارفنا الجغرافية للحجاج والمرسلين والتجار مع ان معظم الحقائق التي جمعوها كانت ثانوية في اعتبارهم وينا كانت المسيحية قانعة باستقاء معلوماتها الجغرافية من موارد منحة ، كانت

الشعوب العربية تنمي معارفها وتنشر معلوماتها الجغرافية والفلكية وكان العرب يعملون الى درجة ما طبقاً للقواعد اليونانية ولكنهم شيدوا على هذه القواعد صرح الجغرافيين المستقل الخاص بهم

وقد وضع ابو الحسن علي المعروف بالمسعودي الذي سافر اسفاراً كثيرة في اواسط القرن العاشر ، مؤلفاً سماه : « مروج الذهب ومعادن الجوهر » روى فيه كثيراً مما يدل على ان شعبه كان شديد الاهتمام بالتجارة والاسفار البعيدة والارتداد واستقاء المعلومات التي اخذها الخلف عن السلف . وتمسك الادريسي ، احد مواطنيه ، ببراء اليونان الصحيحة ، ومنها الاعتقاد بكروية الارض ولو انه ارتاب في وجود منطقة آهلة بالسكان في الجنوب لانه كان يعتقد بوجود بحر الظلمات ، وان كل سعي للوقوف على اسراره مقضي عليه بالفشل

وكان العرب يعرفون البحار الهندية ويسافرون فيها لانها كانت طريقهم التجاري المطروق ، كما كانوا يعرفون شواطئ افريقية الشرقية والغربية جنوبي خط الاستواء . وقد دون المستر ده لارنسييه هذه الحقيقة في مؤلفاته الحديثة ولكن ما نعرفه عن ثقة يستدل منه ان العرب لم يتوغلوا في الاتلانتيكي للبحث عن ارض وراءه فلم يظهر او في ذلك شجاعة رجال الشمال ولا جسارة الطليان الاول

وجني العالم الاوربي فوائد كبيرة في علم الجغرافيا من هجرة الشعوب السكندنافية في القرن الحادي عشر . على ان هذه الفوائد الكبيرة الدائمة لم تكن لان الشعوب السكندنافية كانوا رواداً من الطبقة الاولى اجتازوا البحر الى جزيرة جرينلندا وما وراءها ولا لانهم داروا حول الرأس الشمالي وارنادوا ثانياً البحر الابيض وفتحوا كثيراً من البلدان في الشمال الشرقي من اوربا بل لانهم هاجروا الى بلدان مختلفة وانشأوا فيها مستعمرات كثيرة فاليهم يعود الفخر في تجديد الدم الاوربي وأحياء النشاط الاوربي من جديد فبعثوا في الشعوب المسيحية شيئاً من العزم الذي يحركهم فبدأت ثانية في توسيع المعارف الجغرافية التي كانت قد أهملت بعد انحطاط الامبراطورية الرومانية

هذه كانت مهمة اهل الشمال المعروفين « بالنورس » او « الفيكينغ » اما الادوار

الشمالية من النهضة الاوربية فقد واصل رجالها العمل الذي بدأه سكان الشمال وتعهدهوه
بالعناية الى الابد

وحين انتهى عهد الحروب الصليبية التي ساعدت على توسيع المعارف الجغرافية،
ورحل فيه الاوريون لاسباب دينية فقطنوا في بلاد مخالفيهم في الدين لاسباب
تجارية — اقول في السنوات الحتمية لهذا العصر نقرأ عن الاعمال المهمة التي قام بها
بعض الايطاليين مثل كاريني وروبره كي ومارينيولو الذين عرفوا كيف يدونون في
اخبار اسفارهم اموراً ذات شأن جغرافي كما دونوا اموراً ذات شأن ديني . ومع علو
كعبهم في تاريخ الجغرافيا ليست لهم المكاثة الرفيعة التي لاسرة بولو البندقية . فلكتاب
الذي وضعه ماركو بولو مقام رفيع بين الاسفار الجغرافية في القرون الوسطى ، فهو
قصة جديدة لرحلة من الغرب اجتاز فيها الممالك القديمة ووصف بدقة نادرة ما يشاهده
المسافر من ايطاليا الى ما بين النهرين وبلاد فارس ومرتفعات اسيا الوسطى وصحراء
غوبي ومروج منغوليا الى الصين والبحر الاصفر . انها قصة شائعة نادرة ومن الصعب
ان يقاس ما كان لها من الاثر في الغرب . انها تمثل أعلى مستوى بلغه كتاب العصور
الوسطى في رواية اخبار الرحلات . وما تم بعد ذلك من توسع اوربا تم معظمه عن
طريق البحر

لم تحن اوربا فائدة من البعثات التي ارسلها سكان الشمال الى مياه الاتلنتيكي لان
وجهة اوربا كانت الى الشرق فلم تتم الخطوة الكبرى التالية في سبيل التوسع الجغرافي
العلمي الا عند ما تحول بحارة البلاد الواقعة في شمال البحر المتوسط الى التجارة والنقل
البحري بهمة ونشاط، فلم يلبث بحارة المدن الايطالية ان استولوا على زمام الملاحة
في البحر المتوسط ورسوموا طرق البحار بمهارة غربية ، وانسلوا من بوغاز جبل طارق،
وجابوا شاطئ الاتلنتيكي شمالا وجنوباً بجرأة عظيمة ، وصاروا يزدادون اقداماً
ومخاطرة عاماً بعد عام ، ويثون روح العمل والارتياح في نفوس الامة التي تقطن
الطرف الاقصى من اوربا الغربية واعنى بها امة البرتغال التي شاءت الاقدار ان تصير
بفضل ملكها العظيم هنري الملاح في مقدمة الرواد الذين مهدوا لغيرهم الطريق . وليس
هذا مجال الافاضة في ذكر الخدمات التي قام بها هذا الملك الجليل ، والتي كانت بمثابة
وحي لاعمال الارتياح ولكن اقول باختصار ان فضله يخلص في تمسكه بفكرة عظيمة

باصراره على تنفيذها وفيما جاء بعد ذلك من الحوادث السريعة كارتياح شواطئ افريقية وسير السفن حول رأس الرجاء الصالح واكتشاف العالم الجديد وفتح الطريق البحري الى الهند وملقا والصين ، ثم اكتشفت استراليا قبل مضي قرن على اعمال الاكتشاف المتواصلة

واذا كانت هناك بعثات ارسلت الى شاطئ افريقية في القرن الخامس عشر فقد كانت هناك بعثات اخرى الى الاتلانتيكي ، لم يدون كثير من اخبارها ، تحذو اصحابها فكرة احتمال العثور على اراض وجزائر جديدة . وخير ما لدينا من تاريخ هذه الرحلات ، الخرائط التي رسمت في ذلك العهد . نعم ليس من السهل فهم كل ما فيها ولكن يجد الناظر اليها لذة ومغزى عظيمين

ولم يكن بين جميع الذين سلخوا البحار وقاسوا احوالها اعظم من خريستوفوروس كولمبوس وقد كان عمله جراً عظيماً لا لانه وضع خطة للبحث عن الهند الشرقية بالسير الى الغرب فانا نعتقد كل الاعتقاد ان ذلك لم يكن جزءاً من خطته الاصلية بل لانه كان ينوي العثور على جزائر وبلدان اخرى . على ان الاعمال التي انجزتها رحلانه تجعل الفضل يعود اليه في ايجاد الطريق غرباً . ومن الآن نجتاز الحدود وندخل في اعجب عهد من توسع المعارف الجغرافية . ولا نستطيع ان اسير الى ابعد من ذلك في هذا المقام متبعاً هذا المسلك فالموضوع لا يستنفده البحث

واذا كان لا بد لي من ان اشير بكلمة الى توسع العلم بعد ذلك وأتبعه حتى هذا الوقت فاني اشير الى سرعة تناقص الاقطار التي لم تكشف بعد والى الحماسة التي يندفع بها المكتشف في هذا الزمن الى مغامراته . ولا بد لي من التنويه بالدروس الكثيرة في فروع عديدة من هذا العلم وهي الفروع التي اصبحت تعد ذات شأن كبير وفائدة عظيمة كالجغرافيا الطبيعية والجغرافيا الاثنولوجية والجغرافيا الرياضية والجغرافيا التصويرية والجغرافيا الاجتماعية والاقتصادية والجغرافيا التاريخية والجغرافيا الحيوية .

مقتطف مايو ١٩٢٥

وفروع اخرى تدعو الى دروس عميقة

تقدم علم الجغرافيا

في القرن التاسع عشر^(١)

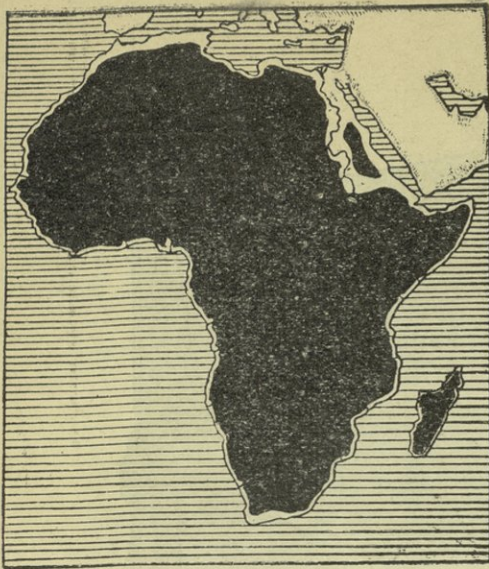
كان القسم المعروف من اليابسة سنة ١٨٠٠ يبلغ نحو خمس اليابسة كلها وكانت الخرائط رسم ويترك القسم المجهول بلا كتابة فاجاءت سنة ١٩٠٠ حتى بلغ ما اكتشف من اليابسة عشرة اجزاء من احد عشر جزءاً تقريباً فبقي جزء من احد عشر مجهولا (انظر الرسم الذي في صدر هذه المقالة. والجزء المجهول متفرق على سطح الارض بقعاً صغيرة وليس هناك مساحات واسعة لم تكشف الا في جهة قطبي الارض الشمالي والجنوبي

والفرق بين القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر من هذا القبيل ان الأول اشتهر باكتشافاته البحرية والثاني اشتهر باكتشافاته البرية كما يتبين مما يأتي : —
أفريقية

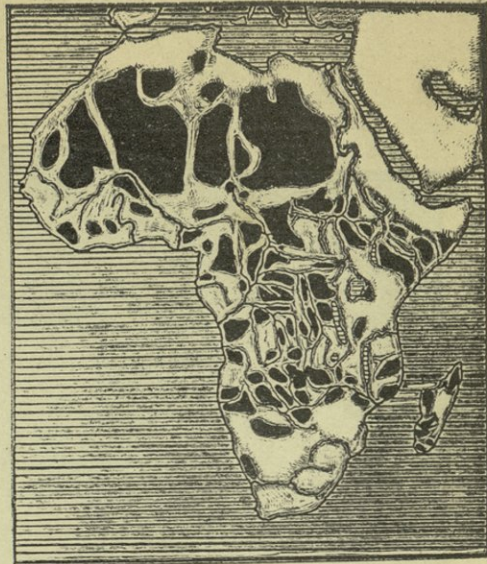
كانت قارة افريقية على الخارطة منذ مئة سنة بقعة سوداء تحفها حاشية بيضاء قليلة العرض مع قربها من أوروبا ووقوع ساحلها الشمالي موازياً لساحل أوروبا الجنوبي على مسافة الف ميل وما ذلك الا لان رداءة اقليمها جعلت اسبانيا وفرنسا وانكلترا والبرتغال يشحن باوجهن عنها ويتزاحمن على الاستعمار في أطراف اميركا والهند السحيقة وانما قصدن افريقية للتجارة بالرقيق فيها . اما الآن فقد اصبح معظم القارة معروفاً بفضل لفرنستون وستنلي وباكروسبيك ومنجو وغيرهم من اهل السياحة الذين جابوها طولاً وعرضاً فأثاروا ظلماتها ولم يبق مظلماً سوى بقع صغيرة متفرقة لا بد ان تكشف قريباً . وقد ضمت دول أوروبا كل ميل منها الى املاكهن بالطرق السلمية ماعدا المغرب الأقصى والحبشة على حين ان استعمار اميركا والهند كلفهن الوف الرجال وبدرات الأموال

واهم ما في تاريخ اكتشاف افريقية اكتشاف منابع انهرها الأربعة العظيمة وهي النيجر والزمبسي والنيل والكننجو فان الرحالة بروس اخترق القارة في اواخر القرن الثامن عشر من البحر الأحمر حتى بلغ اعالي النيل الازرق في الحبشة (الاتبرة) ثم

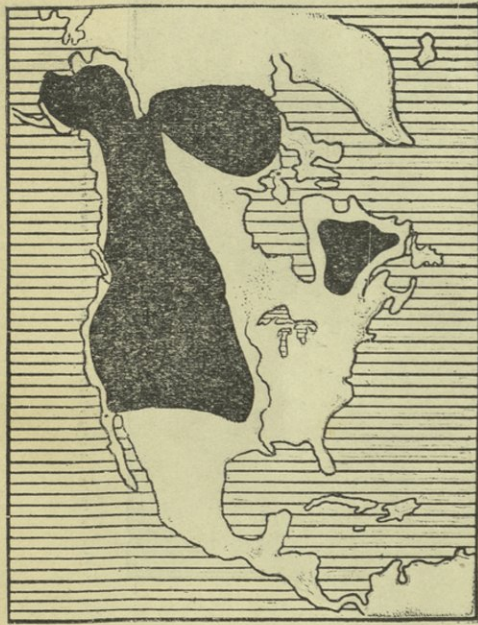
(١) من قلم العلامة جلبرت جروفنر



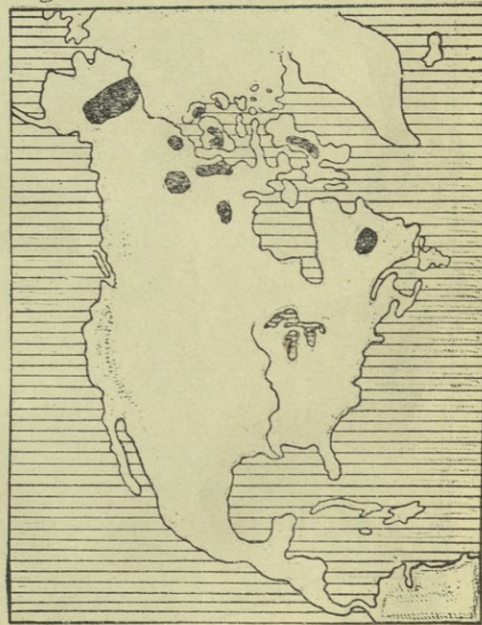
افريقية سنة ١٨٠٠



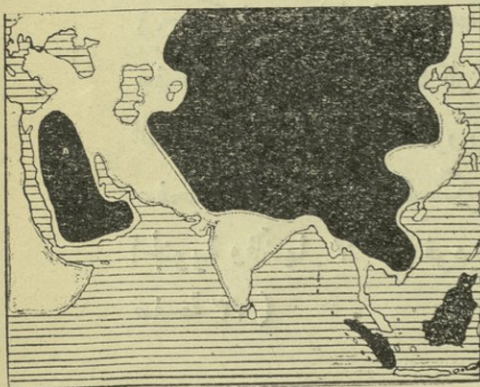
افريقية سنة ١٩٠٤



اميركا الشمالية سنة ١٨٠٠



اميركا الشمالية سنة ١٩٠٤



اسيا سنة ١٨٠٠



اسيا سنة ١٩٠٤



جماعة من قدماء الرواد

- ١ — كولمبوس (انظر صفحة ٥٩) — ٢ — اميركوس فسپوشيوس انظر
 صفحة ٦٦) — ٣ — جاك كارتيه مكتشف نهر سنت لورنس في اميركا
 الشمالية — ٤ — فردينند كورتز رائد رتوغالي — ٥ — فاسكو دي غاما (انظر
 صفحة ٧٧) — ٦ — فرنسيسكو بيزارو الاسباني مكتشف بلاد بيرو في اميركا
 الجنوبية وفتحها — ٧ — فردينند مجلان اول من دار حول الارض (انظر
 صفحة ٧٣)
 الرواد الصفحة ٥٩

سار حذاء النهر حتى ملتقاه بالنيل قبلي بربر واستأنف السير من هناك الى القاهرة .
 اما الآن فقد اكتشف مجرى النيل على مدى طوله مسافة ٣٤٠٠ ميل واكتشف
 ما طوله ٢٦٠٠ ميل من النيجر وبقي قسم صغير في اواسطه لم يكتشف بعد وما طوله
 ١٥٠٠ ميل من الزمبيسي نحو ٣٠٠٠ ميل من الكنجو وهو نهر لا يفوقه حجماً
 الا نهر الامازون في اميركا الجنوبية

اما مكتشف مجرى النيجر فجراح انكليزي اسمه منجو برك اتدبته الجمعية
 الأفريقية الأنكليزية لذلك فسافر من غمبيا في غربي القارة سنة ١٧٦٩ الى مسافة
 مئات من الأميال وعاد الى انكلترا ثم استأنف السير سنة ١٨٠٥ فقطع نحو النهر
 من النهر بقاربه ومعه اربعة من الرفاق حتى اذا كاد يبلغ منابعه هاجم الاهالي قاربه
 فانقلب به وغرق قبل ان يدرك غايته ويباغ امنيته

وبعد موت برك قام دنهام وكلابرتون فسافرا من فزان جنوباً الى الصحراء
 الكبيرة واكتشفا بحيرة تشاد ثم سارا الى سكوتو على النيجر . وتلاههما ساح فرانسوي
 اسمه كاليه فوصل مدينة تمبكتو سنة ١٨٢٨ . ثم ساء آخر اسمه نختجال فسار من
 النيجر الى بحيرة تشاد وتوجه شرقاً ماراً في وداي ودارفور والسودان المصري

على ان من اعظم المكتشفين لفنستون الرحالة الانكليزي الشهير فانه سافر الى
 افريقية سنة ١٨٤٠ وكان طبيباً مرسلاً فبدأ سياحته من مدينة الراس وظل يتوغل
 شمالاً فما جاءت سنة ١٨٤٩ حتى كان على بعد ٨٠ ميلاً من مدينة مفكنج جنوباً
 و ١١٠٠ ميل من مدينة الرأس . واكتشف بحيرة نجامي وما زال يوالي السفر حتى
 بلغ ساحل الاثنتيني عند مدينة لواندا ثم عاد الى نهر الزمبيسي واكتشف الشلالات
 التي سماها باسم الماسكة فكتوريا وبحيرتي نياسا وشيرا اللتين يجري نهر الزمبيسي منهما
 وسنة ١٨٥٩ سافر الضابطان الانكليزيان برتون وسبيك من زنجبار قصد
 اكتشاف بحيرة كثر التحدث بها في تلك الايام فبلغا بحيرة تنجنيكا ثم عادا الى زنجبار
 واقتربا فسافر برتون جنوباً وسبيك شمالاً برفقة صديق له واكتشفا بحيرة فكتوريا
 نيانزا سنة ١٨٦١ . وفيما كانا يدوران حولها وجدا نهرأ كبيراً يخرج منها (البحر
 الابيض) ويجري شمالاً فسارا حذاءه حتى التقيا بالسر صموئيل باكر (باشا) وكان
 قد قدم من الخرطوم واستأنف باكر المسير غرباً حتى اكتشف بحيرة البرت نيانزا .
 وهذه البحيرة وبحيرة فكتوريا نيانزا هما البحيرتان اللتان يستمد النيل اكثر مائه منهما

وفي سنة ١٨٦٥ قصد لفنستون بحيرة تمنجنیکا واكتشف بحيرتين أخريين ثم انقطعت اخباره عن اوربا فأوفد المستر غوردون بنيت صاحب جريدة نيو يورك هرالد الرحالة ستنلي للتفتيش عنه كما هو معلوم فسافر ستنلي من زنجبار غرباً حتى بلغ يوجيجي على ساحل بحيرة تمنجنیکا الشرقي فوجده فيها . ودار ستنلي حول بحيرة فكتوريا نيازا ثم اكتشف بحيرة البرت ادورد وتوجه غرباً فبلغ نهر الكنجو وسار حتى ساحل الاتلتيكي . وفي سنة ١٨٧٨ عاد يسعى في اجتياز افريقيا من الغرب الى الشرق للتفتيش عن امين باشا وانقذه . فسافر من مصب الكنجو فرأى في سفرته هذه جبال القمر وتلاه سياح ورواد آخرون فاكتشفوا بلاداً أخرى مجهولة مهم ذوندسن سمث فانه سافر من بربرة واكتشف الارض الواقعة بين بحيرة رودلف والنيل . ومهم جروجان فانه اجتاز القارة من مدينة الراس الى القاهرة فكانت سياحته هذه خامسة الاسفار الافريقية المشهورة التي تمت في القرن الماضي

الاصقاع المتجمدة الشمالية

كان لرواد الاصقاع المتجمدة الشمالية في القرن الماضي ثلاث غايات يرمون اليها الاولى اكتشاف طريق شمالية غربية توصل الى الهند . والثانية اكتشاف طريق شمالية شرقية . والثالثة بلوغ القطب الشمالي . اما الغايتان الاولى والثانية فتمتا لهم فان مكلاورا اكتشف طريقاً صعبة من بوغاز بيرن الى اوربا بين سنة ١٨٥٠ و ١٨٥٣ والبارون نورد نسيجولد العالم الاسوجي سار حذاء ساحل آسيا فوصل الاوقيانوس الباسيفيكي وكان ذلك حوالي سنة ١٨٨٠ . على ان اكتشاف الطريقين لم يفد الناس فائدة تذكر ولا يبعد ان الطريق الثانية تفيد تجار الحشب والفرو وما اشبه من حاصلات البلدان الشمالية متى تقدمت تجارة سيبيريا

بقيت الغاية الثالثة اي اكتشاف القطب الشمالي وهي وان لم تتم بعد الا انها كادت تتم على ايدي ابطال المكتشفين مثل هول ولو كوود ونسن وامبروزي فان كلا مهم تقدم نحو القطب عن سالفه حتى لم يبق بين القطب وآخر مرحلة بلغوها سوى ٣ درجات و ٢٧ دقيقة وكان قد سبق هؤلاء الاربعة نفر من الرجال فاكتشفوا اما كن عديلة لم تكن قد اكتشفت بمد— اشهرهم مكنزي وبري وفرنكلين وروس . على ان أفجع تلك الاسفار ما ألم بالسر جون فرنكلن ورفاقه وكانوا ١٢٨ نفساً . وتحرير الخبر انه ركب سفينتين هو وجماعته في شهر مايو سنة ١٨٤٥ ثم انقطع خبرهم

واحى أثرهم. وعرف فيما بعد ان الجمد سد المسالك على سفينتهم فمات فرنكلين في يونيو سنة ١٨٤٧ وكان عند جماعته حينئذ زاد يكفيهم سنة ومات ٢٤ نفساً منهم ولما كان الجمد لا يزال يكتنف السفينتين عقدوا النية ان لا ينتظروا ذوبانه بل يفتحوا لانفسهم طريقاً. ولم يعلم شيء عنهم بعد ذلك مع ان حملات كثيرة ارسلت برأً وبحراً للتفتيش عنهم في كل الجهات حتى اذا كانت سنة ١٨٥٤ التقى الرحالة راي بشاب من الاسكيمو فاخبره هذا ان قومه رأوا منذ اربع سنوات ٤٠ رجلاً ايض يجرون قارباً في مكان معلوم. ولم يمض على ذلك اشهر قليلة حتى عثر الرحالة المذكور على ثلاثين جثة من جثثهم وفي سنة ١٨٥٠ أرسل مكلاور وكولنسن للتفتيش عن سائر المفقودين من رجال الحملة من الغرب الى الشرق فلتقي حملة قادمة من الشرق بقيادة السر ادورد بلتشر ولم ير هو ولا غيره اثرأً لفرنكلين ولا سمعوا بما جرى له مع انهم والوا البحث والتنقيب تسع سنوات متتابعة. إلا ان امرأة فرنكلين لم تياس فجهزت سنة ١٨٥٩ حملة سارت بقيادة مكنتوك فعثرت على هيكل انسان في بلاد الملك وليم وتوصل هو بسون الى معرفة ما جرى للحملة من سنة ١٨٤٥ الى ١٨٤٨. وكانت نتيجة هذه الحملة معرفة مواقع الجزر الممتدة على الساحل الشمالي من اميركا الشمالية

الاصقاع المتجمدة الجنوبية

حول القطب الجنوبي بقعة لم تطأها قدم انسان بعد وهي ضعف اوربا مساحة ولا يعلم ما اذا كانت ارضاً يابسة او بحراً كبيراً وأهم الذين قصدوا تلك الاصقاع للاكتشاف الكبتن سمث فانه اكتشف جزائر شتلاند الجنوبية سنة ١٨١٦ وتلاه كثيرون غيره واكتشفوا اراضي أخرى ابعدها على عرض الدرجة الثامنة والسبعين وكان الذي بلغ هذا العرض السر جيمس روس من مشاهير المكتشفين في الاصقاع الشمالية كما تقدم وذلك سنة ١٨٤٢. ولم يتجاوز احد هذا الحد إلا بور شجرا فنك سنة ١٨٩٩ فانه باع عرض ٧٨ و ٥٠. وهذا اقصى ما وصل اليه انسان في تلك المجاهل السحيقة حتى آخر القرن الماضي

استراليا

استراليا قارة تساوي الولايات المتحدة الاميركية مساحة وعدد سكانها الانكليز الآن ستة ملايين لا غير. وفي أواخر السنة الاخيرة من القرن الماضي اوجدوا والقوا حكومة مستقلة استقلالاً ادارياً وقد كانت استراليا في السنة الاولى من القرن الماضي

بلاداً مجهولة تسكنها قبائل همجية منحطة في سلم المدنية وجماعة من الانكليز متفرقة على ساحل البلاد المعروفة اليوم باسم نيوسوث ويلس واما سائر اقسام القارة فلم يكن يعرف عنها شيء

وفي أواخر القرن الماضي اكتشف الكبتن كنعغ مصاب أنهر استراليا وسواحلها الشمالية والغربية وما بينها . وقام بعده ستيوارت فاكتشف نيوسوث ويلس واوغل في القارة حتى بلغ أواسطها وعاد فجدد الكرة واجتازها من جهة الى جهة سنة ١٨٦٢ فكان أول ابيض فعل ذلك وتلاه كثيرون فاكتشفوا أما كن مجهولة حتى لم يبق من القارة سوى أما كن قليلة لم تكشف ومعظمها صحارى قاحلة

اميركا الشمالية

أهم الاكتشافات الجغرافية التي جرت في القرن التاسع عشر كان في اميركا الشمالية وخصوصاً الولايات المتحدة الغربية . ومعظم الفضل في ذلك عائد على المستعمر والمعدن لا على الجغرافي ولا السائح المكتشف . وقد كانت البلاد الواقعة غربي نهر مسيسيبي والجبال الصخرية في جملتها مجهولة سنة ١٨٠١ . فكانت كتب الجغرافية المعروفة حينئذ تصف اميركا الشمالية بأنها بلاد « معظمها سهول مستوية قليلة الارتفاع ليس فيها من الجبال الشاخنة غير الجبال الواقعة نحو القطب والجبال التي تخرق الولايات المتحدة الشرقية وتسمى جبال اليغاني »

إلا ان كثيرين من الرواد والمكتشفين ساعدوا في اكتشاف بعض الاماكن المجهولة مثل وادي نهر مسور والجبال الصخرية وكليفورنيا وغيرها . ومن أولئك الرواد فريمونت ولويس وكلاارك وبيك وبونفيل وبويل وغيرهم كثيرون

اميركا الجنوبية

ليس بين القارات الست قارة يجهلها الناس الآن مثلما يجهلون هذه القارة مع انها كانت منذ مئة سنة اشهر القارات واعرفها ما عدا اوربا . فان الجزويت أوغلوا فيها بطريق الأنهر التي تخرقها من كل جانب حتى بلغوا قلبها ورسموا خرائط الاماكن التي مروا بها

ومن اشهر مكتشفها همبلت المشهور فانه ساح في كثير من بلادها وكان اول من توسع في تفسير كلمة « جغرافية » فاطلقها على وصف اقليم البلدان وهوائها وتوزع الحيوان والنبات فيها وطبيعة تربتها ولم يقتصر على رسم الأنهر والجبال وغيرها كما

ترسم الخرائط عادة . وتلاه مكتشفون آخرون مثل سيكس ومارتيوس وشومبرج وكريفو فاكشفوا كثيراً من الأماكن التي لم تكتشف قبلاً فصارت أميركا الجنوبية على ما نراها الآن

آسيا

كان ماركو بولو الاوربي الوحيد الذي جاب جزءاً كبيراً من آسيا قبل سنة ١٨٠٠ وما استهل القرن التاسع عشر حتى امها المكتشفون من كل ملة ونحلة ورسموا خارطتها فجاءت مضبوطة في مجملها وأوفدت روسيا عدداً عديداً من الرجال للاكتشاف من الشمال الشرقي فقامت انكثرا تناظرها وارسلت رجالها من الجنوب . وربما كان اكتشاف مجاهل آسيا اصعب مراساً وابعد منالا من اكتشاف مجاهل افريقية او استراليا او اميركا الشمالية لان الاجنبي كان يلقي فيها مئات من ملايين الشعوب والقبائل التي تختلف في طباعها واخلاقها عن متوحشي افريقية فتقف في سبيله وتحول دون تقدمه وفي سنة ١٨٢٩ دخل همبلت اواسط آسيا وسواحل بحر قزوين . وعقبه المرسل القرنسوي هوك فعبر بلاد التبت سنة ١٨٤٤ — ١٨٤٥ وأقام عدة اشهر في لاسا عاصمتها . وساح بلجراف في بلاد العرب حوالي سنة ١٨٦١ واجتازها من جهة الى جهة . ثم قام السائح جارنييه المشهور وساح في كمبوديا والصين وقطع اكثر من ٥٠٠٠ ميل في بلاد لم يعرفها التريون قبلاً . وتلاه كيثرون غيرهم مثل سفن هدن ورشتوفن وروكهل فاكشفوا اقاليم كثيرة ومسحوها وعينوا مواقعها في الخارطات فاصبحت آسيا وهي تكاد تعرف كلها

الخاتمة

وغاية القول ان تقدم الجغرافية في القرن التاسع عشر كشف خبايا كل زاوية من زوايا الأرض امام اهالي اوربا واميركا . بل ان تقدم العلوم الجغرافية فيه امام النقب عن اصل الأرض وكيفية تكونها . فان علم الحيولوجيا الذي يبحث في طبيعة قشرة الأرض وتكونها يخبرنا عن الدور الجليدي ويدلنا بواسطة البقايا المتحجرة على ان الحياة ظهرت في الأرض منذ الوف الملايين من السنين . ثم ان علم الظواهر الجوية الذي يبحث في أحوال الهواء المحيط بالأرض وعلم اعماق البحر انما هما نتيجة تقدم الجغرافية في القرن الماضي . وسيكون مدار بحث الانسان في هذا القرن على سبر غور البحار لحل اسرارها وهتك استارها

مقتطف نوفمبر ١٩٠٤

تخطيط البلدان ورسم الخرائط

يسألنا قراء المقتطف مرة بعد أخرى عن اسم المكتشف الأول لهذا الامر او ذاك والمستنبط الاول لهذه الآلة او تلك والواضع الاول لهذا العلم او ذاك ونحو ذلك من المسائل الدالة على رغبة السائل في البحث والتنقيب فنجيبهم بما يحضرننا او بما نقف عليه في كتب القوم . وقد سئلنا الآن عن واضع علم الجغرافيا المعروف بتخطيط البلدان وكنا قد عثرنا على صورة الخريطة التي رسمها الشريف الادريسي منذ نحو ٨٠٠ سنة بامر الملك رجار صاحب صقلية فرأينا ان رسمها ونضيف اليها رسم الخريطة التي وضعها بطليموس قبل ذلك ونجمع مقالة وجيزة في هذا الموضوع نذكر فيها تاريخ هذا العلم منذ نشأته الى ان باغ العرب وانتقل منهم الى الافرنج اول صورة يتصورها المرء للارض انها جسم مسطح مستدير . كذا كنا نتصورها ونحن اطفال وكذا كان الناس يتصورونها في طفولية نوع الانسان وكانوا يحسبون البحر يحيط بها من كل ناحية . واول من ركب البحر وبلغ الاقطار الشاسعة واخبر غيره بما رأى فيها ووصلت اخباره الينا الفينيقيون اسلاف السوريين تلك الامة التي كانت لا يقر لها قرار الا بالسفر وركوب الاخطار مثل ابنائها في هذا العصر فانك تراهم منتشرين في كل الممالك والبلدان من اليابان شرقاً الى اقاصي اميركا غرباً ومن بلاد الروس شمالاً الى بلاد الراس جنوباً فلا تخلو قارة ولا مملكة منهم . ويظهر مما أورده هوميروس في اشعاره أنهم كانوا قد جابوا البحر الاسود وقطعوا البحر المتوسط ودخلوا الاوقيانوس الغربي (الatlantiki) واستوطنوا اسيا الصغرى في القرن الثاني عشر قبل المسيح وبلاد اليونان في القرن الحادي عشر وقرطاجنة في القرن التاسع . ويقال أنهم طافوا حول افريقية كلها فساروا في البحر الاحمر جنوباً وداروا حول رأس الرجاء الصالح من جهة الجنوب وظلوا سائرین غرباً وشمالاً الى ان دخلوا بوغاز جبل طارق وقطعوا البحر المتوسط وعادوا الى مصر . وكان ذلك في القرن السابع قبل المسيح في عهد الملك نحو من ملوك الدولة السادسة والعشرين من الدول المصرية . والدليل على صحة ما تقدم أنهم قطعوا البحر حيث صارت الشمس عن يمينهم وهم متجهون غرباً ولا يكون ذلك إلا جنوبي افريقية . وقد استبعد هيرودوتس هذا الامر

ولكنه صحيح وهو دليل قاطع على صدق الخبر

وفي القرن السابع والسادس قبل المسيح زادت معارف الناس عن شكل الارض واتساعها وبلغ بحارة قرطاجنة الفينيقيون الجزائر الانكليزية في اقصى الشمال ووصفوها . ويقال ان طاليس وتلميذه انكسندر اول من وضع رسم الخرائط وازال بعض الاوهام وذلك في القرن السابع قبل المسيح كما سيجيء

ثم نشأ هيروودوتس ابو التاريخ وابو الجغرافيا فوصف الممالك التي رآها في اسفاره الشاسعة وهي تشمل بلداناً طولها من الشرق الى الغرب الف وسبعمئة ميل وعرضها من الشمال الى الجنوب الف وستمئة وستون ميلاً فضمن تاريخه المشهور كل ما كان يعلم عن سطح الارض في عصره . وكان المظنون حينئذ ان الارض تنتهي جنوباً بالاقيانوس الهندي وغرباً بالاتلنتيكي وشرقاً باطراف بلاد الفرس الشرقية وشمالاً ببلاد الكهرباء التي بلغها الفينيقيون في بحر بلطيك

ثم قام الاسكندر المقدوني ودوخ بلاد المشرق وبلغ بلاد الهند وبعث بالعلماء محبوبون الاقطار القاصية ويجمعون له اخبارها ونوادرها وكل غريب فيها حيواناً كان او نباتاً فكانت غزواته السياسية مشفوعة ببعثات علمية اتسع بها نطاق المعارف الطبيعية والجغرافية

ولما كان الاسكندر يخترق آفاق المشرق كان فيثياس المرسيلى الفينيقي يبحر بحار المغرب فدار حول اسبانيا وغاليا واجتاز بريطانيا ودخل الاوقيانوس الشمالي وبلغ جزيرة تولى التي يظن انها ايسلندا . قال ابو الفدا انها على نهاية المعمور في الشمال هذا من حيث المعارف الجغرافية عند الاقدمين بنوع عام ، اما تخطيط البلدان او رسم الخرائط فاقدم من ذلك كثيراً وأول خريطة وصلت الينا من الاقدمين خريطة مصرية قديمة رسمت في عهد رمسيس الثاني علي ما يظن وهي الآن في متحف تورين وفيها رسم وادي الايكة حيث كانت مناجم الذهب في بلاد النوبة . والبلاد جبال قاحلة ومفاوز محرقة يهلك فيها الانسان والحيوان في السير الى تلك المناجم . وفي الخريطة رسم الشعاب والصخور وقد أعلمت الجبال التي وجد الذهب فيها ببحر احمر . وفيها ايضاً اشارات الى الآبار التي في الطريق والمباني والمرافق المنشأة بقرب المناجم والطرق الممتدة الى البحر ولم يترك شيء في ذلك المكان الا رسم في تلك الخريطة . ومن هذا القبيل خريطة اخرى فيها رسم بحيرة الفيوم والمدن والهياكل التي حولها

ووجدت خريطة بابلية قديمة رسمت فيها مدينة سوسه واسوارها وحصونها وقصر الملك الذي فيها وساحة المدينة في وسطها يحيط بها رواق من ثلاث جهات ورستاق المدينة حولها فيه اشجار النخيل والمباني منتشرة فيه الى ضفة الهر . والمظنون ان هذه الخريطة صنعت في القرن السابع قبل المسيح

ولكن الخرائط البابلية والخرائط المصرية كانت قاصرة على رسم ما في بابل ومصر ولم تتجاوز الى البلدان القاصية ولا يبعد ان يكون الفينيقيون قد سبقوا غيرهم الى رسم الخرائط الكبيرة التي ترشد البحارة في سلك البحار لكن لم يصل اليها شيء منها . واول امة صنعت خريطة تشمل المسكونة كلها في ما يعلم الامة اليونانية فقد ذكر سترابون المؤرخ ان انكسمندر الذي ولد سنة ٦١٢ قبل المسيح صنع خريطة رسم فيها المسكونة كلها . وقال ديوجنس لارتس عنه انه اول من صنع الخرائط والمزاويل (الساعات الشمسية) . اما المزاويل فقد رجح الدكتور دالي انها نقلت الى بلاد اليونان من بلاد الكلدان . وقال هيرودوتس انه لما ذهب ارستاغورس الى كليومينس ملك اسبرطة سنة ٥٠٤ قبل المسيح ليحمله على غزو بلاد الفرس اراه صفيحة من النحاس عليها اسم دائرة الارض بكل بحارها وانهارها

ويقال ان هكتاتيروس الذي كان معاصراً لانكسمندر اصلاح الخريطة التي رسمها انكسمندر بعد ان جاب الاقطار وكتب رحلته في كتابين جغرافيين بقي الناس يعتمدون عليهما قروناً كثيرة بعده

وكان الناس الى ذلك الحين يعتقدون ان الارض مسطحة مستطيلة من الشرق الى الغرب وتحتها قبو طويل تمر فيه الشمس ليلاً وهو الجحيم (طرطاروس) مسكن ارواح الاشرار . ووراء اعمدة هرقل (جبل طارق) من ناحية الغرب خلائق غريبة الاشكال والى شمالها باب الجحيم ووراءه في جهة الغرب بعد طرف الارض اقطار الفردوس بلاد صيفها دائم ونسيمها لا ينقطع هناك تسكن نفوس الذين ارتضهم الالهة وهناك جنات فيها تفاح ذهبي . والى الشمال والشمال الشرقي الشماليون المقيمون في ظلمة دائمة والهبروريان^(١) الذين لا يتعبون ولا يمرضون بل يعيش الواحد منهم الف سنة في نعيم مقيم

(١) الشماليون نسبة الى الشمالي اقوام يزعم انهم يسكنون كهفاً مظلماً والهبروريان من هبر ووراء وبورياس زوابة اي الساكنون غير البلاد التي تعصف فيها الزوابع

إلا ان طاليس الحكيم قال قبل ذلك بكونية الارض وبأن دائرة البروج غير موازية لخط الاستواء بل مائلة عايتها وقسم الارض الى خمس مناطق او خمسة اقاليم. وخلفه انكسندر وقال بكونية الارض ايضاً ويقال انه صنع كرة تمثلها. وجاء فيثاغورس بعده ولم يكتف بكونية الارض بل قال انها تدور حول الشمس لكنه كان يعلم بذلك سرّاً واذا تكلم جهاراً قال ان الشمس تدور حول الارض مخافة ان يكذبه الجمهور ويكفروه

ثم سافر فيثياس المرسيلى شمالاً فبلغ جزيرة ايسلندا كما تقدم ويقال انه اول من اتبته الى حساب العرض فانه رأى ظل المزولة يختلف طولاً في وقت معلوم باختلاف البعد عن خط الاستواء فاستدل به على مقدار هذا البعد اي على عروض الاماكن وكان ذلك في عهد الاسكندر كما تقدم

وبنى الاسكندر مدينة الاسكندرية في مصر لكي تكون مقر تجارة المشرق والمغرب فجعلها خلفاؤه البطالسة داراً للعلم والعلماء ايضاً وجمعوا فيها كل ما وصلت يدهم اليه من كتب العلم. وقام في ذلك الحين رجل اسمه اراتوستنس كان كتيباً في مكتبة الاسكندرية وعالماً كبيراً وبه ابتداء علم الجغرافية حقيقة. وكان الناس الى ذلك الحين يقيسون الابعاد بين الاماكن بالمراحل اي بالايام التي تقضى في قطعها، ولا يخفى ما يقع في ذلك من الخطأ، فقال انه يتعذر رسم خريطة صحيحة ما لم تعلم مساحة سطح الارض ولا تعلم المساحة ما لم يعلم محيط الارض وهذا يعلم اذا قيست درجات قوس من الهواجر وقيس طولها ثم تعلم الابعاد بعد ذلك بقياس الدرجات. واهم بهذا الامر فوجد ان نور الشمس يقع عمودياً في اصوان وقت الظهر في الانقلاب الصيفي لانه اذا دخل بئراً عمودية حينئذ انار قاعها كله ولم يبق فيه ظلاً وفي ذلك اليوم عينه يكون نورها مائلاً في الاسكندرية سبع درجات و١٢ دقيقة فالبعد بين الاسكندرية واصوان سبع درجات و١٢ دقيقة اي جزء من خمسين جزءاً من محيط الارض وطول هذا الخط معروف فعرف منه محيط الارض. وكانت مكتبة الاسكندرية حاوية كل ما كتبه الذين سبقوه في الجغرافية فجمع منها كتاباً كبيراً وضع خريطة للارض كانت اكمل ما صنع الى ذلك الحين وأصح من خريطة بطليموس الا ان ذكرها من بعض الوجوه

ونشأ بعده هيرخس الفلكي الشهير وهو اول من بدأ بقسمة سطح الارض الى دوائر وهمية تمر حولها من قطبة الى قطبة وتقطع خط الاستواء على ابعاد متساوية وهي خطوط الليل وبدوائر اخرى موازية لخط الاستواء ترسم على ابعاد متساوية وتصغر رويداً رويداً الى ان تبلغ القطبتين وهي خطوط العرض

وعني الرومان برسم الخرائط لسلطنتهم الشاسعة لكنهم كانوا يهتمون غالباً برسم الطرق الموصلة بين المدن المختلفة وما تمر به من الجبال والاوودية والينابيع ارشاداً لجنودهم في غزواتهم ولقوافل التجار في رحلاتهم

وفي القرن الثاني قبل المسيح قام مارين الصوري واطلع على ما كتبه السلف في علم الجغرافيا وجمع اخباراً كثيرة نقلها عن البحارة واهل الرحلات والف كتاباً كبيراً في الجغرافيا اضاف اليه كثيراً من الخرائط رسم فيها خطوط الطول والعرض حتى تظهر مواقع المدن والاماكن الشهيرة كما هي . وعلى هذا الكتاب كان اعتماد بطليموس في جغرافيته الشهيرة كما اعترف هو نفسه . فان كان التاريخ قد نبخل علينا بذكر الخرائط الاولى التي صنعها السوربون للبلدان الشاسعة التي اكتشفوها في رحلاتهم فهو لم يبخل بذكر هذا الكتاب الجغرافي الكبير الذي الفه مارين الصوري وعليه كان اعتماد بطليموس في جغرافيته . ويقال ان غاية ما فعله بطليموس تنقيح هذا الكتاب وقد اخطأ في هذا التنقيح قدر ما اصاب . وبطليموس هذا واسمه كلوديوس بطليموس من يوناني مصر نشأ في الاسكندرية وكان حياً فيها سنة ١٦١ للمسيح واطاع على كتب من تقدمه واستخلص منها ومن مبتكراته العامية كتابين كبيرين ارتشد بهما الناس ونسجوا على منوالهما الى ان بزغت شمس العلوم الحديثة منذ قرنين او ثلاثة وهما كتاب الجغرافيا المار ذكره وكتاب المجسطي في الفلك . وكتاب الجغرافيا هذا في ثمانية اجزاء ذكر فيها كل الاماكن المعروفة ووصفها وصفاً موجزاً وذكر اطوالها وعروضها وقد حسب الطول من جزائر كناري (الجزائر الخالدات) حاسباً انها ابعد المعمور غرباً لكنه حسب انها على درجتين ونصف غربي رأس سنت فنست بافريقية والحال انها على تسع درجات وثلاث منه . وصنع ستاً وعشرين خريطة للبلدان المختلفة وخريطة واحدة تجمعها كلها

وخريطة بطليموس على ما تظهر هنا ليست افضل من خريطة اراتوستنس ولا

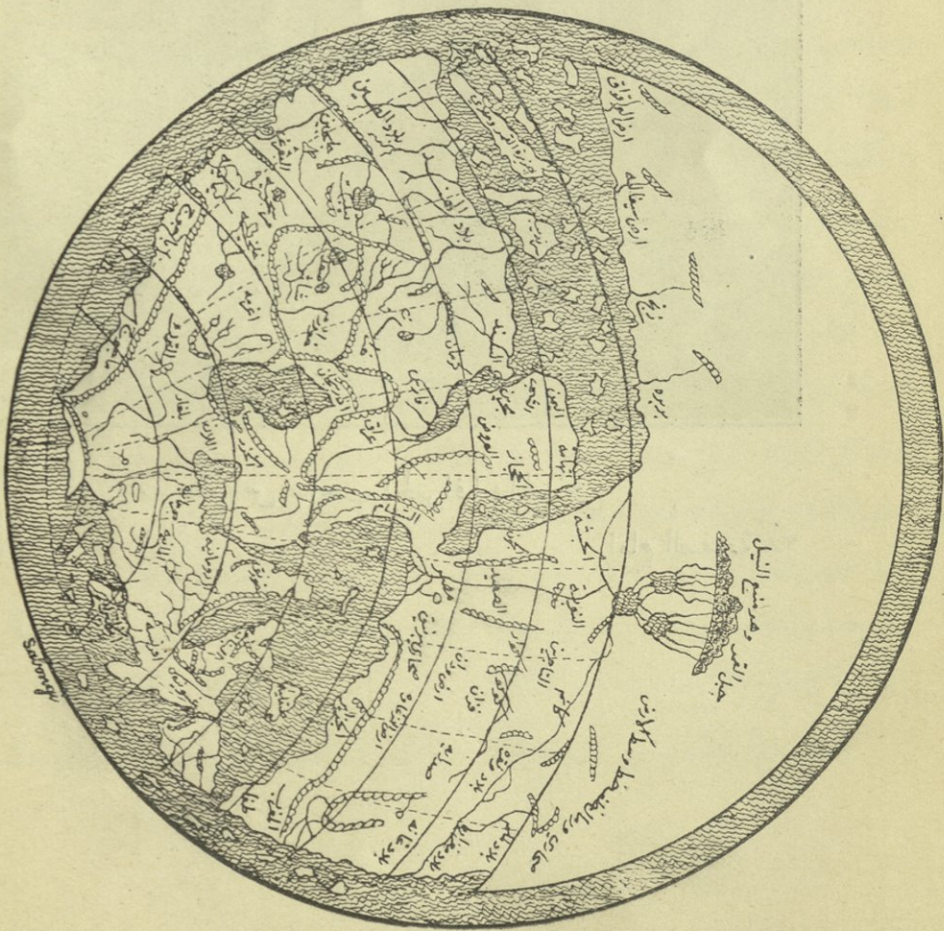


بطليموس صاحب الجغرافيا والمجسطي

امام الصفحة ٢٨



خريطة العالمين



خريطة الشرق الاوربي

يتماز عليها الا بخطوط الطول والعرض ورسمها منحنية لكي تظهر بها كروية الارض وقد وصل كتابه الينا سليماً ووجدت نسخة يونانية منه كتبت منذ نحو سبع مئة سنة وهي الآن في دير الروم بجبل اثوس

وقد رسم الاقدمون بطليموس بصورة شيخ جليل القدر متكئ على صفيحة تحيط بها ابراج السماء ونقل هذه الصورة الدكتور دالي رئيس الجمعية الجغرافية الاميركية فنقلناها عنه

واطبق ليل الجهل بعد بطليموس ولكن بقيت كتبه تنير حنادس الظلم الى ان قويت شوكة العرب واستعانوا بالسوريين على ترجمة كتب اليونان واهتموا بعلم الجغرافية فنتسجوا على منوال بطليموس وازافوا الى معارف اليونان والرومان ما عرفوه باسفارهم الكثيرة في اسيا وافريقية والاقيانوس الهندي

قال الملك المؤيد ابو الفدا صاحب حماه في مقدمة كتابه تقويم البلدان " اني لما طالعت الكتب المؤلفة في البلاد ونواحي الارض من الجبال والبحار وغيرها لم اجد فيها كتاباً موفياً بفرضي . فمن الكتب التي وقفت عليها في هذا الفن كتاب ابن حوقل وهو كتاب مطول ذكر فيه صفات البلاد مستوفياً غير انه لم يضبط الاسماء وكذلك لم يذكر الاطوال ولا العروض فصار غالب ما ذكره مجهول الاسم والبقعة ومع جهل ذلك لا تحصل فائدة تامة . وكتاب الشريف الادريسي في الممالك والمسالك وكتاب ابن خردادبه وغيرها . وجميعهم حذوا حذو ابن حوقل في عدم التعرض الى تحقيق الاسماء والاطوال والعروض . اما الزيجات والكتب المؤلفة في الاطوال والعروض فانها عرية عن تحقيق الاسماء وضبطها مثل كتاب الانساب للسمعاني والمشارك لياقوت الحموي وكتاب مزيل الارتباب عن مشتبهِه الانتساب وكتاب الفیصل وكلاهما لابن المجد اسمعيل بن هبة الله الموصلی، فانها اشتملت على ضبط الاسماء وتحقيقها من غير تعرض الى الاطوال والعروض . ومع الجهل بالاطوال والعروض يجهل سمت ذلك البلد . ولما وقفنا على ذلك وتأملناه جمعنا في هذا المختصر ما تفرق من الكتب المذكورة من غير ان ندعي الاحاطة بجميع البلاد او بغالبها فان ذلك امر لا مطمع في الاحاطة به ، فان جميع الكتب المؤلفة في هذا الفن لا تشتمل الا على القليل الى الغاية »

ولم يحط ابو الفدا بكل ما كتبه جغرافيو العرب قبله ولم يقتصر الذين جاءوا بعده على ما عرف في ايامه ولذلك ففي كتبهم اكثر مما ذكر في كتابه . وقد وفي هذا الموضوع حقه في مقالتي مسهبتين أدرجت الاولى منهما في المجلد السابع من المقتطف والثانية في المجلد الثالث عشر منه

اما الخرائط الجغرافية التي كان العرب يسمونها فاقترفوا بها اولا خطوات الرومان اي كانوا يسمون المدن والطرق التي يسار بها اليها . ثم دعا الملك روجر صاحب صقلية الشريف الادريسي في القرن الثاني عشر للميلاد فألف له كتاب زهرة المشتاق في اختراق الآفاق شرح به كرة ارضية صنعها من الفضة وصنعت خريطة عن هذه الكرة وجعل الجنوب فيها الى فوق والشمال الى اسفل على ضد الخرائط المعروفة الآن والشريف الادريسي من الادارسة اصحاب المغرب الاقصى ولد بسببة تجاه جبل طارق سنة ٤٨١ للهجرة (١٠٨٩ للمسيح) ودرس بقرطبة من مدن الاندلس وطاف في اسبانيا وافريقية واسيا الصغرى ودعااه الملك روجر الثاني صاحب صقلية اليه لما بلغه عن علمه وفضله واجزل صلاته وعهد اليه في تأليف جغرافية مسهبة يصف بها بلدان المعمور، بانياً وصفه على المشاهدة فبعث بالرواد الى الاقطار المختلفة ليجوبوها ويحملوا اليه اوصافها وقياس اطوالها واعراضها ثم جمع ما كتبوه ولخصه في كتابه زهرة المشتاق . والظاهر انه غير الكتاب الذي ذكره ابو الفدا . ولم يتم تأليف زهرة المشتاق الا سنة ١١٥٤ وهو اوسع جغرافية الفت الى ذلك الحين . ولخص هذا الكتاب وطبع في كسروان وقد طبع جانب منه في ليدن سنة ١٨٦٦ اما الكتاب كله فلم يطبع حتى الآن

لقد كان اعتماد العرب على اليونان يقرب من العبادة فكانوا يأخذون بقولهم ولو تبينوا فسادة بالامتحان، قال البيروني « الروم والهند اصدق سائر الامم عناية بهذه الصناعة ، ولكن الهند لا يبالغون غاية اليونانيين فيعترفون لهم بالتقدم ولمثله نميل الى آرائهم ونؤثرها . فاما الهند ففي كتبهم ان نصف كرة الارض ماء ونصفها طين يعنون البر والبحر . وان على ترابيع خط الاستواء اربعة مواضع هي جمكوت الشرقي والروم الغربي وكسك الذي هو القبة والمقاطر لها فلزم من كلامهم ان العمارة في النصف الشمالي

باسره . وان صح ما فهمه البيروني من كلام الهند فهم يعنون بالمقاطر اميركا الشمالية وذلك دليل واضح على انهم كانوا يعرفونها . ثم قال « واما اليونانيون فقد انقطع العمران من جانبهم ببحر اوقيانوس فلما لم يأتيهم خبر الا من جزائر فيه غير بعيدة عن الساحل ولم يتجاوز المخبرون عن الشرق ما يقارب نصف الدور (الدائرة) جعلوا العمارة في احد الربعين الشماليين لا ان ذلك موجب امر طبيعي فمزاج الهواء الواحد لا يتباين ولكن امثاله من المعارف موكول الى الخبر من جانب الثقة فكان الربع دون النصف هو ظاهر الامر والاولى ان يؤخذ به الى ان يرد دليل لغيره خبر طارىء » وهذا الكلام حسن ودليله هو الدليل العلمي المعول عليه الآن وهو ان امثال هذه المعارف موكول الى الخبر من جانب الثقة والاولى بان يؤخذ به الى ان يرد دليل على غيره ولكن كان الاولى بعلماء العرب ان يقفوا على ادلة اهل الهند في حسابهم الارض منتشرة في النصف الشمالي كله فانها اذا كانت مبنية على الخبر من جانب الثقة فهي تشير الى اميركا الشمالية بلا ريب ولو فعلوا لعرفوا قارة اميركا قبل غيرهم ويظهر تمسك العرب باقوال اليونان ولو خالفها اختبارهم مما ذكره ابو الفدا من تحقيق طول الدرجة الاوضية قال « وقد قام بتحقيق طول الدرجة طائفة من القدماء كبطليموس صاحب المجسطي وغيره فوجدوا حصة الدرجة الواحدة من العظيمة المتوهمة على الارض ستة وستين ميلا وثلاثي ميل . ثم قام بتحقيقه طائفة من الحكماء المحدثين في عهد المأمون وحضروا بامرهم في بركة سنجار وافترقوا فرقتين بعد ان اخذوا ارتفاع القطب محرراً في المكان الذي افترقوا منه واخذت احدى الفرقتين في المسير نحو القطب الشمالي والاخرى نحو القطب الجنوبي وساروا على اسد ما امكنهم من الاستقامة حتى ارتفع القطب للسايرين في الشمال واحط للسايرين في الجنوب درجة واحدة . ثم اجتمعوا عند المفترق وتقابلوا على ما وجدوه فكان مع احدهما ستة وخمسون ميلا وثلاثي ميل ومع الاخرى ستة وخمسون ميلا فأخذ بالاكثرت . وقد تقدم ان القدماء وجدوا حصة الدرجة ستة وستين ميلا وثلاثي ميل فيبينهما من التفاوت عشرة اميال فينبغي ان يعلم ان ذلك انما هو للاخلل في العمل ، لان مثل هذه الاعمال لا يخلو من تفاوت اذ لا يمكن الاحتراز من المساهلة والمساححة تارة في استقامة الشيء على خط نصف النهار وتارة من جهة الذرع وغير ذلك ... وغالب عمل المتأخرين

انما هو على رأي القدماء لتعلق كثير من المسائل به «
ولم يكتف علماء العرب بهذا القياس بل قاسوا قياساً آخر بين تدمر والفرات
فوجدوا الدرجة ٥٧ ميلاً من امياهم ومع ذلك بقوا على قياس بطليموس . لكنهم
زادوا على ما نقلوه عن بطليموس في قياس عروض الاماكن ولا سيما ما تاخم منها بحر
الروم شرقاً وما وقع منها في بلاد العرب واكثر الممالك الشرقية التي دانت لهم
ومن اهم الحقائق الجغرافية التي عرفها علماء العرب وجهلها علماء الافرنج الذين
جاءوا بعدهم ان اسيا واوربا والجانب الاكبر من افريقية تشغل ربع سطح الكرة
الارضية لا غير . قال ابو الفدا في مقدمة كتابه تقويم البلدان ان خط الاستواء هو
الدائرة العظيمة المتوهمة التي تمر بنقطتي الاعتدالين الربيعي والخريفي وتفصل الارض
بنصفين احدهما شمالي والاخر جنوبي واذا توهمت عظمة اخرى تمر بقطبي هذه
الدائرة انقسمت الارض بها ارباعاً احد الشماليين هو الربع المسكون وثلاثة الارباع
غير معلومة الاحوال والاكثر على انها مغمورة بالماء . وانما حكم بان المعمور ربع
لانه لم يوجد في ارصاد الحوادث الفلكية كالحسوفات تقدم ساعات الواغليين في
المشرق لها على ساعات الواغليين في المغرب زائداً على اثنتي عشرة ساعة لكل ساعة
خمس عشرة درجة وخمسة عشر في اثني عشر بمئة وثمانين وهو نصف الدور . وانما
قيل ان المسكون الشمالي لانه لا يوجد اظلال انصاف نهار الاعتدالين في شيء من
المساكن جنوبياً الا في قليل من مساكن على اطراف الزنج والحبشة لكن لا يزيد
عرضها على ثلاث درجات . وفي جانب الشمال ايضاً لا يمكن ان يسكن في ما جاوز
عرضه تمام الميل الكلي عرض ست وستين درجة ونصف تقريباً . والبحر محيط
باكثر جوانب الارض، اما من جانب المغرب وشماله والجانب الشرقي فمعلوم ، واما
جنوب المغرب فانه لم يصل احد فيه الى البحر، وكذلك شمال المشرق ليس لنا وقوف
يقيني على البحر الذي فيه «

وفي اواخر القرن الثالث عشر طاف ماركو بولو البندقي في ممالك اسيا مع ابيه
وعمه وكانا من كبار التجار وبلغ بلاد الصين واقام عند صاحبها زماناً عاملاً له ثم عاد
الى بلاده ووصف الممالك التي رآها وصفاً مسهباً يذكرنا بوصف ابن بطوطة كأن احد
الرجلين اختلف الآخر . فاتسعت المعارف الجغرافية بذلك وصنعت خريطة جديدة

للعالم مبنية على وصف ماركو بولو ووصف رحالة آخر اسمه كدمستو ونقشت على جدار دير في البندقية لكن اهالي اوربا كانوا قد انكروا كروية الارض زعماً منهم ان القول بها مخالف لنص التوراة ولذلك لم يعودوا يهتمون بالطول والعرض الجغرافيين فلما رسموا خريطة مبنية على وصف ماركو بولو جعلوا اسيا تمتد الى النصف الغربي من الكرة الارضية حتى اعتقد كولمبس انه يبلغ الصين بالسفر اليها غرباً من اوربا. وكانت نتيجة هذا الخطأ انه اكتشف اميركا ثانية سنة ١٤٩٢ كما لا يخفى . قلنا « ثانية » لان اهالي اوربا اكتشفوها قبل ذلك في القرن التاسع او العاشر لكن اكتشافهم لها لم يأت بفائدة لانه لم يشهر وانما المكتشف الحقيقي للشيء هو الذي يكشف للناس كيفية الانتفاع به

ولما كشف كولمبس اميركا ترجح ان الارض كروية او كمنثوية ثم ثبتت كرويتها بدليل حسي لما طاف مجلان حولها سنة ١٥٢١

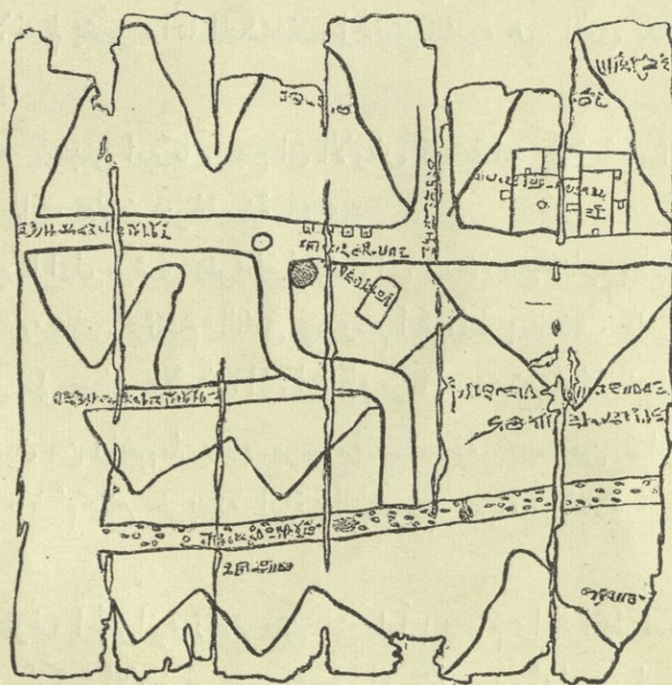
ورسمت اميركا اول مرة في خريطة اضيفت الى نسخة من كتاب بطليموس طبعت في رومية سنة ١٥٠٨ . وتقدم الناس في رسم الخرائط بعد ذلك كما زاد تحقيقهم لمواقع الاماكن على سطح الارض الى ان قام مركاتور وضع اولاً خريطته التي في شكل قلبين متماسين من رأسيهما وهي مرسومة في نسخة تخصه من كتاب بطليموس تاريخها سنة ١٥٧٨ ثم صنع خريطته الثانية التي رسم خرائط الملاحة على نسقتها حتى الآن

ولم تزل المعارف الجغرافية تتسع وتحقق عاماً بعد عام والخرائط تصحح بحسبها حتى لم يبق من الكرة الارضية غير مكشوف الا قليل من اواسط اسيا وافريقية وجهات القطبة الجنوبية . وانقسم علم الجغرافيا الى فروع كثيرة وألفت فيه الكتب الضخمة وصنعت له الاطالس الكبيرة ولا يزال يزيد اتساعاً واتقاناً باهتمام الاوربيين والاميركيين اما العرب فخرجوا من ميدانه منذ مئات من الاعوام .

مقتطف اغسطس واكتوبر ١٨٩٨

اقدم المناجم والخرائط

في اوائل القرن العشرين اهتمت شركة انكليزية بالبحث عن المناجم التي كان المصريون الاقدمون يستخرجون الذهب منها ومضى وفد الى الاماكن التي كانت فيها بين الاقصر والقصر فاكتشف سبعة عشر منها ووجد الذهب في بعضها كثيراً يبلغ ستة عشر درهماً في الطن



وقد اطلعنا الآن على اقدم خريطة من الخرائط المصرية التي بقيت الى الآن وهي اقدم خريطة وصلت الى ابناء هذا العصر مما صنعه الاقدمون وقد رسمت لتدل على مناجم الذهب في البلاد فرأينا ان تتحف القراء برسمها ووصفها فنقول :
تسلط على مصر منذ ثلاثة آلاف وثلثمائة سنة ملك اسمه ستي الاول وهو الذي بنى الرواق الاكبر في قصر الكرنك وكان فاتحاً عظيماً وقائداً كبيراً عباً الجيوش ودوخ الاقطار ولم يكتف بالبناء والفتح بل وجه همته الى استخراج الذهب من معادنه . وقد وصلت الينا خريطة من البردي طولها نحو ٣٨ سنتراً في مثلها عرضاً

مشرمة الحواشي مشققة الصدر لكثرة الاستعمال ولما توالى عليها من القرون . وهذه الخريطة منقولة اصلا عن الخريطة التي رسمها لسيوس الشهير وهي الآن في دار المتحف البريطانية وفيها رسم واديين متوازيين ارتفعت الآكام على جانبي كل منهما ووصل بينهما شعب منحني . وأحد الواديين قاحل ملاته الحجارة والانجم الشائكة كما يظهر من صورته وهو الاسفل في الرسم والآخر كتب عليه انه يؤدي الى البحر وفيه اسم اربعة بيوت من بيوت المعدنين عند سفح اكمة وهناك كلمة « معدن الذهب » . وعند اتصال هذا الوادي بالشعب الممتد الى الوادي الآخر ارض زراعية فيها بئر او صهريج بجانبه كتابة يقال فيها « بئر الملك ستي الاول » وضيحة مثل الصفايح التي تنصب فوق المدافن ويحتمل انه كتب فيها تاريخ حفرة لتلك البئر والمعدن . والى اليمين من هذه الارض والبئر اكمة قليلة الارتفاع عليها كتابة مصرية يقال فيها « هنا الجبال التي يصل فيها الذهب ولونها احمر مثل لون هذه الكتابة » . والآكام بين الواديين ملونة في الخريطة باللون الاحمر . وعلى الجانب المقابل من هذا الوادي اكمة اخرى ارفع من الاولى في سفحها رسم هيكل كبير للاله امون وعلى الاكمة كتابة مصرية يقال فيها « الجبل الطاهر »

والخريطة على بساطة رسمها تدل دلالة واضحة ناطقة على ما وضعت له وهي دليل قاطع على اهتمام المصريين القدماء باستخراج المعادن وعلى اهم اهتمامهم الى رسم الخرائط واتخاذها دليلا للاهتمام بها وهذا امر لا يفعله ابناء هذا القطر حتى الآن من تلقاء انفسهم . ولا غرابة في ذلك لان عمران المصريين في تلك الايام كان ارقى من عمرانهم في هذا العصر اذا استثنينا ما استفدناه حديثاً من اوربا . وكان ارقى كثيراً من عمران العرب الذين فتحوا هذا القطر وتغلبوا عليه . ولا ندري كم كان ربح الدول المصرية القديمة من استخراج الذهب حينئذ ولكن لا شبهة في انها كانت تجود بنفوس الاسرى ولا تقدر لعملهم قيمة بل كانت تكتفي باطعامهم ما يقوّمهم لكي يقووا قادرين على العمل

اما الآن فلا مطمع باستخراج الذهب الا اذا كان منه ربح يزيد على نفقات استخراجه ويبقى منه رباً لرأس المال يبلغ عشرة او اكثر في المئة والافعدن الرمل الذي يقوم بنفقات استخراجه ويبقى منه ربح عشرة في المئة اربح من معدن الذهب .

جغرافيو الاسلام^(١)

١

لقد عني العرب في صدر الاسلام بالعلوم ففازوا منها بالنصيب الاوفر واحرزوا لهم في صفحات التاريخ ذكراً يخلد نفقت لهم سوق العلم وزهت دولة الحكمة في عصرهم والشعوب الاوروبية تتعث في عشواء الجهالة ونخبط فيها . حصلوا علوم الاوائل بل زادوا فيها ومهدوا اصول الادب وبنوا منهاج الطلب ما عنوا بشيء من العلوم الا بلغوه وما طمعوا بمطلب من الفنون الا ادركوه ولهم في افانين العلوم وضروبها كتب جاءت بكل عقد من مغازيها وجمعت من اشات ضوابطها ومعانيها ما اثبت فضاهم وعظم قدرهم

ومن استطاع تاريخ الاسلام واستكشفه يعجب لما يراه من سرعة حركة الخواطر الادبية التي جاشت في الامة العربية اثر فتوح الممالك والبلدان وهي حركة عظيمة ما عتمت ان انبسطت في العالم الاسلامي اجمع وسرت منه منتشرة في سواه من الاقطار حيث اثرت بالافكار وجاءت بخير الثمار ، ونتائج الافكار لا تقف عند حد وتصرفات الانظار لا تنتهي الى غاية لان العلم المعنوي واسع كالبحر الزاخر . وكان ظهور الاسلام في القرن السابع وما استهل القرن الثامن إلا وملسكهم عظيم متسع الارحاء وامرهم مستفحل في البلاد وكلهم نافذة في الاقطار . فتحت بلاد الشام من سنة ٦٣٢ الى سنة ٦٣٨ وبلاد فارس بين الفرات والسند وجيحون من سنة ٦٣٢ الى سنة ٦٤٠ ومصر سنة ٦٣٨ والقيروان سنة ٦٤٧ وجزيرتا قبرص ورووس سنة ٦٤٩ ودانت بلاد ارمينية حتى جبال قوه قاف للخلفاء . وفي بداءة القرن الثامن فتح العرب بلاد ما وراء النهر سنة ٧١٠ وبلاد الاندلس من سنة ٧١١ الى سنة ٧١٤ فامتدت ولاية الخلفاء من حد الهند الى الاوقيانوس الاتلانتيكي ومن قنن جبال قوه قاف الى صحاري افريقية الداخلية واختص العرب من فتوحهم بنصيب الرومان في معرفة البلاد والاصقاع فانهم ما وطئوا ارضاً إلا سبروها وما فتحوا بلاداً إلا استقصوها وكان من اثر اختلاطهم

(١) خطبة لسليم افندي شجاده تلاها في الجمع العلمي الشرقي ببيروت في جلسة مارس

بالشعوب الاخرى تنبه الخاطر فيهم الى كسب علوم الاوائل فجدوا في هذا السبيل وسهل لهم تناولها ذكاء قد فطروا عليه وعاطفة طبيعية ازدانت بقوة التبصرة ونفاذ الفكر . واخذ العرب بداءة بدء الآداب اليونانية عن السوريين وهم تلقنوها عن النساطرة الذين كانوا نفروا عن البلاد الى فارس هرباً من اضطهاد قيصرية الروم لعلة دينية . وكان هؤلاء النساطرة على جانب من العلوم مهروا في الطب وشادوا مدرسة في ايدسا (مدينة الرها) وهي من اجل المدارس خربها زينون الايزوري فجددوا نشأتها في جنديسابور من خوزستان وهرع اليها العدد الكثير من الطلاب ولما وقف العرب على تصانيف حكماء اليونان ولعوا بها واخذوا في استقراء اسبابها وفوائدها ونشأت اسباب تلك الحركة الادبية في خلافة ابي جعفر المنصور العباسي وهو أول من عني مهمم بالعلم واقبل على طلبه في مواضعه فداخل ملوك الروم وسألهم وصلة ما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا اليه منها بما حضرهم فاحضر لها مهرة المترجمين فترجموا له على غاية ما امكن وانتظم في دار الخلافة جماعة من ذوي الفهم اتقنوا كثيراً من الفلسفة والعلوم وكانوا يحدقون بالخليفة احداق الهالة بالقمر ونبع جماعات اخرى من العلماء المحدثين في كثير من مدن الاسلام ذلك ما زاد عصر الخلافة نفاراً ورونقاً واستيفاء الكلام في هذا الباب خارج عن حد مقالتي هذه اذ اختصها ببيان حال الجغرافية في صدر الاسلام وبذكر الاسباب التي آلت الى تقدم هذا العلم على ان هذه الاسباب كثيرة لايسعنا تعدادها بل نقتصر على ايضاح بعضها وهو اخصها واهمها . فمهما سعة فتوح الامة من الخلفاء الراشدين فحاجتهم الى معرفة البلاد وشعوبها كانت اضطرارية أمس من حاجة غيرهم اليها لانها فتحت صلحاً وحنوة واماناً وقوة ولكل ذلك حكم في الشريعة في قسمة الفيء واخذ الجزية وتناول الخراج واجتناء المقاطعات والمصالحات وانهالة التسويات والاقطاعات فكانت معرفتهم البلاد التي دانت لدولتهم تشمل المعمورة بل القسم الاعظم منها . ومنها ايضاً اتساع نطاق تجارتهم وانتشارها في الاقطار شرقاً وغرباً جنوباً وشمالاً وقد تعاضمت تجارتهم الى حد تجاوز حد فتوحهم على انه من البين المعلوم ان اقواماً عديدة من العرب تشاغلن منذ القدم في التجارة وكانوا في ايام الفينيقيين حتى بعد ذلك ايام البطالسة والرومان خير وساطة للتجارة بين البحر المتوسط وبلاد الهند . الا نعلم ان الفينيقيين انفسهم فرع من الشجرة العربية العظيمة وهم كانوا سادة البحر في ايام دولتهم ولا عجب ان رأينا تجار العرب في ذلك

العهد يقطعون الارض ذات الطول والعرض ويخوضون عباب البحر طلباً لاسباب التجارة فان اختلاطهم بالسواد الاعظم من شعوب القارة الآسية والقسم الشمالي من قارة افريقية كان الفاعل الاهم في رواج تلك الاسباب مع ما وجد فيهم من الميل الطبيعي للتجارة وقد حصلوا درجة مكنية لم يبلغها غيرهم من الشعوب القديمة حتى من جاء بعدهم قبيل اكتشاف البلاد الاميركية. وكان تجار العرب يتجرون في جميع انحاء المعمورة واطرافها وكانت قوافلهم منتشرة في الاقطار تخرق الجبال وتقطع القفار فتأتيهم بالاموال والخيرات العظيمة وبالسلع المتنوعة الاشكال المختلفة الاجناس. وقد ترتب من ذلك عدة طرق تجارية يمكن حصرها في اربع تبدأ من قانس وطنجة وتنتهي الى اقاصي البلاد الآسية اولها تمر في الاندلس والاقطار الاوربية وبلاد الصقالبة حتى بحر الخزر وبلخ وبلاد تفزغز والثانية تخرق القسم الشمالي من افريقية ومصر والشام والكوفة وبغداد والبصرة والاهواز وفارس وكرمان والسند والهند واما الطريقان الاخيرتان فتعبران بحر الروم وتمر احدهما في سنورية والخليج العجمي والاخرى في الاسكندرية والبحر الاحمر وتلتقي بتلك في بحر الهند. وبعبارة اخرى اقول ان تجارة العرب امتدت شرقاً الى الصين مارة في الجزائر الآسية وشمالاً الى اراضي القبائل الرحالة في اواسط آسيا والى بلاد الصقالبة (وهي الروسية) حتى شواطئ البلطيق وجنوباً الى ساحل افريقية الشرقي الى مدغشقر وغرباً الى اراضي السودان الشاسعة حتى شواطئ الاوقيانوس الاثلاثيكي

ومن الاسباب المنوه عنها فرض الحج على اهل السنة من الاسلام فكانوا يقصدون الكعبة الشريفة من اطراف البلاد على ما نراهم يفعلون حتى الآن ويجتمعون في ايام معلومة في بغداد والقاهرة ودمشق ويسيرون منها قاصدين الاقطار الحجازية. كل ذلك مع حب الرحلة في طلب العلم الذي فشا امره بين العرب في القرن التاسع والعاشر للميلاد ساعد على تقدم المعارف الجغرافية فوضع طبقة من اهل الادب كتباً جميلة في هذا الفن دونوا فيها ما عرفوا من البلاد وما سمعوه من اخبارها اخذاً ونقلًا عن الرحالة والتجار والحجاج واهل السير والآثار. ومن الكتب التي صنفاها المتقدمون من الاسلام في اسماء الاماكن ما قصد بتصنيفه ذكر المدن المعمورة والبلدان المشهورة ومنها ما قصد به ذكر البوادي والقفار واقتصر على منازل العرب الواردة في اخبارهم والاشعار. واما من قصد ذكر العمران فجماعة سلكوا قريياً من طريقة المتقدمين من حكماء

اليونان في ذكر البلاد والممالك وعينوا مسافة الطرق والمسالك وهم ابن خردادبه واحمد ابن واضح والجهاني وابن الفقيه وابو زيد البلخي وابو اسحق الاصطخري وابن حوقل وابو عبد الله البشاري والحسن بن محمد المهلباني وابن ابي عون البغدادي وابو عبيد البكري والقزويني وياقوت الرومي الحموي وشمس الدين المقدسي وابو الحسن علي الهروي والشريف الادريسي وابو الفدا وابو العباس احمد السرخسي وعلي بن حسين المسعودي والمراكشي وعبد الرشيد الباكوري وابو القاسم الشيرازي والشيخ ازري الاسفرائيني والشيخ تقي الدين المقرزي . واما الذين قصدوا ذكر الاماكن العربية والمنازل البدوية فطبقة اهل الادب وهم ابو سعيد الاصمعي وابو عبيد الشكوني والحسن بن احمد الهمداني وابو الاشعث الكندي وابو سعيد السيرافي وابو محمد الاسود الغندجاني وابو زياد الكلابي ومحمد بن ادريس بن ابي حفصة وهشام بن محمد الكلبي وابو القاسم الزمخشري وابو الحسن العمري وابو عبيد البكري الاندلسي وابو بكر محمد بن موسى الحازمي وابو الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري وبرهان الدين ابراهيم البقاعي وابو الفتح محمد الهمداني وابن الجوراني وعلي بن محمد الخوارزمي ومحمد بن اياس الحنفي وابو المجد اسمعيل بن هبة الله الموصلني وابو الفضل البقالي الخوارزمي وابو عمر محمد الكندي وابو عبد الله محمد القضاعي والظاهرني وابو الحسن احمد الاشعري . وعندنا ايضاً طبقة اخرى رحالة سطروا اخبار رحلاتهم الى الافاق واخص منهم بالذكر ابن بطوطة الرحالة المشهور . وبرع اهل الادب منهم في الجغرافية الوصفية الحاوية معرفة الممالك والبلدان والاصقاع والاقطار والمسالك والطرق وقد احاطوا علماً بالاقطار الاسلامية اكثر من غيرها من بلدان النصارى وغيرهم لما انهم كانوا يابسون الرحلة اليها وتفقه عادات اهلها واستقصاء احوالهم وامزجهم وان ما رووه عنها جاء في مواضع كثيرة مشوهاً مغلوطاً ولا يؤخذون بذلك لجهلهم لغات او لثك الامم والشعوب وعدم تيسر امتزاجهم بهم الناشئ عن اسباب حجة لا يسع ذكرها في هذه المقالة . وقد المع بذلك ابو الفداء في مقدمة كتابه تقويم البلدان حيث قال جمعنا في هذا المختصر ما تفرق في الكتب المذكورة من غير ان ندعي الاحاطة بجميع البلاد او بغالبها فان جميع الكتب المؤلفة بهذا الفن لا تشمل الا على القليل الى الغاية فان اقليم الصين مع عظمتها وكثرة مدنها لم يقع اليها من اخباره الا الشاذ النادر وهو مع ذلك غير محقق وكذلك اقليم الهند

فان الذي وصل اليينا من اخباره مضطرب وهو غير محقق وكذلك بلاد البلغار وبلاد الجركس وبلاد الروس وبلاد السرب وبلاد الاولق (الفلاخ) وبلاد الفرج من الخليج القسطنطيني الى البحر المحيط الغربي فانها بلاد كثيرة وبلاد عظيمة متسعة الى الغاية ومع ذلك فان اسماء مدنها واحوالها مجهولة عندنا لم يذكر منها الا القليل النادر وكذلك بلاد السودان في جهة الجنوب فانها ايضاً بلاد كثيرة الاجناس مختلفة من الحبش والزنج والنوبة والتكرور والزليع وغيرهم فانه لم يقع اليينا من اخبار بلادهم الا النادر وغالب كتب المسالك والممالك اما حققوا بلاد الاسلام ومع ذلك فلم يحصوها عن آخرها . اه

وكما متعنا النظر في التصانيف الجغرافية العربية نرى اهم احسنوا فيها السبك والوضع وجمعوا بين اشتات الفوائد والحقائق وان قصروا دون تنسيقها العلمي واستقراء اسبابها لان بين هذين الامرين مرحلة لم يهيا لكثير من الشعوب ان يتخطوها وكفاهم نبلا ما شادوا لهذا الفن من المباني واوجدوه له من المحاسن حسبما اداهم اليه الاجتهاد وقد تبلغ فجره على الآفاق في المئة الثامنة للميلاد اعني في المئة الاولى للهجرة النبوية واخذ في البناء بعد ذلك لما سطعت شمس المعارف الاسلامية نيرة في جبين عصرهم مطوقة جيده بعقد من لآلها الحسان فانالتهم خطة رقيقة القدر بين الشعوب الشرقية

٢

واما المصنفات الجغرافية التي صنف في خلال القرن الثامن المذكور فكانت عبارة عن رسالات وضعت لنفع القبائل البدوية تعريفاً للمنازل والمناهل والبوادي والقفار ومن ذلك كتاب النضر البصري كتبه في النصف الثاني من المئة الثامنة وهو نازل على خراسان والنضر هذا ولد سنة ٧٤٠ للميلاد وكتابه موجود في بعض المكاتب الاوروبية وقد اشتمل على وصف خواص الرجل والمرأة والمضارب والمنازل والحبال والمعابر والنوق والانعام والقمر والشمس والليل والنهار واللبن والحجرة والشجر والنبات والآبار والمياه والرياح والامطار. وقد احسن المصنف وضعه وضمنه ما تحتاج القبائل البدوية الى الاحاطة به ولدينا اسماء غيره من الكتب لا نخصها بالذكر في هذا المقام . على ان اول كتاب وضع في هذا الفن في وصف الممالك والبلدان مما اتصل بنا كتاب لابي اسحق الاصطخري وكان من علماء الاسلام ومشاهير الرحالة

والمستجولين الذين نبغوا في القرن التاسع والعاشر للميلاد فانهم كانوا ينزعون الى الرحلة والتجول طلباً لأسباب العلم والتقاطاً لدرره محاكاةً وتلقيناً نقلاً وروايةً وتعليماً فقد جمعوا في اسفارهم اشتات الاخبار ونوادير الآثار وتفحصوا خواص البلدان وامزجة الاقاليم . فطبقة منهم اقتصروا على تدوين اخبار رحلاتهم واحاديث اسفارهم وطبقة اخرى دونوا مطالعاتهم في تصانيف تاريخية وجغرافية وادبية كما فعل الاولون من حكماء اليونان ومشاهير اهل الادب منهم لانه لم يكن لديهم من الوسائط ما لدينا الآن من وفرة الكتب والمصنفات في تنوعات العلوم وتفرعاتها مما جعلها دانية القطوف . وكانوا في اضطرار الى الارتحال طلباً للتحصيل وعليه فنرى ان فحول مؤرخي القدم كهرودتس وبوليبيوس كانوا من اعظم الرحالة كالمسعودي وابن حوقل في الاسلام . ونبغ ابو اسحق الاصطخري في النصف الاول من القرن العاشر وكانت ولادته في مدينة اصطخر من بلاد فارس رحل في طلب العلم وجاب بعض البلدان الاسلامية ودون اخبار رحلته . وجاء في كتابه بذكر الاقاليم والبلدان والحبال والانهار وبعض المسافات وان فاته وصف خواص البلدان وامزجها فانه حري بالتعظيم وبان يكون في مقدمة الكتبه في هذا الفن . وقد اشهر كتابه بين كتب المسالك والممالك ونقل منه ابن حوقل الذي نبغ بعده ببضع سنين واستشهد به في كثير مما ذكره . وقد اخذ ابو اسحق الاصطخري عن كتاب في المسالك والممالك لابي زيد الباهلي يعرف بتقويم البلدان صنفه نحو سنة ٨٨٠ للميلاد كما نقل المسعودي من الفزاري فان اكثر جغرافي الاسلام حذوا هذا الحذو ودونوا ما رأوه رأي العين في اسفارهم وتجوهم وما حصلوه في تطوافهم ونقلوا من كتب وتواريخ من تقدمهم من اهل الادب والمحدثين . ومن افواه الرواة وتفاريق الكتب وذلك ما ذهب اليه ايضاً جغرافيو اليونان وكتابهم وزي ان بطليموس اتحل في كتابه الجغرافي جغرافية مارينوس الصوري . ومن الكتب المصنفة في هذا الفن في المئة التاسعة كتاب المسالك والممالك لابي العباس احمد بن محمد الطيب السرخسي المتوفي سنة ٨٩٩ للميلاد ذكره حبي خليفة وذكر غيره لعلي بن حسين المسعودي ولعبد الله بن عبد الله المشهور بابن خردادبه المؤرخ الجغرافي وهو اشبه بكتاب نزهة المشتاق للشريف الادريسي ولكنه اكثر منه ايجازاً وذكر فيه ان الطريق من موضع كذا الى موضع كذا مقدار من المسافة . وقال في مقدمة كتابه هذا رسم ايضاح مسالك الارض وممالكها وصفها

وبعدها وقربها وعامرهما على ما رسمه المتقدمون منها فوجدت بطليموس قد ابان الحدود واوضح الحججة في صفها بلغة اعجمية فنقلتها عن لفته باللغة الصحيحة ليوقف عليها وكانت وفاته في حدود سنة ٩١١ للميلاد وقد ذكر الجيهاني كتابه وقال انه مختصر جداً لا يحصل منه فائدة كبيرة وقد ترجم هذا الكتاب الى الافرنسية وطبع في باريز سنة ١٨٦٥

✽ المسعودي ✽ اما المسعودي فكانت ولادته في بغداد حدود المئة التاسعة للميلاد وقد اقبل على طلب العلم والتجول منذ نشأته وجاب معظم قسم من الممالك الاسلامية وغيرها من البلدان المحيطة بها وكان مولعاً بالعلوم احرز الكثير منها في الحكمة والادب والتاريخ والجغرافية وفي سنة ٩١٥ كان نازلاً على اصطخر فأقام بها مدة ثم رحل الى الهند وتفحص بعض اقطارها وكان قد جاءها مرة قبل اربع سنوات ثم عبر البحر الجنوبي وجاب سواحل افريقية الشرقية ومنها اجتاز البحر الى جزيرة العرب وليس لدينا من صحيح الرواية ما يحقق تواريخ اسفاره على انه يتحصل من مصنفاته انه انقطع عن الرحلة نحو سنة ٩٤٠ فلزم بيته متشاعلاً في تصانيفه الجميلة التي اثبتت له عظيم شهرة وكانت وفاته سنة ٣٤٦ للهجرة الموافقة ٩٥٧ للميلاد وقيل توفي في الفسطاط

وللمسعودي كتاب اخبار الزمان ومن اباده الحدثنان في التاريخ وهو تاريخ كبير قدم فيه القول بهيئة الارض ومدنها وجبالها وانهارها ومعادنها واخبار الابنية العظيمة وشأن البداء واصل النسل وانقسام الاقاييم وتباين الناس ثم اتبع باخبار الملوك الغابرة والامم الدائرة في القرون الخالية واخبار الانبياء ثم ذكر الحوادث سنة سنة الى وقت تأليف مروج الذهب سنة ٣٣٥ للهجرة (سنة ٩٤٦ للميلاد) ثم اتبعه بكتاب الاوسط فيه فجعله اجمال ما بسطه ثم رأى اختصار ما وسطه في كتاب سماه مروج الذهب ومعادن الجوهر ورتب اخبار الزمان على ثلاثين فناً وكتاب اخبار الزمان لم يتصل بنا وهو عزيز الوجود وقد قيل انه اكتشف على نسخة في مكتبة السلطان محمد الثاني الفايح في الاستانة العلية ولم تقف على خبر ايضاً لكتابه الاوسط وهو ينيف مع اخبار الزمان على عشرين مجلداً . واما كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر فمن اجل المصنفات العربية قال في مقدمته انه اراد فيه اجمال ما بسطه في كتاب اخبار الزمان واختصار ما وسطه في كتاب الاوسط وقال نودعه ما في ذينك الكتابين

مما ضمنها وغير ذلك من انواع العلوم واخبار الامم وقد طبع مروج الذهب في مصر وطبع ايضاً في ثمانية مجلدات في باريس مترجماً الى الفرنسية باشر المجمع الشرقي في طباعته سنة ١٨٦١ وانجزها سنة ١٨٧٣ وقد قال ابن خلدون في مقدمة كتاب العبر وديوان المبتداء والخبر ما يأتي عن كتاب مروج الذهب : شرح المسعودي فيه احوال الامم والآفاق لعهد في عصر الثلاثين والثلاث مئة غرباً وشرقاً وذكر لمخاطبهم وعوائدهم ووصف البلدان والجيال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار اماماً للمؤرخين يرجعون اليه واصلاً يعولون في تحقيق الكثير من اخبارهم عليه اه . وقد يتضح من ذلك توسط هذا الكتاب النفيس بين التاريخ والجغرافية لما حواه من الفوائد في هذين الفنين وقد ذهب بعض كتبة الافرنج الى تشبيه المسعودي ببلينيوس فسموه بلينيوس المشرق ووجه التشبيه بينه وبين بوليبيوس اولى من ذلك

﴿ ابن حوقل ﴾ ونبغ ابن حوقل في النصف الثاني من المئة العاشرة وهو ابو محمد بن العلي الموصلى التاجر الرحالة ولد في بنداود ونشأ بها واقبل على التجول في البلاد الاسلامية في عهد المسعودي يوم انقطع هذا من الارتحال الى بيته واستمر في حل وارتحال ثمانى وعشرين سنة وذلك من سنة ٩٤٢ الى سنة ٩٧٠ للميلاد ودون اخبار رحلته سنة ٩٧٦ في كتاب سماه المسالك والممالك اقتصر فيه على ذكر صفات الممالك الاسلامية ولم يتعرض لغيرها الا قليلاً متصلاً من ذلك بقوله في كتابه المذكور اما بلاد النصارى والحبشة فلم اتكلم عليها الا يسيراً لان تولعي بالحكمة والدين والعدل وانتظام الاحكام يابى ان اثني عليهم بشيء من ذلك . وقد ذكر ابو الفداء كتاب ابن حوقل في مقدمة تقويم البلدان وقال ان كتاب ابن حوقل مطول ذكر فيه صفات البلاد مستوفياً غير انه لم يضبط الاسماء وكذلك لم يذكر الاطوال ولا العروض وصار غالب ما ذكر مجهول الاسم والبقعة اه . وهذا الكتاب مختص بالجغرافية من سواها قد شمل وصف الاقطار والاصقاع والمدن والبلدان والانهار والمناهل والغدران والسباسب والفقار والمع في ثروة البلاد وتجارة اهلها وفي جباية الضرائب والفرائض وذكر مسافة الطرق والمسالك وقد حرص علماء الافرنج على اجتناء فوائده للامام باحوال الممالك في تلك الازمنة وقد طبع هذا الكتاب في لندن سنة ١٨٧٣ كما

انه طبع كتاب ابي اسحق الاصطخري سنة ١٨٧٠ واقدم احدهم على ترجمتهما الى الالمانية

ومن المصنفات الجغرافية في القرن العاشر كتاب الممالك والمسالك لابي محمد حسين ابن احمد الهمداني النحوي المتوفي سنة ٩٣٥ للميلاد ذكر فيه عجائب اليمن وجزيرة العرب واسماء بلادها وكتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للشيخ شمس الدين ابي عبدالله محمد بن احمد المقدسي الحنفي المعروف بابن البناء وهو كتاب جليل مرتب على الاقاليم العرفية ذكر فيه احوال الربع المعمور وبلادته وبره وبحره وجبله ونهره وطرقه ومسالكه ومعادنه وخواصه وقال انه لا بد منه للمسافرين ولا غنى عنه للعلماء والرؤساء وذكر انه جمعه بعد ما جال ودخل الاقاليم وتفطن مساحتها بالفراخ واستعان على ما لم يشاهده بالفحص عنه من الناس . وقد صنف كتابه في سنة ٩٨٥ عشر سنين بعد ابن حوقل . ولابي عمر محمد بن يوسف الكندي المتوفي سنة ٩٦١ كتاب في خطط مصر وهو اول من صنف فيه

وفي عهد المسعودي راسل احد امراء بلاد اثل (فوجا) الخليفة المقتدر بالله يعرفه باسلامه ويسأله انفاذ من يعلمه الصلوات والشرائع ولم اقف على السبب في ذلك فأنفذ اليه رسالاً في جملتهم احمد بن فضلان مولى محمد بن سليمان فعمل هذا رسالة ذكر فيها ما شاهده منذ انفصل عن بغداد الى ان عاد اليها وقال فيها لما وصل كتاب المس بن شلبي بلطوار ملك الصقالبة الى امير المؤمنين المقتدر بالله يسأله فيها ان يبعث اليه من يفقهه في الدين ويعرفه شرائع الاسلام ويبنى له مسجداً وينصب له منبراً ليقم عليه الدعوة في جميع بلده واقطار مملكته ويسأله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له اجيب الى ذلك وكان السفير له نذير الحدمي . قال فرحلنا من مدينة السلام لاحدى عشر ليلة خلت من صفر سنة ٣٠٩ (سنة ٩٦١ للميلاد) ثم ذكر ما مر له في الطريق الى خوارزم ثم منها الى بلاد الصقالبة ما يطول شرحه ولم يتصل بنا من رسالة ابن فضلان الا شذر منها اثبتها بعض المصنفين في مصنفاتهم وفيما تبيناه قد حوت اخباراً وفوائد حجة عن بلاد الصقالبة واحوالهم وعاداتهم طابقت ما ذكره في البلدان الشمالية قسطنطين البرفيروجيني في كتاب له وضعه في سياسة المملكة وصنفه في نحو من ذلك العهد وكانت رحلة ابن فضلان الى بلاد الصقالبة متأخرة عن رحلة اهثر الزوجي الذي رحل قبل بستين سنة وهو اول رحلة تجول

في روسيا الشمالية وتفحص شعوبها المنتشرة حتى سواحل البحر الابيض

٣

ونبع ايضاً في الاسلام كثير من السياح الملاحين الذين خاضوا عباب البحر وجروا فيه الى اقاصي المعمورة واشهر هؤلاء السياح بل اولهم عهداً فيما ذكره المسعودي تاجر يسمى سليمان نبغ في النصف الثاني من المئة التاسعة للميلاد وكان مقماً ببلدة سيراف على ساحل بحر فارس وسيراف هذه كانت الفرضة العظيمة لفارس وكانت السفن تقصدها من جميع الاطراف حتى ومن الصين وملاسيا مشحونة بالسماع والاموال لاتساع نطاق التجارة يومئذ بين بلاد فارس والمشرق الاقصى . ورحل سليمان طلباً لاسباب التجارة واجتاز بحار الهند ماراً بين سيلان وملقا ودخل بحار الصين وقد دون اخبار رحلته ابو زيد البلخي في حدود سنة ٨٨٠ وزاد عاينها ما نقله من غيره وحدثه به السياح الذين احتلوا سواحل الصين واخصهم ابن وهاب فانه جاب سواحلها وتفحص احوال اهلها وقصد قاعدة المملكة فدخلها وهي فيما رواه على مسيرة شهرين من البحر وقابل سلطانها . وقد ترجم كتاب ابي زيد الى الفرنسية وطبع في باريز سنة ١٧١٨ وهو مفيد لانه اول كتاب حوى وصف البلاد الصينية وقد ضبط ترجمته العالم رينود واعاد طباعته مع الاصل العربي سنة ١٨٤٥ . ولابي زيد وهو احمد بن سهل البلخي المتوفى سنة ٩٥١ كتاب صور الاقاليم ايضاً ومسالك الممالك وكتاب البدء والتاريخ . ومما نعلمه ان تلك الاقطار لبعدها القاصي وتعذر مسالكها كانت موضوعاً للاخبار المستحيلة وخرافات القصص عند العرب على شاكلة قصة سندباد البحري في كتاب الف ليلة وليلة وما مائلها من الحكايات الغريبة والاحاديث الواهية التي كثيراً ما وقع لبعض مؤرخي العرب نقلها واثباتها بدون تمحيص واحكام نظر . وللعرب ايضاً قصص موضوعة على الاوقيانوس الاتلانتيكي الذي سموه يبحر الظلمات تبعاً لخرافات اليونان والرومان ومن ذلك خبر المغرورين الذين خرجوا من مدينة لشبونة (قاعدة البرتغال) وركبوا بحر الظلمات ليعرفوا ما فيه والى اين انتهوا فانشأوا مركباً حملاً ثم دخلوا البحر وجروا به نحواً من احد عشر يوماً فوصلوا الى بحر غليظ الموج كدر الرواح كثير التروش قليل الضوء فايقنوا بالتلف ولهم في ذلك اخبار نضرب عنها صفحاً وكان سفر المغرورين في حدود النصف الاول من القرن الثاني عشر للميلاد

ومما يحسن ذكره هنا انه ترتب على الصلات التجارية التي وجدت بين العرب والصين في ذلك العهد معرفة استخدام الحك وهي الابرة المغنطيسية وخاصتها ان يتجه طرفها الى الشمال والى الجنوب وقد عرف الصينيون الحك من القدم ولكنهم لم يستخدموه في الملاحة الا في حدود المئة الرابعة للميلاد ويرجح الآن ان العرب نقلوا معرفة استخدام هذا الحك عن الصينيين في اسفارهم الى بلادهم وان الفضل للعرب في اتحافهم العالم الاوروبي بهذه الآلة النافعة فاحذها الافرنج عنهم في عهد التجريدة الصليبية الثانية . وقد احسن بعضهم ايضاً رسم الخرائط للملاحة ووضعوا لها قواعد محققة اهتدى بها الملاحون في ذلك العهد ورى ان فاسكو دي غاما الساحح البرتغالي المشهور اكتشف خريطة للملاحة عند مغربي في الجزرات استصعبه رباناً في سفره الى ملندة وذلك سنة ١٤٩٧ واليوكرك الكبير نائب الملك في الهند احرز خريطة رسمها له رجل عربي يسمى عمر وكان يستخدمها في اسفاره في بحر عمان وبحر فارس **﴿ البيروني ﴾** ونبغ في القرن الثاني عشر للميلاد بعض الرحالة واهل الادب الذين صنفوا كتباً في الجغرافية واخص بالذكر منهم البيروني وهو الشيخ العلامة ابو الريحان محمد بن احمد البيروني الخوارزمي المتوفي سنة ١٠٣٨ صاحب قانون المسعودي في الهيئة والنجوم وكتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية في النجوم والتاريخ وهو كتاب مفيد الفه لشمس المعالي قابوس وبين فيه التواريخ التي يستعملها الامم والاختلاف والاصول التي في مبادئها . واشهر البيروني في الرياضيات وعلم الهيئة وهو اول من حقق صفة بلاد السند وبلاد الهند الشمالية وقد صحب السلطان محمود الغزنوي في غزواته من سنة ١٠٠٠ الى سنة ١٠١١ واصاح ما وجده من الخطا في خريطة تلك البلاد وضبط مواقع مدنها وفعل ما فعله غيره من المتقدمين في تحقيق البلدان الاسلامية وترجم الى العربية بعض مصنفات البراهمة الهنود المدونة في اللغة السنسكريتية والحق يقال انه من المجتهدين الذين سعوا في تقدم العلم فاحرز منه الكثير وافاد وقد طبع نبد من الآثار الباقية في باريز مترجمة الى الفرنسية

وللشيخ ابي محمد الحسن بن احمد النسابة كتاب في اسماء الاماكن ألفه سنة ١٠٣٦ للميلاد ولابي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي المتوفي سنة ١٠٩٤ كتاب المسالك والممالك وكتاب المغرب في ذكر البلاد الافريقية والمغرب صنفه سنة ١٠٦٨

وهو عبارة عن وصف القسم الشمالي من افريقية اعني من وادي النيل الى الاوقيانوس
 الاتلانتكي ومن البحر المتوسط الى السودان وكتابه هذا مختصر غيره واطنه مأخوذاً
 عن كتاب المسالك والممالك وقد طبع في الجزائر سنة ١٨٥٧ وطبع ايضاً مترجماً
 الى الفرنسية في باريس سنة ١٨٥٩ وله ايضاً كتاب سماه معجم ما استعجم من اسماء
 البقاع ذكره ياقوت وقال لم اراه بعد البحث عنه والتطلب له اه . وهذا المعجم موجود
 في بعض مكاتب اوروبا وهو اول معجم وضع في العربية واقتصر فيه مصنفه على
 ذكر المنازل العربية الواردة في اشعارهم واخبارهم . ولابي عبد الله محمد بن سلامة
 القضاعي المتوفي سنة ١٠٦٢ كتاب في خطط مصر سماه المختار في ذكر الخطط
 والآثار . وللشيخ ابي القاسم محمود الزمخشري المتوفي سنة ١١٤٣ كتاب الامكنة
 والمياه والحيال وهو معجم يحاكي معجم البكري وان كان اكثر ايجازاً منه الا انه
 اصح رواية منه في كثير من مواضعه وقد نقل عنه صاحب القاموس اسماء الاعلام
 الجغرافية وعول عليه في الكثير منها وهو كتاب لطيف وقف عليه ابو الحسن العمراني
 تلميذ الزمخشري فزاد عليه وقد ترجم الى اللاتينية وطبع في باريس سنة ١٨٥٦ ولابي
 الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري المتوفي سنة ١١٤٦ كتاب في اسماء البلدان
 وله ايضاً كتاب فيما اختلف واختلف من اسماء البقاع اختصره الحافظ ابو موسى محمد
 ابن عمر الاصفهاني ذكره ياقوت وقال انه وجده تأليف رجل ضابط قد انقذ في محصيله
 عمراً واحسن فيه عيناً واثراً وقد نقل منه في معجمه . ولعلي بن محمد الخوارزمي
 المتوفي سنة ١١٦٤ كتاب اشتقاق اسماء المواضع والبلدان ولابي الفضل محمد بن ابي
 القاسم البقالي الخوارزمي المتوفي سنة ١١٦٦ كتاب في منازل العرب

✽ الادريسي ✽ وللشريف محمد بن محمد الادريسي الصقلي كتاب زهة المشتاق
 في اختراق الآفاق صنفه لروجر الافرنجي صاحب صقلية وهو من اصحابه ورتبه على
 الاقاليم السبعة واورد اوصاف البلاد والممالك مستوفياً وهي المسافات بالميل والفرسخ
 ولكنه لم يذكر الاطوال والعروض واختصره بعضهم . وهذا الشريف الادريسي
 من اشهر جغرافي الاسلام الذين نبغوا في القرن الثاني عشر ولد في سبتة سنة ١٠٩٩
 ورحل الى قرطبة في طلب العلم ثم رحل الى صقلية فاحسن روجر صاحبها وفادته
 وقربه منه فصنف له كتابه زهة المشتاق وفرغ من تصنيفه سنة ١١٥٤ وعمل له ذات
 حلق وكرة مسطحة من الفضة زتها ثمان مائة مارك رسم عليها جميع اقاليم واقطار

المعمورة المعروفة في عهده . وشأن الادريسي انه نقطة الماسة بين جغرافية الاسلام وجغرافية الافرنج وكتابه ترجم الى اللاتينية سنة ١٦٩٤ ترجمه اليها عالمان مارونيان هما جبرائيل الصهبوني الاهدي المتوفى ١٦٤٨ والجوري يوحنا الحصري من جبل لبنان وهو اول كتاب في هذا الفن تداوله الافرنج وقد ترجم الى الفرنسية سنة ١٨٣٦ وطبع في باريز وقد طبع القسم المتعلق في وصف المغرب وارض السودان ومصر والاندلس على حدة في ليدن سنة ١٨٦٤ مع ترجمته الى الفرنسية وقد استعان الادريسي في تصنيف كتابه زهرة المشتاق بمصنفات من تقدمه من علماء هذا الفن وبما نقله عن غيرهم من اخبار التجار والملاحين وعرف الطرق والمسالك ما امكنه وجعل لكتابه ٦٩ رسماً نقلها عن كرتة المنوه عنها . وله ايضاً كتاب روض الانس وزهرة النفس وهو اعم من كتاب زهرة المشتاق استعان به ابو الفداء وسماه كتاب الممالك وهذا الكتاب لا وجود له الآن وقيل بل يوجد منه نسخة في مكتبة باريز الملكية

ومن الكتب الموضوعية في هذا الفن كتاب مزيل الارتباب عن مشتهه الانساب لابي المجد اسمعيل بن هبة الله الموصلية ذكره المؤيد في تقويم البلدان اعنى فيه بضبط الانساب فقط ولم يذكر الطول والعرض وله ايضاً كتاب التفصيل . وكتاب المسالك والممالك لابي الحسن علي المراكشي ذكره ابن الوردي . وكتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشمس الدين محمد الانصاري الدمشقي . وكتاب عجائب الدنيا للشيخ ازري الاسفرائيني وكتاب عجائب البلدان لابن الجزار . وكتاب الباب الى معرفة الانساب لابي الحسن احمد الاشعري . وكتاب اسماء البلدان لابي الفتح محمد بن جعفر الهمداني . وكتاب عيون اخبار الدنيا لمحج الدين النجار البغدادي المتوفى سنة ١٢٤٥ وكتاب عجائب الاسفار وغرائب الاخبار لابي القاسم مسلم بن محمود الشيرازي . وكتاب المسالك والممالك المشهور بالعزيمي لحسن بن احمد المهلبى الفه للعزيم بالله الفاطمي صاحب مصر ونسبه اليه . وكتاب المسالك والممالك لابي عبد الله الجيهاني وزير امير خراسان وكان صاحب فلسفة ومجوم فجمع الغرباء وسألهم عن الممالك ودخلها وكيف المسالك اليها ليتوصل بذلك الى فتوح البلدان فجعل العالم سبعة اقليم وجعل لكل اقليم كوكباً ولم يفصل الكورة ولا وصف المدن بل ذكر الطرق شرقاً وغرباً وشمالاً وبذلك طال كتابه ، كذا قال صاحب احسن التقاسيم وقال واما ابن الفقيه الهمداني فانه لم يذكر

الامدائن العظمى ولم يرتب الكور والابخار وادخل في كتابه ما لا يليق به اه .
 وكتاب زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالك في فضائل مصر واعمالها للفاضل
 خليل بن شاهين الظاهري . وكتاب الاشارات الى اماكن الزيارات لابن الجوراني
 ابتداءً فيه بذكر مدينة دمشق وما فيها من قبور الصحابة الى آخره . وكتاب منازل
 الارض ذات الطول والعرض للشيخ علي بن ابي بكر السامح الهروي المتوفي بحلب في
 سنة ١٢٠٣ وقيل في سنة ١٢١٤ ذكر انه كتب واستوعب فيه ما قدر عليه ووصل
 اليه في سياحته وله ايضاً كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات مختصراً ابتداءً فيه من
 مدينة حلب وكتب ما رآه برأً وبحراً من المزارات والمشاهد وذكر انه لم يركب كثيراً
 مما ذكره اصحاب التواريخ ببلاد الشام والعراق وخراسان والمغرب واليمن وجزائر البحر
 ولا شك ان قبورهم اندرست . وذكر ان الانكسار (ريشارد) ملك الفرنج اخذ
 كتبه ورغب في وصوله اليه فلم يجب ، ومنها ما غرق بالبحر وانه زار اماكن ودخل
 بلاداً من سنين كثيرة فنتى اكثر ما رآه واعتذر عنه مع انه ذكر فيه من زيارات
 الشام وبلاد الفرنج والارض المقدسة وديار مصر والمغرب وجزائر البحر وبلاد
 الروم والجزيرة واطراف الهند والحرمين واليمن وبلاد العجم وهذا مقام لا يدركه
 احد من السياح والزهاد الا رجل كالارض بقدمه واثبت ما ذكره بقلبه وقلمه
 واكثر هذه الكتب عزيز نادر الوجود وبعضها قد اندثر ولا يعلم له من خبر
 ولدنا من اهل الادب الذين صنفوا في الجغرافية في القرن الثالث عشر للميلاد من
 قد اشهر امرهم في الرحلة والتجول في الاقطار كان سعيد المغربي الغرناطي القلعي
 الاندلسي ولد بغرناطة سنة ١٢١٣ وتوفي بتونس في حدود سنة ١٢٨٦ رحل الى
 القاهرة والى حلب وتجول الى دمشق ودخل ارجان وحج ثم عاد الى المغرب وقد
 صنف في رحلته مجموعاً سماه بالنفحة المسكية في الرحلة المكية وكان نزوله في ساحل
 افريقية سنة ٦٥٢ للهجرة ثم رحل ثانياً من تونس الى المشرق سنة ٦٦٦ للهجرة وله
 تأليف عديدة منها الموضوعان الغريبان المتعددا الاسفار وهما المغرب في حلى المغرب
 والمشرق في حلى المشرق وكتاب عدة المستنجز وعقلة المستوفز في رحلته الثانية . على
 ان تصانيف ابن سعيد مؤاخذة ببعض الخطا الذي اصلحه ابو الحسن المراكشي في
 كتابه في وصف بلاد المغرب والاندلس فقد نقل ابن سعيد من كتب الاولين غير

منتقد واخذ عنه ابو الفداء في كتابه تقويم البلدان في ذكر العروض والاطوال فتعثر
بزلاته وسقط في خطائه

﴿ياقوت﴾ وكتاب معجم البلدان لياقوت الحموي اشهر من ان يذكر وهو
الشيخ الامام شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي
صاحب التصانيف المشهورة وكان يوناني المولد أسر في حدائه فبيع من تاجر حموي
مقيم ببغداد ونشأ في خير مولاه وطالع العربية وحصل العلوم واشتغل براءة بدء في
الاتجار وكان مولاه ينفذه الى الاقطار في طلب اسبابها ورحل غير مرة الى جزيرة
كيش الواقعة في وسط بحر فارس وكانت هذه الجزيرة وقتئذ محط رحال التجارة بين
المشرق والمغرب وفيها كانوا يتبادلون متاع الهند وملاسيا بحاصلات مصر وبلاد الشام
والمغرب الاقصى. ولما عتقه مولاه تعاطى التجارة لنفسه ولاسيا الاتجار في السكتب
والتليف ذلك ما سهل له الاحاطة بجميع العلوم وادخار اشقات الفوائد التي دونها
في مصنفاته الجليلة وزاد عليها ما شاهده في اسفاره وحصله في تطوافه وقد قضى سنين
في الرحلة والتجول في بلاد العرب ومصر والشام والجزيرة وخراسان حتى شواطئ
هر حيجون ورحل الى القسطنطينية فيما رواه بعضهم عنه. وفي حدود سنة ١٢٢٠
كان في خوارزم لما اغار جنكيز خان مع التتر على البلاد فعاد الى بلاد الشام وتوفي
فيها سنة ١٢٢٩. اما كتابه معجم البلدان فانه من اجل السكتب الموضوع في الجغرافية
وقد احرز السبق عليها لانه جاء اعم من غيره لترتيبه على حروف المعجم وقد احاط
بجميع اقسام المعمورة وذكر اسماء البلدان والجبال والودية والقيعان والقرى والمحال
والاوطان والبحار والانهار والغدران والاصنام والابدان والاوثنان وتعرض للكلام
على صفة الارض وما فيها من الجبال والبحار وحذا حذو اليونان القدماء في قسمة
الارض الى سبعة اقاليم وافصح في اشتقاقها والاختلاف في كيفيتها وجاء في تفسير
الالفاظ التي تكرر ذكرها في كتابه مثل البريد والفرسخ والرساق والجند والطول
والعرض والصلح والسلم والفيء والغنيمة وذكر امزجة البلدان واهوائها ومطالع نجومها
وانواءها وبماذا اختصت من الخصائص وضبط تصحيح الاسماء واشتقاقها والمع بذكر
من دفن فيها من الاعيان والصالحين والصحابه والتابعين واورد نبذاً مما قيل فيها من
الاشعار ومن ينسب اليها من العلماء والمحدثين وقد حرص على تدوين اخبار بعض
الرحالة الى بلاد الفرنج وغيرهم مما جاء بعضهم فائدة كما فعله في اثبات رحلة ابن فضلان

الى بلغار . . وقال ياقوت في مقدمته ما يأتي بعد ان ذكر كثيراً من الكتب وهذه الكتب المدونة في هذا الباب التي نقلت منها ثم نقلت من دواوين العرب والمحدثين ومن افواه الرواة وتفاريق الكتب وما شاهدته في اسفاري وحصلته في تطوافي اضعاف ذلك اه . وكان بمر والشاهجان في سنة ٦١٥ (١٢١٨ للميلاد) لما وقع له بعض البواعث لجمع هذا الكتاب واسهب في ذكر ما لقيه من النصب والتعب في اتمامه ففرغ من تأليفه في سنة احدى وعشرين وست مئة (سنة ١٢٢٤ للميلاد) على انه اعاد النظر اليه وصححه غير مرة . وفي المكاتب الافرنجية عدة نسخ منه واحدة منها كان الشروع من تبييضها سنة ٦٢٥ وهذه النسخة طبعت في ليبسيك سنة ١٨٦٦ في ثمان مجلدات وزيد عاها فهرسة باسماء الاعلام الذين جاء ذكرهم في هذا الكتاب وله كتاب المشرق وضعاً والمفتر صقماً انتخبه من كتابه معجم البلدان على الحروف وطبع في كوتنجن سنة ١٨٤٦ وقد اختصر ياقوت معجمه في كتاب سماه مراصد الاطلاع على مراصد الاطلاع ولم يتمه واخصره صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق وهذا المختصر موجود في المكاتب الاوربية وقد طبع في المانيا

﴿ القزويني ﴾ اما الشيخ زكريا بن محمد القزويني فقد نبغ في القرن الثالث عشر وكانت وفاته سنة ١٢٨٣ وله كتاب آثار البلاد واخبار العباد مجلد في الجغرافية على مقدمة وسبعة اقاليم وله ايضاً كتاب عجائب المخلوقات جمع به ما عرف وسمع من خصائص البلاد والعباد لكن فيه الغث والسمين وتاريخ تأليفه سنة ١٢٧٥ وهذان الكتابان طبعا في كوتنجن سنة ١٨٤٩ وقد سماه بعضهم بلينيوس المشرق لانه عني بالتاريخ الطبيعي ودون منه ما احاط به علماً وما نقله عن المتقدمين . ولزين الدين عمر بن المظفر بن الوردي المتوفى سنة ١٣٤٨ كتاب خريدة العجائب وفريدة الغرائب مجلد نصف اوله في ذكر اقاليم وبلدان والباقي في بعض احوال المعدن والنبات والحيوان وهذا الكتاب موجود في المكاتب الاوربية ولا يركن اليه لتعدد الزلات والشطط فيه . وللقاضي تاج الدين بن المتوج المتوفى سنة ١٣٢٩ كتاب اتعاظ المتأمل وايقاظ المتغفل في بلاد مصر

واشهر جغرافي المئة الرابعة عشرة ابو الفداء فان ابا القاسم محمد النويري المالكي اقتصر على تدوين اخبار المتقدمين في القسم الجغرافي ولم يأت بفائدة جديدة ثم نبغ بعده الذهبي وهو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان المصري المتوفى سنة

١٣٤٧ وله المعجم الصغير . ولعبد الرشيد بن صالح بن نوري الباكوري الذي نبغ في حدود سنة ١٣٩٧ كتاب تلخيص الآثار في عجائب الاقطار. اما ابو الفداء فهو الملك المؤيد عماد الدين اسمعيل بن علي بن ايوب بن شاذي صاحب حماه ولد سنة ١٢٧١ للميلاد وصار من جملة امرء دمشق وبالغ في خدمة الملك الناصر محمد بن قلاوون الى ان وعده بسلطنة حماه وقام له بما وعده وبكل ما يحتاج اليه وكان فيه مكارم وفضيلة تامة مع فقه وطب وحكمة وغير ذلك . وكان اجدر ما يعرفه علم الهيئة لانه اتقنه وان كان قد شارك مشاركة جيدة وكانت وفاته سنة ١٣٣١ وكتابه تقويم البلدان طبع في باريز سنة ١٨٤٠ وقد ترجم الى اللاتينية وترجم قسم منه الى الفرنسية . قال ابو الفداء في مقدمته قد جمعنا في هذا المختصر ما تفرق في كتب عديدة على ما ستقف عليه عند ذكرها وخذونا في تأليفه خذوا ابن جزلة في كتاب تقويم الابدان في الطب وسمينا كتابنا تقويم البلدان وقبل ذكر البلاد في الجداول نقدم ما يجب معرفته في ذكر الارض والاقليم السبعة والبحار اه . وقد جرى في تأليفه على تقسيم الاقاليم فانه ذكر في جداوله الاسماء واسماء المنقول عنهم والطول والعرض والاقليم الحقيقي والاقليم العرفي وضبط الاسماء وبسط الاوصاف والاخبار العامة وهو مؤاخذ ببعض الاغلاط التي نقلها من كتب المتقدمين بدون انتقاد وتمحيص كما اخذ عن ابن سعيد في وصف بلاد المغرب بدون تحري ومع ذلك فان كتابه جدير بالمطالعة ويعد في طبقة المصنفات الجغرافية الجليلة التي خلفها لنا علماء العرب

﴿ ابن بطوطة ﴾ ومن اعظم متجولي الاسلام رحلة واكثرهم استيعاباً للاخبار ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي المشهور بابن بطوطة صاحب تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار خرج من طنجة مسقط رأسه في ١٤ حزيران سنة ١٣٢٥ وتجول في المغرب وافريقية وطرابلس وبرقة ومصر وفلسطين وبلاد الشام ثم رحل الى حلب وجاء دمشق وذهب حاجباً ثم رحل الى نجد وعاد الى الشام وطاف للعجم والعراق وبلاد ما بين النهرين وعرج نحو الجنوب فدخل بحر بربرة وجاء كيلوا على ساحل افريقية الشرقي وعاد الى هرمن محترقاً القسم الجنوبي من جزيرة العرب وجاب جزائر بحر فارس المشهورة بمفاصات اللؤلؤ ثم ذهب حاجباً ثانياً ورحل من الحجاز الى الشام ومنها دخل الاناضول وتجول فيها ومنها ركب البحر قاصداً القرم وتسوح في بلاد القفجق (قبجاق) وهي روسيا الجنوبية وكانت في ولاية ايد من

سليمة جنكينز خان ومن قفجق رحل الى بلغار قاعدة بلاد البلغار القديمة التي ذكرها ابن فضلان في رحلته وأثارها قائمة الى الآن على ضفة نهر الاثل وبلغ ابن بطوطة آخر حد من المعمورة في الشمال عرفه العرب وما وراءه ارض الظلمة وبينها وبين بلغار مسيرة اربعين يوماً ورغب في دخول ارض الظلمة لكنه اضرب عن ذلك لعظم المؤونة فيه وقلة الجدوى . قال والسفر اليها لا يكون الا في عجلات صغار تجرها كلاب كبار فان تلك المفازة فيها الجليد فلا يثبت قدم الا دمي ولا حافر الدابة بها والكلاب لها الاظفار فتثبت اقدامها في الجليد ولا يدخلها الا الاقوياء من التجاراه . وقد المع ابن بطوطة في كيفية الاتجار في ارض الظلمة وهي عبارة عن معاوضة يجريها التجار مع شعوب تلك البلاد ويأخذون بدلاً من متاعهم السمور والسنجاب والقاقم ورحل الى القسطنطينية واقام بها مدة يشاهد عظمة هذه المدينة ثم عاد الى قفجق ورحل منها متجولاً في البلاد الواقعة في شمالي بحر الخزر ودخل خوارزم (خيوا) وبخارى وخراسان وقندهار ووادي السند الفاصل بين الهند ويران واقام بدلهي قاعدة السلطنة الاسلامية في الهند سنتين ونصب على القضاء فيها ثم رغب في الرحلة فذهب رسولاً من السلطان الى سلطان الصين متجولاً في البلاد الممتدة من كنباية الى كاليكوت واضطر الى الاقامة بجزائر ملديف وولي فيها القضاء سنتين ثم نهض منها متبعاً سيره الى الصين فدخل جزائر سيلان وسومطره وجاوه في سفره وشاهد عدة مدن من الصين واقام اياماً بجان يالاق وهي بكين قاعدة المملكة ورحل عنها قاصداً المغرب وكان قد بارح بلاده منذ ٢٤ عاماً فوصل طنجة في حدود سنة ١٣٤٩ للميلاد وما لبث ان عاد الى الرحلة فدخل الاندلس وتطوف فيها مسرحاً نظره في مبانيها الفاخرة ومعاهدها الزاهرة لاسيما بلد غرناطة . وفي سنة ١٣٥٢ ذهب رسولاً من سلطان مراکش الى بلاد السودان وعبر البلاد الى ما وراء نهر تمبكتو ثم عاد الى فاس وفيها واقته المنية سنة ١٣٧٧ . ورحلته هذه طبعت في باريز سنة ١٨٥٣ ، وقد ترجمها بعضهم الى الفرنسية وهي في اربع مجلدات ، وهي كثيرة الفائدة حوت من نوادر الاخبار ومشاهد البلدان والامصار ما تحلو مطالعته ، وان تخللها اشياء يتبرأ الانسان من صحبتها فانه قد علق اكثر المواد بخطه وتقاعد عن تدوينها فضلاً عما اصابه من ضياع كتبه واوراقه في احدى رحلاته

وهالك بيان اسماء غيرها من الرحلات التي صنفها بعض العلماء الاعلام، رحلة الشيخ

ابن حبيب، ورحلة ابن جبير طبعت في المانيا، ورحلة ابن خلدون وهي عزيزة الوجود، ورحلة ابن رشيد، ورحلة ابن الصلاح ورحلة ابي القاسم النجيب، ورحلة بدر الدين بن رضى الدين الغزي، والرحلة الفيومية والمكية، والدمياطية للشيخ جلال الدين السيوطي ورحلة الكتاني ورحلة محمد بن رشد المالكي

﴿المقرزي﴾ وجل من ذكره في هذه المقالة بعد من تقدم ذكرهم بقي الدين المقرزي المتوفى سنة ١٤٤٣ وله كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار طبع في مصر . ولبرهان الدين ابراهيم البقاعي المتوفى سنة ١٤٨٠ كتاب يسمى اسفار عن اشردة الاخبار ألفه سنة ٨٤٤ للهجرة لما خرج الى غزوة قبرص ورودس من البحر ولم يتيسر له الفتح سوى فتح قلعة الميش . ولمحمد بن اياس الذي نبغ في حدود سنة ١٥١٦ كتاب نشق الازهار في عجائب الاقطار اخذه من تواريخ الامم وذكر فيه أغرب ما سمعه وأعجب ما رآه من عجائب مصر واعمالها وابتدأ فيه بذكر طرف يسير من اخبار الفلك وعلم الهيئة . والحسن ولد في غرناطة في آخر المئة الخامسة عشرة ورحل ونجول في بلاد المغرب الشمالية فأسره قرصان من النصارى سنة ١٥١٧ فأتوا به الى البابا لاون العاشر فنصر وسمي يوحنا لاون الافريقي واقام بايطاليا وتفقه في اللاتينية والاطالية وعلم العربية وصنف كتاباً في وصف افريقية كتبه بالعربية ثم استخرجه الى الايطالية في سنة ١٥٢٦ وهو كتاب مفيد يعول عليه في معرفة تلك الاقطار وقد ترجم الى اللاتينية والفرنسوية . وخاتمة جغرافي الاسلام كاتب جبلي او حلبي خليفة صاحب كتاب جهان نما المتوفى سنة ١٦٥٧ الا ان هذا المصنف استعان بكتب الافرنج ونقل منهم ما كتبه في اكتشافات السياح من البرتغال والاسبان

٤

وبعد استيفاء الكلام في مقالتي هذه عن حالة الجغرافية الوصفية في عهد العرب وذكر لمع من اخبارها ومن تراجم المصنفين في هذا الفن استأنف الكلام موجزاً في شأن الجغرافية الرياضية وما حصلوه منها وقد قدمت القول ان العرب اخذوا علوم الاوائل عن المؤلفات السريانية واليونانية وان الحركة الادبية بدأت في عهد

الخليفة ابي جعفر المنصور العباسي وتعظيم امرها في خلافة المأمون حفيده الذي بويح بالخلافة سنة ٨١٣ للميلاد وقد امر ان يترجم له المجسطي وكتاب بطليموس في الجغرافية وقد اثرت ترجمة هذه الكتب تأثيراً مهماً في تاريخ الجغرافية الاسلامية وعليها عول علماء العرب في الجغرافية الرياضية واتخذوا بطليموس اماماً لهم يرجعون اليه في هذا الفن وقد ذاع صيت المأمون وطارت شهرته في الآفاق لازدهاء العلوم في خلافته التي عدها بعضهم بدء زمان المولدين وجعل البعض الآخر بدئه في خلافة المنصور وللمأمون في الرياضيات والهيئة آثار تثبت فضله في بطون الاوراق . امر بالوقوف للنجوم والارصاد في سنة ٩٢٠ ووضع الزيج الصحيح في اصلاح المجسطي وضبط اطوال بعض الاماكن من الكرة الارضية وخط رسم الارض . وفي حدود سنة ٨٢٨ امر الخليفة المأمون بقياس درجة من الهاجرة لاستقراء جرم الكرة الارضية وقام بهذا العمل اربعة من علماء الهيئة مدونة اسمائهم في صفحات التاريخ وهاك ما قاله ابو الفداء في هذا الشأن . قد قام بتحقيق حصة الدرجة طائفة من القدماء كبطليموس صاحب المجسطي وغيره فوجدوا حصة الدرجة الواحدة من العظيمة المتوهمة على الارض ستة وستين ميلاً وثلاثي ميل . ثم قام بتحقيقه طائفة من الحكماء المحدثين في عهد المأمون وحضروا بامره في برية سنجار وافترقوا فرقتين بعد ان اخذوا ارتفاع القطب محرراً في المكان الذي افترقوا منه واخذت احدى الفرقتين في المسير نحو القطب الشمالي والاخرى نحو القطب الجنوبي وساروا على اشد ما امكهم من الاستقامة حتى ارتفع القطب للسايرين في الشمال وانحط للسايرين في الجنوب درجة واحدة ثم اجتمعوا عند المفترق وتقابلوا على ما وجدوه فكان مع احداها ستة وخمسون ميلاً وثلاثا ميل ومع الاخرى ستة وخمسون ميلاً بغير كسر فاخذ بالاكل وهو ستة وخمسون ميلاً اه . ولم يذكر ابو الفداء الاعمال واحداً والحال انهما عمelan جريا في آن واحد احدهما في برية سنجار من بلاد ما بين النهرين والاخر الى الشمال من بلد الشام بين تدمر والفرات وقد اثبتهما ابن يونس وهو من فحول علماء الهيئة الذين نبغوا في عصر الخلافة العباسية وكانت وفاته سنة ١٠٠٨ للميلاد قال سناد بن علي امرني المأمون ان احقق وخالد بن عبد الملك درجة من الدائرة العظيمة على سطح الارض فذهبنا لذلك وسار علي بن عيسى الاسطرلابي وعلي بن البحري في طريق اخرى اما نحن فتوجهنا الى ان وصلنا بين فامية وتدمر فوجدنا الدرجة ٥٧ ميلاً ووجدناها كذلك علي

ابن عيسى وعلي بن البحري وبعثنا بالخبر فوصل في آن واحد. وذكر ابن يونس رواية احمد بن عبد الله الملقب بجبش في كتابه مطامع الارصاد وحاصلها ان العلماء ساروا في برية سنجان وتحققوا الدرجة فوجدوها ستة وخمسين ميلاً وربع ميل والميل اربعة آلاف ذراع هاشمية والذراع الهاشمية وضعها المأمون وهي $\frac{٥٤١}{١٠٠٠}$ من المتر فالميل العربي يعدل ٢١٦٤ متراً والدرجة تعدل ٥٧ ميلاً واذا اخذنا المعدل الاوسط بلغت الدرجة ١٢٢٥٠٠ متر مع صرف النظر عن الكسر وفي ذلك زيادة تبلغ ١١٥٠٠ متر عن قياس الدرجة الحقيقي في هاتيك الانحاء اعني عند الدائرة المتوازية الخامسة والثلاثين حسبها تبين من تحقيقات العلماء المتأخرين حيث بلغت حصة الدرجة ١١٠٩٢٠ والفرق جسم يحاكي كثيراً من المناط التي وجدت في بعض الازياج وسببها نقص في القواعد المتخذة وفي آلات الرصد المستخدمة . وما صححه العرب في ازياج بطليموس شمل البلدان الواقعة حوالي بغداد اختصاصاً اعني بها جزيرة العرب والبحر العجمي وبلاد دجلة والفرات وبلاد العجم وشواطيء بحر الخزر الجنوبية . وفي بداءة المئة الحادية عشرة صحح البيروني الازياج الموضوعه في اطوال بلاد الروم وما وراء النهر والسند فسد ما وجد من النقص في رسم الارض عن القسم الشرقي وحذا حدوه ابو الحسن علي المراكشي المتوفي سنة ١٢٣٠ في تحقيق اطوال وعروض البلدان الواقعة في القسم الغربي . وابو الحسن هذا ولد في مراکش ويعمد في طبقة الرحالة المتجولين وقد صحح الخطاء الذي وجده في ازياج بطليموس في سعة بحر الروم في طرفه الجنوبي وصنّف كتاباً مفيداً في التاريخ والهيئة والرياضيات دون فيه اسماء بلاد الاسلام التي عينت اطوالها وعروضها وهي مئة وخمسة وثلاثون بلداً حقق طول وعرض اربع واربعين منها ممتدة من الاوقيانوس المحيط الى مصب النيل وفي آخر المئة الثالثة عشرة نبغ ناصر الدين الفلكي وفي منتصف المئة الخامسة عشرة نبغ فلكي آخر هو ألوغ بك ابن شاه رخ صاحب بلاد الصفد قد اتقن علم الهيئة ووضع ازياجاً حسنة وفي سنة ١٤٣٧ رسم خريطة الكرة الارضية واستند في علمه على مصنفات ناصر الدين الطوسي الذي كان يقف للنجوم في مرصد شاده له هولاً كوخان على مقربة من مراغة . وقد روى بعضهم ان ألوغ امر علي كوشجي ان يسير الى الصين فسار اليها وقاس درجة من الهاجرة وحقق جرم الكرة . واذا عملنا النظر في مصنفات العرب في الجغرافية الرياضية وتفحصنا ازياجهم نرى بينهم وبين العلماء المتأخرين من

الافرنج تفاوتاً عظيماً لان هؤلاء بلغوا من التحقيق والضبط والاكتشاف مبلغاً لم يبلغه العرب الذين قد فاقوا بطليموس ويرجعون عليه في كل حال لتعديلهم ازياجه واثبات بعض الاصلاح فيها وعلى ذلك فنرى ان الطول الغربي من طنجة بالنسبة الى الاسكندرية لا يزيد على 39° والزيادة حسب بطليموس 18° وخط بحر الروم المستقيم من طنجة الى طرابلس الشام $30^{\circ} 42'$ في الزيج العربي وزيادته فيه على طوله الحقيقي $52'$ حالة كونها بلغت في زيج بطليموس 19° وقد يتضح من ذلك ان العرب عرفوا قطر بحر الروم الحقيقي قبل ان يعرفه الافرنج بخمس مئة سنة

وفي هذا القدر كفاية ليعلم فضل العرب في تقدم العلم الجغرافي. وزبدة المقال انهم زادوا على اليونان والرومان تعريفاً في اقسام المعمورة خصوصاً في طرفيها الشمالي الغربي والشرقي وفي القسم الشمالي بلغت معرفتهم حد معرفة الاوائل وقد صححوا شيئاً من المغالط وحققوا بعض المواقع في اواسط القارة الآسية. وفي الاطراف الجنوبية اقتصر ملاحظوهم على التجول في شواطئ افريقية الشمالية ولم يتوغلوا في البلاد اكثر مما عرفه بطليموس فذكره في زيجه وقد فاقوا سواهم في تعريف صفة البلاد الواقعة في اقاصي المشرق وفي اواسط افريقية من المغرب. عرفوا الصين ووطئوا ارضها ولم يطأها الرومان وتوغلوا في افريقية ودخلوا الصحراء الى بلاد السودان ولم يجتز الرومان حد الصحراء الشمالي

وقد اجاد العرب في تقويم الطرق والمسالك وبيّنوا المسافات على احسن اسلوب وقد احرزوا سبق في تصنيف القواميس الجغرافية ولم يتقدم الرومان الى مثل ذلك بل واليونان ايضاً فان هؤلاء نزعوا الى مثل ذلك في القرن السادس للميلاد فصنف احداهم قاموساً للاعلام الجغرافية اختصره اسطفان البيزنطي وهذا المختصر وحده موجود. اما اول قاموس جغرافي وجد عند الاوربيين فقد صنف في منتصف المئة السادسة عشرة صنفه اورتليوس البلجي وطبعه في انورس سنة ١٥٧٨ وفي سنة ١٦٢٧ صنف فيليب الفراري الايطالي قاموساً آخر ثم تتبعه غيره

وبالجملة فان ما فعله العرب في العلم الجغرافي يورثهم فخراً ولا سيما وجودهم كصلة بين علوم الاوائل وعلوم المتأخرين فانهم رغبوا في علوم اليونان وادّابهم ومرنوا فيها ايام كانت اوربا في غفلة عنها ويا حبذا لو حرصوا عليها لتزيد في فخارهم فخراً.

مقتطف مايو ويونيو ويوليو سنة ١٨٨٣

الباب الثاني

—••—

كولمبوس (١٤٤٦ او ١٤٥١ - ١٥٠٦)

اذا ذكرت الحوادث الخطيرة التي لها الشأن الاكبر في احوال البشر وجب ان يذكر معها اكتشاف اميركا واحتلالها لا من حين وصل اليها الناس اولاً وسكنوها بل من حين وصل اليها خريستوفورس كولمبوس وذهب اليها اهالي اوربا بعده واحتلوها وعمروها . لان وصول الاولين اليها لم يكن له شأن يذكر في احوال البشر واما استيطان الاوربيين لها فقد نتج عنه قيام جمهورية عظيمة فيها تضاهي أعظم الممالك ثروة واشدها منعة ، وانتظام ممالك وجمهوريات اخرى سائرة كلها او اكثرها في سبيل النجاح

وقد طلب الينا بعض الفضلاء ان نلخص لهم قصة ذلك الاكتشاف والاحتلال فجاء طلبهم منطبقاً على ما كنا نفكر فيه منذ مدة وهو وصف اشهر حوادث التاريخ الحديثة كإكتشاف اميركا وثورة فرنسا واحتلال الهند ونحو ذلك مما جعل عمران القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ارقى من كل عمران سبقه صناعة وتجارة وبوياً الاوربيين منصة القضاء والسيادة في المسكونة فدان لهم اقبال الهند وسنوا السنن لملوك الصين وجابوا فيافي افريقية ومجاهلها وجعلوا ينشئون فيها الممالك

لما وصل خريستوفورس كولمبوس الى اميركا وجدها آهلة بالسكان شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً بعضهم قبائل رحل يعيشون بالصيد والقتنص وبعضهم اهل حضارة ونعيم لهم المدن الفخمة والقصور المشيدة والهياكل الكبيرة والقرى والساكن و بين هذين الطرفين اقوام متباينون في درجة حضارتهم ولا يعلم من مصّر تلك القارة اولا ولا من اين اتاها سكانها الاولون . ولاهل البحث في ذلك مذاهب شتى سنشير الى المذهب الاوجه منها

وكولمبوس كاشف اميركا للاوربيين رجل ايطالي ولد بجنوى سنة ١٤٤٦ او ١٤٥١ وابوه مشاط صوف فعلمه صناعته ثم بعث به الى مدرسة بافيا الجامعة فاقام فيها مدة قصيرة حتى اذا صار عمره اربع عشرة سنة ذهب في احدى السفن ملاحاً وجندياً حسبما كان الملاحون في ذلك العصر حتى اذا اشتد ساعده جعل رئيساً على سفينة وأرسل الى تونس ليوقع بسفينة من سفنها . وفي سنة ١٤٧٠ كسرت سفينته عند

رأس سنت فنسنت في الطرف الجنوبي الغربي من بلاد البرتغال فركب لوحاً من الخشب وبلغ البر عليه . واقام في مدينة لسبون مدة واقترن فيها بابنة رجل ايطالي الاصل كان عاملاً من قبل ملك البرتغال على بورتو سانتو جزيرة صغيرة قرب جزائر مديرا غربي المغرب الاقصى . وذهب الى هذه الجزيرة واقام فيها مدة وكان يكتسب معيشته برسم الخرائط للبحارة فاضطر ان يبحث وينقب في خرائط حميه ويباحث شيوخ النوتية عما لقوه من المشاق في اسفارهم، فاستتج من كل ما رآه وسمعه انه لم يزل جانب كبير من الارض مجهولاً ويمكن الوصول الى طرف آسيا الشرقي بالسير اليه غرباً واطلع طبيباً فلورنسياً على هذا الرأي فاقعه بصحته

وكان كثيرون قد ارتأوا مثل رأيه قبله وابتعد واحد من اهالي البرتغال الفأ ومثي ميل عن رأس سنت فنسنت غرباً محمولاً بتيار عنيف فوجد قطعة من الخشب طافية على وجه الماء وفيها آثار تدل على ان يد الانسان عملت بها . والتقط صهر كولمبوس انايب كبيرة من القصب امام بورتو سانتو يسع الانبوب منها نحو ايتين من الخمر وهي مما لا ينبت إلا في بلاد الهند فهذه الامور وامثالها قوت اقتناعه بأنه اذا واصل السير غرباً بلغ بلاد الهند

وسار سنة ١٤٧٧ حتى بلغ شمالي البلاد الانكليزية ولا يبعد ان يكون قد سمع وهو هناك عن وصول بعض اهالي زروج الى بلاد مجهولة واستيطانهم لها قبل ايامه بخمس مئة سنة وانقراض نسلهم منها . فعزم على الرحلة الى هذه البلاد وجعل يفتش عن يمدد بالمال والرجال وطلب ذلك اولاً من مجلس جنوى مسقط رأسه فرفض المجلس طلبه . ولما رأى ان أبناء وطنه لم يحفلوا به لجأ الى يوحنا الثاني ملك البرتغال فحاله على لجنة من العلماء تنظر في المسائل الجغرافية التي من هذا القبيل فكان قرارها على غير مراده . وكان الملك ميالاً الى البحث عن البلدان الجديدة فاشار عليه احد الاساقفة ان يرسل سفينة تضرب في عرض البحر الغربي خفية عن كولمبوس ففعل وبعث بالسفينة فسارت الى ان يئس بحارتها من طول الشقة فعادوا بها ادراجهم . وعرف كولمبوس ذلك فاعتناظ من هذه المحادثة وبعث بكتاب الى الملك هنري السابع ملك الانكليز يعرض عليه رأيه ويطلب منه المساعدة على تحقيقه . ولا بد ان يكون قد وعده بأن يكتشف الارض الجديدة باسمه كما وعد غيره

ثم هرب من بلاد البرتغال الى اسبانيا وقصد دوق مدينة سيدونيا جنوبي اسبانيا

وطلب مساعدته فلم يحفل به بل حسب رأيه من قبيل الاوهام . فتركه وقصد دوق مدينة سلي فانزله على الرحب والسعة واكرم مثواه وعزم ان يجهزه بثلاث سفن ولكنه عاد فرأى ان العمل كبير فوق طاقته فاهمله . وعزم كولمبوس ان يستعين بملك فرنسا فصرفه هذا الدوق عن عزمه وكتب الى الملكة ايزابلا (١) ملكة قشتالة (Castilla) يتوسل اليها ان لا تدع عملاً مثل هذا يذهب الى الغرباء فامرت بمجيء كولمبوس اليها الى قرطبة (Cordova) وكانت الحرب ناشبة بين العرب نزلاء اسبانيا وبين اهلها الاصليين فلم تجد الملكة ايزابلا مجالاً للنظر في طلب كولمبوس لكنها اكرمت مثواه وامرت واحداً من خواصها ان ينظر في طلبه . ولم يكن الا القليل حتى اقنع كثيرين بصدق دعواه وسار مع حاشية الملكة الى سامنكا ولقي هناك الكردينال مندوزا صاحب الصول والطول في اسبانيا وموطن هذا الكردينال اولاً ان في رأي كولمبوس راحة الكفر لكنه اقتنع بصحته حالاً واقنع الملك فردينند زوج الملكة ايزابلا حتى قابل كولمبوس وسمع ما يقوله واحاله على مجلس من علماء الفلك والجغرافية سنة ١٤٨٧ فبسط كولمبوس ادلته لاجزاء هذا المجلس فناقضوه وقاوموه واستدلوا على فساد آرائه بكثير من آيات التوراة واقوال آباء الكنيسة وبعد جدال طويل دام نحو ثلاث سنوات اقر المجلس على ان رأيه باطل لا يعمل به

وكان كولمبوس في كل هذه المدة يسير في حاشية الملك والملكة وهما يحاربان العرب وحضر حصار مالقة (Malaga) فلما حكم المجلس برفض طلبه سار قاصداً فرنسا ودخل في طريقه ديراً في الاندلس وطلب ماء وطعاماً لابنه فسأله رئيس الدير الى اين يقصد فاخبره بقصده فدعاه الى داخل الدير وكان فيه طبيب ماهر في علم الجغرافية فاخذ يباحثه في امر الوصول الى الهند فاقعه كولمبوس بصحة رأيه وكان رئيس الدير قبل ذلك معرفاً للملكة ايزابلا فكتب اليها عن كولمبوس فآناه الجواب منها ان يأتي اليها به وارسلت اليه نفقات السفر . ووصل الى غرناطة وقما استلمها الاسبانيون من العرب وطلب من كولمبوس حينئذ ان يبين الشروط التي يشترطها لكشف هذه البلاد الجديدة فطلب ان يعطى لقب امير البحر (اميرال) ويجعل والياً على كل البلدان التي يكتشفها وعشر ما يرد منها سواء كان من التنائم او من التجارة فرفض طلبه . وفي

(١) انتقل اليها ملك قشتالة بعد وفاة اخيها الملك هنري الرابع واقترن بها فردينند ملك اراغون وصقلية

شهر يناير من سنة ١٤٩٢ اقلع من اسبانيا قاصداً فرنسا ولكن تشفع بعضهم في امره لدى الملكة واقنعها بمساعدته فارسلت اليه رسولاً ادركه على غلوتين من غرناطة وردده اليها وفي السابع عشر من ابريل سنة ١٤٩٢ أمضى الاتفاق بينه وبين الملكة وزوجها ولم يكن اعداد السفن والبحارة بالامر السهل لانه لم يكديجد من يخاطر بنفسه مثله في مجاهل البحار . وبعد عناء شديد اعدت له ثلاث سفن وهي سنتا ماريا وفيها خمسون بحاراً وكانت ادارتها في يده والبنتا وفيها ثلاثون بحاراً وقيادتها في يد مارتن بزون والنيئا وفيها ٢٤ بحاراً وقيادتها في يد اخيه فنسنت بزون وجملة النفوس ١٢٠ . واقلعت هذه السفن يوم الجمعة في الثالث من اغسطس سنة ١٤٩٢ ووجهتها جزائر كناري وبعد ثلاثة أيام اضاعت البنتا دقتها فاضطر كولمبوس ان يرسو بسفنه في مرفأ تاريف مدينة كناري ليصطنع لها دفعة غيرها وعاود السير في السادس من سبتمبر وفي الثالث عشر منه شاهد رجاله انحراف الابرة المغنطيسية اول مرة عن الشمال والجنوب فارتاعوا من ذلك وزاد ارتياعهم بعد يومين اذ رأوا نيزكاً كبيراً وقع من السماء على مقربة منهم . وبلغوا في اليوم التالي مكاناً رهواً ولقوا نسماً عيلاً تطيب به النفوس فاطمأنوا ثم زاد انحراف الابرة المغنطيسية فزاد اضطرابهم إلا ان كولمبوس فسر لهم ذلك بما سكن روعهم . وشاهدوا حينئذ كثيراً من طيور البحر فايقنوا انهم مصيبون برأ عن قريب ولما لم يصلوا الى البر تدمروا وتمردوا وكانوا يشاهدون احياناً ما يظنونه برأ قريباً فتطيب نفوسهم حتى اذا بلغوه ورأوه سراياً بقيعة عادوا التذمر والتمرد الى ان كان الحادي عشر من اكتوبر فالتقطت بحارة البنتا قناة وقطعة من الخشب وعصاً ولوحاً وشاهدت بحارة النيئا وتداً عليه نبات مزهر . وفي المساء شاهد كولمبوس نوراً في الافق وفي الساعة الثانية صباحاً رأى البر بحار من بحارة النيئا وكان هذا البر اول جزيرة من جزائر اميركا وقد ظن اولاً انها الجزيرة المسماة الآن سان سلفادور ثم اتضح انها الجزيرة المسماة الآن سامنا . ونزل فيها كولمبوس ذلك الصباح وهو لا بس حلة فاخرة ومعه العلم الاسباني ونزل معه الربانان الاخران وفريق كبير من البحارة وركعوا على ركبهم وشكروا الله والدموع ملء عيونهم وتقدم اليه البحارة الذين تمردوا عليه قبلاً واسترحموا وطلبوا عفوه

والجزائر هناك كثيرة قريبة بعضها من بعض فاكشف كولمبوس كثيراً منها واشهرها واكبرها جزيرة كوبا وجزيرة هايتي وسمى هايتي (هسبانيولا) وارتطمت

سفينته عندها لاهمال بحارتها لها فاضطر ان يخرج كل الامتعة منها ويتركها هناك وانشأ مستعمرة في تلك الجزيرة وترك فيها ٤٣ نفساً من بحارته واقلع في النينا في السادس عشر من شهر يناير سنة ١٤٩٣ قاصداً اوربا وكانت البنتا قد افترت عنه فتبعته بعد اربعة ايام وبعد عناء شديد بلغ مرفأ لسبون في الرابع من شهر مارس فاستقبله ملك البرتغال بالاكرام والترحاب

وكان بلاط الملكة ايزابلا في برشلونة فضى كولمبوس اليها فاستقبلته هي وزوجها ورجال بلاطهما وقص عليهم اخبار سفره وأراهم بعض ما أتى به من الذهب والفضة والاسلحة والنباتات الغريبة والطيور والوحوش وتسعة من هنود اميركا جاء بهم معه . فافر الملك والملكة على ما منحاه قبلاً من الالقاب والامتيازات ونودي قدامه كعظيم من عطاء اسبانيا وصنع له ترس عليه شعار قشتالة وليونة اي القصر والاسد

وفي الخامس والعشرين من شهر سبتمبر اقاع بثلاث سفن كبيرة واربع عشرة سفينة صغيرة و ١٥٠٠ رجل وكثير من الادوات اللازمة للاستعمار فبلغ جزائر الهند الغربية التي بلغها اولاً واكتشف جزائر كثيرة لم يكتشفها قبلاً وبلغ جزيرة هايتي فوجد المستعمرة التي انشأها فيها قد لعبت بها ايدي سبا فعزم على انشاء مستعمرة غيرها الى الآن كان كولمبوس يكتشف الجزائر التي لم تراها عين الاوربيين قبله فنجح في ذلك نجاحاً ينياً ولكنه حلما شرع في استعمار تلك الجزائر واستخراج الذهب منها وسلب الغنائم من اهلها توالى التوائب عليه لان هواء البلاد لم يوافق الاسبانيين واهاليها الذين رحبوا بهم اولاً ثم قلبوا لهم ظهر المجن الآن وقابلوهم بالعدوان . ومرض هو حتى كاد يقضي نحبه ولما شفي رأى ان لا بد له من اخذ الهنود بالقوة فاسر منهم خلقاً كثيراً وارسلهم الى اسبانيا فبيعوا فيها عبيداً وضرب الجزية الفاحشة على الذين بقوا في البلاد منهم

وقام له خصوم في بلاط اسبانيا حسداً فوشوا به واوغروا الصدور عليه فبعث الملك والملكة واحداً يبحث عن اعماله فاجس كولمبوس شراً وعاد الى اسبانيا في ١١ مارس سنة ١٤٩٦ فوصل الى قادس في ١١ يونيو واقنع الملك والملكة باستقامته ونجاح عمله وطلب منهما ثمانى سفن للاستعمار وست سفن لمواصله الاكتشاف . ولم تكن خزينة اسبانيا في حالة راضية لكن الملكة كانت شديدة الرغبة في اجابة طلبه وجهزت له ست سفن فاقلع بها في ٣٠ مايو سنة ١٤٩٨ وبعد عناء شديد رأى احد

البحارة ارضاً لم يروها قبلاً وثلاث اعداد اي تلال فيها فسموها ترينداد اي الانداد
الثلاث وهو اسمها الى اليوم . وفي غرة اغسطس سنة ١٤٩٨ رأى طرف البر من قارة
اميركا الجنوبية فظنه جزيرة وظل يسير غرباً وهو يرى الرؤوس الناتئة من البر
فيظنها جزائر الى ان رأى الماء الغزير الذي ينصب من هر اورينوكو فحكم ان البلاد
قارة كبيرة وانها هي ضالته المنشودة

ثم اقتقد المستعمرات التي انشأها في طريقه فوجدها في حالة يرثى لها لان اهاليها
ثاروا بالسكان او ثار السكان بهم ونشبت الحروب بينهم وسفكت الدماء واسر رجاله
كثيرين من السكان وبعثوا خمس سفن الى اسبانيا مشحونة بالاسرى عبيداً . فاغتازت
الملكة ايزابلا من ذلك وقالت من اباح له ان يأسر هؤلاء المساكين وامرت ان
ينادى في اشبيلية (Seville) وغرناطة وغيرها من المدن الكبيرة بعتق كل العبيد
الذين آتى بهم من جزائر الهند الغربية اخيراً . فاغتاز الذين اتوا بهم من هذه الخسارة
ولم يجدوا سبيلاً لتتفيس كربهم إلا بالتظلم من كولبوس واخويه واجتمعوا في ساحة
الحمراء وعلا صياحهم فاصغت الملكة اليهم وعينت رجلاً اسمه بوبادلا حاكماً على هايتي
وامرته ان يزع الولاية من كولبوس ويبحث عن حقيقة الشكاوي ويرفع
ظلامة المتظلمين

وكان كولبوس قد اخذ ثورة الثائرين في هايتي ونصّر اهاليها واستخرج كثيراً
من الذهب حتى بلغ نصيب الدولة الاسبانية منه ستين مليوناً من الريالات ولكن
وصل بوبادلا الوالي الجديد حينئذ واستولى على بيت كولبوس وقبض عليه وعلى
اخويه ورفعت الشكاوي عاينهم بهم مرتشون ظالمون عتاة حتى رأى كولبوس انه غير
ناج من القتل لكن بوبادلا لم يقتله بل كبله بالقيود هو واخويه وبعث بهم الى اسبانيا
وكان ربان السفينة التي ارسلوا فيها على جانب من الشهامة فاراد ان يفك قيود
كولبوس فلم يقبل بذلك بل قال له يجب ان تبقى هذه القيود كما هي الى ان يفكها
الملك والملكة ثم احتفظ بها تذكراً للجزاء الذي نلته . وفعل كما قال وعلق هذه
القيود بعد ذلك في غرفته لتدفن معه بعد موته

ووصلت السفينة بكولبوس واخويه وهم في القيود وكتب كولبوس الى السيدة
التي كانت تربي ابنة الملك كتاباً يلين الجمد بما فيه من التظلم والتذلل واطلعت عليه
الملكة فرقت له ورثت لحاله ومال اليه كل اهل البلاد ففكت قيوده وقوبل بالاكرام

والاجلال حتى يقال ان الملكة بكت لما سمعته يقص قصته . وعزل بوبادلا من الولاية وعين وال آخر بدلاً منه وانهاالت الهبات الملكية على كولمبوس ولكن لم يرد الى ولاية البلاد التي اكتشفها

وكانت نفس كولمبوس لا ترضى بالسكينة والراحة فطلب ان يجهز بسفن اخرى ليذهب ويكتشف طريقاً يصل الى المشرق الاقصى الى املاك البرتغاليين في اسيا فاعطي اربع سفن و ١٥٠٠ بحاراً وامر ان لا يدخل جزيرة هايتي فاقلع من قادس في ٩ مايو سنة ١٥٠٢ واكتشف جزيرة مرتنيك في ١٣ يونيو وثارت عليه العواصف فاضطرته ان يلجأ الى هايتي ولكن واليها منعه من النزول فيها . وبعد مشاق يطول وصفها وصل الى البرزخ الموصل بين اميركا الشمالية واميركا الجنوبية فوجد هناك ذهباً كثيراً وانشأ مستعمرة ترك فيها ثمانين من رجاله ولكن تارت الفتن بينهم وبين السكان الاصليين حالاً فاضطر ان يترك لهم سفينة من سفنه ليعودوا بها الى وطنهم وعاد هو بطريق كوبا واخذ الزاد من اهلها وسار الى جمايكا وجنحت سفنه هناك في مكان يسمى كهف خريستوفورس الى الآن وهش له السكان وانزلوه على الرحب والسعة لكن رجاله اساءوا اليهم فابتعدوا عنه ومنعوا عنه الزاد الى ان انبأهم بحسوف قريب فخافوه وعادوا الى اكرامه . وكان قد ارسل يطلب النجدة من الجزائر الاخرى التي نزلها الاسبانيون فاتته سفينتان عاد بهما الى اسبانيا فبلغها في ٧ سبتمبر سنة ١٥٠٤ بعد عناء شديد ومخاطر كثيرة

وتوفي في ٢٠ مايو سنة ١٥٠٦ ودفن في اسبانيا اولاً ثم نقل الى هايتي ودفن في كنيستها . ولما انتقل قسم اسبانيا من تلك الجزيرة الى فرنسا نقلت رفاته الى هايتي بكوبا . ويقال ان رفاته لا زال في هايتي والتي نقلت اما هي رفات ابنه ففي سنة ١٨٧٧ وجد قبر في كنيسة هايتي عليه حروف تدل على انه قبر « مكتشف اميركا الاميرال الاول » وعلى التابوت الذي فيه ثلاثة حروف C.C. A. خريستوفورس كولمبوس الاميرال

وكان كولمبوس طويل القامة كبير العينين جميل المنظر شاب شعره وهو في الثلاثين من عمره . وكان غير متأنق في مأكله ومشربه ولباسه شديد التدين يكثر من الصوم والصلاة حتى يظن من يراه انه من الرهبان . عالي الهممة يقتحم المخاطر لنيل مقاصده غير مبال بخداع المخادعين وختل المخاتلين (مقتطف اكتوبر سنة ١٩٠١)

اميركوس فسبوشيوس (١٤٥١ - ١٥١٢)

الرائد الذي دعيت قارتا اميركا باسمه

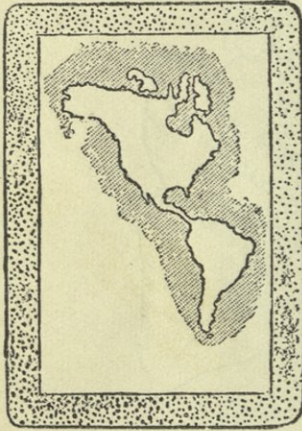
بسطنا الكلام في الفصل السابق على كولمبوس مكتشف اميركا للاوربيين . ولا بد من ان يستغرب القراء ان تلك القارة العظيمة لم تسم باسمه بل باسم رجل آخر اميركوس فسبوشيوس وهو رجل من اهالي فلورنسا كان كاتباً في بيت مديشي اشهر تجار تلك المدينة وارسله هذا البيت الى اسبانيا سنة ١٤٩٠ فاقام في قادس ثم انتقل الى اشبيلية وانتظم في خدمة تاجر فلورنسي اسمه براردي وهو الذي هيا السفن لرحلة كولمبوس الثانية سنة ١٤٩٣. ثم اخذ في اعداد اثنتي عشرة سفينة لملك اسبانيا ولكنه توفي سنة ١٤٩٥ قبل ان يعهدا فطلب من اميركوس ان يتم اعدادها

ولا دليل على ان اميركوس سافر مع كولمبوس في سفرته الاولى ولا في سفرته الثانية ، ولكن لا بد من انه كان يعرفه ويعرف ايضاً ان ملك اسبانيا استرجعه بعد سفرته الثانية ونزع منه الامتياز الذي اعطاه اياه اولاً . وكان كثيرون قد رغبوا في الرحلة الى العالم الجديد ويقول اميركوس انه رحل مع بعضهم اليه في اواسط سنة ١٤٩٧ فبلغوا بره في ٢٧ يوماً . فان كان صادقاً في وصفه فيكون قد بلغ مع رفاقه خليج كميشي في الطرف الجنوبي من خليج المكسيك ثم داروا شمالاً وشرقاً حتى بلغوا رأس سابل في طرف فلوريدا الجنوبي من الولايات المتحدة الاميركية وساروا منه شمالاً الى رأس هتراس شرقي ولاية كارولينا الشمالية . وعادوا الى اسبانيا فبلغوها في الخامس عشر من اكتوبر سنة ١٤٩٨

وسافر اميركوس مرة ثانية في ١٦ مايو سنة ١٤٩٩ فبلغ شاطيء برازيل عند رأس سنت روك وسار من هناك شمالاً حتى بلغ مصب نهر الامازون وعاد الى اسبانيا فبلغ مرفأ قادس في ٨ سبتمبر سنة ١٥٠٠ ودخل في خدمة عمانوئيل ملك البرتغال وسافر الى برازيل في ١٠ مايو سنة ١٥٠١ فبلغ ريو جنارو في غرة يناير سنة ١٥٠٢ فسميت باسم ذلك الشهر وهي عاصمة بلاد برازيل الآن وعاد الى لسبون فبلغها في ٧ سبتمبر سنة ١٥٠٢ ثم سافر سفرة رابعة سنة ١٥٠٣ قام من لسبون في العاشر من

يونيو بست سفن قاصداً ان يصل الى ملقا في اقصى الهند بالسير غرباً وافتقت سفينته عن سفن رفاقه فبلغ رأس فريو شمالي ريو جنارو حيث بنى حصناً . وعاد الى لسبون فبلغها في ١٨ يونيو سنة ١٥٠٤ وانتقل منها الى اسبانيا في السنة التالية ورجع الى خدمة الملك فردينند واقام في اشبيلية ويقال انه سافر بعد ذلك مرتين الى اميركا فبلغ برزخ بناماوعين رباناً اكبر سنة ١٥٠٨ وتوفي سنة ١٥١٢

فان كان خبر اميركوس صحيحاً فيكون قد اكتشف بر اميركا قبل كولمبوس وقبل كابوت البندقي نزيل انكلترا الذي سار اليها بامر من الملك هنري السابع سنة ١٤٩٧ فوصل الى الارض الجديدة في ٢٤ يونيو من تلك السنة وسار امام شاطئ اميركا الشمالية الى حد فلوريدا وذلك قبلما رأى كولمبوس البر بنحو سنة من الزمان . والظاهر انه



(الشكل الثالث)



(الشكل الثاني)



(الشكل الاول)

اقنع اهل زمانه بصحة خبره سواء كان صحيحاً او غير صحيح فكتب بعضهم مقدمة جغرافية سنة ١٥٠٧ قال فيها « لقد كشفت قارة خامسة من قارات الارض كشفها اميركوس ولذلك سمينها اميركا » . وقال في مكان آخر لقد « كشف اميركوس فُسبوشوس قارة رابعة فلا ارى ما يمنع تسميتها باسمه اميركا » فسميت باسمه ثم بحث همبلت الشهير عن دعوى اميركوس فرأى ادلة قوية على فسادها ولكن كان ذلك سنة ١٨٣٧ اي بعد ان اشتهر اسم اميركا باكثر من ثلثمائة سنة وحالما اشتهر اكتشاف كولمبوس وغيره من الذين اقتفوا خطواته جعل الناس

يظنون الظنون في شكل العالم الجديد واخذ صانعو الخرائط يجمعون اخبار الذين رأوه لكي يصاحوا خريطة العالم . والظاهر ان اول خريطة رسمت له كانت في شعار كولمبوس نفسه على ترسه كما ترى في الشكل الاول المرسوم ههنا ويقال ان كولمبوس نفسه رسم هذا الرسم على ترسه ممثلاً به مرفاً من مرفاً اميركا التي دخلها والجزائر امامه . وضاع هذا الرسم فلم ينتبه احد له الى ان اظهره العلامة هبلت في القرن الماضي ويتلو هذا الرسم في القدم والبعد عن الحقيقة رسم صنع سنة ١٥٠٠ جعلت فيه قارة اميركا مربعة كما ترى في الشكل الثاني وكتب فيها ما معناه (العالم الجديد) فكان ذلك قبل ان اطلق عليه اسم اميركا . قابل هذا الشكل بالشكل الثالث الذي يليه وهو خريطة اميركا الشمالية والجنوبية حسبما تعرف اليوم تجد بينهما بوناً شاسعاً لان

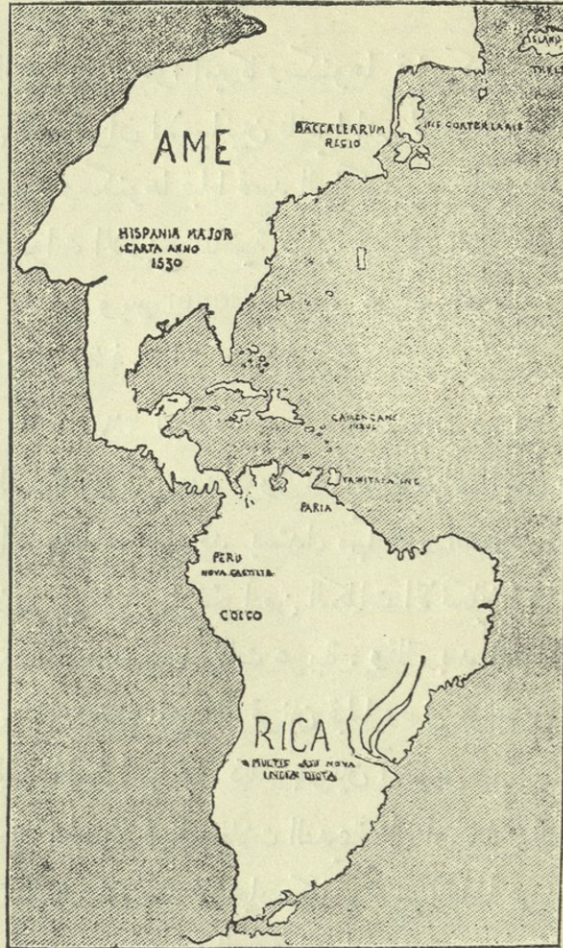


(الشكل الرابع)

البلاد تغير شكلها فانها لم تتغير منذ الوف كثيرة من السنين بل لان معرفة الناس بها زادت رويداً رويداً حتى بلغت حد الكمال وقد تدرجت اليه تدرجاً شأن كل معارف البشر

ومن الخرائط القديمة التي رسمت لاميركا بعد ان اطلق عليها هذا الاسم خريطة شورن Schöner المرسومة في الشكل الرابع رسمها سنة ١٥٢٠ ويظهر منها ان اميركا الشمالية لم تكن معروفة حينئذ لان المرسوم هنا هو اميركا الجنوبية وجزيرة كوبا وجزيرة ازابلا واسبانيولا

وتوالى عمل الخرائط الى ان قام مركاتور الشهير ورسم خريطة اميركا الشمالية



الشكل الخامس

والجنوبية رسماً يقرب من الحقيقة كما ترى في الشكل الخامس وعلى خريطته تاريخ سنة ١٥٣٠ ولكن يقال انه رسمها سنة ١٥٤١

(مقتطف نوفمبر سنة ١٩٠١)



العربية في اميركا قبل كولمبوس

ان يكون الناس قد دخلوا اميركا وسكنوها قبل كولمبوس وقامت لهم دول فيها اينع عمرانها حتى فاق عمران الاسبانيين فالحجها امر لا جدال فيه، واما ان يكون العرب قد وصلوا الى اميركا وسكنوها قبلما قصد اليها كولمبوس فامر قلما خطر على بال احد . لكن نشر في السنوات الاربع الماضية كتاب كبير في ثلاثة مجلدات الفه عالم من علماء جامعة هارفرد اسمه ليو وينر Leo Wiener عنوانه افريقية وكشف اميركا اثبت مؤلفه وجود كلمات عربية في لغات هنود اميركا

يعرف هذا المؤلف ٢٦ لغة وقد شرع منذ سنوات في تعلم لغات هنود اميركا كما دونها المرسلون اليسوعيون (في عهد كورتز القائد الاسباني الذي فتح المكسيك) ليري ما فيها من الكلمات والتعابير التي قد يستدل منها على الشعوب الذين اتصلوا باولئك الهنود في غابر الزمن فوجد فيها كثيراً من الكلمات الانكليزية والاسبانية والفرنسوية والبرتغالية واقدم من هذه كلها كلمات عربية . وقال بعد نشر كتابه انه يرجع اقدم هذه الكلمات الى سنة ١٢٩٠ اي الى قرنين قبلما وصل كولمبوس الى اميركا وقد يكون اصحاب تلك الكلمات اتصلوا بها قبل ذلك بقرنين آخرين

وتدل المباحث الحديثة في السجلات القديمة على ان سفن التجار كانت تخرج من اوقيانوس الاتلنتيكي كل سنة للتجار وكانت تخفي اعمالها عن غيرها حتى تبقى مستأثرة بالكسب . ومن ذلك ان البيوت التجارية في ديب وروان من ثغور فرنسا كانت ترسل سفنها الى غانة على الشاطيء الغربي من افريقية قبل زمن كولمبوس بمائة سنة لطلب الذهب والعاج والطيوب والجلود والحجارة الكريمة وما اشبهه . والمرجح انها كانت ترسلها الى اميركا الجنوبية أيضاً . وانه كان لهذه البيوت نظام تجاري كنظام البيوت التجارية الآن من غير ابهة لكي يبقى عملها سراً فلا يكثر المزاحون لها ، ولكي لا يطمع بها الملوك والحكام فيقاسموها ثروتها ، ولذلك كانت سفنها تخرج من مرافئها خلسة وتعود اليها خلسة . وقد ثبت الآن ان مدينة ديب بقيت مركزاً لهذا النوع التجارة بضعة قرون قبل ولادة كولمبوس . وكان كل ربان سفينة يصف لمستخدمه حين رجوعه ما شاهده في اسفاره . ودامت الحال على هذا المنوال الى سنة ١٦٩٤

حين نشبت الحرب بين فرنسا وانكلترا فاطلق الانكليز مدافعهم على ديب وخربوها وخربوا بيوت اولئك التجار واتفقوا كل ما فيها

ولكن كان للتجار في ذلك العصر مشاكل ودعاوى كما لهم الآن، وكانوا يرفعون دعاويهم الى مجلس القضاء فتسجل في سجلات المحاكم بالتفصيل، وقد وجدت هذه السجلات ووجد الباحثون فيها حوادث كثيرة بتواريخها المختلفة، من ذلك انه كان في مدينة ديب بيت تجاري اسمه بيت اغنوت بقي رويشيد عصره من سنة ١٤٧٠ الى سنة ١٥٥١. وكان قد صار في مقام رفيع من الثروة واتساع التجارة سنة ١٤٧٠ دلالة على انه نشأ منذ سنين كثيرة قبل ذلك. وتدل الدلائل ايضاً على انه كان لمدينة ديب تجارة واسعة مع ساحل غانة في غرب افريقية قبلما ادعى البرتغاليون اكتشافها سنة ١٤١٩ وان رجلاً فرنسويًا اسمه جان كوزن وصل بسفنه الى برازيل سنة ١٤٨٩ ثم عاد وسار محاذياً لساحل افريقية الجنوبي الى ان وصل الى رأس الرجاء الصالح ثم عاد ادراجه الى ديب، وكان معه لما خرج من ديب وسار غرباً رجل اسباني اسمه بنزون وهو شجاع حاد الطبع فاختلف مع بعض السكان واطلق عليهم النار فأنبهه رئيسه وقاصه ولما عادت السفن الى ديب شكاه الى الحكومة فاخذت الجواز منه ومنعته من السفر بجزراً فعاد الى اسبانيا ماشياً فلقية كولمبوس واخذه معه هو واخوين له وسلمه قيادة سفينة من سفنه الثلاث واعتمد على خبرته. ويقال في مذكرات كولمبوس ان بنزون هذا كان يحاول السير جنوباً اي الى جهة برازيل التي عرفها من قبل وكان كولمبوس يشكو من حدة طبعه. ولما وصلوا الى البر انقرد بنزون بسفينته وسار بها جنوباً واستمر سائراً ثلاثة اسابيع ولقيه كولمبوس صدفة عند ساحل كوبا الجنوبي. ويظهر من ذلك ان بنزون هذا كان قد وصل الى اميركا قبل كولمبوس، وان كولمبوس كان يعلم ذلك وانه اخذه معه كمرشد له

وقد ذكر كولمبوس لدى رجوعه من رحلته الثالثة انه وجد زنجياً في البلاد التي كشفها اي في اميركا وذكر ايضاً ان الهنود (اي سكان اميركا) الذين لقيهم في رحلته الاولى اهدوا اليه شيئاً من الجوانين (ومعنى الجوانين في ذلك العصر شذور الذهب الممزوج بالنحاس التي كان يؤتى بها من غانه في الجنوب الغربي من افريقية ومنها اسم الجنيه بالانكليزية) وعليه فكولمبوس وجد في اميركا زنجياً وذهباً افريقياً فلا بد من ان يكون قد سبقه اليها اناس معهم الزنوج وشذور الذهب الافريقي الممزوج

بالنحاس^(١) والظاهر ان كولمبوس اخذ معه زنجياً افريقيين ليكونوا تراجعاً بينه وبين هنود اميركا لان الزنوج الذين فيها يعرفون لغة اهلها. واولئك الزنوج خلاسيون اي ان اباؤهم من البيض وامهاتهم من الزنوج فزنوج افريقية عرفوا اميركا قبل كولمبوس وفوق ذلك فقد ذهب بعض الباحثين الان الى ان عمران الازد والمايه عمران عربي محض ، وان الازد والمايه مستعمرات عربية وجدت في اميركا بين سنة ١١٥٠ وسنة ١٢٠٠ للميلاد، والعمران العربي بلغ اوجه في افريقية في القرن التاسع المسيحي وامتد جنوباً الى مندنجو في غرب افريقية ومن هناك وصل الى مشواكان على شاطئ خليج المكسيك لان آثار العربية في لغات اميركا ترد كلها الى ذلك المكان والى مندنجو وهي الكلمات التي تبقى عادة من لغة الغالب في لغة المغلوب كالكلمات الطبية والسياسية . ولما انقطع اتصال العرب باميركا ذوى عمران الازد والمايه لانه كان مبنياً عليهم وكان في اساسه تجارياً. هذا وقد لخصنا ما تقدم من مقالة للمستر برتن كلين في جزء فبراير من مجلة العالم اليوم World Today وابناء العربية في هذا القطر وسائر الاقطار اخرى الناس بالبحث عن صحة هذا النبأ . ونحن نستبعد ان يكون العرب دخلوا اميركا ولم ينشروا فيها الاسلام او ان يكون الاسلام انتشر فيها ثم انقرض منها قبل وصول الاسبانيين اليها، ولكننا نرجح ان يكون الذين ادخلوا اليها الكلمات العربية اناساً من البربر او من الافريقيين الذين تعلموا العربية، فان ابن بطوطة الرحالة المشهور الذي ضرب في اكثر البلاد الافريقية شرع في رحلته سنة ١٣٢٤ للميلاد سنة (٧٢٥ هـ) فوجد العربية منتشرة فيها . وكان ذلك قبل رحلة كولمبوس الاولى باكثر من ١٥٠ سنة . ولا يمكن القول الفصل في هذه المسألة إلا بعد الاطلاع على كتب وينز والوقوف على أدلته واسانيدته وعمى ان يهتم المطلعون على التواريخ والرحلات العربية بالبحث عما فيها مما يؤيد ذهاب العرب الى اميركا بين القرن التاسع والخامس عشر غير حديث الاخوة المغرورين لان ذلك الحديث لا يروي غليلاً ولا يبعد ان يوجد في مكاتب اسبانيا والمغرب الاقصى وتونس والجزائر والقيروان ما يشير الى اسفار تجار العرب في تلك القرون كما وجدت رحلة ابن بطوطة. ومن العار علينا ان يعرف رجل اميركي من تاريخ العرب وآثارهم في اميركا اكثر مما نعرف نحن (مقتطف اغسطس سنة ١٩٢٦)

(١) كانوا يمزجون الذهب بقليل من النحاس حتى يصاب ويلمع اذا صقل وقد حلت شذور الذهب التي جاء بها كولمبوس من اميركا فوجد فيها من النحاس قدر ما يوجد في شذور غانة

مجلان

اول من طاف حول الارض

ولد في البرتغال سنة ١٤٨٠ وكان ابوه من اشرف البلاد فنشأ في حاشية المملكة لنور زوجة الملك يوحنا الثاني ملك البرتغال . ثم اتصل بحاشية الملك مانويل خلف الملك يوحنا ولما كان في الرابعة والعشرين من عمره انضم الى المتطوعين الذين سافروا في ركاب اول نائب عن ملك البرتغال الى بلاد الهند . وخاض في الهند معارك كبيرة ابلى فيها بلاءً حسناً وجرح في معركة كنانور وشهد افتتاح مدينة ملقا وسافر شرقاً لاكتشاف جزائر الافاويه فر من شمال جزيرة جاوى فبينها وبين جزيرة مدورا ثم قطع ارخييل سلييس حتى وصل الى جزيرة بندا فوجد فيها من الافاويه ما يفوق الوصف فقفل راجعاً الى ملقا . وفي هذه الرحلة شهد امامه انبساط الاوقيانوس الشرقي الذي دعاه بعدئذ بالباسفيكي اي الهادى وهو اسمه الى الآن

عاد الى البرتغال سنة ١٥١٢ بعد ما نال لقب قبطان جزاء له على شجاعته ومهارته وفي سنة ١٥١٣ رافق الحملة البرتغالية التي سافرت الى شمال افريقية لافتتاح مدينة في المغرب الاقصى فجرح في الحصار ولكن البرتغاليين افتتحوها عنوة . واهم بعد ذلك انه خان وطنه بمحاولته الاتفاق مع البربر لكنه نفى هذه الهممة بوثائق ايدت اقواله : على ان مليكه كان قد اخذ يصرف نظره عنه لسبب مجهول وافهمه انه لا يريد في بطانته فغادر بلاده الى اشبيلية فوصلها في ٢٠ اكتوبر سنة ١٥١٧ ومنها ذهب الى بلاط ملك الاسبان في فلادوليد فتخلى عن جنسيته البرتغالية وتقلد الرعوية الاسبانية بواسطة رجل برتغالي الاصل ذي نفوذ كبير في بلاط ملك اسبانيا

وزوج مجلان ابنة هذا الرجل فساعده في ان يعرض على الملك المشروع الذي اعده للطواف حول الارض ويتلخص هذا المشروع في محاولة الوصول الى جزائر الافاويه بالسفر غرباً . وكان مجلان يأمل ان يكتشف عند طرف اميركا الجنوبية مضيقاً يتصل منه الى الجانب الآخر من اميركا وقال انه مستعد للسفر جنوباً الى ان يبلغ الدرجة ٧٥ من العرض الجنوبي لاكتشاف هذا المضيق . وساعده في اعداد خطته فلكي برتغالي نفى من بلاده يدعى فاليرو . وفي ٢٢ مارس سنة ١٥١٨ وقع مجلان

وفالير و وثيقة رفعت الى ملك اسبانيا وعدا فيها بان يكون لهما $\frac{1}{3}$ من كل الغنائم التي يصيبانها والباقي يعود لحكومة اسبانيا لقاء مساعدتها المادية والادبية، ومنحا ايضاً الحق في اقامة حكومة في كل البلدان التي يكتشفانها يتولاها ابناؤهم واحفادهم بالوراثة . وفي



مجلان اول من طاف حول الارض

العاشر من اغسطس سنة ١٥١٩ اقلع الاسطول الذي اعدته له الحكومة الاسبانية وهو مؤلف من خمس سفن اكبرها سفينة تدعى سانت انطونيو محمولا ١٢٠ طناً

والثانية ترنداد ومحمولها ١١٠ اطنان وكانت هذه السفينة امتن السفن كلها فجعلها
مجلان « سفينة العلم » ثم الكونسبسيون ومحمولها ٩٠ طناً والفتوريا ومحمولها ٨٥ طناً
وستياغو ومحمولها ٧٥ طناً . ولم يعد الى اسبانيا من كل هذه السفن سوى الفتوريا
كما سيجيء . وكان عدد الرجال الذين سافروا معه ٢٧٠ رجلاً أو ٢٨٠ اكثرهم
اسبان وبيهم ٥٧ على اقل تقدير من البرتغاليين و٣٠ من الطليان من (جنوى) و١٩
من الفرنسيين وانكليزي واحد والماني واحد رجوع منهم في السفينة فتوريا ٣١ رجلاً
اما فاليرو الفلكي فتخلف عن السفر لانه استطاع مصير الرحلة بوسائله الفلكية فزعم
انها صائرة الى الاخفاق ورجاها الى الهلاك . وجملة ما انفق على تجهيز هذا الاسطول
بلغ ٥٠٣٢ جنياً وقيمتها حينئذ تساوي نحو ١٥٠ الف جنيه من نقودنا الآن

اقلعت السفن في ١٠ اغسطس متجهة الى الجنوب الغربي وفي ٢٩ نوفمبر لمح مجلان
جنوب اميركا عند رأس سانت اغسطين ومن ثم سار محاذياً لشواطئ اميركا الجنوبية
حتى وصل الى مصب نهر لابلاتا فوقف فيه يبحث عن منفذ منه الى الجهة الاخرى
من اميركا . وفي آخر مارس من السنة التالية وصل الى بورت سانت جوليان وهي على
الدرجة ٤٩ والدقيقة ٢٠ من العرض الجنوبي فقضى فيها الشتاء . ووطد علائق
الصداقة مع اهلها واطلق عليهم اسم البتاغونيين اي ذوي الاقدام الكبيرة

وغادر مرفأ سانت جوليان في ٢٤ اغسطس سنة ١٥٢٠ وبعد مسيرة شهرين
تقريباً كشف رأس الاحد عشر الف عذراء عند مدخل المضيق المعروف الآن
بمضيق مجلان في طرف اميركا الجنوبية . وطول هذا المضيق ٣٦٨ ميلاً وهو حافل
بمخاطر البحار فقضى ٣٨ يوماً في اجتيازه بعد ما انفصلت عنه سانت انطونيو اكبر
سفن الاسطول . وفي ٢٨ نوفمبر عقد مجلساً من ضباط السفن وربانها لينظروا في
مداومة السفر ، الا انهم بلغوا منتهى هذا المضيق الخطر في ٢٨ نوفمبر واطلوا على
« البحر الجنوبي العظيم » فدعاه مجلان بالباسيفيك اي الهادى لهبوب ربح لطيفة ساقط
المراكب في تؤدة وطمانينة

وقضى مجلان ورجاله ٩٨ يوماً في اجتياز هذا الاوقيانوس الزاخر الذي « يفوق
التصور في اتساعه » ولم يكشفوا في هذه المدة سوى جزيرتين . وكان الطعام معهم قد
قارب النفاذ فلم يبق معهم سوى ماء قليل آسن وبسكويت عفن . واخذ داء الاسكر بوت
يتمتلك بهم وعضهم الجوع بنابه حتى صارت الجرذان وجلود الثيران والنشارة اكلاً

يُحسد عليه من يستطيع الوصول اليه . اخيراً وصلوا جزائر لادرون في ٦ مارس سنة ١٥٢١ وقد دعاها مجلان كذلك لتقشي اللصوصية بين سكانها والراجح ان المرفأ الذي رسوا فيه كان مرفأ جوام . هناك اخذ الاسطول عدته من الماء والطعام وبعد ثلاثة ايام اقلعوا منها متجهين الى الغرب فساروا سبعة ايام شاهدوا في نهايتها جزيرة سامار وهي من جزائر الارخبيل المعروف الآن بالفيلبين . وفي ٧ ابريل وصلوا الى جزيرة سيبو في قلب الارخبيل فتصادق مجلان مع اميرها المشهور بالغدر وكان يدعي انه مسيحي ليستخدم مجلان ورجاله في قضاء ما ربه . وجهاز مجلان حملة لاكتساح جزيرة مكتان ليضيفها الى امارة صديقه وينشر فيها الدين المسيحي فقتله بعض سكانها في ٢٧ ابريل سنة ١٥٢١ فاتفق امير سيبو مع نفر من رجال الاسطول لينضموا اليه، ولما صاروا في قبضته ذبح الاغنام وبيهم جوان سرانو احد اميري البحر الذين انتخبوا ليخلفا مجلان في قيادة الاسطول فاحرق الباكون احدى سفنهم وغادروا الفيلبين الى ملقا وبورنيو . وظهر خلل في السفينة ترناداد فتخلفت عن المسير في جزيرة تدور . فتولى قيادة السفينة الباقية « فتوريا » رجل يدعى جوان سبساتيان دل كانو واقلع بها متجهاً الى اوروبا في ٢١ ديسمبر سنة ١٥٢١ ولقي من المشاق والمصاعب في رحلته حول رأس الرجاء الصالح ما يفوق الوصف . ولما بلغوا جزائر الرأس الاخضر اسر البورتغالون ثلاثين من رجالها فلم يصل الى اشيلية من رجال الاسطول الاصلين سوى ٣١ رجلاً وكانت الفتوريا السفينة الاولى التي طافت حول الارض

ومع ان مجلان لم يصل الى جزائر الافاويه التي كانت غايته لانه قتل في الفيلبين لكن غرضه كان قد تحقق لانه في رحلته الاولى كان قد قطع خط الطول الذي وصله قبيل قتله وكانت طريق البحر من ملقا الى اوربا معروفة لدى البحارة الاسبان والبرتغالين ومع ذلك لم ينل اسمه ما يستحقه من الظهور في التاريخ الا ان العلماء يرون انه واحد من الرواد العظام الذين نذكر في مقدمتهم كولمبس وماركو بولو . فانه حقق الخطة التي تخيلها كولمبس وطوافه حول الارض يوازي اكتشاف اميركا ، كلا العمليتين في الطبقة العليا بين اعمال المكتشفين والرواد

(مقتطف مارس سنة ١٩٢٦)

فاسكو دي غاما

مكتشف طريق الهند بحراً

احتفل البورتغاليون في الاسبوع الاخير من سنة ١٩٢٤ في عاصمتهم لشبونة والفرضة البحرية تاغوس بانقضاء اربعمائة عام على موت الرحالة الشهير فاسكو دي غاما مكتشف طريق الهند برأً وصاحب الفتوحات الكثيرة على سواحل افريقية الجنوبية والشرقية . واشتركت في هذا الاحتفال بوارج كثيرة من اساطيل الدول

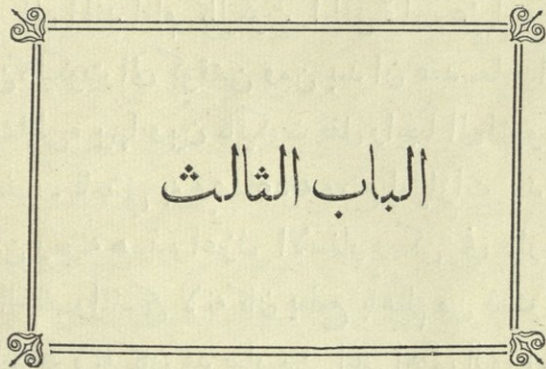
ولد دي غاما سنة ١٤٦٠ في بلدة سينز بمقاطعة المتيجو من اعمال البورتغال . وما يعرف عن حياته قليل جداً . لكن اكتشاف كولمبوس لأميركا سنة ١٤٩٢ ورحلات بعض البحارة من الاسبان والبورتغاليين وغيرهم كان باعثاً لعمانويل الاول ملك البورتغال على ان يجهز اسطولاً من المراكب الكبيرة للسفر الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح ووضع على رأسه فاسكو دي غاما الذي اشتهر من قبل في حروب البورتغال مع قشطالة وعرف بمهارته في سلك البحار

« نخرج فاسكو من مرفأ لشبونة باحتفال عظيم وشيعة الملك وعظاؤه ورجال بلاطه بين هتاف الرجال وزغرودة النساء . فاجتاز السواحل الغربية واستولى على جميع السواحل والبلاد التي مر بها في طريقه حتى وصل الى رأس الرجاء الصالح . ثم تحول بسفنه شمالاً واستولى على السواحل الشرقية فرسا أولاً عند بلاد سهاها نتال واخذ بلاد كفوروا واكتشف في طريقه مدغشقر وجزائر القمور وانجوان ولم يزل يسير شمالاً محاذياً السواحل حتى وصل الى بلاد سغالا (موزمبيق) فاحتلها ورفع عليها العلم البرتغالي وهناك اكتشف مناجم الذهب القديمة التي كانت معروفة منذ القدم عند المصريين والرومان والعرب . ويقال انها بلاد ترشيش التي ورد ذكرها في سفر الملوك وقيل ان سليمان الملك كان يأتي منها بالذهب والفضة والقرود والعاج والطواويس (ملوك اول ص ١٠) وبني فاسكو في اكثر البلاد التي احتلها القلاع والحصون ووضع فيها بعض الحامية من رجاله وجعلهم وكلاء له لشراء الذهب والعنبر والعاج وقد وجد الرحالون البرتغاليون في اسفارهم هذه كثيرين من تجار العرب عند شواطئ نتال والترنسفال وموزمبيق يحملون تراب الذهب في الاكياس وينقلونها الى سفنهم

ويأخذونها الى زنجبار وعمان وشبه جزيرة العرب
ثم استولى على كل الممالك العربية الافريقية الشرقية وهي قنوة وسعداني وشيكوه
وبثة وكلوه وبنجاني وملندة وكلها كانت ممالك زاهرة عامرة تحت حكم سلاطينها
المستقلين من العرب وقد ذكر ابن بطوطة اكثر هذه البلاد وحكامها في رحلته المعروفة
ولما وصل ورجاله الى مصب نهر زمبسي الكبير ركبوا فيه بسفنهم وبنوا على ضفته
القلاع والفرش وأقاموا فيها اناساً من قومهم للمحافظة عليها وفتحوا اسواقاً عظيمة للتجارة
ثم استولوا على بقية الشواطئ الشرقية فرسوا في ممبسة وكانت وقتئذ مدينة
تجارية عامرة فسروا بها لانهم لم يروا مدينة عظيمة مثلها وكان فيها بيوت فخمة وقصور
ومبان فاخرة واسواق عظيمة . قال ملطرون في جغرافيته القديمة « ان اهالي ممبسة
كانوا قبل دخول البرتغاليين من قبائل العرب العرباء وكلهم على حضارة يعيدشون بالبذخ
الترف وعندهم بعض العلوم والصنائع وكانوا مامين باحوال التجارة ولهم فيها طرق مفتوحة
في داخلية البلاد وسفنهم مخز في انهارها وتتجر مع عمان وحضرموت والهند
ثم استولى القبطان فاسكو على سلطنة ملندة شمالا وكانت زاهية زاهرة كثيرة المباني
واسعة التجارة ورأى فيها جماعة من البنيان وهم طائفة التجار الهنود فاخذ بعضهم الى سفنه
ليدلوه على طريق الهند . وبعد ان استولى على سلطنات لامو وملندة وكلوة ومغدشو
وجميع السواحل الشرقية وجزائرها وطد قومه اقدامهم فيها فبنوا فيها القلاع الحصينة
ولم تزل آثارها باقية الى الآن وعليها كتابات باعهم وعلى بعضها كتابات برتوغالية ازاء
الكتابة العربية القديمة » . ثم واصل اسفاره حتى وصل الى الهند ورسا في كاليكوت
على ساحل ملابار سنة ١٤٩٨ ونصب هناك عموداً من الرخام دليلاً على افتتاحه لتلك
البلاد جرياً على عادة سار عليها البورتغاليون قبله . والظاهر ان حاكم كاليكوت الهندي
احتفى به في البدء لكن التجار وذوي النفوذ خافوا على ضياع تجارتهم باكتشاف
سلك بحري حول رأس افريقية الجنوبي قد يحل محل الطرق التجارية البرية فاقنعوا
الحاكم بنهي دي غاما عن انشاء مستعمرة تجارية هناك . لكنه مكث مدة كافية اطلع
في خلالها على احوال الهند وثروتها العظيمة ثم عاد الى بلاده عن طريق رأس الرجاء
الصالح فوصل البورتغال في سبتمبر (ايلول) سنة ١٤٩٩ . واستقبله الملك احسن
استقبال واكرمه ومنحه الحق ان يلقب نفسه « بالدوم » وقطع له معاشاً وارصاً
وتبع رحلة دي غاما الى الهند رحلة اخرى مؤلفة من ثلاث عشرة سفينة بقيادة

بدرو الفارز كبرال مكتشف برازيل فأسس مستعمرة تجارية برتغالية حال وصوله الى كاليكوت ببلاد الهند وبعد عودته قام اهالي البلاد على البرتوغاليين الذين تركهم في المستعمرة وقتلوهم جميعاً . فاخذت حكومة البرتوغال تستعد للاخذ بالثأر فجهزت عشر سفن مسلحة في لشبونة عاصمتها والقيت مقاليد قيادتها الى كبرال اولاً ثم جعل دي غاما قائداً لها ومنح لقب اميرال الهند . وغادر البرتوغال في اوائل سنة ١٥٢٠ ولما وصل الى الهند امام كاليكوت اطلق قنابله عايتها ونزل الى البر فبطش بأهلها . ثم سار من كاليكوت الى كوتشن ومن بعد ان عقد معاهدات تجارية معها ومع مدن اخرى على الشاطئء بينها وبين كاليكوت قفل راجعاً الى لشبونة في سبتمبر ١٥٠٣ وسفنه مملانة بالتحف . فاحتفي به وبمساعديه ومنح امتيازات جديدة وزيد معاشه بعد رجوعه من رحلته هذه اعزل الاسفار وسكن في داره بايفورا إما لعدم رضائه عما ناله من العطف الملكي لانه كان يطمع بأعظم من ذلك او ليتمتع بامتيازاته الكثيرة وثروته الطائلة لانه كان قد صار من اغنى اهالي البورتغال وكان قد تزوج سنة ١٥٠٠ سيدة غنية من عائلة شريفة ولد له منها ستة اولاد . وبقي من مستشاري ملك البورتغال في مسائل الهند والسياسة البحرية الى سنة ١٥٠٥ ويؤخذ من وثائق تاريخية انه بقي متمتعاً بالعطف الملكي من ١٥٠٧ الى ١٥٢٢ . ومنح سنة ١٥١٩ لقب كونت على مقاطعة فيديجويرا

واتسعت فتوحات البورتغاليين في الشرق فعهد بادارتها الى خمسة حكام بالتتابع كان خامسهم ضعيف العزم سقيم الرأي فاخذت الامور في ايامه . فاستدعى الملك يوحنا الثالث خلف عمانوئيل فاسكو دي غاما من عزلته وسماه نائباً للملك في الهند فغادر لشبونة في ابريل سنة ١٥٢٤ ليتقلد منصبه الجديد وله من العمر حينئذ ٦٤ سنة وحالما وصل الى جوى عاصمة المستعمرة البرتوغالية في الهند بعد سفر خمسة اشهر اهتم باصلاح ذات الين فيها ولكن لم يفسح في اجله طويلاً ليم هذا الاصلاح لانه اصيب بحمى في كوتشن وتوفي ليلة عيد الميلاد سنة ١٥٢٤ ودفن فيها اي منذ اربعمائة سنة تم نقلت رفاته الى فيديجويرا سنة ١٥٣٨ فالى كنيسة القديسة ماريا في بلم سنة ١٨٨٠ وتتج عن رحلاته هذه ان زادت ثروة البرتوغال فصارت في المقام الاول بين دول اوربا في ذلك العصر ومهد السبيل للاستعمار الاوربي في الشرق باكتشاف طريق البحر اليه حول رأس الرجاء الصالح (مقتطف فبراير سنة ١٩٢٥)



الباب الثالث



الرواد المصريون القدماء^(١)

زعم المصريون الاقدمون ان بلادهم تشمل المسكونة كلها غير ان هذا الوهم لم يكن ليقى راسخاً في اذهانهم بعد ان امتدت التجارة الى بلادهم من البلدان المجاورة لها وسار ملوكهم الفاتحون شمالاً وجنوباً ودوخوا الاقطار البعيدة فعلموا حينئذ بوجود بلدان اخرى وشعوب آخرين

ويراد بالرواد الآن الرجال الذين يجوبون البلدان المعروفة لزيادة العلم بها او يكتشفون البلدان المجهولة للوقوف على احوالها مما يتعلق بالعلم. اما رواد ذلك الزمان فهم اول من اكتشف مجاهل الارض وابلغ نور التمدن اليها

ويتعذر التمييز بين التاريخ المصري القديم وما يتخلله من الاساطير الخرافية لكن الباحثين فيه قد اثبتوا بعد طول التنقيب ان المصريين القدماء استخرجوا الفيروز والنحاس من مناجم برية سينا في عهد الدولة الرابعة (منذ ٥٠٠٠ سنة) وان الملك صفرو اول ملوك تلك الدولة انشأ هناك مستعمرة مصرية. وقد اكتشف الميسو بنديت في تلك المناجم رسم الملك سوزيري من ملوك الدولة الثالثة فاثبت ان ذلك الملك اول من وسع تحوم مصر وعرّف اهل بلاده باهالي البلدان المجاورة لها. ويظهر انه هو الذي بنى السور بين اصوان وجزيرة الفتين وبنى الهرم المدرج في دهشور مدفناً له

وقد وجد عند سفح جبل سينا صحيفة من الحجر عليها صورة صفرو يقتل رجلاً بفأسه وتحته كتابة تعريها « الملك القدير ذو التاجين ملك الجنوب والشمال سيد الحق هورس الذهبي المعطي الحياة والسعادة الذي يشرح القلوب »

والظاهر انه كان لهذا الملك سلطان عظيم على رعاياه فدامت عبادته في مصر الى زمن البطالسة. وهو اول من وجد في آثاره اسماء النساء كاسم الملكة مرتيتف واسم ابنته نفر تكو وهما موصوفتان وصفاً رقيقاً

ووجد على صحور سيناء اسم خوفو من ملوك الدولة الرابعة وسكوري من ملوك

(١) حفرة الدكتور بونولا بك سكرتير الجمعية الجغرافية العام وهي خطبة تلاها في تلك الجمعية ولخصها بالعربية نسيم افندي برباري

الدولة الخامسة ويقال أنهما كانا يرسلان رجالاً من قبلهما لإدارة الأعمال في تلك المناجم

وشرع المصريون الأقدمون في الأسفار من عهد الدولة السادسة ، غير أنه يظهر من وجود خشب الأرز وبعض المعادن بين آثارهم القديمة ، أنهم كانوا يعرفون بوجود بلدان أخرى غير بلادهم قبل ذلك الوقت بزمن طويل . ولا ريب أن أمراء جزيرة الفنتين كانوا يتعدون الحدود الجنوبية ، وأن الطريق بين اصوان ورأس بناس (على البحر الأحمر) كانت مطروقة منذ عهد قديم ، وأن السفن المصرية كانت تبحر البحر الأحمر حينئذ . وكانوا يسمون سكان البلاد التي جنوبي اصوان باسم توكنس اي الرماة والذين الى جنوبيهم باسم المتعشمين او الاعاجم لأنهم لم يكونوا يتكلمون اللغة المصرية . وقالوا ان وراء ارض المتعشمين الارض المباركة التي تفيض الخيرات ، ووراءها ارض الارواح وشجرة الآس حيث تقيم الآلهة ووراء الجميع البحر الجنوبي الذي يجري منه النيل وتطفو عليه الجزر . ولهذا البحر غرائب ونوادير بقيت شائعة في مصر زمناً طويلاً وهي تتضمن ما كان يعتقد المصريون الأقدمون في بلاد الجنوب أيام حكم الآلهة على الارض حسب زعمهم

ومن اساطيرهم القديمة رواية الاخوين المشهورة وهي من اقدم الروايات المصرية النغرامية وخلاصتها ان اخوين كانا يعملان معاً في الحقل اسم اكبرهما انبو واسم اخيه بطو . وذهب بطو الى البيت لاحضار البذار فرأته امرأة اخيه وراودته عن نفسه فامتنع وعاد مسرعاً الى اخيه . وعاد انبو في المساء الى بيته فشكت امرأته اليه اخاه ظمناً وعدواناً فاستل سكيناً ورصد له خلف الباب قاصداً القتل به غير ان البقرات التي كانت سائرة امام بطو انبأته بالخطر فهرب وتبعه اخوه فجازا الحقول والودية حتى اتياها الى نهر فعبره بطو اولاً ثم فاض النهر بغتة وكان مشحوناً بالمسيح فلم يتمكن انبو من الخوض فيه . ووقف بطو على الشاطئ الآخر قبالة اخيه واثبت له انه بريء مما اتهم به واخبره انه عازم ان يسير في النهر جنوباً حتى يصل الى البلاد التي فيها شجرة الآس و يضع قلبه عليها فيضمن لنفسه الخلود ما دام قلبه هنالك

وسار بطو الى تلك الارض المباركة وجعل يصيد الوحوش البرية وبنى لنفسه بيتاً والتقى بجميع الآلهة فصنعوا له « امرأة لا اجمل منها في الدنيا لان روح الآلهة كانت فيها » . وحدث ان غديرة من شعرها وقعت في النهر وجرت فيه حتى وصلت

الى حيث كان النساء يغسلن ثياب فرعون فصار للشباب رائحة عطرية منها فدعا فرعون جميع السحرة وسألهم عن امرها فقالوا انها من شعر ابنة « فراهرما كس » وان فيها روح كل الآلهة

فارسل فرعون رسلاً كثيرين الى كل الجهات للتفتيش عنها فعادوا بخفي حين الا الذين ذهبوا الى الارض المباركة فان بطو قتلهم كلهم وابقى واحداً مهم ليخبر مولاه بما حل بهم . فارسل فرعون الرماة والمركبات وارسل معهم امرأة معها كثير من الجواهر لتستميل قلب بنت الآلهة فتمكن من احضارها الى مصر

وقد كتب هذه الخرافة رجل في عهد الدولة التاسعة عشرة (منذ ٣٣٠٠ سنة) لكنها كانت متداولة قبل ايامه ومفادها ان الى الجنوب من بلاد مصر بلاداً خصبة فيها شجرة الآس دليل الخلود . وان تلك البلاد يرويها النيل الذي حمل غديرة زوجة بطو الى مصر وان الوصول اليها سهل ميسور لان بطو بلغها وحده ورسل فرعون دخلوها . ويستدل منها على ان فرعون كان اذا اراد تحقيق امر متعلق ببلاد غريبة او مجهولة يستشير السحرة ثم يرسل الرسل والتجريدات المسلحة وكانت هذه التجريدات تركب احياناً طريق القارظين فلا تعود وترجع احياناً اخرى باخبار واحاديث لا اثر لها من الصحة . وقد تفلح في ما ارسلت له ثم تبالغ في وصف مالقيته من المخاطر وما رآته من الغرائب فنشأ عندهم نوع من الجغرافية الخيالية ولذلك امثلة كثيرة في القرون الوسطى الحديثة فقد ادعى بعضهم انه رأى جزيرة في البحر المتوسط تتبع سفن لويس التاسع ملك فرنسا وادعى آخر انه لمس باصبعه ابواب الجنة في الشرق الاقصى وامثال ذلك كثيرة

وقد اكتشف العالم غولنشف قصة مصرية ينتهي تاريخها الى الدولة الثانية عشرة ومفادها ان مصرياً ركب سفينة كبيرة طولها مئة وخمسون ذراعاً وعرضها اربعون ذراعاً ومعه ١٥٠ نوتياً من نخبة رجال مصر وصعد بها في النيل حتى انتهى الى بلاد المتلعثمين التي تلي بلاد الرماة . وهناك ثارت عليه زوبعة اغرقت السفينة بمن فيها ولم ينج منهم سوى راوي هذه القصة فتعلق بقطعة من الحشب وظلت الامواج تتقاذفه حتى القته على جزيرة « لم يجد له فيها مؤنساً سوى قلبه الشجاع » وكانت الجزيرة كثيرة الزرع والاثمار فبنى فيها مذبحاً وقدم ذبيحة شكراً للآلهة على نجائه . وفيما هو جالس سمع صوتاً كهزيم الرعد واذا بحية طولها ثلاثون ذراعاً ولها لحية

طولها ذراعان وجسمها يلمع كأنه مغطى بصفايح من الذهب فلما رآها ارتعدت فرائصه
وجثا امامها يتوسل اليها لكي لا تضره فحملته بفمها واوصلته الى حجرها وامرته ان
يقص عايتها خبر مجيئه الى تلك الجزيرة فحدثها بما كان من امره وكان مع الحية اخوتها
واولادها وهن خمس وستون فوعده بقدم سفينة تعود به الى اهله بعد اربعة اشهر
وكان كما قالت فعاد الرجل الى بلاده بالهدايا الثمينة من العاج والاثمار والقروود
والحيوانات . ثم اختفت الجزيرة في الماء

وقد ظن مسبروان هذه الحكاية خرافية محضة ولكن لو حذفنا منها الحية
وابدلتها برئيس قوم لصارت جغرافية محضة . ولا ريب عندي ان لها اصلاً حقيقياً
ثم زيد عليه اختفاء الجزيرة لاختفاء الحقيقة كما كان يفعل الفينيقيون في ما يقصونه عن
البلدان التي يجلبون بضائعهم منها

وبديهي ان اول بلاد دخلها ملوك مصر الاقدمون كانت البلاد المجاورة لتخومهم
الجنوبية او بلاد السودان وكانوا يرسلون اليها بضائعهم من الكتان والطيوب
والزجاج ويحبون منها التبر وجلود الاسود وريش النعام وخشب البنوس
واول ساح مصرى وصل خبره اليها نشأ في عهد الدولة الخامسة (منذ ٤٧٣٠
سنة) في ايام الملك اسا واسمه اردودو وهو من كبار رجال الدولة وغاية ما يعلم من امره
انه سار جنوباً الى الارض المباركة واحضر منها قزماً اعجب الملك برقصه . ولقد كان
لسياحة هذا الرجل شأن عظيم عند المصريين القدماء فنقشوا خبرها بين آثارهم . وقام
بعد اردودو ساجان اسم احدها اونة واسم الآخر خركوف وكانا متعاصرين .
ويظهر من النقوش التي وجدت على قبر اونة (وقد كشفه مريت باشا في العرابة
المدفونة ونقله الى دار التحف المصرية) انه كان يحمل التاج في عهد الملك تتا اول
ملوك الدولة السادسة ثم ارتقى في عهد خلفه ببي الاول وتقلد مناصب سامية « اكتسب
بها رضى الملك اكثر من كل رجال الدولة » وبعث به الملك الى ترويو (طره)
لاحضار حجر ابيض يصنع منه ناووس للملك فآتم ما أمر به على ما يرام فجعله الملك
صديقاً له وعهد اليه بقيادة حملة لمحاربة عربان جبل سينا واهالي جنوبي سورية فجمع
جيشاً من اهالي الجنوب ومن اهالي مدجاو السود (وهم البرابرة وكانوا في تلك الايام
شرطة البلاد وحفظه الامن فيها) ومن اهالي امام واواوت وكاو وتاما هو (وهؤلاء
من صحراء ليبيا) وغزا العرب خمس مرات « فقطع اشجارهم واحرق بيوتهم

وحصونهم وذبح الوفأ منهم « ثم سار بجرأ الى العريش واخضع سكان تلك البلاد فعملت منزلته عند فرعون وسمح له ان يابس نعليه في حضرته وهذا اعظم ما يكافأ به احد عند ملوكهم

وخدم اونة الملك مرزا خليفة بي فأمره اولاً بعمل ناووسه ثم ولاه على الوجه القبلي وفوض اليه انشاء السفن . ولما اعوزته الحشب في مصر كلف امرء بلاد النوبة وبلاد الجنوب باحضاره وبنى معامل كثيرة في بلادهم ولاسيما في بلاد امام وزاره الملك في جزيرة الفنتين ورأى اعماله العظيمة ونقش اسمه وصورته على صخر الشلال . وتوفي اونة بعد ذلك بزمن قصير

وقد عثر العلماء في حكاية اونة على اسماء شعوب وبلدان كثيرة جنوبي مصر ولكنهم لم يتفقوا على تعيينها . وقد درست هذه الاسماء مع صديقي العلامة غروف وقابلناها على الاسماء الواردة في حكاية خرکوف فاستنتجنا منها اموراً جدية بالذكر وسيأتي الكلام عليها

واكتشفت قرينة ولي عهد اسوج وزوج مدفن خرکوف وهو احد كبار الدولة في ايام الملك مرزا وبني الثاني وذلك في شهر فبراير سنة ١٨٩٢ في التل الذي على الجانب الايسر من النيل في اصوان . واتفق اذ ذاك وجود العالم ارنست شيارلي هناك فاعتنى بفتح المدفن وقراءة الكتابة التي فيه وهي نصف ثلاثة سياح وست رحلات وفيها امور يمكننا بواسطتها من تحقيق اسماء البلدان التي ذكرها اونة . وقد اعلن المسيو شيارلي اكتشافه هذا للجمعية الجغرافية في جلسة ٢٧ فبراير سنة ١٨٩٣

اما السياح والسياحات التي ذكرها خرکوف فهي : —

- (١) سياحة اردودو المار ذكرها
- (٢) سياحة خرکوف مع ابيه وكان الملك مرزا قد ارسلهما مع آرا لاكتشاف طريق جديد الى بلاد « امام » وهي قرب بربر والابرة . واذا ثبت هذا كانت هذه الطريق طريق كروسكو الى ابي حمد وهي تخترق بلاد اوهاث وهناك التقي خرکوف في سفرته الثالثة بامير امام . ومن المحتمل ان آرا كان قد زار تلك البلاد مع اونة فان اونة قضى نحو سنة في ذهابه وايابه الى بلاد امام لانه سار في النيل وكان مضطراً ان ينتظر زمان الفيضان ليتمكن من عبور الشلالات . لكن خرکوف وآرا قضيا سبعة اشهر فقط في سياحتهما هذه وعادا بالهدايا الثمينة « فاستحقا شكر الملك لهما »

(٣) والتقى خركوف بسياحته هذه او بالتي تليها بامير امام في بركة كروسكو وكان زاحفاً لقتال شعب تاماهو الذين كانوا ساكنين في بلاد الغرب ولعلها عند منحرف النيل وكان هذا الشعب ممتداً الى الواحات فسار خركوف اليهم مع جنود امير امام وصادقهم والزمهم بعبادة آلهة المصريين

(٤) ثم ارسله الملك وحده (وهي الرحلة الثالثة) لاستكشاف البلاد التي تلي بلاد امام فسار الى بلاد ارت ومسكر وترارس وأرتيت وستو « ولم يفعل ذلك قبله احد من مستشاري الملك او مندوبيه في بلاد امام »

(٥) ورحلته الرابعة كانت بتجريدة عسكرية على ما يستدل من قوله انها كانت « لتوطيد الامن » . ووصل فيها الى بلاد امام وارت وستو وبلاد المتلعثمين ورجع منها بثلاث مئة حمار تحمل الهدايا الثمينة كالابنوس والعاج وجلود الوحوش واحضر معه الرجال الذين اخذهم اونة الى معامل امام . « عند ما سار اليها بالقوارب الحاملة ثمرأ واشربة وآنية النحاس »

وقد قابلنا اخبار هذه الرحلات باخبار رحلة اونة فتمكنا من تحقيق اسماء بعض البلدان . فقد تقدم القول ان اونة جلب الخشب من امراء امام وارت وبلاد المتلعثمين وانه انشأ معامل في النوبة وانه سار الى تلك البلدان صاعداً في النيل وقد شجر قواربه بالاشربة والمجوهرات والآنية النحاسية وبقي في سفرته هذه سنة من الزمان لانه اضطر ان ينتظر الفيضان لكي يتمكن من عبور الشلالات ولذلك فبلاد امام واقعة في ما يلي الشلالات او حوالي مدينة بربر

وجاء في رحلة آرا ان الملك ليكتشف طريقاً اقصر من التي سار فيها اونة ولا ريب انه سار برأ مخترقاً صحراء كروسكو لانه لم يذكر السفن قط . ولما عاد خركوف من الحملة على اهل ارت وستو وبلاد المتلعثمين رجع الى مصر بطريق النيل ماراً ببلاد امام واحضر معه الرجال الذين كان اونة قد استخدمهم في المعامل التي انشأها هناك

فاذا تقرر ان بلاد المتلعثمين كانت جنوبي بلاد النوبة حيث الطول من ١٥٠—٢٠٠ وان بلاد اوهاث كانت في صحراء كروسكو وبلاد امام وارت حوالي بربر وبلاد ارتيت على جانبي نهر الاتبرة جنوبي امام ويلها ستو امكنا ان تتبع رحلات اولئك الرواد بالتدقيق وان نعرف مواقع البلدان التي زاروها

(٦) اما رحلة خر كوف الخامسة والاخيرة فلا يزال تفسيرها مهماً . فقد ذكر ان بي الثاني خلف مرزا ارسله الى بلاد الجنوب ليأتيه بطيورها فعاد اليه بالهدايا الفاخرة من امير اماو . وهذه اول مرة ورد فيها هذا الاسم وقد اتفق العلماء ان هذه البلاد واقعة الى جنوبي بلاد امام وارثيت وستو . واحضر خر كوف معه قزماً من البلاد المباركة كالذي احضره اردودو ولكنه لم يذكر هل سار بنفسه الى تلك البلاد او اخذ القزم من القوافل . وقد اثبت العالم شيا برلي ان البلاد المباركة كانت لا تزال بعيدة الى الجنوب الشرقي حيث موطن الاقزام الاصلي — ولما بلغ فرعون وعبيده خبر مجيء القزم قاموا وقعدوا ولم يطمئن بهم حتى وصل اليهم سالماً فسلم فرعون الى خر كوف رسالة « مملوءة من القرحة والمحبة » دمج سطورها « المنجمون الجالسون في حضرة الملك » ومنها « يعلم الناس مظاهر الشرف والافتخار التي اولاه اياها الملك »

وانتهت الرحلات ايام الدولة السادسة بخطب عظيم وذلك ان بينت احد المقربين الى بي الثاني سار بامرته لاختضاع اهالي جبل سينا وجنوبي سورية . وبعد ان اتم مهمته اراد السفر بجرأاً الى البلاد المباركة ثم الرجوع منها بجرأاً سائراً بجانب الشاطيء الى رأس باناس ومن هناك برأاً الى انس الوجود . وبينما كان يبني سفينه هاجمه عربان جبل سينا وذبحوه مع اكثر رجاله فحمل الباقون جثته ودفنوها في الجبل مقابل اصوان . وقد اكتشف بوريان مدفنه سنة ١٨٩٢ . وحدثت كل هذه الامور منذ اكثر من خمسة آلاف سنة حينما كان اهالي اوربا ياوون الى الكهوف والبحيرات . وقد تمكن العلماء بعد الجهد من حل رموز الكتابات القديمة فصرنا نروي اليوم اخبار تلك الايام . ومن فضل العناية الموجهة للمكتشفات الاركيولوجية صرنا نقف امام الخزائن في المتحف المصري ونرى جثة الملك مرزا سلف محمد علي باشا الذي بعث باونة وآرا وخر كوف لاكتشاف بلاد الجنوب

(مقتطف مايو سنة ١٨٩٧)



الرحلات الافريقية القديمة^(١)

(١)

الرحلة القديمة

قال استرابون المؤرخ الجغرافي اليوناني ان ابعدا ما عرف عن الرحلات القديمة رحلة ربان قرطجني ارتاد بسفنه سواحل ليبيا وافريقية الشمالية الى ان بلغ خط الاستواء

وقال هيرودوتس الرحالة اليوناني الذي ساح في مصر وشمال افريقية ان نحو أحد فراعنة مصر اوفد بعثة فينيقية لارتداد سواحل افريقية الجنوبية واكتشاف بلدانها فجازت تلك البعثة بسفنها الى البحر الاحمر بترعة حفرت في عهد هذا الملك وبعد ان قضت ثلاث سنين على سواحل افريقية وصات الى اعمدة هرقل (اي بوغاز جبل طارق) وقد عجب هيرودوتس من امر حدث لرجال هذه البعثة وهو ان الشمس كانت تطلع اولاً عن يسارهم ثم صارت تطلع عن يمينهم

وذكر استرابون رحلة اخرى يونانية مصرية على عهد البطالسة قام بها يوناني اسمه ارطيميدورس اجتاز سواحل افريقية من البحر الاحمر الى رأس الرجاء الصالح وذكر أيضاً رحلة اخرى اقدم من هذه قام بها يوناني اسمه اودكسوس لكي يأتي بالبخور والطيوب والبهارات فأتى اولاً الى مصر وذلك على عهد البطالسة واجتمع بملكها ووزرائه وطلب منهم ان يعينوه على رحلته هذه لاستجلاب الطيوب والتقدم للآلهة . وكان قد وجد قبل وصول اودكسوس الى مصر بمدة وجيزة رجل غريب على شاطئ البحر الاحمر ملق على الرمل مشرفاً على الموت فعولج وبعد ان شفي أتى به الى الملك فسأله عن امره فلم يقدر ان يفهمه شيئاً لجهله اليونانية التي كانت لغة البطالسة في مصر وقتئذ فعلم هذه اللغة ولما صار يفهمها قال انه من بلاد الهند اتى مع جماعة في مركب للتجارة على شواطئ بلاد العرب فطلع عليهم نوء حمل مركبهم الى سواحل افريقية وحطمه فغرق اصحابه كلهم ولم ينج غيره . فامر بطليموس هذا الرجل

(١) للمرحوم ديمتري نقولا

ان يصحب اودكسوس كدليل يدلّه على البلاد التي مر بها وعلى طريق الهند . ثم زود اودكسوس بالمال والرجال واعطاه هدايا ليقدمها للملوك الذين يأتي بلادهم وجهز له مركباً كبيراً فسافر به واخذ معه الرجل الهندي وبعد بضع سنين رجع من سفرته ومثل بين يدي الملك واخبره بانه اجتاز مضيق باب المندب وتتبع سواحل افريقية الشرقية وذكر له عوائد اهلها ووصفهم بأكلي السمك والبشر وقال : ان عندهم كثيراً من الذهب والعاج والطيور الكبيرة الجثة كالجمل ووصف وجوههم وفطس انوفهم وتجعد شعورهم وصفاً ينطبق على اهالي سواحل افريقية وزنجبار . واحضر معه كثيراً من البهارات والطيوب والحجارة الكريمة والمرجان واللؤلؤ فاخذ الملك كل ما أتى به اودكسوس من تلك البلاد وحرمه منها وتركه وشأنه فاقام في الاسكندرية حزناً ليس معه مال يرجع به الى بلاده

ثم توفي هذا الملك وملكت بعده زوجته الملكة كليوباترة الشهيرة فرفع اليها امر هذا الرجل فامرته ان يسافر سفرة ثانية واعطته من السلع والتحف اكثر مما كان معه في السفرة الاولى وجهزته بمركب ومال ونوتية فسافر وغاب مدة طويلة وقذفت الريح مركبه الى اثيوبية (الحبشة) فجال فيها مدة ثم غادرها وسار الى ما وراءها من البلاد على سواحل البحر وخالط اهلها وتعلم لغاتهم واعطاهم القمح والذبيذ والتين اليبس والحبوب التي لا يعرفونها فسروا بها جداً واعطوه عوضاً عنها كثيراً من العاج والذهب وغيرها . ووجد اودكسوس عند أحد ملوك البلاد التي مر بها مقدم مركب منقوش عليه رأس فرس وقيل له انه مقدم مركب لجماعة غرباء جاءوا من الجنوب فانكسر بهم وغرقوا . ولما رجع الى مصر كانت الملكة كليوباترة قد ماتت فاستولى الحاكم الروماني على كل ما جاء به من التحف الثمينة والهدايا والحيوانات الغريبة والطيور والطيوب والعنبر وحرمه منها ايضاً ولم يبق له سوى مقدم المركب فاخذته الى السوق في الاسكندرية ليبيعه ويسد رمقه بثمانه فعرفه الملاحون وقالوا له انه مقدم سفينة ايبيرية (ايبيريا هي بلاد اسبانيا والبرتغال اليوم) لان هذه السفن لا تصنع الا في تلك البلاد . فادرك اودكسوس بثاقب فكره انه يمكن السفر حول افريقية من مضيق جبل طارق اذ لا يمكن ان تكون هذه السفينة قد اجتازت الى البحر الاحمر من البحر المتوسط ولا بد انها اجتازت الى بحر الظلمات (المحيط الاطلنطيكي) ومرت

بسواحل افريقية الغربية الى رأس الرجاء الصالح ثم صعدت شمالاً على سواحل افريقية الشرقية. ولما خطر له ذلك رجع الى بلاد (اليونان) وباع بيته وكل ما يملكه وجهاز سفينة وسافر بها الى صقلية ومنها الى موريتانيا (مراكش والجزائر) ثم الى مدينة قادس في اسبانيا فعرض على بعض اهلها مقدم السفينة الذي وجدته في شرق افريقية فعرفه بعضهم بأنه مقدم سفينة سافرت مع سفن كثيرة في بحر الظلمات جنوباً ثم انقطعت اخبارها ولم ترجع. فتأكد اودكسوس عند ذلك أنه مصيب في ما ظنه من امر هذه السفينة وحكى لاهالي قادس حكاية رحلاته ورغبتهم في تجهيز رحلة بحرية الى شرق افريقية وكان سكان سواحل ايبيريا وقتئذ حسب اتفاق المؤرخين من الفينيقيين الذين هجروا بلادهم بعد ان افتتحها الاسكندر. والفينيقيون اهل اسفار وتجارة جابوا الامصار واكتشفوا البلاد القاصية وامتلكوا ناصية التجارة في الدنيا بما لهم من الخبرة في سلك البحار ومعرفة تخطيط البلدان ومواقعها وعادات اهلها ومحصولاتها واتقان صنع السفن فلم يجمعوا عن امداد اودكسوس بالمال والرجال فجهز سفناً عديدة وجعل نوتيتها من اهل قادس الخبيرين في سلك البحار واخذ معه اطباء واناساً يعزفون على الآلات الموسيقية وملا السفن بالتحف ودار حول افريقية واكتشف بعض جزائرها الى ان وصل الى شرقها. وهبت عليه عاصفة فجنحت سفنه على ساحل جزيرة فنزل اليها وتعرف باهلها ووصف معيشتهم ومحصولاتهم وحيواناتهم بما ينطبق على اوصاف اهالي زنجبار وشرقي افريقية والحبشة ثم تركهم وسار الى الهند ثم عاد الى قادس

وبعد ربح من الزمن جهّز سفناً اخرى وسافر حول افريقية وحدث له اثناء رحلته هذه حوادث شتى ذكرها ملطبرون في جغرافيته نقلاً عن استرابون المؤرخ. وقال: انه اكتشف جزيرة كبيرة عند سواحل افريقية الشرقية واقام فيها مع رفاقه طول الشتاء وزرع فيها وحصد ولاشك انها جزيرة مدغشقر لانها اكبر جزيرة هناك. فعلى حسب رواية استرابون هذه كان الايبيريون او الفينيقيون الذين استوطنوا اسبانيا والبرتغال اول من اكتشف رأس الرجاء الصالح بقيادة هذا الرحالة اليوناني العظيم. وهم اول من طاف حول افريقية من قادس الى زنجبار والحبشة واذا صدقت رواية هيرودوتس التي تقدم ذكرها عن رحلة فينيقية مصرية في

زمن الملك نخو فرعون مصر فيكون عهد اكتشاف تلك الاصقاع قبل المسيح
بزمن طويل

وذكر بعض المؤرخين الاولين ان جميع سواحل افريقية الشرقية كانت معروفة
عند المصريين القدماء وانهم جابوها وعمروها وتجروا مع اهلها ولكن الرواية ضعيفة
لان المصريين القدماء قلما كانوا يتغربون عن بلادهم ولم يتجاوزوا في حروبهم الى ما
وراء النوبة

وقال بلينيوس المؤرخ الطبيعي: ان سواحل افريقية والحبشة وغيرها كانت معروفة
لدى التبابعة ملوك اليمن القدماء وكانوا يتجرون مع اهلها بالقرقة وانواع الطيب المختلفة
وكانوا يجرمون على العامة التجارة بهذه الاصناف لثلا يفشوا سرها او يبيعوها
للايوان واليونان

ومحصل ما تقدم ان الفينيقيين واليونان والمصريين والاييريين كانوا يعرفون
معظم سواحل افريقية قبل الميلاد (مقتطف يوليو سنة ١٩١٥)

٢

تاريخها الاسلامي

ذكر بلينيوس المؤرخ الروماني سنة ٧٠ للمسيح ان التبابعة ملوك اليمن عرفوا جميع ممالك افريقية الشرقية وجزرها وكان لهم عليها شيء من السلطة وكانوا يتجرون مع اهلها بالافاوية والطيوب المختلفة وقد حرموا على السوق من عامتهم الاتجار بهذه الاصناف مع اليونان والرومان لثلاً يفشوها على زعمهم

ولما ظهر الاسلام رحل كثيرون من العرب في القرنين الاولين للهجرة الى سواحل افريقية الشرقية والشمالية فملكوا تونس وطرابلس الغرب واحتاز كثيرون منهم صحارى القيروان وليبية وتوغلوا في داخلية البلاد وبعضهم ذهبوا الى السودان من طريق مصر وقنا وكانت القصير مرفأً لمراكبهم يجتازون منها مضيق باب المنذب في البحر الاحمر ويرتادون السواحل الشرقية حتى وصل بعضهم في بدء تاريخ الهجرة الى سواحل جزيرة مدغشقر جنوباً وأسسوا في شمالها مملكة عربية لم نزل آثارها وقلاعها وبقايا شعوبها موجودة حتى الآن . ويعرفون هناك بالسقلاية ولغتهم عربية قديمة مشوبة بالحميرية والسواحلية وعندني صورة كتاب ارسلته سميكوه رسول سلطنة السقلاية في شمالي مدغشقر سنة ١٢٥٠ هـ . الى السيد سعيد بن سلطان امام مسقط وعمان تطلب منه ان يحمي بلادها من مراكب الفرنسيين فارسل هذا الامام وقتئذ اسطوله العماني بجيش كبير واحتل جزيرة موكين وعقد معاهدة مع السلطنة المذكورة ووزرائها على ان تكون بلادها تحت حمايته ويدفع اهلها اليه الخراج غرضاً عن كل شخص واحد واحصوا الذكور منهم فكانوا ثلاثين الفاً وهذا مال تلك المعاهدة :

بسم الله الرحمن الرحيم : نقول نحن الفقراء الى الله تعالى هكيون بتيك الوزير وبوبه بن فهانك بان مولاتنا صاحبة الاجلال والاقبال السلطنة سميكوه بنت السلطان رسول فوضتنا ان نعطي سيدنا سعيد بن سلطان امام مسقط جزيرة بوكين وان كل الناس الخاضعين لسلطانها من الوزراء والامراء وكبار السقلاية يكونون تحت حماية مولانا المذكور . وقد رضينا ان نسلم له عن كل راس من السقلاية قرشاً واحداً وقد رناهم بثلاثين الف رجل وتعدنا باصلاح بنيان القلعة وتسليمها له . . . الخ . . . وقال بعض مؤرخي العرب انه في القرن الرابع للهجرة كانت كل سواحل

افريقية الشرقية وبلاد الزنج التي تليها معروفة عند العرب فاستوطنوها واتجروا مع اهلها بالعاج والذهب والطيوب العطرية وجلبوا منها الرقيق وهم الذين سموا بلادها وانهرها وجبالها باسمائها المعروفة الآن . وكانت بلاد مايندة ومبسطة ومغدوشو وبثة وسفالة وكلوا وبمبا وزنجبار ممالك مستقلة زاهية عامرة وسلاطينها ذوي جاه وسطوة وصوله

وقال حميد بن محمد بن زريق العماني في تاريخه « الصحيفة القحطانية » (وهو كتاب كبير خطي مفرد بمكتبة زنجبار السلطانية تكرم علي باعارته المرحوم السيد حمود ابن حمد السلطان الاسبق)

« لما تولى العراق الحجاج بن يوسف الثقفي من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان الاموي حارب اهل عمان وفيها يومئذ الاميران سعيد وسليمان الازديان الجلنديان وبعد حروب طويلة جمعوا زرارهما وسوادهما وخرج معهما خلق كثير من بني الازد ولحقوا ببلاد الزنج واستوطنوا افريقية وجزيرة بثة »

ومن ذلك الوقت تأسست ممالك العرب الاسلامية في تلك البلاد . وقال المسعودي في جغرافيته « ان على مسيرة يومين بحراً من زنجبار جزيرة فبلو التي اسلم اهلها على يد العرب »

وذكر بعضهم ان العرب كانوا يسافرون الى الهند وسواحل افريقية من الاسكندرية فكانوا يركبون في النيل الى الفسطاط ومنها على الماء نحو اثني عشر يوماً الى قفط ومنها يركبون الابل مدة خمسة عشر يوماً الى شط برنيقة (وهي القصر على البحر الاحمر) ثم يركبون البحر بالسفن في زمن الصيف قبل شروق الشعري وبعد مسيرة ثلاثين يوماً يصلون الى قانة ببلاد اليمن بعد اجتيازهم باب المنذب ومنها يذهبون اما الى بلاد الزنج ومبسطة جنوباً او الى كلكوت الهند فيصلونها بعد اربعين يوماً »

ويظهر من قول ابن الاثير في تاريخه الكامل . ان الزنوج اسلموا في بدء ظهور الاسلام وذكر ان كثيراً من الزنوج اموا اليمن والبصرة في ولاية الحجاج الثقفي (سنة ٧٥ هـ) وولوا عليهم رجلاً منهم دعوه اسد الزنج فافسدوا ونهبوا الثار فامر الحجاج زياداً رئيس شرطته ان يقاتلهم فسير عليهم جيشاً مع ابنه حفص فقاتلهم ولكنهم تغلبوا عليه وقتلوه وهزموا اصحابه فارسل عليهم جيشاً آخر فهزمهم

ثم امتدت شوكة العرب في كل داخلية افريقية شمالاً وغرباً وشرقاً حتى بلاد الكونغو والزولو وكفوروريا (الكفرة) ولم تزل آثارهم هناك الى الآن . وقد عثر بعض الاثريين الانكليز سنة ١٩٠٣ في شمال رودسيا شمالي الترنسفال وبالقرب من بلاد الكفرة على قبر عربي قديم وعليه كتابة بالحرف الحميري تبيء ابن اسم الميت سلام وانه توفي سنة ٩٥ هجرية (٧١٤ م) وينتظر العلماء اكتشاف آثار أخرى عربية مهمة في تلك الاصقاع النائية . واكتشف الالمان منذ بضع سنوات بالقرب من دانغا تحت انقاض مدينة فوماكو القديمة داخل افريقية الشرقية كتابات عربية قديمة فنقلوها الى متحفهم في برلين . وفي خرائب وقلاع ممبسة ومليندة وبثة آثار كثيرة وكتابات عربية لم تزل محفوظة الى الآن

واستدل العلماء من ذلك ان العرب من بدء الهجرة عرفوا اكثر بلاد افريقية ووصلوا الى منابع النيل وتوغلوا في بحيراتها وغاباتها ومجاهلها وكانت حتى اواسط القرن الماضي مجهلها الافرنج . ووطئت اقدام الفاحين من العرب تلك البلاد السحيقة قبل ان تطأها اقدام السياح المتأخرين

وقرأت في كتاب منقول عن تاريخ فتوحات البرتغال وهم اصدق شاهد لانهم اخذوا في القرون الوسطى اكثر بلاد افريقية من العرب انه « بينما كانت سفن البرتغال سائرة عند شواطئ افريقية الجنوبية والشرقية (بين رأس الرجاء وتنال) وجدوا العرب شاغلين المراعى كلها بمراكبهم الكثيرة وقد جمعوا احمالاً وافرة من الذهب اخذوها من بلاد كفوروريا ووضعوها في سفنهم يريدون نقلها الى بلادهم » وحقيقة الامر انه كان للعرب تجارة واسعة في العصور الخالية في افريقية كلها

وقد اثبت اصحاب الخطط وبينهم المقرئ ان كل سواحل افريقية الشمالية والشرقية والجنوبية اكتشفها العرب بعد الفتح الاسلامي بزمن وجيز على عهد الخلفاء الامويين والعباسيين اي في ابان مجد مملكة العرب وسعة سلطانها ثم توغلوا في مجاهل البلاد حوالي النيل والنيجر والكونغو وكان عرب عمان وحضرموت والشحر والبحرين اول من عرف طريق الهند من عهد سحيق . وفي بدء الفتوحات الاسلامية اجتازت مراكبهم سواحل افريقية كلها وملكوا الصومال وجوبع ومبسة وزنجبار وموزمبيق وجزائر الكومور ولم تزل بقايا العرب في جزائر مدغشقر وفيليبين واسسوا فيها الممالك

واقاموا فيها الحصون والقلاع ووسعوا تجارتهم في تلك الجهات فاتجروا بالذهب وريش النعام والعاج والبهارات والطيوب . واما النخاسة فكانت منتشرة عندهم انتشاراً عظيماً يأتون بالرقيق من داخلية البلاد وينقلونه بمراكبهم الى العراق والشام ومصر والاندلس وكان للنخاسة اسواق عظيمة في مصر ودمشق وبغداد والبصرة وقرطبة واشبيلية

وزار ابن بطوطة الرحالة الشهير كثيراً من هذه الممالك الاسلامية الافريقية وجال في ممبسة ولامو ومغدشو وكلوة وشفالة وغيرها ، ووصف اهلها وعاداتهم ولقي من سلاطينها الاكرام والحفاوة والهدايا الكثيرة ووصفهم بالتقوى والامانة وقرى الضيفان . وكان ذلك قبل ان يمتلكها اليعاربة ملوك آل بهان بعد القرن الخامس عشر ولما ضعفت شوكة العرب بفقدان العصية وضعف شأن الخلافة العباسية ببغداد وباتقلها الى الفاطميين بمصر والعلويين في مراکش وجزائر الغرب وتفرقت الممالك الاسلامية العربية بين الدول التركية والتتية والشركسية سقط مجد العرب وتفرقت كلمتهم ونبذوا العلوم والمعارف وتركوا اسباب التجارة واشتغلوا عنها بالمنازعات القومية والحروب الاهلية ورضخوا لنير الاستعباد فسادهم الجهل وضاعت البلاد من ايديهم وقد اشتد ساعد الاسبان والبرتوغال والاندلس فطردوا العرب منها فرحلوا الى فاس ومكناسة وتفرقوا في الجزائر ومراكش وتونس ولما قويت شوكة الافرنج هناك قام البرتوغاليون وجهزوا السفن والرجال في اواخر القرن الرابع عشر وارسلوها الى سواحل افريقية الغربية والجنوبية والشرقية وطردوا العرب منها

مقتطف اغسطس سنة ١٩١٥

الرحلات البرتوغالية

ذكرنا في المقالة السابقة ان العرب توسعوا في الفتوحات منذ القرن الثاني للهجرة وامتلكوا كل شواطئ افريقية الشمالية والشرقية والغربية وتوغلوا في داخلية البلاد الى ان ضعفت شوكتهم بفقدان العصية وضعف شأن الخلافة العباسية في بغداد والفاطمية في مصر والعلوية في بلاد المغرب وخضعوا للدول التركية والتترية حتى سقط مجدهم وتفرقت كلمتهم واشتغلوا بالمنازعات القومية والدينية الى ان اشتد ساعد الاسبان والبرتوغال في الاندلس فطردوا العرب منها. ولما قويت شوكة الافرنج قام البرتوغاليون سنة ١٤٠٠ فجهزوا السفن الكثيرة والمراكب الكبيرة وارسلوها الى سواحل افريقية فطردوا العرب من بلاد السنغال وشط العاج وكل السواحل الغربية. وكانوا يتنافسون في تحصيل اسباب الفخار والتوسع في الاسفار ويردفون الغزوة بالآخرى حتى ان نساء لشبونة عاصمة ملكهم كن يحرضن رجالهن على السفر وجوب البحار وغزو العرب ويدفعن حلاهن عن طيبة خاطر الى امراء البحر لتجهيز السفن. وكن يابئن الزوج بمن لا يذهب لغزو العرب وطردهم من بلادهم. ومما ساعد البرتوغالين على تلك الغزوات البحرية استعمالهم البوصلة (او الحك) لمعرفة الجهات فانها جرأتهم على التوغل في عرض المحيط فاكشفوا اولاً الجزائر التي على السواحل الغربية حتى رأس الرجاء الصالح. ثم اتجهوا شمالاً فاكشفوا السواحل الشرقية كلها حتى باب المنذب وشواطئ حضر موت وخليج العجم ومن هناك توصلوا الى اكتشاف طريق الهند كما سيأتي بيانه

ففي سنة ١٤٣٣ اكتشفوا جزيرة ماديرا واسسوا فيها مستعمرات وغرسوا فيها قصب السكر والكرم ودخلوا بلاد غينيا وسنغامبيا وشط العاج وعصاب وملكوها وزرعوا ارضها واخذوا منها الخشب الى بلادهم

وفي سنة ١٤٤٣ اكتشفوا بلاد السنغال وسواحل الكونغو وانجولا وجلبوا منها الارقاء والعييد السودانيين واخذوهم الى لشبونة وهي المرة الاولى التي رأى فيها اهلها الزنوج وذوي الشعر الجعد والاجسام المطيبة بالافاويه والزيوت. واكتشفوا جزائر سانتا ماريا وسانتا هيلانة وفرناندوبو وغيرها. وفي سنة ١٤٥٦ اخذ القبطان

بطرس القنطرة بلاد سيراليون من العرب وتألفت فيما بعد في لشبونة شركة برتوغالية لاكتشاف سواحل افريقية كلها وطريق الهند فجهزت السفن الكثيرة العدد والعدد وامتدتها بالرجال والنخار وكانت تنتقل من بلاد الى أخرى ومن فرضة الى غيرها في السواحل الغربية وتتجر مع اهلها بالعاج والذهب والطيور الغريبة والقروود والطيوب والافاويه واحتكر ملوك البرتغال لانفسهم تجارة العاج فأرسل يوحنا الثاني جماعة من قومه على سفن له الى سواحل افريقية فاكشفوا في طريقهم جزائر سان توماس والبرنسس وشواطيء العاج ومجريا وسواحل الكونغو وزرعوا فيها القطن واسسوا المستعمرات

وفي اواسط القرن الخامس عشر هاجر الى هذه البلاد اليهود المطرودون من اسبانيا والبرتغال فاستعمروها واتخذوا العرب والزنج عبيداً لهم ولم يزل الى الآن في تلك البلاد السحيقة بقية منهم وهم يهود الا أنهم اقتبسوا عادات الزنج الاصيلين في معيشتهم

وفي سنة ١٤٧٢ اكتشف القبطان البرتغالي يوحنا ستنارم بلاد ساحل الذهب فاخذها من سكانها العرب وهاجر اليها البرتغاليون واستوطنوها وبنوا فيها المدن والقلاع ثم دخلوا بلاد البنيان والكونغو ومنها نقلوا الى بلادهم زراعة الفلفل وغيرها من البهارات والفاكهة . وفي سنة ١٤٨٦ اكتشفوا اقليم السنيغال وانتهى الامر ان برتلمي دياذ الرحالة البرتغالي الشهير واصل اكتشافاته جنوباً حتى وصل الى رأس افريقية الجنوبي بعد ما عانى الاهوال من العواصف والانواء وسماه « رأس الاهوال » ولكن يوحنا الثاني ملك البرتغال ابدله باسم « رأس الرجاء الصالح » . وحينئذ تيقن البرتغاليون ان في وسعهم الطواف حول افريقية بحراً اذ عرفوا ان هذه القارة جزيرة او شبه جزيرة . وفي سنة ١٤٩٥ دعا ملك البرتغال القبطان الشهير والرحالة العظيم فاسكودي غاما للسفر الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح فجهز له اسطولاً من المراكب الكبيرة وأمدته بالمال والرجال « نخرج فاسكو من مرفأ لشبونة باحتفال عظيم وشيعة الملك وعظاؤه ورجال بلاطه بين هتاف الرجال وزغرودة النساء . فاجتاز السواحل الغربية واستولى على جميع السواحل والبلاد التي مر عليها في طريقه حتى وصل الى رأس الرجاء الصالح . ثم تحول بسفنه شمالاً واستولى على السواحل الشرقية فرسا أولاً عند بلاد سماها تنال اي المولد باسم المدينة

التي كانت مسقط رأسه واخذ بلاد كفروريا واكتشف في طريقه مدغشقر وجزائر
القمور وانجوان ولم يزل يسير شمالاً محاذياً للسواحل حتى وصل الى بلاد سفالة
(موزمبيق) فاحتلها ورفع عليها العلم البرتوغالي وهناك اكتشف مناجم الذهب القديمة
التي كانت معروفة منذ القدم عند المصريين والرومان والعرب . ويقال انها بلاد
ترشيش التي ورد ذكرها في سفر الملوك وقيل ان سليمان الملك كان يأتي منها بالذهب
والفضة والقرود والعاج والطواويس (ملوك اول ص ١٠) وبني فاسكو في اكثر البلاد
التي احتلها القلاع والحصون ووضع فيها بعض الحامية من رجاله وجعلهم وكلاء له
لشراء الذهب والعنبر والمعادن والعاج . وقد وجد الرحالون البرتوغاليون في اسفارهم
هذه كثيرين من تجار العرب عند شواطئ التتال والترنسفال وموزمبيق يحملون تراب
الذهب في الاكياس وينقلونها الى سفنهم ويأخذونها الى زنجبار وعمان وشبه
جزيرة العرب

ثم استولى هذا القبطان الشهير على كل الممالك العربية الافريقية الشرقية وهي قنوة
وسعداني وشيكوه وبنة وكلوه وبنجاني وملندة وكلها كانت ممالك زاهرة عامرة تحت
حكم سلاطينها المستقلين من العرب . وقد ذكر ابن بطوطة اكثر هذه البلاد وحكامها
في رحلته المعروفة

ولما وصل القبطان ورجاله الى مصب نهر زمبيسي الكبير ركبوا فيه بسفنهم وبنوا
على ضفتيه القلاع والفرض واقاموا فيها اناساً من قومهم للمحافظة عليها وفتحوا اسواقاً
عظيمة للتجارة

ثم استولوا على بقية الشواطئ الشرقية فرسوا في ممبسة وكانت وقتئذ مدينة تجارية
عامرة فسر البرتوغاليون بها لانهم لم يروا مدينة عظيمة مثلها وكان فيها بيوت فخمة
وقصور ومبان فاخرة واسواق عظيمة . قال ملطبرون في جغرافيته القديمة « ان اهالي
ممبسة كانوا قبل دخول البرتوغاليين من قبائل العرب العرباء وكلهم على حضارة يعيشون
بالبدخ والترف وعندهم بعض العلوم والصنائع وملهمون باحوال التجارة ولهم فيها طرق
مفتوحة في داخلية البلاد ، وسفنهم تمخر في انهارها وتنجر مع عمان وحضرموت والهند »
ثم استولى القبطان فاسكو على سلطنة ملندة شمالاً وكانت زاهية زاهرة كثيرة
المباني واسعة التجارة ورأى فيها جماعة من البنيان وهم طائفة من التجار الهنود فاخذ
بعضهم الى سفنه ليدلوه على طريق الهند . وبعد ان استولى على سلطنات لامو وملندة

وكلوة ومغدشو وجميع السواحل الشرقية وجزائرها وطد قومه اقدمهم فيها فبنوا فيها القلاع الحصينة ولم يزل آثارها باقية الى الآن ، وعليها كتابات بلغتهم وعلى بعضها كتابات برتوغالية ازاء الكتابة العربية القديمة . ثم واصل دي غاما سفره الى الهند ورسا على سواحلها وجلب منها البضائع ورجع الى بلاده . وفي سنة ١٥٠٠ خرج القبطان الينوزا البرتوغالي بمراكب كثيرة من لشبونة واجتازها سواحل افريقية الغربية ثم دار حولها متعهداً اثار من سبقه من الرواد وموطداً دعائم المستعمرات البرتوغالية وظل يسير شمالاً حتى اجتاز بوغاز باب المنذب الى البحر الاحمر ثم ارتاد سواحل شبه جزيرة العرب بين عدن والشحر وحضرموت ثم رجع الى بلاده

وفي سنة ١٥١٣ استولى اليوكرك الاكبر البرتوغالي الشهير على جزيرتي زنجبار وبمبا وكان ملوكها واهلها وقتئذ من اليعاربة اصحاب الشوكة والصولة وجرى بينه وبينهم حروب عديدة برأً وبحراً مدة سنين كثيرة واخيراً تم النصر للبرتوغاليين ففرضوا على ملوك تلك البلاد الخراج والمغارم ودخلت جميع ممالك العرب في طاعتهم . وكان في السواحل الشرقية بلاد يحكمها مشايخ من العرب بالشورى ولذلك دعاها مؤرخو البرتوغال جمهورية بروا فالزموا اهلها ان يدفعوا لهم كل سنة خمسمائة مثقال ذهباً . وكان لملك البرتوغال ايراد سنوي من هذه الممالك العربية يؤخذ ويصرف ثمناً لجلب البضائع من الهند الى لشبونة . فانفتحت بذلك للبرتوغال اسباب الغنى والسيادة على سواحل افريقية كلها شرقاً وغرباً حتى خليج العجم وعمان والهند . واخذوا عن العرب كثيراً من العلوم والفنون والصنائع واصول التجارة وعلم اسفار البحر وعرفوا المواقع والمرافئ والخلجان . وقد وصفهم مؤرخو البرتوغال في كتبهم بانهم في سعة من العيش والحضارة ولسلاطينهم شوكة وصوله وانهم من ذوي الكرم والثروة . وكانت لهم تجارة واسعة مع سواحل العرب وحضرموت والبصرة وعمان والهند وكانت كل سلطنة مستقلة عن الاخرى في احكامها ومعاملاتها

وفي سنة ١٥٧٣ وصلت حملة بحرية برتوغالية واجتازت السواحل الشرقية وتوغلت في داخلية البلاد طلباً لاكتشاف مناجم الذهب وبعد مشقات كثيرة وحروب عديدة مع العرب والزنج وصلوا الى ماتيكاف في داخلية بلاد سفالة (موزمبيق) واكتشفوا معادن الذهب القديمة التي ذكرناها ولكنهم وجدوا الاراضي قاحلة جدياء وايقنوا

أنهم لا يقدرّون ان ينتفعوا منها بشيء لانهم لم يكونوا يعلمون طرق الحفر والنقب الحديثة وليس عندهم آلات للنزول الى اعماق الارض وبلوغ عروق الذهب وكان العامل يشتغل اياماً ولا يستخرج من عمله اكثر من خمسة دراهم فتركوا البلاد ورجعوا الى بلادهم

ثم ارسل ملوكهم عمالاً لهم الى تلك الاصقاع بعد ان رسخت اقدامهم فيها وكان اولهم القبطان فرنسز الفارس وامتد حكمهم نحو اكثر من مائتين وخمسين سنة في مسقط وعمان وخليج العجم ومبسة ولامو وملندة وكلاوة وزنجبار وسلطنة ويتو وكل ممالك افريقية الشرقية وجزاؤها الى سنة ١٧١٥ حين قام الامام الاكبر سعيد بن سلطان ابن سعيد بن سلطان بن مالك بن ابي العرب بن سلطان بن مالك اليعربي القحطاني النهباني امام مسقط وعمان الملقب بقميد الارض فاخرج البرتوغاليين من بلاده واجلاهم عن مسقط وخليج العجم ثم جهز السفن العديدة وارسلها مع جيش عظيم من العرب الى زنجبار وبمبا وسواحل افريقية الشرقية وطردهم من تلك الاصقاع وحاربهم في مواقع بحرية ومعارك برية يطول شرحها واخذ البلاد كلها منهم ودك حصونهم وقلاعهم واقام عمالاً له في لامو ومبسة وملندة وبسته من مشايخ آل المذروعي وفي زنجبار وبمبا اناب عنه امرأ من آل نهان ولبثت تلك البلاد تحت سلطة ائمة اليعاربة الى ان قام سنة ١٧٤١ الامام السيد احمد بن سعيد بن احمد بن محمد ابو سعيدي اليميني الازدي جد الاسرة البوسعيدية المالكة الآن في زنجبار وعمان وطرد اليعاربة من عمان وكل شواطئ افريقية ودانت له البلاد كلها وامتدت سلطته من عمان وخليج العجم وافريقية الشرقية حتى جزيرة القمور وشمالي جزيرة مدغشقر . وبعد ذلك انفصلت سلطنة زنجبار عن سلطنة عمان في اخبار طويلة لا سبيل لذكرها الآن اما البرتغاليون فتقلص ظلهم من كل البلاد الافريقية الشرقية ولم يبق تحت حكمهم سوى اقليم موزمبيق .

مقتطف اكتوبر سنة ١٩١٥



٤

الرحلات الحديثة

قصد كثيرون من السياح الاوربيين اكتشاف مجاهل افريقية منذ القرن السابع عشر بعد ان عرفت واكتشفت شواطئها كلها . والمعروف منها رحلات كافانسي وبروا وكولنسي . وفي القرن الثامن عشر قام السياح كمانيون وستيوارت وسكاو ولوكوك وبرون ونوريس وبورمان وباروي ومندوزا لاسرد برحلات عديدة ولكن تقاريرهم التي وضعوها في اسفارهم قلما يركن اليها واكثرهم لم يتجاوز الشواطئ الغربية والشرقية الا في بعض مئات من الاميال

وفي بدء القرن التاسع عشر قام ادمس الرحالة سنة ١٨١٠ عشر برحلة وصل بها الى تمبكتو وقام بعده الرحالة مونوبرك فوصل بها الى نهر النيجر وهناك قتل بايدي المتوحشين

وكانت بعد ذلك رحلات السياح كلابرتون ولامي . ورتشرد لندر الانكليزي ورينه كايه الفرنسي وكلهم لم يتوغلوا كثيراً في المجاهل الافريقية فلم تأت رحلاتهم بفائدة تذكر . وقام بعدهم الرحالتان الشهيران برث وفوجل برحلات في الاقطار السودانية الغربية ومجاوزا نهر النيجر وكتبوا عن اهالي تلك البلاد وعوائدهم . وفي سنة ١٨٠٦ رحل بعض السياح البرتوغاليين من موزمبيق الى داخل افريقية ووصلوا بعد مشقات ومصاعب عديدة الى مصب نهر زمبيسي العظيم ثم كانت بعد ذلك رحلة المرسل الانكليزي كريف ورفيقه ارهت وربمان فاكتشفوا بلاداً كثيرة في الداخلية كانت قبلاً مجهولة ووصلوا الى جبال كينيا وكلمنجارو المكلمة رؤوسها بالثلوج صيفاً وشتاءً وانجروا مع العرب وحصلوا على ثروة طائلة وهم اول من قالوا بوجود بحيرات كبيرة في اواسط افريقية وذكروا بعض معلومات عنها افادت السياح من بعدهم للوصول الى تلك البحيرات

وفي سنة ١٨٤٤ رحل شاب فرنسوي يدعى ميزان وكان من ضباط البحرية الفرنسية فخطر له تبعاً لتقارير السائح كريف ان يتوغل في داخلية افريقية ويكتشف بنفسه بحيراتها الكبرى ويصف كل ما يتعلق بها فصوبت الحكومة الفرنسية رأيه وامدته بالمال فذهب اولاً الى جزيرة بوربون ثم الى زنجبار وكان فيها وقتئذ المسيو

بروشان قنصلاً لهذه الدولة لدى الحكومة الزنجيارية فساعدته في مهمته واراد ان يمدده ببعض الحرس ، الا ان ميزان رفض ان يأخذ معه احداً ولم يستصحب معه سوى رجل واحد من السواحليين من التجار العارفين لطرق تلك البلاد السحيقة وتابع اسمه فريدريك . ولما وصل ميزان الى بغامويو لحقه اربعون رجلاً من الزنجاريين كان ارسلهم قنصل فرنسا وراءه ليقوموا بحراسته غير ان ميزان أمرهم ان يرجعوا من حيث اتوا ولبث في بغامويو مدة شهرين يتعلم فيها اللغة السواحلية حتى اذا اتقنها خرج في رحلته الى داخلية البلاد مع تابعه فريدريك

وفي شتاء سنة ١٨٥٤ وصل الى مقاطعة واكيبو وزار فازي مازنجري زعيم قبائل (المساي) ورحب به ، غير انه لما رأى ما عنده من الآلات الفلكية والادوات الهندسية والنظارات العلمية وقد بهرت نظاره بلعائنها غدر به طمعاً بالحصول عليها فقبض عليه واذاقه من العذاب الوائناً وامر بتقطيع جسمه عضواً عضواً . واما تابعه فتمكن من الفرار بعد ان احتسى بزوجة هذا الزعيم الوحشي ورجع الى زنجيار واخبر قنصل فرنسا بما جرى لميزان فارسلت حكومة زنجيار قوة عظيمة للاقتصاص من تلك القبائل وزعيمها تبعاً للأوامر المشددة الصادرة من فرنسا

وجاء بعده برتون وسبيك الرحالتان الانكليزيان الشهيران فذهبا الى الهند سنة ١٨٥٦ وعزما على السياحة في داخلية افريقية لاكتشاف مجاهلها وبجاراتها فوصلا الى جزيرة بمبا ومنها الى زنجيار فاستقبلهما السر هاملتون قنصل انكلترا ورحب بهما ونشطهما على السياحة وكانت وطأة التعدي على الاجانب قد خفت في تلك الاصقاع بفضل سلاطين زنجيار ونفوذهم

وفي سنة ١٨٥٧ ركبوا سفينة سواحلية ووصلا الى ممبسة وتجمع الاهالي على الشاطئ ليروا السائحين الغريبيين وكان الاولاد يتراكمون حولها ويصيحون بلغتهم « مزنجو مزنجو » اي الافرنج البيض وزارا بالقرب من هذه المدينة المرسل الانكليزي ريمان وكان مقيماً هناك من مدة طويلة وقد تعلم لغة تلك البلاد . ثم ذهبا الى تنغا وركبا سفينة في نهر بنجاني الى الداخلية . ولا بأس بتلخيص هذه الرحلة لما فيها من الغرائب والفوائد الجغرافية

استصحب هذان السائحان معهما بعض الحرس والحامية من السواحليين والعرب وكان سيرهم في نهر بنجاني بطيئاً متعباً وقد التقوا بقطعان من عجول البحر وغيرها من

الحيتان ورأوا نوعاً من التماسيح هائل الجثة وهي كثيرة هناك تسرح على الشاطئ من الجانيين ومروا في طريقهم بغابات تكثر فيها القروود على اختلاف اجناسها ووجدوا انواعاً كثيرة من الاشجار الغربية الضخمة ومن النباتات النادرة منها، نوع يشبه النخل له سعف ضخمة كفضد الانسان وطول الورقة منها عشرون ذراعاً وهي محددة الرأس كالرحم

ووصلوا في الليلة الاولى الى قرية ذات ادغال كثيفة فاستقبلهم الاهالي بترحاب وامدوهم بالمؤونة والفاكهة وما زالوا يتوغلون في مجاهل تلك البلاد حتى وصلوا الى مدينة فوجه القرية من جبال كينيا الشاخنة التي تعلق تسعة آلاف قدم من سطح البحر ثم رجع الرحالتان ومن معهما الى زنجبار واستعدا في تلك السنة لرحلة اخرى اعظم من الاولى واخذوا معهما الرجال والدواب والاحمال والزاد ولكن قبل ان يصلوا الى اوغندا اعترت سيك الحمى الحديثة الافريقية واصيب رفيقه برتون باعراضها . ولما شفيا واصلوا السير الى الداخلية فوصلا في شهر يوليو الى مقاطعة وازرعي وزنجوميرو وهناك قبائل المساي الشهيرة بالغزو والسطو . وقد تجشمت هذه الحملة كثيراً من المشاق والمخاطر الى ان وصلت الى قازه وهي محط رحال القوافل من تجار العرب والنخاسة الى اواسط افريقيا وبحيراتها . وقد تحمل رجال هذه الحملة من لدغ النمل الاحمر والاسود ما جعلهم يتوقفون عن المسير الى الامام ، وهذا النمل يسير في تلك الفيافي كالجيش المرصوص وهو كبير الجثة طول النملة منه بوصتان او ثلاث ، ولها منسيران صلبان حادان كنصل الرحم واحياناً يلتقي هذا الجيش بجيش آخر من النمل الابيض فيتقاتلان اشد القتال في معارك كبيرة الى ان يتغلب احدهما على الآخر ويفتك به، ولدغ النمل الاحمر اشد ضرراً لانه سام

وقد التقت هذه الحملة في طريقها باسراب كثيرة من القبيلة والزرافي . والاهالي هناك يصطادونها ويجعلون من جلودها تروساً وهي متى جففت على طريقة يعرفونها تصبح صلبة متينة كالحديد لا يخرقها الرحم الحاد

ثم وصلت الحملة الى بلاد اونياموزي وهي كثيرة الخصب جيدة المرعى ومنها واصلت سيرها الى بحيرة تنغنيكا فوصلت بعد سفر شاق اليها فطاف سيك وبرتون حولها في قارب من جذع احدى الاشجار الضخمة ولاقت الحملة اهوالاً واطواراً

عظيمة من الاهالي والوحوش يعسر وصفها ثم وصلا الى ابواري واهلها يا كلوف
الجرذان والحشرات ولحوم البشر نيئة وهم في اسفل دركات الانحطاط والهمجية
لا فرق بينهم وبين الحيوانات في هيئاتهم وعوائدهم . ثم استأنفا المسير الى عبوة على
الشاطئ الغربي من هذه البحيرة ودخلا في بلاد اوجيجي . وبعد اربعة اشهر رجع
برتون الى قازة مع بعض رجال الحملة قاصداً زنجبار لان الحمى انهكت قواه ولم يستطع
مواصلة السير . واما رفيقه سبيك فاخذ باقي الحملة وواصل سفره وقد عزم ان لا يرجع
بالحياة والفشل الا بعد ان يكتشف بحيرة فيكتوريا نيانزا . وبعد شهر وصل اليها وهو
اول من وصفها وصفاً جغرافياً علمياً . وبعد ان طاف حولها ذكر جزائرها ووصف
اهلها وحيواناتها وزراعتها وحاصلاتها وقال ان اهلها على جانب من الحضارة وكلهم
مسالمون وعندهم قطعان البقر والنعيم والماعز ويزرعون الفول والارز وهو اول من
قال بان منابع النيل من تلك البحيرة العظيمة

وفي اوائل سنة ١٨٥٩ رجع سبيك الى قازة فوجد رفيقه برتون قد تعافى من
مرضه فاخبره انه اكتشف منابع النيل ثم طافا في تلك البلاد ووصلا الى اوغندا
والتقيا بملكها ووصفا اهلها وحكومتها وكان للملك جيش لا يقل عدده عن مئة الف
رجل . ومن هناك رجعا مع الحملة الى زنجبار ومنها الى اوروبا . وهذه هي الرحلة
الاولى المهمة الى اعلى النيل . واقبل بعد سبيك وبرتون كثيرون من السياح لارتداد
تلك البلاد السحيقة اشهرهم الساح العظيم لفنستون وستانلي الرحالة الشهير . ولا يسعنا
المقام وصف رحلتها وما اكتشفا من البلاد والجبال والبحيرات والانهر . وانما نكتفي
بالاشارة الى رحلة ستانلي وهو اول من اخترق قارة افريقية مرتين من الشرق
والغرب اي من زنجبار الى الكونغو وبالعكس وعادت اكتشافات هذا الرحالة بفوائد
حمة على علم الجغرافية وكشفت النقاب عن مجاهل افريقية الوسطى

رحل ستانلي من باريس ووصل في فبراير سنة ١٨٧١ الى زنجبار وامده المرحوم
برغش سلطان زنجبار بجملة كبيرة من الرجال السواحليين وفي ٢١ مارس وصل الى
بحيرة تنغنيكا وفي شهر نوفمبر وصل مع الحملة بعد ان لاقى المصاعب والاهوال الى بلاد
اوجيجي حيث التقى بالرحالة لفنستون وكان التفتيش عنه هو المهمة التي انتدب لها كما
هو معروف . واقام ستانلي عند لفنستون شهرين واتحدا معاً على اكتشاف حدود

البحيرة الشمالية . وفي شهر مارس سنة ١٨٧٢ فارق ستانلي لفنستون لانه لم يشأ ان يرجع معه الى اوروبا

وطاف ستانلي في اواسط افريقية وحده ورجع الى زنجبار ونقل خبر وجود لفنستون حياً بلسان البرق الى اوروبا . وقام بعد سنة برحلة اخرى لاكتشاف ما بقي من اواسط افريقية المجهولة واخرقها من الشرق الى الغرب واستصحب معه من زنجبار حملة كبيرة وقارباً صغيراً مفككاً ورافقه بضعة اشخاص من اوروبا فاجتاز في رحلته هذه كل مقاطعات افريقية الشرقية واوغاندا ووصل سنة ١٨٧٥ الى منابع النيل وبحيرة البرت ثم واصل سيره في اواسط افريقية حتى وصل الى الكونغو على المحيط الاثنتيني بعد ثلاث سنوات

ورحل ستانلي رحلة ثالثة سنة ١٨٨٤ اخترق فيها افريقية من الغرب الى الشرق اي من الكونغو الى زنجبار واكتشف في رحلته هذه بلاداً كثيرة وجبالاً وبحيرات وانهراً كانت مجهولة مما هو معلوم فلا نطيل فيه

وفي سنة ١٨٨٧ قام برحلة رابعة متدباً من الجمعيات الجغرافية الاوربية ومن المرحوم توفيق باشا الخديوي الاسبق للتفتيش عن امين باشا حاكم دار مديرية لادو ولبطون بك حاكم دار بحر الغزال وكازاتي الساح الايطالي ويونكر الساح الروسي وقد انقطعت اخبارهم بعد ثورة الدراويش واستيلاء المهدي على السودان . فقام ستانلي بمهمته هذه المحفوفة بالمخاطر والمشقات واشتركت في نفقات هذه الحملة الحكومة المصرية والجمعية الجغرافية الانكليزية فاكتشف كثيراً من البلاد المجهولة وطاف في جهات السودان كلها . وفي ١٦ يناير سنة ١٨٨٩ التقى ستانلي بامين باشا ومن معه من الجنود المصريين ورجع بهم عن طريق زنجبار . وفي سنة ١٨٩٠ وصل الى مصر وكان له استقبال حافل وقد خدم هذا الرجل العظيم العالم اجمع وخلد له اسماً مجيداً باكتشافاته العلمية الثمينة
(مقتطف نوفمبر سنة ١٩١٥)



ابن بطوطه في السودان

(١)

لقينا بالامس رجلاً من ضباط الجيش البريطاني اخبرنا انه جال في السودان الغربي التابع لفرنسا ورأى فيه كثيراً من الآثار الدالة على عمران سابق يفوق عمرانه الحالي وقال ان أحد كتاب العرب وصفه منذ نحو ستمائة سنة فقلنا لعله ابن بطوطه فقال هو هو فرجعنا الى ابن بطوطه فرأينا فيما كتبه عن السودان فوائد حريية بالنشر فاثبتنا منه ما يلي وابقينا الكلام بصورة المتكلم بعد ما حذفنا منه ما لا حاجة اليه . وزدنا فيه بعض الزيادات وضعناها بين قوسين

وابن بطوطه هو شرف الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الرحالة المشهور ولد بطنجة سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٤ م) وخرج منها سالماً سنة ٧٢٥ (١٣٢٥ م) فجاها الاسكندرية والقاهرة وكانت اكبر المدن حينئذ على ما يرجح ما عدا بعض مدن الصين وحاول المسير الى مكة بطريق عيذاب فتعذر عليه ذلك فانقلب راجعاً الى مصر وسار الى فلسطين فحلب فدمشق ومنها الى المدينة ومكة حاجاً . ثم زار مشهد الامام علي في مشهد وسار منها الى واسط فالبصرة وقطع جبال خوزستان الى اصفهان وشيراز وعاد الى الكوفة فبغداد فلموصل فديار بكر . وحج ثانية وجاور ثلاث سنوات وجاء عدن وعبر الى افريقية وزار ممبسه وكلوى ثم عاد الى عمان وهرمز ومكة وحج ثالثة ثم جاء القاهرة بطريق اسوان وذهب الى بلاد الشام وبر الاناضول وعبر البحر الاسود واتصل بالسلطان محمد اوزبك صاحب تلك البلاد ووصل الى مدينة بلغار حيث العرض ٥٤ درجة و٥٤ دقيقة لكي يشهد قصر ليالي الصيف وحاول الوصول الى الارض المظلمة . وسار الى القسطنطينية في عهد الامبراطور اندرونيكس الثالث وعاد الى بلاد السلطان محمد اوزبك وقطع الى خوارزم وبنجاري وسار الى كابول بطريق خراسان ودخل بلاد الهند وانتقل الى ملتان ومنها الى دهلي عاصمة السلطان محمد تغلق واقام هناك ثمانين سنوات ثم اوفد الى بلاد الصين فر على جزائر ملديف فجزيرة سيلان وعبر الى بنجاله وعاد فزار جاوه وسومطره ووصل الى الصين ثم عاد الى سومطره ومليبار وعمان وبلاد فارس وبغداد وتدمر ودمشق وحمص وحلب

والقدس والقاهرة وحج حجة رابعة وعاد الى فاس بطريق سردينية فوصلها بعد ما قضى في رحلاته هذه اربعاً وعشرين سنة وقطع الى الاندلس وعاد الى مراکش ومنها الى مكناسة ففاس ورحل من هناك الى بلاد السودان وهي ارحلة الاخيرة التي اردنا تفصيلها هنا قال : —

ودعت مولانا ايده الله (الامام الخليفة أمير المؤمنين ابا عنان فارس المريني من آل عبد الحق) وتوجهت الى بلاد السودان فوصلت الى مدينة سجلماسة وهي من احسن المدن وبها التمر الكثير الطيب وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر لكن تمر سجلماسة اطيب ونزلت عند الفقيه ابي محمد البشري وهو الذي لقيت اخاه بمدينة قنجنفو من بلاد الصين فيا شد ما تباعدا فاكرمني غاية الاكرام واشترت بها الجمال وعلقتها اربعة اشهر ثم سافرت في غرة شهر الله المحرم سنة ٧٥٣ (١٨ فبراير ١٣٥٢م) في رفقة فيها جماعة من تجار سجلماسة فوصلنا بعد ٢٥ يوماً الى تغازى وهي قرية لا خير فيها من عجائبها ان بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح ولا شجر بها وانما هي رمل فيه معدن الملح يحفر عليه في الارض فيوجد منه الواح ضخام متراكبة كأنها قد تحمت ووضعت تحت الارض يحمل الحمل منها لوحين . ولا يسكنها الا عبيد مستوفو الذين يحفرون على الملح ويتعيشون بما يجلب اليهم من تمر درعة وسجلماسة ومن لحوم الجمال ومن الانلي (الذرة) المجلوب من بلاد السودان . ويصل السودان من بلادهم فيحملون منها الملح ويبيع الحمل منه بمدينة ايوالاين بعشرة مثاقيل الى ثمانية وبمدينة مالي بثلاثين مثقالاً الى عشرين وربما انتهى الى اربعين مثقالاً (المتقال من الذهب يساوي نحو ٤٥ غرساً) وبالملاح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعاً ويتبايعون به . وقرية تغازى على حقاقتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر . واقمنا بها عشرة ايام في جهد لان ماءها زعاق وهي اكثر المواضع ذباباً ومنها يرفع الماء لدخول الصحراء التي بعدها وهي مسيرة عشر لا ماء فيها الا في النادر . ووجدنا نحن بها ماء كثيراً في غدران ابقاها المطر . والكمأة بتلك الصحراء كثيرة . ووصلنا الى تاسرها وهي احساء ماء تنزل القوافل عليها وقيمون ثلاثة ايام فيستريحون ويصلحون اسقيهم ويملاونها بالماء ويخيطنون عليها التلايس خوف الريح ثم وصف مسيرهم في الصحراء الى ان دخلوا مدينة ايوالاين فقال : —

ووصلنا الى مدينة ابوالاتن في غرة شهر ربيع الاول بعد سفر شهرين كاملين من سجالماسة وهي اول عمالة السودان ونائب السلطان فيها فربا حسين ومعنى فربا نائب ولما وصلناها ذهبنا الى الفربا وهو جالس على بساط في سقيف واعوانه بين يديه بايديهم الرماح والقيسي وكبراء مسوفة من ورائه ووقف التجار بين يديه وهو يكلمهم بترجمان على قريتهم منه احتقاراً لهم فعند ذلك ندمت على قدومي بلادهم لسوء ادبهم واحتقارهم للابيض وقصدت دار ابن بداء وهو رجل فاضل من اهل سلا كنت كتبت له ان يكرري لي داراً ففعل ذلك وكانت اقامتي بايوالاتن نحو خمسين يوماً واكرمني اهلها وازافوني ، منهم قاضيا محمد بن عبد الله بن نيومر واخوه الفقيه المدرس يحيى . وبلدة ابوالاتن شديدة الحر وفيها يسير نخيلات يزرعون في ظلالها البطيخ وماؤهم من احساء بها ولحم الضأن كثير فيها وثياب اهلها حسان مصرية واكثر السكان بها من مسوفة ولنسائهم الجمال الفائق وهن اعظم شأناً من الرجال

والمسوفة عجيب امرهم فاما رجالهم فلا غيرة لديهم ولا ينتسب احدهم الى ابيه بل ينتسب الى خاله . ولا يرث الرجل إلا ابناء اخته دون بنيه وذلك شيء ما رأيته في الدنيا إلا عند كفار بلاد والمليار من الهنود . واما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن . واما نسائهم فلا يحتشمن من الرجال ولا يحتجبن مع مواظبتهن على الصلوات . ومن اراد الزواج منهن تزوج لكنهن لا يسافرن مع الزوج ولو ارادت احداهن ذلك لمنعها اهلها . والنساء هنالك يكون لهن الاصدقاء والاصحاب من الرجال الاجانب وكذلك للرجال صواحب من النساء الاجنبيات ويدخل احدهم داره فيجد امرأته ومعها صاحبها فلا ينكر ذلك

دخلت يوماً على القاضي بايوالاتن بعد اذنه في الدخول فوجدت عنده امرأة صغيرة السن بديعة الحسن فلما رأيتهما ارتبت وأردت الرجوع فضحكت مني ولم يدركها خجل وقال لي القاضي لم ترجع؟ انها صاحبتني فعجبت من شأنهما فانه من الفقهاء الحجاج ودخلت يوماً على ابني محمد يندكان المسوفي الذي قدمنا في صحبتته فوجدته قاعداً على بساط وفي وسط داره سرير مظلل عايشه امرأة معها رجل قاعد وهما يتحدثان فقلت له ما هذه المرأة فقال هي زوجتي فقلت وما الرجل الذي معها منها فقال هو صاحبها فقلت له اترضى بهذا وانت قد سكنت بلادنا وعرفت امور الشرع فقال لي ان مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحسن طريقة لا تهمه فيها، ولسن كنساء

بلا دكم. فعجبت من رعونته وانصرفت عنه فلم اعد اليه بعدها . واستدعاني مرات فلم اجبه
نقول ولو دخل ابن بطوطة بيوت الاوربيين في هذا النصر لرأى فيها مارآه
في بيت هذا الرجل ونساؤهم على تمام العفة فهو مخطيء اذا بنى ارتيا به برفة نساء
ايوالآن على مجالسهن الرجال وسبب خطاه انه لم يعتد رؤية النساء مع الرجال على
هذه الصورة كما ان هذا الرجل محمد المسوفي مخطيء في حسبان نساء المغرب اقل
عفة من غيرهن فيحجبين . ثم قال ابن بطوطة

ولما عزمت على السفر الى مالي وبينها وبين ايوالآن مسيرة اربعة وعشرين يوماً
للمجد اكرتت دليلاً من مسوفة اذ لا حاجة الى السفر في رفقة لا من تلك الطريق
وخرجت في ثلاثة من اصحابي والطريق كثيرة الاشجار واشجارها عادية ضخمة
تستظل القافلة بظل الشجرة منها وبعضها لا أغصان لها ولكن ظل جسدها يستظل
به الانسان . وبعض تلك الاشجار قد استأسن داخلها واستنقع فيه ماء المطر
فكأنها برّ ويشرب الناس من الماء الذي فيها ويكون في بعضها النحل والعسل
فيشتاره الناس . ولقد مررت بشجرة منها فوجدت في داخلها رجلاً حائكاً قد نصب
فيها مرسته وهو ينسج فعجبت منه . وفي اشجار هذه الغابة ما يشبه شجرة الاجاص
والتفاح والحوخ والمشمش وفيها اشجار تثمر شبه الفصوص فاذا طاب انفاق عن
شيء شبه الدقيق فيطبخونه ويأكلونه ويبيع بالاسواق . ويستخرجون من هذه
الارض حبات كالفول فيقلونها ويأكلونها وطعمها كطعم الحمص المقلو وربما طحنوها
وصنعوا منها شبه الاسفنج وقلوه بالقرني . والقرني ثمر كالاچاص شديد الحلاوة يدق
عظمه فيستخرج منه زيت لهم فيه منافع فمنها انهم يطبخون به ويسرجون السرج
ويقولون به هذا الاسفنج ويدهنون به ويخلطونه بتراب عندهم ويسطحون به الدور
كما تسطح بالخير . وهو عندهم كثير متيسر ويحمل من بلد الى بلد في قرع كبار تسع
القرعة منها قدر ما تسعه القلّة ببلادنا . والقرع ببلاد السودان يعظم ومنه يصنعون
الجبان يقطعون القرعة نصفين فيصنعون منها جفتين وينقشونها نقشاً حسناً . واذا
سافر احدهم يتبعه عبيده وجواريه يحملون فرشه واوانيه التي يأكل ويشرب بها
وهي من القرع . والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زاداً ولا اداماً ولا ديناراً ولا درهماً
انما يحمل قطع الملح وحلي الزجاج الذي يسميه الناس النظم وبعض السلع العطرية

واكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكي وتاسرغنت وهو بخورهم فاذا وصل قرية جاء نساء السودان بالانلي واللبن والدجاج ودقيق النبق والارز والفوني وهو كحب الخردل يصنع منه الكسكس والعصيدة ودقيق اللوبيا فيشتري مهن ما أحب من ذلك وبعد مسيرة عشرة ايام من ايوالاين وصلنا الى قرية زاغري وهي كبيرة يسكنها تجار السودان ويسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب الاباضية . ومن هذه القرية يجلب الانلي الى ايوالاين . ثم سرنا من زاغري فوصلنا الى النهر الاعظم وهو النيل وينحدر النيل منها الى كبرة ثم الى زاغة . ولكبرة وزاغة سلطانان يؤديان الطاعة للملك مالي واهل زاغة قدماء في الاسلام لهم ديانة وطلب للعلم . ثم ينحدر النيل من زاغة الى تنبكتو ثم الى كوكو ثم الى بلدة مولي وهي آخر عمالة مالي ثم الى يوفي وهي اكبر بلاد السودان وساطانها من اعظم سلاطينهم ولا يدخلها الابيض من الناس لانهم يقتلونه قبل الوصول اليها . ثم ينحدر منها الى بلاد النوبة وهم على دين النصرانية ثم الى دنقلة وهي اكبر بلادهم وساطانهم يدعى ابن كنز الدين اسلم في ايام الملك الناصر ثم ينحدر الى جنادل وهي آخر عمالة السودان وأول عمالة اسوان

تقول والنهر الذي وصل اليه ابن بطوطة حينئذ هو نهر النيجر لا نهر النيل وهو يبدأ في غرب افريقية فيجري أولاً الى الشمال الشرقي ثم ينحدر الى الجنوب بميل الى الشرق ويصب في خليج غينيا في الغرب الجنوبي من افريقية ولكن القدماء كانوا يظنون انه يسير شرقاً الى ان يلتقي بنيل مصر وانه هو اصل النيل وذلك خطأ كما لا يخفى

وعاد ابن بطوطة بعد ذلك الى وصف هذه المدن وما وجده فيها قال : —

مدينة مالي حضرة (عاصمة) ملك السودان وكان محمد بن الفقيه قد اكرتري لي داراً فيها ازاء داره فتوجهت اليها وجاء صهره الفقيه المقرئ عبد الواحد بشمعة وطعام ثم جاء ابن الفقيه الي في الغد وشمس الدين بن القويس وعلي الزودي المراكشي وهو من الطلبة ولقيت القاضي عبد الرحمن وهو من السودان حاج فاضل له مكارم اخلاق ولقيت الترجمان دوغا وهو من افاضل السودان وكبارهم وكان ابن الفقيه متزوجاً بنت عم السلطان فكانت تتفقدنا بالطعام

وسلطان مالي هو منسى سليمان ومعنى منسى سلطان له قبة مرتفعة بابها بداخل

داره يقعد فيها اكثر الاوقات ولها من جهة المشور طيقان ثلاثة من الخشب مغشاة بصفايح الفضة وتحتها ثلاثة مغشاة بصفايح الذهب او هي فضة مذهبة وعليها ستور ملف فاذا كان يوم جلوسه بالقبه رفعت الستور فعلم انه يجلس فاذا جلس اخرج من شبك احدى الطاقات شرابة حرير قد ربط فيها منديل مصري مرقوم فاذا رأى الناس المنديل ضربت الاطبال والابواق . ثم يخرج من باب القصر نحو ثلثماية من العيد في أيدي بعضهم القسي وفي ايدي بعضهم الرماح الصغار والدرق فيقف اصحاب الرماح منهم ميمنة وميسرة ويجلس اصحاب القسي كذلك ثم يؤتى بفرسين مسرجين ملجمين ومعهما كبشان يذكرون انهما ينفعان من العين وعند جلوسه يخرج ثلاثة من عبيده مسرعين فيدعون نائبه قنجا موسى وتأتي الفرارية وهم الامراء ويأتي الخطيب والفقهاء فيقعدون امام السلحدارية يمينة ويسرة في المشور ويقف دوغا الترجمان على باب المشور وعليه الثياب الفاخرة من الزردخانة وغيرها وعلى رأسه عمامة ذات حواشي لهم في تعميمها صنعة بدبعة وهو متقلد سيفاً غمده من الذهب وفي رجله الخف والمهاميز ولا يلبس احد ذلك اليوم خفاً غيره . ويكون في يده رحان صغيران احدهما من ذهب والاخر من فضة واستتهما من الحديد ويجلس الاجناد والولاة والقتيان والمسوفة وغيرهم خارج المشور في شارع متسع فيه اشجار وكل فراري بين يديه اصحابه بالرمح والقسي والاطبال والابواق وبوقاتهم من انياب الفيلة وآلات الطرب المصنوعة من القصب والقرع وتضرب بالسطاعة ولها صوت عجيب ولكل فراري كنانة قد علقها بين كتفيه وقوسه بيده وهو راكب فرساً واصحابه بين مشاة وركبان . ويكون بداخل المشور تحت الطيقان رجل واقف فمن اراد ان يكلم السلطان كلم دوغا ويكلم دوغا ذلك الواقف ويكلم الواقف السلطان

ويجلس السلطان ايضاً في بعض الايام بالمشور وهناك مصطبة تحت شجرة لها ثلاث درجات يسمونها النبي تفرش بالحرير وتجعل الخاد عليها ويرفع الشطر وهو شبه قبة من الحرير وعليه طائر من ذهب على قدر البازي . ويخرج السلطان من باب في ركن القصر وقوسه بيده وكنانته بين كتفيه وعلى رأسه شاشية ذهب مشدودة بعصابة ذهب لها اطراف مثل السكاكين رقاق طولها ازيد من شبر واكثر لباسه حية حمراء موبرة من الثياب الرومية التي تسمى المطنفس ويخرج بين يديه المغنون بايديهم قنابر الذهب

والفضة وخلفه نحو ثلثائة من العيد اصحاب السلاح ويمشي مشياً رويداً ويكثر التناهي وربما وقف فاذا وصل الى النبي وقف ينظر في الناس ثم يصعد برفق كما يصعد الخطيب المنبر وعند جلوسه تضرب الطبول والابواق والانفار ويخرج ثلاثة من العيد مسرعين فيدعون النائب والفرارية فيدخلون ويجلسون ويؤتى بالفرسين والكباشين معهما ويقف دوغا على الباب وسائر الناس في الشارع تحت الاشجار

وحضرت بمالي عيدي الاضحى والفطر فخرج الناس الى المصلي وهو بمقربة من قصر السلطان وعليهم الثياب البيض الحسان وركب السلطان وعلى رأسه الطيسان . والسودان لا يلبسون الطيسان الا في العيد ما عدا القاضي والخطيب والفقهاء فانهم يلبسونه في سائر الايام . وكانوا يوم العيد بين يدي السلطان وهم يهللون ويكبرون وبين يديه العلامات الحمر من الحرير ونصب عند المصلي خباء فدخل السلطان اليه واصلح من شأنه ثم خرج الى المصلي فقضيت الصلاة والخطبة

ويجلس السلطان في ايام العيدين بعد العصر على النبي وتأتي السالحدارية بالسلاح العجيب من تراكش الذهب والفضة والسيوف المحلاة بالذهب وانماها منه ورماح الذهب والفضة ودبايس البلور ويقف على رأسه اربعة من الامراء يشردون الذباب وفي ايديهم حلية من الفضة تشبه ركاب السرج ويجلس الفرارية والقاضي والخطيب على العادة ويأتي دوغا الترجمان بنسائه الاربع وجواريه وهن نحو مئة عليهن الملابس الحسان وعلى رؤوسهن عصائب الذهب والفضة فيها تفافيح ذهب وفضة وينصب لدوغا كرسي يجلس عليه ويضرب الآلة التي هي من قصب وتحتها قريعات ويغني بشعر يمدح السلطان فيه ويذكر غزواته وافعاله ويغني النساء والجواري معه ويلعبن بالقسي ويلعب دوغا بالسيف لعباً بديعاً وعند ذلك يأمر السلطان بالاحسان له فيؤتى بصرة فيها مئتا مثقال من التبر . وفي كل يوم جمعة بعد العصر يفعل دوغا مثل هذا الترتيب الذي ذكرناه

مقتطف فبراير سنة ١٩١٦

وحضرت مجلس السلطان في بعض الايام فاتي احد فقهاءهم وكان قدم من بلاد بعيدة وقام بين يدي السلطان وتكلم كلاماً كثيراً فقام القاضي فصدقه ثم صدقها السلطان وكان الى جانبي رجل من البيضان فقال لي اتعرف ما قالوه فقلت لا فقال ان الفقيه اخبر ان الجراد وقع ببلادهم فخرج احد صلحاءهم الى موضع الجراد فهاله امرها فقال هذا جراد كثير فاجابت جرادة منها وقالت ان البلاد التي يكثر فيها الظلم يبعثنا الله لفساد زرعها . فصدقه القاضي والسلطان وقال السلطان عند ذلك للامراء ابي بريء من الظلم ومن ظلم منكم عاقبته ومن علم بظلم ولم يبلغني به فذنوب ذلك الظالم في عنقه والله حسيبه وسائله. ولما قال هذا الكلام وضع الفرارية عمائمهم على رؤوسهم وتبرأوا من الظلم وحضرت الجمعة يوماً فقام احد التجار من طلبة مسوفة ويسمى باني حفص فقال يا اهل المسجد اشهدكم ان منسى سليمان في دعوتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما قال ذلك خرج اليه رجال من مقصورة السلطان فقالوا له من ظلمك من اخذك شيئاً . فقال ما معناه ان مشرف ايوالاين اخذمني ما قيمته ستمائة مثقال واراد ان يعطيني في مقابلته مائة مثقال خاصة . فبعث السلطان عنه للحين فحضر بعد ايام وصرفهما الى القاضي فثبت للتاجر حقه فاخذه وبعد ذلك عزل المشرف عن عمله

واتفق في ايام اقامتي بمالي ان السلطان غضب على زوجته الكبرى بنت عمه المدعوة قاسا ومعنى قاسا عندهم الملكة وهي شريكته في الملك على عادة السودان ويندكر اسمها مع اسمه على المنبر وسجها عند بعض الفرارية وولى في مكانها زوجته الاخرى بنجو ولم تكن من بنات الملوك . فاكثر الناس الكلام في ذلك وانكروا فعله . ودخل بنات عمه على بنجو يهنئنها بالمملكة ولم يترن (١) ثم ان السلطان سرح قاسا من ثقافها فدخل عليها بنات عمه يهنئنها بالسراح وترن على العادة فشكت بنجو الى السلطان بذلك فغضب على بنات عمه فخفن منه واستجرن بالجامع فعفا عنهن واستدعاهن . وعادتهن اذا دخلن على السلطان ان يتجردن من ثيابهن ويدخلن عرايا ففعلن ذلك ورضي عنهن وصرن يأتين باب السلطان غدواً وعشياً مدة سبعة ايام وكذلك يفعل كل من عفا عنه السلطان . وصارت قاسا تركب كل يوم في جواربها وعبيدها وعلى رؤوسهم

(١) الترتيب رمي التراب على الرأس قال ابن بطوطة في مكان آخر ان اهالي السودان كانوا يفعلونه احتراماً للملوكهم وعظماهم

التراب وتقف عند المشور متقبلة لا يرى وجهها . واكثر الامراء الكلام في شأنها
فجمعهم السلطان في المشور وقال لهم دوغا على لسانه انكم قد اكثرتم الكلام في امر
قاسا وانها اذنبت ذنباً كبيراً ثم اتى بجارية من جواربها مقيدة مغلولة فقيل لها تكلمي
بما عندك فاخبرت ان قاسا بعثها الى جاطل ابن عم السلطان الهارب عنه الى كنبربي
واستدعته ليخضع السلطان عن ملكه وقالت له انا وجميع العساكر طوع امرك . فلما سمع
الامراء ذلك قالوا ان هذا ذنب كبير وهي تستحق القتل عليه . فخافت قاسا من ذلك .
واستجارت بدار الخطيب . وعادتهم ان يستجبروا بالمسجد وان لم يتمكنوا فبدار الخطيب
ولم يذكر ابن بطوطة ما جرى لهذه الملكة بعد ذلك لكنه قال ان السودان كانوا
يكرهون منسى سليمان لبخله وذكر قصة عن كرم سلف سلفه ثم استطرد الى ذكر
ما استحسنته من افعال السودان وما استقبحة منها فقال

من افعالهم الحسنة قلة الظلم فهم ابعد الناس عنه وسلاطنتهم لا يساح احداً في شيء
منه ومنها شمول الامن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب .
ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة ، اما
يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقه . ومنها مواظبتهم للصلوات والتراهم
لها في الجماعات وضربهم اولادهم عليها واذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الانسان الى المسجد
لم يجد اين يصلي لكثرة الزحام . ومن عادتهم ان يبعث كل انسان غلامه بسجادة
فيبسطها له بموضع يستحقه بها حتى يذهب الى المسجد . وسجاداتهم من سعف شجر
يشبه النخل ولا يمر له . ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لاحدهم
الا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة . ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم
يجعلون لاولادهم القيود اذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه
ومن مساويء افعالهم كون الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرن للناس عرايا
باديات العورات . ولقد كنت ارى في رمضان كثيراً منهن على تلك الصورة فان عادة
الفرارية ان يظروا بدار السلطان ويأتي كل واحد منهم بطعامه تحمله العشرون فما
فوقهن من جواربه وهن عرايا . ومنها دخول النساء على السلطان عرايا غير مستترات
وتعمرى بناته ولقد رأيت في ليلة سبع وعشرين من رمضان نحو مائة جارية خرجن
بالطعام من قصره عرايا ومعهن بنتان له ناهدان ليس عليهما ستر . ومنها جعلهم التراب
والرماد على رؤوسهم تأدباً ومنها ان كثيراً منهم يأكلون الحيف والكلاب والحمير

وكان دخولي الى مالي في الرابع عشر لجمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين (وسبعمائة) وخروجي عنها في الثاني والعشرين لمحرم سنة اربع وخمسين (وسبعمائة) ورافقني تاجر يعرف بابي بكر بن يعقوب وقصدنا طريق ميمة وكان لي جمل اركبه لان الخيل غالية الاثمان يساوي احدها مائة مثقال فوصلنا الى خليج كبير يخرج من النيل (النيجر) لا يجاز الا في المراكب وذلك الموضع كثير البعوض فلا يمر احد به إلا بالليل ووصلنا الخليج ثلث الليل والليل مقمر . ولما وصلنا الخليج رأيت على ضفته ست عشرة دابة ضخمة الخلفة فعجبت منها وظننتها فيلةً لكثرتها هناك ثم اني رأيتها دخلت في الهر فقلت لابي بكر بن يعقوب ما هذه الدواب فقال هي خيل البحر خرجت ترعى في البر . وهي اغلظ من الخيل ولها اعراف واذناب ورؤوسها كرؤوس الخيل وارجلها كالرجل الفيلة . ورأيت هذه الخيل مرة أخرى لما ركبنا النيل (النيجر) من تبكتمو الى كوكو (غوى) وهي تعوم في الماء وترفع رؤوسها وتنفخ وخاف منها اهل المركب فقرءوا من البر لئلا تفرقهم . ولهم حيلة في صيدها حسنة وذلك ان لهم رمحاً مثقوبة قد جعل في ثقبها شرائط وثيقة فيضربون الفرس منها فان صادفت الضربة رجلاه او عنقه نفذته وجذبوه بالحبل حتى يصل الى الساحل فيقتلونه ويأكلون لحمه ومن عظامها بالساحل كثير . وكان زولنا عند هذا الخليج بقريه كبيرة عليها حاكم من السودان حاج فاضل يسمى فربا مغا وهو ممن حج مع السلطان منسى موسى لما حج

اخبرني فربا مغا ان منسى موسى لما وصل الى هذا الخليج كان معه قاض من البيضان يكنى بابي العباس ويعرف بالدكالي فاحسن اليه باربعة آلاف مثقال لنفقته فلما وصلوا الى ميمة شكا الى السلطان بان الاربعة آلاف مثقال سرقت من داره فاستحضر السلطان امير ميمة وتوعده بالقتل ان لم يحضر من سرقها وطلب الامير السارق فلم يجد احداً ولا سارق يكون بتلك البلاد فدخل دار القاضي واشتد على خدامه وهددهم فقالت له احدى جواريه ما ضاع له شيء وانما دفنها بيده في ذلك الموضع وأشارت له الى الموضع فاخرجها الامير واتى بها السلطان وعرفه الخبر فغضب على القاضي ونفاه الى بلاد الكفار الذين يأكلون بني آدم فاقام عندهم اربع سنين ثم رده الى بلده وانما لم يأكله الكفار لبياضه لانهم يقولون ان اكل الابيض مضر لانه لم ينضج والاسود هو النضج بزعمهم
حكاية — قدمت على السلطان منسى سليمان جماعة من هؤلاء السودان الذين يأكلون بني آدم معهم اميرهم وعادتهم ان يجعلوا في آذانهم اقراطاً كباراً وتكون فتحة

القرط منها نصف شبر ويلتحفون في ملاحف الحرير وفي بلادهم يكون معدن الذهب
فاكرمهم السلطان واعطاهم في الضيافة خادماً فذبجوها واكلوها ولطخوا وجوههم وايديهم
بدمها واتوا السلطان شاكرين . ثم رحلنا من هذه القرية التي عند الخليج فوصلنا الى بلدة
قري منسا ومات لي بها الجمل الذي كنت اركبه فاخبرني راعيه بذلك فخرجت لانظر اليه
فوجدت السودان قد اكلوه كما دهم في اكل الحيف . فبعثت غلامين كنت استأجرتهم
على خدمتي ليشتريا لي جملاً بزاعري وهي على مسيرة يومين واقام معي بعض اصحاب ابني
بكر بن يعقوب وتوجه هو لينظرنا بميمة فاقمت ستة ايام اضافني فيها بعض الحجاج بهذه
البلدة حتى وصل الغلامان بالجمل . ثم رحلت الى بلدة ميمة فنزلنا على ابار بخارجها ثم
سافرنا منها الى مدينة تنبكتو وبين تنبكتو وبين النيل اربعة اميال واكثر سكانها مسوفة
أهل اللثام وحاكمها يسمى فربا موسى حضرت عنده يوماً وقد قدم احد مسوفة اميراً
على جماعة فجعل عليه ثوباً وعمامة وسروالاً كلها مصبوغة واجلسه على درقة ورفعته كبراء
قبيلته على رؤوسهم . وهذه البلدة قبر الشاعر المفلح ابني اسحق الساحلي النرناطي المعروف
بيده بالطويحي وبها قبر سراج الدين بن الكويك احد كبار التجار من اهل الاسكندرية
حكاية — كان السلطان منسى موسى لما حج نزل بروض لسراج الدين هذا
ببركة الحبش خارج مصر وبها ينزل السلطان . واحتاج الى مال فتسلفه من سراج الدين
وتسلف منه امرأه ايضاً وبعث معهم سراج الدين وكيله يقتضي المال فاقام بمالي فتوجه
سراج الدين بنفسه لاقتضاء ماله ومعه ابن له فلما وصل تنبكتو اضافه ابو اسحق
الساحلي فكان من القدر موته تلك الليلة . فتكلم الناس في ذلك واتهموا انه سم فقال
لهم ولده اني اكلت معه ذلك الطعام بعينه فلو كان فيه سم لقتلنا جميعاً لكنه انقضى اجله
ووصل الولد الى مالي واقتضى ماله وانصرف الى ديار مصر

ومن تنبكتو ركب النيل (النيجر) في مركب صغير منحوت من خشبة واحدة
وكنا نزل كل ليلة بالقرى فنشترى ما محتاج اليه من الطعام والسمن بالملح وبالعطريات
وبحلي الزجاج . ثم وصلت الى بلد أنسيت اسمه له امير فاضل حاج يسمى فربا سليمان
مشهور بالشجاعة والشدة لا يتعاطى احد النزاع في قوسه ولم ار في السودان اطول منه
ولا اضخم جسماً . واحتجت بهذه البلدة الى شيء من الذرة فحُتت اليه وذلك يوم
مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وسألني عن مقدمي وكان معه فقيهه
يكتب له فاخذت لوحاً كان بين يديه وكتبت فيه يا فقيهه قل لهذا الامير انا محتاج الى

شيء من الذرة للزاد والسلام . وناولت الفقيه اللوح يقرأ ما فيه سرّاً ويكلم الامير في ذلك بلسانه فقرأه جهراً وفهمه الامير فاخذ بيدي وادخلني الى مشوره وبه سلاح كثير من الدرق والقسي والرماح ووجدت عنده كتاب المدهش لابن الجوزي فجعلت اقرأ فيه ثم اتي بمشروب يسمى الدقنو وهو ماء فيه جريش الذرة مخلوط بيسير عسل او لبن وهم يشربونه عوض الماء لانهم اذا شربوا الماء خالصاً اضر بهم وان لم يجدوا الذرة خلطوه بالمسل واللبن . ثم اتي بيطيخ اخضر فاكلنا منه ودخل غلام خماسي فدعاه وقال لي هذا ضيافتك فاحفظه لئلا يفر فاخذته وارادت الانصراف فقال اقم حتى يأتي الطعام وجاءت الينا جارية له دمشقية عربية فكلمتني بالعربي فيدنا نحن في ذلك سمعنا صراخاً بداره فوجه الجارية لتعرف خبر ذلك فعادت اليه فاعلمته ان بنتاً له قد توفيت فقال ابي لا احب البكاء فتعال نمشي الى البحر يعني النيل وله على ساحله ديار فأتى بالفرس فقال لي اركب فقلت لا اركبه وانت ماش فمشينا جميعاً ووصلنا الى داره على النيل واتي بالطعام فاكلنا وودعته وانصرفت ولم ار في السودان اكرم منه ولا افضل . والغلام الذي اعطانيه باق عندي الى الآن

ثم سرت الى مدينة كوكو وهي مدينة كبيرة على النيل (النيجر) من احسن مدن السودان واكبرها واخصبها فيها الارز الكثير واللبن والدجاج والسمك وبها الفقوس الصنابي الذي لا نظير له وتعامل اهلها في البيع والشراء بالودع وكذلك اهل مالي واقمت بها نحو شهر واطافني بها محمد بن عمر من اهل مكناسة وكان ظريفاً مزاحاً فاضلاً وتوفي بعد خروجي عنها . واطافني بها الحاج محمد الوجداني التازي وهو ممن دخل اليمن والفقيه محمد النيلاني امام مسجد البيضان . ثم سافرت منها برسم تكدياً في البر مع قافلة كبيرة للغدامسين دليلهم ومقدمهم الحاج وجين . ثم وصلنا الى بلاد ردامة وهي قبيلة من البربر ولا تسير القوافل الا في خفارتهم والمرأة عندهم في ذلك اعظم شأناً من الرجل وهم رحالة لا يقيمون ويوتهم غريبة الشكل يقيمون اعواداً من الخشب ويضعون عليها الحصر وفوق ذلك اعواد مشتبكة وفوقها الجلود او ثياب القطن ونساءهم ام النساء جمالاً وابدعهن صوراً مع البياض الناصع والسمن . ولم ار في البلاد من يبلغ مبلغهن في السمن وطعامهن حليب البقر وجريش الذرة يشربنه مخلوطاً بالماء غير مطبوخ عند المساء والصباح ومن اراد التزوج منهن سكن بهن في اقرب البلاد اليهن ولا يتجاوزهن كوكو ولا ابوالاين . مقتطف مارس سنة ١٩١٦

واصابني المرض في هذه البلاد لاشتداد الحر وغلبة الصفراء واجتهدنا في السير الى ان دخلنا الى مدينة تكداً ونزلت بها في جوار شيخ المغاربة سعيد بن علي الجوزلي وضافني قاضيها ابو ابراهيم اسحق الجاناني وهو من الافاضل وضافني جعفر بن محمد المسوفي . وديار تكداً مبنية بالحجارة الحجر وماؤها يجري على معادن النحاس فيتغير لونه وطعمه بذلك . ولا زرع بها إلا يسير من القمح يأكله التجار والغرباء ويباع بحساب عشرين مداً من امدادهم بمثقال ذهباً . ومدهم ثلث المد ببلادنا وتباع الذرة عندهم بحساب تسعين مداً بمثقال ذهباً . وهي كثيرة العقارب وعقاربها تقتل من كان صبيهاً لم يبلغ واما الرجال فقلما تقتلهم . وقد لدغت بها يوماً وانا بها ولدناً للشيخ سعيد ابن علي عند الصبح فمات حينه وحضرت جنازته . ولا شغل لاهل تكداً غير التجارة يسافرون كل عام الى مصر ويحبون من كل ما بها من حسان الثياب وسواها . ولا هلهلها رفاهية وسعة حال ويتفخرون بكثرة المييد والخدم وكذلك اهل مالي وايبالاتن ولا يبيعون المعاملات ممن إلا نادراً وبالثلث الكثير

ومعدن النحاس بخارج تكداً يحفرون عليه في الارض ويأتون به الى البلد فيسبكونه في دورهم يفعل ذلك عبيدهم وخدمهم ، فاذا سبكوه نحاساً احمر صنعوا منه قضباناً في طول شبر ونصف بعضها رقاق وبعضها غلاظ فتباع الغلاظ منها بحساب اربع مائة قضيب بمثقال ذهباً وتباع الرقاق بحساب ستمائة وسبع مائة بمثقال وهي صرفهم يشترون برقاقها اللحم والخطب ويشترون بفلاظها المييد والخدم والذرة والسمن والقمح ويحمل النحاس منها الى مدينة كوبر من بلاد الكفار والى زغاي والى بلاد برنو وهي على ميسرة اربعين يوماً من تكداً واهلها مسلمون لهم ملك اسمه ادريس لا يظهر للناس ولا يكلمهم إلا من وراء حجاب . ومن هذه البلاد يؤتى بالجوارى الحسان والفتيان والثياب المجسدة ويحمل النحاس ايضاً منها الى جوجوة وبلاد المورتين وسواها

ذكر سلطان تكداً — وفي ايام اقامتي بها توجه القاضي ابو ابراهيم والخطيب محمد والمدرس ابو حفص والشيخ سعيد بن علي الى سلطان تكداً وهو بربري يسمى

إزار وكان على مسيرة يوم منها ووقعت بينه وبين التكركري وهو من سلاطين البربر أيضاً منازعة فذهبوا الى الاصلاح بينهما فاردت ان القاه فاكترت دليلاً وتوجهت اليه واعلمه المذكورون بقدمي فجاء الي راكباً فرساً دون سرج وتلك عادتهم وقد جعل عوض السرج طنفسة حمراء بديةة وعليه ملحفة وسراويل وعمامة كلها زرق ومعه اولاد اخته وهم الذين يرثون ملكه . فقمنا اليه وصاحناه وسأل عن حالي ومقدمي فأعلم بذلك وأزلي في بيت من بيوت اليناطين وهم كالوصفان عندنا وبعث الي رأس غم مشوي في السفود وقعب من حليب البقر . وكان في جوارنا بيت امه واخته فجاءتا الينا وسالمتا علينا وكانت امه تبعث لنا الحليب بعد العتمة وهو وقت حلبهم ويشربونه ذلك الوقت وبالغدو . واما الطعام فلا يأكلونه ولا يعرفونه . واقمت عندهم ستة ايام وفي كل يوم يبعث الينا بكبشين مشويين عند الصباح والمساء واحسن الي بناقة وعشرة مثاقيل من الذهب وانصرفت عنه وعدت الى تكدا

ذكر وصول الامر الكريم الي — ولما عدت الى تكدا وصل غلام الحاج محمد ابن سعيد السجلماسي بامر مولانا امير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين امرأ لي بالوصول الى حضرته العلية فقبلته وامثلته على الفور واشترت جملين لركوبي بسبعة وثلاثين مثقالاً وثلاث وقصدت السفر الى توات ورفعت زاد سبعين ليلة اذ لا يوجد الطعام فيما بين تكدا وتوات ، اما يوجد اللحم واللبن والسمن يشتري بالاثواب وخرجت من تكدا يوم الخميس الحادي عشر لشعبان سنة اربع وخمسين (وسبعماية) في رفقة كبيرة فيهم جعفر التواني وهو من الفضلاء ومعنا الفقيه محمد بن عبد الله قاضي تكدا وفي الرفقة نحو سماية خادم فوصلنا الى كاهر من بلاد السلطان الكركري وهي ارض كثيرة الاعشاب يشتري بها الناس من برابرها الغنم ويقددون لحمها ويحمله اهل توات الى بلادهم . ودخلنا منها الى برية لا عمارة بها ولا ماء وهي مسيرة ثلاثة ايام ثم سرنا بعد ذلك خمسة عشر يوماً في برية لا عمارة بها الا ان بها الماء ووصلنا الى الموضع الذي يفترق به طريق غات الاخذ الى ديار مصر وطريق توات وهناك احساء ماء يجري على الحديد فاذا غسل به الثوب الابيض اسود لونه وسرنا من هنالك عشرة ايام ووصلنا الى بلاد هكار وهم طائفة من البربر ملثمون لا خير عندهم فلقينا احد كبارهم فخبس القافلة حتى غرموا له اثواباً وسواها وكان وصولنا الى بلادهم

في شهر رمضان وهم لا يغيرون فيه ولا يعترضون القوافل واذا وجد سراقها المتاع بالطريق في رمضان لم يعرضوا له وكذلك جميع من بهذه الطريق من البرابر . وسرنا في بلاد هكار شهراً وهي قليلة النبات كثيرة الحجارة طريقها وعرو وصلنا يوم عيد الفطر الى بلاد برابر اهل لثام كهؤلاء فاخبرونا باخبار بلادنا واعلمونا ان اولاد خراج وابن يغمور خالفوا وسكنوا تسايبت من توات فخاف اهل القافلة من ذلك . ثم وصلنا الى بودا بضم الباء الموحدة وهي من اكبر قرى توات وارضاها رمال وسباخ وتمرها كثير ليس بطيب لكن اهلها يفضلونه على تمر سجلماسة ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت وانما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب واكل اهلها التمر والجراد وهو كثير عندهم يخزنونه كما يخزن التمر ويقتنون به ويخرجون الى صيده قبل طلوع الشمس فانه لا يطير اذ ذاك لاجل البرد . واقمنا ببودا اياماً ثم سافرنا في قافلة ووصلنا في اواسط ذي القعدة الى مدينة سجلماسة وخرجت منها في ثاني ذي الحجة وذلك اوان البرد الشديد ونزل بالطريق ثلج كثير ولقد رأيت الطرق الصعبة والثلج الكثير ببخارى وسمرقند وخراسان وبلاد الاتراك فلم ار اصعب من طريق أم جنبية . ووصلنا ليلة عيد الاضحى الى دار الطمع فاقت هنالك يوم الاضحى ثم خرجت فوصلت الى حضرة فأس حضرة مولانا أمير المؤمنين ايده الله فقبلت يده الكريمة وتيمنت بمشاهدة وجهه المبارك واقت في كنف احسانه بعد طول الرحلة والله تعالى يشكر ما اولانيه من جزيل احسانه وسابغ امتنانه ويديم أيامه ويمتع المسلمين بطول بقاءه . وها هنا انتهت الرحلة المسماة تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار وكان الفراغ من تقييدها في ثالث ذي الحجة عام ستة وخمسين وسبع مائة والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى «

انتهى ما نقلناه من رحلة ابن بطوطة الى بلاد السودان الغربي وهي آخر رحلاته . ويرى الناظر فيها انها مفعمة بالفوائد عن حال سكان تلك البلاد في عصره . واول شيء ينتبه له ان سكان تلك البلاد كانوا في ذلك العصر ارقى مما صاروا اليه في اواخر القرن الثامن عشر واولائل التاسع عشر حينما دخلها الاوربيون . وانهم كانوا مسلمين في الغالب يكرمون رجال العلم ويأتيهم القضاة والمعلمون من المغرب الاقصى والقطر المصري والشامي فيحلون عندهم على الرحب والسعة . وان شأن المرأة كان رفيعاً عندهم مساوياً لشأن

الرجل . وقد قال ابن بطوطة ان البنات كنَّ يخرجن عرايا ولعلَّ الشبان كانوا كذلك وهذه هي الحال الآن في اواسط افريقية والعفة هناك ليست دون ما هي عليه في البلدان التي يلبس رجالها ونساؤها انحر الملابس واسترها للجسم . ويعجبنا ما قاله له احد التجار في ابوالآتن وهو ان مصاحبة النساء للرجال عندهم على خير وحسن طريقة لا تهمة فيها . وقال هو قبيل ذلك ان السكان هناك مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن واما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال ولا يحتجبن مع مواظبتهن على الصلوات

ومما يستحق الذكر ايضاً امتداد التجارة في ذلك العصر بين السودان الغربي وسائر الاقطار الافريقية والشرقية . وحبذا لو عني احد الباحثين بتفصيل هذه المواضيع .
(مقتطف ابريل سنة ١٩١٦)



الرحالة لفنستون

دافيد لفنستون مبشر ورائد ايقوسي ولد في بلا تير بمقاطعة لانارك بايقوسيا في ١٩ مارس سنة ١٨١٣ ، وتوفي في افريقية في اول مايو سنة ١٨٧٣ . وكان والداه مثالا للجد والنشاط والاجتهاد فضلاً عما امتازا به من الاخلاق الفاضلة في الوسط الذي نبتا فيه بين الأسر الدنيا في ايقوسيا

لما بلغ من العمر عشر سنوات ترك مدرسة القرية التي كان يتلقى فيها مبادئ العلم الاولى وبدأ يعمل في معمل لنزل القطن ونسجه . ولكنه كان دتياً على تحصيل العلم بنفسه غير مستعين الاً بارادته القوية . ولما بلغ الثالثة بعد العشرين من عمره استطاع بماله من المواهب والكفايات ان يتلقى العلم في احدى الجامعات . فحضر دورين دارسين في الطب والآداب اليونانية واللاتينية في جامعة اندرسن بفلاسكو ، فضلاً عن اكبابه على اللاهوت وتاريخه . وبعد ان سمع كثيراً من المحاضرات التي كان يلقها الدكتور « واردلو » اوقف كل قواه على خدمة جمعية التبشير في لندن وكان قد التحق بها عضواً في سنة ١٨٣٨ اثناء زيارة قصيرة لعاصمة الجزائر البريطانية ، ثم نال اجازته في علمي الطب الباطني والجراحة سنة ١٨٤٠ . وكانت كل آماله مقصورة على ان يذهب الى بلاد الصين لشغف كان له بتاريخها وتقاليدها ، وامتعص كل امتعاض عند ما علم ان الجمعية قد قررت ايفاده الى افريقية، فخرج من إنجلترا مساعداً بالعلم والاطلاع مزوداً بعدة من الصفات الخلقية التي ساعدته كثيراً على المصاعب التي عاناها والعقبات التي ذلها

وسافر لفنستون من إنجلترا في ٨ ديسمبر سنة ١٨٤٠ ويم شطر « بتشوانالاند » حيث كان مركز جمعية التبشير في قرية « كورومان » على بعد ٧٠٠ ميل شمالاً ، فوصل اليها في ٣١ يوليو سنة ١٨٤١ . ولقد استطاع ان يعقد والرؤساء الوطنيين صداقة كانت من اهم العوامل التي أدت به الى آمام اعماله ومشروعاته ، بان حصل على معاونتهم له ومساعدته على تنفيذ ما ربه ، حتى لقد استطاع ان يؤسس مراكز للاستكشاف تقع فيما يلي الاقطار التي انتشرت فيها المدنية الاوروبية ، وعلى الاخص في وادي « موباستا » الواقع على احد منابع نهر « اللومبوبو » وعلى بعد ٢٠٠ ميل

من قرية «كورومان». وأكب خلال ذلك على درس اللغات والعادات الوطنية حتى يستطيع ان يرسم خطة تمكنه من ان يوجه قواهم ومجهوداتهم الضائعة من سبيل يؤدي الى مدينتهم ورفاهيتهم. فعرف بناقد بصيرته انه من الواجب ان لا يقصر جهوده على كتابة التقارير السنوية عن مدى ما بلغ اليه انتشار الفكرة التبشيرية، بل ان يعمل من طريق ايجابي بان يدفع الوطنيين انفسهم الى ان يكونوا رساله ولسانه في الدعوة للمدينة الحديثة والعقائد. وبذلك يكون العمل ابقى اثرأ واعظم اتاجاً. وفي سنة ١٨٤٦ انتقل الى قرية «شونوان» وفي سنة ١٨٤٧ الى قرية «كولوننج». ثم بدأ سنة ١٨٤٩ في التقدم الى الشمال حتى وصل الى ما بعد مدار الجدي، وفي اول اغسطس استكشف لأول مرة في التاريخ بحيرة «نجامى». وفي السنة التالية تابع اعماله الاستكشافية، وكان معه زوجه واولاده، وكان قد استقدمهم من إنجلترا سنة ١٨٤٤، فوصل الى نهر الزامبيزي، ومنه الى مدينة الكاب في ابريل سنة ١٨٥٢

وبعد ان وصل الى اعالي نهر الزامبيزي ضرب في رحلاته الاستكشافية الى الغرب، فوصل سنة ١٨٥٤ الى بلاد «لواندا» الواقعة على المحيط الاثنتيكي. ثم قفل راجعاً الى نهر الزامبيزي، واتم جولاته الافريقية من احد جانبيها الى الآخر، متبعاً مجرى هذا النهر حتى وصل الى مصبه في المحيط الهندي سنة ١٨٥٦. وفي اثناء رحلته هذه استكشف شلالات فكتوريا، وهي اعظم ما يوجد من نوعها في الدنيا القديمة. وأبحر من «كليمين» من بداءة سنة ١٨٥٦ الى إنجلترا حيث قوبل بكل ما يستحق من مظاهر التكريم والاحلال لمن كان سبباً في فتح ابواب جديدة للعلم والاستكشاف واسباباً تعود بالرفاهية والخير العميم على النوع الانساني

وفي سنة ١٨٥٧ طبع اول كتبه المسمى «رحلات تبشيرية وابحاث في افريقية الجنوبية». وفي هذه السنة عينها قطع علاقته بجمعية التبشير في لندن. ثم عين في سنة ١٨٥٨ قنصلاً جنرالاً لانجلترا في شواطئ افريقية الشرقية، على ان يكون مقره في «كليمين»، وعهد اليه فوق ذلك بان يرأس بعثاً استكشافية ليجوب شرق افريقية واواسطها. فرجع الى نهر الزامبيزي واستكشف بحيرة «شيرا» ثم بحيرة «نياسا» في ١٦ سبتمبر سنة ١٨٥٩. وطبع في اثناء زيارته الثانية لانجلترا (١٨٦٣—١٨٦٥) كتابه الذي وصف فيه هذه الرحلة واسماه «نهر الزامبيزي»

وفي اواخر سنة ١٨٦٥ عاد لفنستون لينظم بعثاً مهمته الاساسية استكشاف منابع النيل ، ويعمل في الوقت ذاته على محاربة تجارة الرقيق في افريقية . ففي اوائل سنة ١٨٦٦ بدأ يوغل في اواسط افريقية عن طريق « روفوما » ثم انقطعت اخباره عامين كاملين . وكانت المشكلة التي يحاول ان يحلها لفنستون هي البحث في نهر الزامبيزي وهل هو متصل بالنيل ، ام انه أحد نهيرات الكونغو ؟ . فوصل في حدود سنة ١٨٦٧ الى الشامبيزي ، وهو غدير يخترق الاقليم الواقع الى جنوبي بحيرة « تانجانیکا » في اتجاه جنوبي غربي ، وما زال يتابع مجرى هذا الغدير حتى وصل في ابريل سنة ١٨٦٧ الى مساحة كبيرة تفرها المياه ، وعندها ينتهي مجرى الغدير . ولقد اعاقه عن التقدم عقبات كثيرة فالفيضانات المتوالية ، وما اظهر له المتجرون بالرقيق من خصومة وعداء اشترك فيه الوطنيون والاعراب على السواء ، والحاجة الى المؤونة التي كثيراً ما تأخر وصولها اليه ، وكثيراً ما نهبت خلال الطريق ، كل هذه الاشياء كانت من اكبر الحوائل التي اعاقت تقدمه زماناً ما

ولكن هذه الحوائل كلها لم تكن كافية لان تغلب على ارادة لفنستون او ان تثنى عزمه عن التقدم . فعلى الرغم منها تقدم (١٨٦٧) محوطاً بالصعاب والعقبات حتى استكشف « لوايولا » وبحيرتي « مويرو » « وبانجويلو » . ووصل الى اوجيمي على شاطئ بحيرة تانجانیکا سنة ١٨٦٩ ، وهنا امضى ردهاً من الزمان قبل ان يبدأ برحلة طويلة اراد ان يستكشف بها الاقليم الواقعة في شمالي هذه البحيرة وغربها ولم تأت سنة ١٨٧١ حتى وقف لفنستون لأول مرة على شواطئ نهر الكونغو في « يانجوس » ولكن استكشافاته الاولى كلها لم تكن كافية حتى الآن ليكون بها رأياً صحيحاً في أن الغدير الذي ينساب تحت قدميه هو جزء من نهر الكونغو ! فعاد ادراجه الى اوجيمي مجتازاً كثيراً من الصعاب والآلام التي تقصر دون تحملها همم الجيابة . وفيما هو في طريقه صادف في ١٠ نوفمبر سنة ١٨٧١ حملة ارسلت لتجده تحت رياسة الكابتن ستانلي قام بنفقاتها مستر جيمس جوردون يدنت من مال جريدة النيويورك هرالد الامريكية ، وقد زودت هذه الحملة الرائد الكبير بكثير مما كان في حاجة اليه كالعقاقير الطبية والميرة ، وبعد ان راد شمال بحيرة تانجانیکا بصحبة ستانلي ، افترقا في مارس سنة ١٨٧٢ وتابع لفنستون رحلته في حوض « اللوايولا لوالابا » وهو على امل ان يكشف القناع عن مشكلة نهر النيل والكونغو

وما وصل لفنستون الى هذا الحد حتى كانت المتاعب والمشاق قد أهكت قواه فادرسته الوفاة في اول مايو سنة ١٨٧٣ في قرية الرئيس « تسيتامبو » احد اصدقائه على شاطئ بحيرة « بانجويو » ففصل الوطنيون قلبه عن جسمه ودفنوه عند اصل الشجرة التي توفي الرائد الكبير تحت اغصانها وحفروا في جذع الشجرة كلمات تذكارية تشير الى المكان الذي توفي فيه لفنستون . وفي سنة ١٨٩٨ زار مستر « شارب » حاكم المقاطعة الانجليزي ذلك المكان فوجد ان الشجرة آخذة في الانحلال بسرعة ، فجمع بطريق الاكتتاب في انجلترا مبلغاً من المال صنع به اثرأ تذكاريأ من الغرانيت وضع في نفس المكان الذي كانت فيه تلك الشجرة . اما الشجرة نفسها فقطعت واحتفظ بالقسم الذي كتب عليه ما يشير الى موت لفنستون ، وارسل الى الجمعية الجغرافية الملكية بلندن وحفظ بها . اما جثته فارسلت الى انجلترا في ١٨ ابريل سنة ١٨٧٤ حيث دفنت في كنيسة وستمنستر مقر الملوك والعظماء

اما استكشافات هذا الرائد الكبير فانها تم عن صبر وقوة ارادة قلما توجدان من رجل غيره ، فضلاً عما تدل عليه ابحاثه من سعة العلم وبالغ الحجة والحب العظيم لخير الانسانية . فان اعماله وابحاثه تستغرق مجهود الجغرافي في الاستكشاف ، والمؤرخ الطبيعي في بعم النظر ودقة الملاحظة ، والرجل المحب العامل على خير السلالات البشرية في جهاده المستمر ضد الاتجار بالرقيق . ولا مريية في ان ابحاثه وجهوده كانت اول ما بذل من جهد الرواد في سبيل الكشف عما انطوى عليه قلب القارة السوداء منذ أقدم العصور

السر هنري ستانلي

اذا ذكر العصاميون الذين ارتقوا بجدهم من ادنى المراتب الى اعلاها واستحقوا ان تنشر اسمائهم في كتاب سر النجاح ليكونوا مثلاً لطلاب المعالي فالسر هنري ستانلي الرحالة الشهير في مقدمتهم . واذا ذكر رواد افريقية الذين اغروا ممالك اوربا بتدوينها واقتسامها وامتلاكها فله الشأن الاكبر بينهم . غير ان فعله هذا يختلف قيمته من حيث سكان افريقية ، لانه ان آل املاك الاوربيين لها الى نفع سكانها الاصليين كما رجو ، فيكون له اكبر فضل عليهم . وان آل الى ضرهم كما يخاف فيكون من اكبر المسهلين لا تقراضهم

ولد ببلاد الانكليز نحو سنة ١٨٤٠ من اصل وضع جداً فلا يعرف شيء بالتحقيق عن سنة ميلاده ولا عن والديه وكان اسمه جون رولندس . ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره هاجر الى اميركا ويقال انه ذهب اليها خادماً في احدى السفن وخدم هناك تاجراً اسمه ستلي واجتهد في خدمته فأحبه ووعده ان يتناهى فغير اسمه وتسمى هنري ستانلي لكن التاجر مات قبل ان يكتب وصيته وتركه صفر اليدين لا يملك شيئاً فاقام سنتين او ثلاثاً الى ان نشبت الحرب الاهلية فانتظم في سلك الجنود واخذ اسيراً ولما انتهت الحرب جاء الى تركيا مكاتباً لاحدى الجرائد ثم لما ارسل الانكليز حملتهم على بلاد الحبشة سنة ١٨٦٧ بعثته جريدة النيويورك هرلد مكاتباً لها فبعث اليها بنجر فتح مجدة قبلما وصل الخبر الى الحكومة الانكليزية . وابدى في كل ما كتبه حينئذ وما كتبه قبل ذلك الحين وبعده من المهارة في الوصف والمقدرة على تمثيل ما يريد ذكره ما احله محلاً ربيعاً بين كتاب العصر كما ترى في الخطبة التالية

ولما عاد من بلاد الحبشة ارساته جريدة الهرلد الى اسبانيا ليرقب الحوادث فيها وبعث اليه المسترغوردن بنت صاحبها وهو هناك يستدعيه الى باريس فلما حضر طلب منه ان يعود الى افريقية ليفتش عن لفتستون المرسل الانكليزي الذي مهد السبيل لرواد افريقية والمشركات التجارية وكانت اخباره قد انقطعت من زمن طويل وظن اصداقاه انه قضى نجه . فقام ستانلي للحال واتى القطر المصري حينما فتحت ترعة السويس ثم سار الى زنجبار وضرب في افريقية فوجد لفتستون في اواخر سنة ١٨٧١ وبقي معه

اربعة اشهر يجوبان البلاد معاً وكان المرض قد انهك لفنستون فانتعشت قواه برؤية ستانلي وبما جلبه له من الزاد

وعاد ستانلي الى اوربا فوصل انكلترا في اواسط سنة ١٨٨٢ فقبول بالترحاب ونشر فيها كتابه المشهور وجعل موضوعه « كيف وجدت لفنستون » فراج رواجاً عظيماً جداً ولا يزال الناس يتفكرون بقراءته حتى الآن. وقابلته ملكة الانكليز واهدت اليه علبة سعوط مرصعة بالماس واهدت اليه الجمعية الجغرافية نيشانها الذهبي

وعادت جريدة الهرلد فارسلته الى افريقية مع حملة الاشنتي ونشر بعد ذلك كتاباً جمع فيه رسائله من مجدلة عاصمة الحبشة ومن كوماسي عاصمة الاشنتي. وسمع بموت لفنستون وهو راجع مع حملة الاشنتي فود ان يتم ما لم يتمه لفنستون من اكتشاف مجاهل افريقية فتمت بعينه. وارسلته جريدة الدايلي تلغراف الانكليزية وجريدة الهرلد الاميريكية على نفقتهما لكشف تلك المجاهل ففعل ما لم يفعله رائد آخر من الرواد اذ دار حول بحيرة فكتوريا نيازوا وحول بحيرة تانجانيكوا واصحح خريطتيهما وكشف اكثر ما يعرف الآن مما كان مجهولاً حينئذ من قلب افريقية. والمرجح انه لم يكتشف احد اكتشافات جغرافية مماثل ما اكتشف ستانلي في تلك السفارة. وعاد الى اوربا سنة ١٨٧٨ لكنه ذهب الى افريقية اسود الشعر فرجع منها شائبه لكثرة ما عاناه من المشاق وما اقتحمه من المخاطر

وذكر في احدي رسائله وهو في هذه السفارة ان نهر الكونغو يصلح لسفر السفن وان هناك باباً واسعاً للتجارة فلم يكذب يصل الى اوربا حتى استدعاه ملك بلجيكا اليه واستعان به على تعمير تلك البلاد وفتحها للتجارة ورده الى افريقية لهذه الغاية، ومن ثم انشئ ما يسمى بولاية الكونغو الحرة وافلحت تلك الولاية مدة اقامة ستانلي فيها الى اواسط سنة ١٨٨٤ ثم حلت بها العبر بعد تركه اياها

وذهب الى اميركا ليخطب فيها عما لقيه في رحلاته فاستدعته الحكومة الانكليزية وطلبت منه ان يذهب الى اعالي السودان لانتقاد امين باشا وكان امين باشا مديراً على مديرية خط الاستواء من قبل الحكومة المصرية وقد قاوم الدراويش جهده وكادوا يتغلبون عليه فوعدت الحكومة المصرية بعشرة آلاف جنيه لهذه الغاية واكتتب الانكليز بعشرة آلاف جنيه اخرى. ولما تم ستانلي عمله وانقذ امين باشا وعاد الى القطر المصري رجبت به الحكومة المصرية واولت له ولية فاخرة في ٢٠ يناير سنة ١٨٩٠

رأسها دولتو رياض باشا الذي كان رئيساً للنظار حينئذ . وبعد الطعام خطب ستانلي
خطبة مسهبة وصف فيها رحلته لانتقاد امين باشا قال فيها ما ترجمته

الخطبة

قد حق علي وعلى رفاقي مزيد الشكر لما لقينا في هذه الديار من مظاهر الاجلال
والاكرام منذ دخلنا هذا القطر الى الآن فاليكم نسدي الثناء ومنكم نبغي التكرم بالقبول
ان الحملة التي اسعدنا الحظ بامامها على ما يرام كان السبب فيها اعتقاد الانكليز
بانهم مسئولون عما باتت فيه حامية مديرية خط الاستواء من الضنك والمركز الحرج
وكذلك مديرها وكيل غوردون الذي امسى وحيداً فريداً في ديار مهجورة . فان
المسيو ينكر لما عاد من افريقية افرغ وطاب الاخبار والانباء على اهالي الديار المتمدينة
فقال ان في قلب افريقية رجلاً لم ينفردهنا بارادته بل طوعاً لاوامر غوردون
رئيسه وانه محفوف بالاعداء من كل جانب وان الدراويش السائرين في جهات
السودان عازمون على ان يمحوا آثار سطوة مصر عن تلك الديار وهم يتأهبون لغزو
المديرية واعمال السيف في حاميها واهلها وان الرجل الذي بات وحيداً في تلك
الاقطار عدم وسائل الدفاع وقاربت ذخائره النفاذ . وكنت حينئذ عازماً على السفر
الى اميركا فقابلني صديق قديم وجعل يكلمني عن احوال المديرية الاستوائية وما ام
بها وبمديرها من النوازل ثم قال لي اتقدم على انتقادها اذا مددناك بالمال فقلت له
انكم انتم الانكليز بارعون في الاقوال بطيئون في الافعال . دبروا الاموال ثم اسألوني
وعلى الله الاتكال . وسافرت بعد ذلك الى اميركا حيث كنت اخطب على اهلها وما
آتمت الخطبة الرابعة عشرة حتى اتتني رسالة برقية ان ارجع حالاً الى انكلترا في اول
باخرة فسافرت على الفور واتيت انكلترا وقلت اني مستعد للمسير فقالوا سر بعون الله
وأعن امين باشا

وكان لنا اربع طرق للمسير الى المديرية الاستوائية وسأبوح لكم الآن بامر
اظنه لا يزال مستوراً وهو اني كنت من بادى الامر مستخيراً في نفسي طريق نهر
الكونغو عالماً انه افضل الطرق ولو كان اطولها اذ احسن الطرق لا يلزم ان يكون
اقصرها فلما كاشفت اعضاء اللجنة به اعترض بعضهم عليه فقلت لا بأس فاني وعدتكم
ببذل الجهد ولا فرق عندي سرت في هذه الطريق او في غيرها وعليه جزمتم على
المسير في طريق شرقية لا غربية

وارسلت رسالة برقية الى زنجبار بان يحملوا ٢٠٠ رجل مئتي حمل ارز ويرسلوهم الى امبوي في اطراف اراضي الالمان . وبعد مضي بضعة ايام اوعزت اليّ نظارة الخارجية الانكليزية بان المسير في تلك الطريق الشرقية يوجب الارتباك والقلق السياسية فالعدول عنها اسلم عاقبة من المسير فيها فاضطرت حينئذ ان اعدل عنها وعن سواها من الطرق الشرقية لان طريق كرغوي كانت مسدودة باعتراض قوم اوغندا فيها وطريق روندا الواقعة الى الغرب من طريق كرغوي لم تكن طريقاً تسلك لمن كان مثلنا حاملاً الذخائر والمؤن الكثيرة لاغثة امين باشا وطريق نيسا وبحيرة تانجانيكما وهي الرابعة لم تكن موافقة لنا لان احوال الشركة الانكليزية هناك لم تكن يومئذ على ما هي اليوم او على ما آمل ان تكون بعد بضع سنين بل لم يكن عندها الا سفينة واحدة وهي لا تستطيع نقل ٨٠٠ او الف انسان فلم يبق لنا الا طريق الكونغو ولما اخبرت اللجنة بذلك قالت افعل ما بدا لك فارسلت تلغرافاً ثانياً الى زنجبار ان استرجعوا مئتي حمل الارز التي ارسلتموها . فكلفنا ارسالها وارجاعها خمسة آلاف روية ثم الحقت التلغراف بالتلغراف حتى دبروا لنا ٦٠٠ حمل لحمل المهات والذخائر وسائر ما يلزم لاغثة امين باشا

ورب قائل يقول وما هذه الاغثة وكيف تكون . اقول ان اصدقائي الانكليز اخبروني صريحاً بانهم يودون بقاء امين باشا في افريقية ومحافظته على مديريته وهذا ما كان يقوله لي كل انكليزي ولكني اوجه انظاركم اليها السادة الكرام الى ما يلزم لامين باشا لو شاء البقاء فاولاً يلزم ان ترسل اليه ذخائر ومهات كل سنة والا فلا يستطيع المحافظة على مركزه ثم ان عدد البنادق التي عند جنوده ١٧٥٠ او نحوها واذا اردنا ان نرسل لكل بندقية ٢٠٠ طلق فقط بلغ ما يرسله ٨٠٠ حمل يلزم لها ٨٠٠ حمل عدا ٤٠٠ حمل من البارود للجنود الخطرية وعدا الخرز والقماش وغيرها مما يتباع به الطعام للجمالين . وعليه يلزم الف رجل كل سنة لنقل ٢٠٠ طلق لكل بندقية وهؤلاء الالفان يقضون سنة في الذهب والاياب . ناهيك عن نفقاتهم ونفقات الهدايا والزاد والادوية والوف الاشياء التي تلزم لذلك بحيث تبلغ نفقات القافلة كل سنة لأقل من ٢٠ الف جنيه . ومعلوم ان الحكومة المصرية وهبت ١٠ آلاف جنيهه لانقاذ امين باشا وقالت انها لا تعطي مالا بعد ذلك لانها بعد ما تخلت عن شمالي السودان واواسطها لم تعد تعباً بالمحافظة على جنوبها اذ لاحيلة لها في صيانتها ولذلك رأيت

الاكثر مناسبة ان يعود امين باشا منها ويتركها كما تركت سواها، على ان الحكومة المصرية والانكليز معاً تركوا الحكم في هذه المسألة لامين باشا اذا شاء البقاء بقي واذا شاء المجيء جاء . والآن اشرع في وصف رحلتنا بوجه الاختصار بعد قيامنا من زنجبار ومرورنا برأس الرجاء الصالح ووصولنا الى مصب نهر الكونغو في غربي افريقية لما اتينا مصب نهر الكونغو قيل لي اني لا استطيع القيام من نقطة بناانا قبل ستة اسابيع ولكننا قمنا منها في اليوم التالي . ولما وصلنا الى بركة ستانلي اروني سفينة من احسن السفن التي تسافر في الكونغو الاعلى وكانت بالية من طول الزمان وقد مضى عليها اشهر وهي ترمم فقال لي الناس جميعاً انكم لا تستطيعون المسير من هنا قبل واسط مايو فطلبت سفينة من سفن المرسلين الذين هناك فاجابوني انهم لا يقدرّون ان يجيبوا طلبي . فلما اتينا شلالات ستانلي عرض عليّ كل ما هناك من السفن فسافرنا في الحال خوفاً من ضياع الزمان وكنت قد استصجبت شيخاً نحاساً سلاباً بها يقال له تبوتيب ولما كان لا بد لي من المرور في جانب من البلاد الخاضعة له ولم يكن مأذوناً لي بمقاتلة احد اولت له الولايم واحسنت له المعاملة وعرفته بالقوم كأنه ليس من ذوي البغي والفساد فرأى في البيض ما اقنعه بانهم يعاملونه احسن معاملة اذا وفي عهوده بالصدق والاستقامة . ولما كنا في رأس الرجاء الصالح قال على مسمع مني ان البيض اناس صغار العقول فلما رأى عظم افعالهم قال لي كنت اظن ان البيض قوم مجانين فعلمت اليوم انهم ليسوا بلا عقول فقلت له وستعلم بعد ما لا تعلمه الآن وتحكم ان الانكليز لا يقصرون عن العرب حدقاً وادراكاً . وذهب تبوتيب معنا الى شلال ستانلي ونزل هناك بناء على وعده بان يقدم لنا ٦٠٠ حمال لحمل المهمات والذخائر فاني كنت قد احضرت معي ما يلزم لتجهيز امين باشا اذا شاء البقاء في مديرية خط الاستواء ودبرت للحالين قبل المسير حتى اذا بقي جهزته بما يلزمه واذا لم يبق ارجعت المهمات معي ولذلك اخذت معي شيئاً كثيراً لم تكن حملتنا لتحتاج الى عشره . فعشرون صندوقاً من الذخائر تزيد عما يلزم حملتنا حال كون ٢٠٠ صندوق لا تكفي حاجة امين باشا وقومه

ولما سافرت من انكلترا كنت اظن انه في معظم الشدة واشد الضنك وذلك كان ظن الناس جميعاً حتى اجعت الجرائد على وجوب المبادرة لاغاثته لئلا يصيبه ما اصاب غوردون ولما كانت السفن على الكونغو الاعلى غير كافية لنقل رجال الحملة كلهم

بما معنا من الذخائر والمهمات اضطررت ان اترك جماعة من قومنا تحت قيادة برتلوت وغيره من الضباط في محلة هناك ليمتظروا وصول اللوازم التي تخلفت عنا في الكونغو الاسفل . وكانت تلك المحطة منيعة حصينة وبجانها حقول فسيحة مزروعة ذرة تقوتهم سنين عديدة واوصيتهم انه متى وصلت اللوازم والمهمات يقتفون آثارنا مع تبوتيب او بدونه في الادغال الممتدة امامنا فاعربوا جميعاً عن رغبتهم في اتباعنا ولذلك اصدرت لهم الاوامر اللازمة وقت عاجلاً خوفاً على امين باشا . فسرت مع ٣٨٩ رجلاً والضباط الذين تروهم بيننا الآن قاصدين بحيرة البرت بلا ابطاء . اما الادغال التي كانت تسد الفضاء امامنا فقد ادهشني كبرها وارهبني التفاف شجرها فجعلت اسأل الناس عنها وعمما اذا كانت مأهولة او لا وعن مسافة امتدادها شرقاً فيجيبوني جميعاً الله اعلم فانا لم نسمع من عهد آبائنا واجدادنا ان لهذا الغاب نهاية فاذعنت انا وقومي لحكم الضرورة ودخلنا تلك الادغال وظلمنا شهراً كاملاً نسير فيها بلا انقطاع ونحن لا نرى شمساً ولا سماء لشدة التفاف الاشجار وتكاثف اظلالها ولا نرى هنا وهناك الاشعاع من النور او ضوءاً ضعيفاً مستظيراً حتى مللنا المسير وسلمنا جميعاً بان المسير في تلك الحرجات اصعب ما قاسيناه من مشاق افريقية كلها

وبعد مسيرة ١٦٠ يوماً خرجنا منها الى العراء فانتعشت انفسنا بضوء الشمس ورؤية السماء واستنشاق لذيذ الهواء وجعلنا نعدو في المروج الخضراء كصبيبة بعثهم الصغر على البطر فرحوا وفرحوا من تلاعب النسيم في اطراف العشب الاخضر . وما انشرحنا منا الصدور حتى اطبقت علينا قبائل قوية تتكلم لغة غريبة وهاجمتنا مهاجمة عنيفة حتى خلنا انها تريد صدنا عن كنز من ائمن الكنوز او انها اخذت من تلك القبائل التي تهدد امين باشا . ولكننا فزنا بعد كل مقاومة بالوصول الى اطراف تلك الاراضي المرتفعة في ١٣ ديسمبر ورأينا بحيرة البرت تحتنا بالفين وتسعمئة قدم . فاحدثنا الفين وخمس مئة قدم مساء ذلك اليوم وسرنا في صباح اليوم التالي الى قرية في الزاوية الجنوبية الغربية من البحيرة وكنا لسبب ما الم بنا من الضعف والهزال قد تركنا زورقنا الفولاذي وراءنا ولم نجد في البحيرة قارباً يسع اكثر من اثنين معاً وسألنا اهل القرية فوجدنا انهم لا يعرفون امين باشا ولا سمعوا باسمه وانه لا يوجد في البحيرة قارب يصلح لنقلنا فرجعنا مسافة ١٩٠ ميلاً واحضرنا زورقنا ثم عدنا الى البحيرة بعد مضي اربعة اشهر

ولما انزلنا الزورق في البحيرة ركبه جفسن وبعض البحرية وسافروا حذاء ساحلها الغربي ليبحثوا عن مكان امين باشا ولم يمض الا ايام يسيرة حتى انشرفت منا الصدور برؤية الباخرة الحديدية قادمة تمخر الماء قاصدة محلتنا . وبات امين باشا والمسيو كاساتي تلك الليلة عندنا ولم يطل علينا الاجتماع حتى اصلحنا ما كنا نتصوره عنه وعن مديرته فعوضاً عن ان نرى رجلاً طويلاً القامة عسكري الهيئة كما كنا نتصور رأينا رجلاً قصير القامة قوي البنية — فصدق فينا قول من قال « ان الطيور على اشكالها تقع » وعلما ان أورطته الاولى قد تمردت وعصت منذ اشهر كثيرة وان كثيراً من محطاته واقع في قبضة العصاة وان بقية الاورط من الجنود القانونية المنظمة تلتمس عذراً لشق عصا الطاعة وغير القانونية تنتظرها لتحذو حذوها . فبقينا ستة وعشرين يوماً معاً وكنت في اثنائها احاول الوقوف على افكار امين باشا لاعلم ما اذا كنا نحظى بمسيره معنا الى البحر او يبقى مع قومه في افريقية فكان يجيبني على الدوام حيث يذهب قومي اذهب وحيث يبقون ابق فسالته كاساتي عما اذا كان يشرفنا برفقته فاجاب اذا ذهب سعادة المدير ذهبت واذا بقي بقيت وسألت الضباط فاجابوا عين ذلك الجواب وبقوا عليه مدة الستة والعشرين يوماً ولم يشأ احد ان يجاوبني صريحاً عن بقاءه او مجيئه معنا لان امين باشا كان يريد ان يشاور قومه في ذلك ويعلم ما يقولون قبل ان يجاوبني قطعياً ولحظت على توالي الايام انه راغب في العمل ميال الى البحث والاكتشاف لانه من المجتهدين طبعاً فكانت مراقبة الطبيعة ودراسة اسرارها تلهيه عن مصابه وتكسبه السعادة في قلب افريقية ولو كلف ان يقضي ساعاته في قهوة من قهاوي العاصمة لكان اشقى الناس حالاً واكثرهم زهداً في الحياة . واما في افريقية فكان سعيداً لاعتقاده انه يصنع خيراً

فلما لحظت ان امين باشا يبغي البقاء في افريقية وكنت راغباً في الوقوف على جوابه القطعي قلت له اني اعرض عليك ثلاثة امور . اولاً ان تكون مديراً على هذه الديار كما انت الآن براتب الف وخمس مئة جنيه في السنة ومال قدره اثنا عشر الف جنيه سنوياً لادارة مهامها . هذه فرصة لك فاجبني الجواب الصريح عنها . وثانياً ان آخذك الى بلاد في هذه القارة من اجمل ما اكتحلت برؤيته عينك فتسككها مطمئناً آمناً من غزوات الدراويش وهجمات الثائرين واجعلك حيث يكون لك اتصال دائم بالبحر وحيث تأتيك الذخائر والمهمات على الدوام فتنال فيها منى نفسك ويدفع لك فيها راتب

يوافق مقامك ودراهم تكفي لجنودك . نعم اني غير مفوض بان اعرض عليك هذا الامر ولكني اتكفل لك به واكون مسئولاً لديك عنه. ولا انكر ان اول واجب عليّ هو لسمو الخديوي المعظم ولكنه قد امر بقيامك من هنا ومرافقتك لنا الا اذا ايتت انت ذلك وبما انك لا تريد مرافقتنا اعتقاداً منك بان قومك لا يرافقونك وانا قد ايتت هذه الديار لاخلص لك الخدمة فيها انا قد عرضت عليك هذين الامرين عدا الامر الثالث وهو مرافقتنا لا قضي ما يجب عليّ من خدمتك. فصمت ولم بجوابي جواباً قطعاً لسبب سرخفي لاعلمه وكان القلق قد اشتد بي لطول انقطاع اخبار برتلوت ورفاقه عني وصرت ارى من الضرورة التفتيش عنهم فقلت له اذا كنت لا تستطيع ان تحييني في الحال فاني امهلك مدة غيبي عنك لتفكر في الجواب وتجزم الامر الذي يقر عليه رأيك

فسرنا حتى اتينا قومنا المتأخرين فوجدنا النوازل قد ألمت بهم وضعفت احوالهم ثم عدنا الى نينازا رابع مرة واول خبر قرع مسامعي فيها بعد وصولي اليها ان امين باشا مسجون في مديريته ولم يبق عنده خدام ولا جنود وانه مقيد اليدين والرجلين فتصوروا انفسكم مكاني تعلموا ما خامرني بعد ما ايتت قلب افريقية لاقاذه ولقيت هذه النوازل مجتمعة امامي فكانت غاية سعينا واجتهادنا ان نسمع بسقوط المديرية وسجن امين باشا وخسارة ضابطي بعد ما خسرت اثنين قبله ومئات آخرين من رجالي وامسيت في خطر من ان افقد كثيرين غيرهم ايضاً. فرأيت بادي الامر ان استعلم عن احوال سجنه واسبابه ثم انظر في طريقة ابقائه . فقيل لي ان الذين سجنوه هم جنوده وذلك لانه وضع نفوذه عندهم في غير موضعه وانهم عن قريب يطلقونه لكن ضابطي اخبرني ان ذلك غير صحيح وان المديرية قد سقطت سقوطاً لا تقوم لها قائمة بعد فقلت اني انتظر كل هذه الايام لاقف على جواب الاوربيين الذين هنا واعلم ما اذا كانوا يرجعون معي او يبقون في هذه الديار فان كان امين باشا قد بات اسيراً ولا يقدر ان يخبرني عن يستلم المهات التي جئته بها او هل يقبل دعوة سمو الخديوي بالرجوع معنا فالي الا ان اتلف هذه المهات وأمر بالرجوع . فكتبت الى امين باشا بذلك فكان جوابه حضوره بنفسه في احوال غير منتظرة وذلك انه بعد ما مرد الجنود عليه غزاهم الدراويش واستولوا على اربع محطات من محطاتهم وعلى كثير من ذخائرهم ومهاتهم والقوا الرعب في قلوبهم فقالوا في انفسهم خير لنا ان نسترضي الخليفة

في الخرطوم بالقاء القبض على هذه الحملة التي اتت وتسليمها كلها ليده والحصول على الكرامة والشرف عنده من ان تتبع مديرنا ونلقى نصيبنا من نصيبه فما قولكم لو كنا الآن عبيداً وسياساً للمهدي بعدما اوغلنا في قلب افريقية واعدين النفس بتحصيل المنى وتحقيق الاماني

ولا يخفى ان اولئك الجنود كانوا منغمسين في المكاييد غمساً وروح العصيان يسري في عروقهم وان كثيرين منهم كانوا من قوم عرابي فاتفق رأيهم على ان يأتوا محلتنا ولكنهم علموا انهم اذا اتوا اليّ وحدهم يكون اول سؤالهم اين مديركم واين ضابطي فلذلك رأوا انهم لا يتمكنون من مقابلي الا اذا اطلقوا سراجهما واعتذروا لمديرهم عما فرط منهم ثم اعترفوا باني مرسل لاغاثة مديرهم من قبل سمو الخديوي المعظم وان الاوامر التي معي رسمية صحيحة فوعدهم امين باشا بالعمو عنهم وتعريفهم بي واتوا محلتنا معه ليستعلموا بانفسهم عن قوتنا ويعرفوا سداجتنا من براعتنا

فلما وصلوا مدحهم امين باشا لسوء الحظ واطنب ولكني كنت مرتاباً فيهم لكثرة ما بلغني عنهم ورؤية كثير مما لا يرضي منهم ولم اصدق دعاويهم واقوالهم لاسباب كثيرة غير انهم قالوا اننا اذا امهلتناهم جمعوا اليمال والجنود وجاءوا معنا الى مصر ليرفعوا شكرهم لسمو الخديوي على ما انعم به عليهم . وكانت ظواهر الصدق والاخلاص بادية على كلامهم وهيئتهم تدل على ندامتهم وتوبتهم بحيث لا يسع الساذج الا تصديقهم فامهلتهم بطلب امين باشا مدة ٢٠ يوماً كما اشار فرجعوا على البواخر الى وادلاي وسرقوا معهم بنديقية من صنع رمنتن وهم راجعون

وصبرنا حتى مر ثلاثون يوماً ولم يأت احد ولكن اتتنا كتابات كثيرة من وادلاي بحدوث الفتن والمكاييد وان الناس انقسموا حزبين احدهما ناصر لفضل ملي بك والآخر لسليم بك والحرب بينهما سجال . وكان امين باشا لا يزال مقتنعاً بصدق قوميه فلما مر الثلاثون يوماً طلب الي ان اطيل المهلة فامهلتهم ١٤ يوماً ايضاً واجلت المسير الى ١٠ ابريل . وفي ٥ ابريل وجدنا ان الذين لجأوا الى محلتنا من اهل المديرية يحاولون سرقة بنادق اخرى في الليل ثم تبينا في اليوم التالي انه لا يوجد الا رجل واحد يقصد مرافقة امين باشا من ستمئة نسمة لاذوا بحمانا وكان امين باشا معتقداً بامانهم واثقاً بوفائهم

فحينئذ جمعت القوم واخبرتهم اني استلمت زمام الامور منذ ذلك اليوم فالذي لا يطيع او امري يقتل بالرصاص فكفوا عن الدسائس ومحاولة سرقة البنادق مدة من الزمان . وفي ١٠ ابريل قمنا من جوار بحيرة البرت بالف وخمسمئة رجل وبعد مسيرة عشرة ايام اضطررنا الى الوقوف لمرض شديد اعتراني على مسيرة ثلاثة ايام من نيازنا فاصبحت محلتنا محطاً للدسائس والمكايد وسرقة البنادق وكان النساء يهرين ويوافين الرجال في محطة قديمة لنا على نيازنا ولثقل المرض علي لم استطع الا على وسوسة بعض الاوامر ولكن الضباط الذين كانوا معي كانوا من ذوي الهمة والمقدرة فسار الملازم ستيرس منهم الى نيازنا وامسك كل الذين كانوا قد فروا اليها ومن جملتهم رجل يقال له ريحان وكان اصل تلك الدسائس كلها فشكل مجاساً وحاكمه محاكمة طويلة ثم حكم بوجود قتله واصر على تنفيذ الحكم فوقعت على الحكم وقتل ريحان وكان ذلك آخر الاتعاب التي تحملناها من سكان المديرية الاستوائية

وفي ٨ مايو ١٨٨٩ سرنا قاصدين الاوطان فلما اخترقنا الهضاب الواقعة غربي بحيرة البرت اكتشفت اكتشافاً عظيماً في وادي سمليك وهو نهر يجري فيه ويستمد ماءه من اثنين وستين جدولاً تنحدر عن سلسلة جبال علوها بين سبعة عشر وتسعة عشر الف قدم . واتضح لي لدى مراجعتي ما كتب عن تلك البلاد ان جغرافياً عربياً اسمه شياد الدين (كذا) وعصره القرن الرابع عشر للميلاد وصف هذا النهر وصفاً بديعاً ودقق فيه بما لم يبعد عن الحقيقة . قال ان خط الاستواء يقطع جبال القمر وتنحدر عن هذه الجبال سيول وجدول كثيرة غربي نهر يصب في بحيرة عظيمة ينشأ النيل الابيض منها ويجري الى بلاد مصر اه . وهذا وصف صحيح لم يزد الخطأ فيه عن اميال يسيرة . والغريب اننا نكتشف الآن ما كان معلوماً عند الخلفاء والبطالسة والفراعنة قبلهم وحفظ في آثارهم التي توارثها الخلف عن السلف حتى اتصلت بجغرافي العرب في زمانهم ثم عفت آثارها وطمست اخبارها حتى عدنا فكشفناها في زماننا . وقد اسعدنا الحظ في مسيرنا اننا رددنا بعض الرواسب الملحية الى اصحابها وقد اجرينا العدالة في عملنا هذا لاعتراض تلك الرواسب في طريقنا فنلنا عليه ما لا يوصف من الاكرام والضيافة على الرحب والسعة

نعم ان ولائم المتمدين فاخرة وشاهدنا هذه الوليمة التي هي من انحر ما رأيت

ولكن ما قولكم في اهل افريقية المتوحشين الذين ضافونا مجاناً ضيافة لامثيل لها
 فاطعموا ثمانمئة نسمة منا انخر اطايب ارضهم من لحم البقر ولحم الضأن والحضر
 والاثمار مدة ثمانية اسابيع متوالية ولم يقبلوا منا عوضاً عنها ولا ثمناً بها وكانوا
 يحسبون قبولنا لها منهم منة عابهم ونحراً لهم . وبينما نحن نستشرف بحيرة فكتوريا رأينا
 صليباً فعلمنا اننا وطئنا اراضي المتمدين ثم خرج المستر مكي المبشر الانكليزي لمقابلتنا
 وكان اول كلمة انكليزية سمعناها ان الانكليز يفتخرون بفعالنا . ولم يحدث ما يستحق
 الذكر مدة سفرنا من بحيرة نيازنا الى سواحل البحر سوى انا التقينا بالامان في
 اطراف بلادهم الجديدة في شرقي افريقية فاكرم ضباط الماجور وسمن ملقانا ثم متعنا
 وسمن باطايبه فتغيرت بملذاتها مناظرنا حتي زعم الذين رأونا على الساحل ان هيتسنا
 لا تدل على صدق رحلتنا . ولما وصلنا بغمويو وشاهدنا البحر حينئذ حية مشتاق اشتد
 به الوجد من طول الفراق وادب لنا هناك مأدبة من انخر ما أدب في تلك الاقطار
 وحضر المأدبة ستون او سبعون مدعواً وكانت خمورها طيبة وخطبها رنانة فلما فرغت
 من خطبتي قام امين باشا وشرب على صحة امبراطور المانيا ثم وقف المدعون جميعاً
 وغنوا . وبينما انا احادث وسمن بعد ذلك انانا خبر مشوم وهو ان امين باشا سقط عن
 ممشى القاعة على علو عشرين قدماً الى الشارع فوثبنا من مجالسنا وكثر الاختلاط ونسينا
 الولىمة وهرعنا الى محل الحادثة المكربة فوجدنا امين باشا محمولاً الى المستشفى فتبعناه
 واذا هو ملقى على سرير ومنظره يفتت الاكباد ومن بعد ما كان فرحاً مقتخراً
 واصوات الترحيب ترن في اذنيه أمسى محطماً على آخر رمق . فقلت لا حول ولا . ان
 الانسان في تفكير والله في تدبير . ولطالما اتاني في حياتي ما اراني ان قوة خفية تدير
 احوال البشر وهذا من اعظم الشواهد عليها . فقد انقذنا امين باشا من محالب
 المهديين واتينا به سالماً مسافة ١٤٠٠ ميل حتى وقف بين بني وطنه مكرماً مبجلأ
 تو لم له الولايم بعد خدمة ثلث عشرة سنة في قلب افريقية . وكانت هذه هي العاقبة انه
 يمسي في لحظة مجاور الاموات لعارض عرض له . نعم ان شفاءه لا يزال محتملاً ولكن
 اناساً من الذين هم كفاء للحكم يرتابون في امكان شفائه

هذه هي قصة رحلتي ايها السادة واخاف ان اكون قد اطلت عليكم الكلام وان
 اكن لم اقل الا اليسير فعندنا ما لا يحصى من الحوادث والنكت التي تضحك وتبكي
 وتسر وتحزن ولكني لا اعرض لها لان الزمان قد فات وغيري يرغب في الكلام ثم

شكر الحكومة المصرية على ايلامها تلك الوليمة له وشكر الحضور على ترحيمهم به. وبقى في القاهرة حتى كتب رحلته ونشرها في انكلترا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة في وقت واحد وذلك في شهر يونيو سنة ١٨٩٠ وهي في مجلدين وجعل اسمها « في اظلم افريقية » كان الغرض الاكبر من رحلته نشر هذا الكتاب والاكتساب به ولما عاد الى بلاد الانكليز قوبل بما لامزيد عليه من الاكرام ومنح رتبة دكتور في الشرائع المدنية من مدرسة اكسفورد ومدرسة كمبردج ومدرسة درهم واقترن بالسيدة دوروثي تننت في كنيسة وستمنستر كانه ملك من ملوك الزمان

ومنح حرية مدن انكلترا واعطي الرعية الانكليزية بعد ان فقدتها باقامته في اميركا وتجنسه بالجنسية الاميركية . وانتخب عضواً في مجلس النواب وفرسته^(١) الملكة فكتوريا سنة ١٨٩٩ فصار يلقب بالسر هنري ستانلي وابتاع ارضاً زراعية اقام فيها وجعل دأبه الاعتناء بالزراعة والاحتفاء بالذين يزورونه فيها من جلة القوم . وسيتقى اسمه مقروناً باكتشاف مجاهل افريقية وترغيب الدول الاوربية في اقتسامها وامتلاكها وكان قصير القامة اسمر اللون براق العينين فصيح المنطق شديد العزيمة

وكانت وفاته في العاشر من شهر مايو من غير عقب ووردت رسائل التعزية على زوجته لادي ستانلي من الملوك والعطاء والعلماء ومنها رسالة من ملك الانكليز بخطه قال فيها : لقد كان من نصيبي ان تعرفت بزوجك الذي امتاز على الاقران وكثيراً ما سمعته يقص اخبار رحلاته الكبيرة واكتشافاته العظيمة والخدم الجليلة التي خدم بها العالم المتمددين . وان الشهرة الفاتكة التي حازها ستحيا بعده دواماً

وصلي عليه في كنيسة وستمنستر في السابع عشر من الشهر وحضر الجنازة الشريف سدي غرفل نائباً عن ملك الانكليز والكونت ده لالنج نائباً عن ملك بلجيكا وكثيرون من اشراف الانكليز وعظماهم من مثل لورد ريرتس ولورد نيوبورت ودوق ابركرن ولورد لنداف ولورد راي ولورد غراي ورؤساء الجمعيات ونوابها . وخلاصة القول انه لقي من اكرام قومه في حياته ومماته ما هو حقيق به وما يهون اقتحام المخاطر على طلاب المعالي
(مقتطف يونيه سنة ١٩٠٤)

(١) استعمل كتاب العرب هذا الفعل في زمن الفروسية كما يستعمل الانكليز فعل Knight

سفوح لندر واختراق افريقية

لقد اخترقت افريقية من شرقها الى غربها في اوسع عرض منها وقضيت في ذلك ٣٦٤ يوماً في الحل والترحال واضطرت ان اعرج مراراً واسير في طرق ملتوية فبلغت المسافة التي قطعها ٨٥٠٠ ميل . قمت من جيبوتي في املاك فرنسا وقطعت بلاد الحبشة الى نهر باروا وزرت القبائل النازلة الى الشمال والجنوب من نهر السببت وهو امتداد نهر باروا وكان سفري كله على الخيل والبغال الى ان وصلت الى النيل على سبعين ميلاً من كوك (فشودا) جنوباً ومن ثم قطعت بحر الغزال والحراج التي تليه الى نهر مبيمو واوبنغي في بلاد الكونغو الفرنسية وزرت في طريقي ولاية الكونغو الحرة . ولما وصلت الى حيث ينحرف نهر اوبنغي الى الجنوب سرت في جهة شمالية غربية مع جماعة من رجالي نحو بحيرة شاد وعبرتها ولكنني لم اواصل السير هناك غرباً بل ارتددت شرقاً لاني اردت ان اتفحص بعض المنخفضات في صحراء الكانم وزرت في طريقي بعض القبائل النازلة شمالي بحيرة شاد وعبرت بلاد الشتاي ودرت جنوباً الى ان وصلت الى الطرف الشمالي الشرقي من بحيرة شاد وقطعت ٨٥٠ ميلاً من الصحراء راكباً على الجمال الى ان وصلت الى النيجر بطريق سوق زندر ثم سرت بقارب ٦٨٠ ميلاً فوصلت الى مدينة تمبكتوا وواصلت السير في النيجر وعبرت نهر السنغال الى ان وصلت الى الراس الاخضر وهو ابعد نقطة من افريقية غرباً

وقد استعملت في رحلتي هذه كل انواع المطايا الخيل والبغال والحمر والثيران والجمال والقوارب الخشبية والحديدية والارماث . ولم يكن معي في وقت من الاوقات اكثر من ثلاثين دابة للحمل ولا اكثر من اربعين رجلاً . ولم اكد اقطع ثلث هذه المسافة حتى فارقتي كل رجالي وذلك في اصعب الاماكن في قلب افريقية ولم يبق معي الا رجل واحد من اهالي الصومال فاحتلت انا وهو على تسير قافلتنا وعبور الحراج بها وكانت الامطار تتدفق علينا تدفقاً واستخدمت رجلاً غير الذين تركوني ولكنني لما مررت في بلاد التوارك لم يبق معي منهم سوى ثلاثة وست جمال وخن اثنان من الرجال . . . وكنا نقطع ٢٣ ميلاً كل يوم والعادة ان اصحاب الرحلات لا يقطعون

هناك اكثر من عشرة اميال في اليوم . واطول مدة استرحت فيها ١٢ يوماً لما بلغت النيل وعشرة أيام في تمبكتو

وكان اكثر سيرنا في بلاد وبيئة انتشرت فيها الحمى الملاريا ولما وصلت السنغال كانت الحمى الصفراء ضاربة اطنابها فيها . ولما بلغت الساحل الغربي ركبت سكة الحديد الفرنسية ولكن اتفق ركوبي في مركبة فيها رجل فرنسوي مصاب بالحمى الصفراء فاضطرت ان اقيم في الكورتيينا . ولم يكن معي ادوية تستحق الذكر في كل سفري ولا آلة لترشيح المياه . ولا اهتمت بلذع البعوض ولا بالوسائل الطيبة وكانت النتيجة اني عدت الى اوربا وانا على تمام الصحة ولم البس في هذه الرحلة خوزة تقي من الشمس ولا ثياباً تقي من المطر بل لبست ثيابي العادية التي البسها في مدينة لندن وقطعت هذه المسافة كلها وليس معي شيء من الاسلحة ولا سكين صغيرة الا ان رجالي كانوا مسلحين بالبنادق الكثيرة الطلقات ولكن قلما كنت اعطيهم خرطوشاً ولم يكن معي رجل ايض وقد قمت وحدي بكل نفقات هذه الرحلة

هذه خلاصة رحلتي والآن اشرحها لكم باكثر تفصيل واسهب في وصف غريبة

او غريبتين من الغرائب الكثيرة التي لقيتها فيها

لم يكن اختراق بلاد الحبشة من الصعاب ولكنني خفت من حدوث ما لا يحمد في سكة الحديد من جيوتي الى دير دوى مسافة ١٩٠ كيلو متراً لكثرة اهتزازها ولما بلغت دير دوى مضيت الى مدينة هرر وقابلت رأس مكنن وهو من اقدر رجال الحبشة . ولما عدت الى دير دوى نظمت قافلتى واتجهت نحو العاصمة وسرت في بلاد تكاد تكون فقراً وزرت في طريقي كثيراً من قبائل الدناكل وهم اقوام لا بأس بهم ولكنهم كثيراً ما يقتلون الغرباء الذين يمرون في بلادهم ويمثلون بهم وكانوا قد قتلوا رجلين من العرب ورجلاً من الاحباش قبلما اخترقت بلادهم بايام قليلة . وقد خاف منهم الجنود الاحباش الذين اتوا معي لحمايتي . وبلغت اديس ابابا عاصمة الحبشة بعد سير اثني عشر يوماً ونزلت ضيفاً على السرجون هر نجتون سفيرنا لدى الامبراطور منليك وعلى الاوربيين القلال العدد الذين هناك . ولقيت من الامبراطور كل حفاوة واكرام . واديس ابابا اشبه بمعسكر كبير منها بمدينة وقصر منليك او قصوره فيها اشبه بمعمل كبير منها بقصور الملوك فان داخل أسوارها مضرب النقود والآلات البخارية والورش المختلفة ومنليك يقضي اكثر اوقاته فيها لا على عرشه لانه يكره السياسة

والسرجون هرنجتون رجل مقتدر وبجنكته وحسن تدبيره بقي اسمنا مكرماً في بلاد الحبشة ولولاه لخسرنا ما كان لنا من النفوذ وخرجنا من تلك البلاد صفر اليدين . اما الآن فلا خوف على نفوذنا هناك والفضل كل الفضل لهذا الرجل . وكل من يزور بلاد الحبشة يقول ان فيها رجلين يخشى بأسهما ويحشى جانبهما وهما الامبراطور منليك والسرجون هرنجتون . والامبراطور يعتمد على السرجون ويقدر مشورته قدرها . وعندني ان كثيراً من الاصلاح الذي تم في بلاد الحبشة كان بمشورته وكلمة الامبراطور نافذة في رعيته وهم يعبدونه عبادة كانه اله ويشاركهم في ذلك غير الاحباش من القبائل الخاضعة لهم وكلمته شريعة لهم وأمره مطاع فيهم ورجاله يتغلبون على اعدائهم بما لهم من الهيبة في النفوس لا بمهارتهم الحربية فاذا توفي منليك لم يسهل على من يخلفه ان يقبض على زمام البلاد لا سيما وأن عيون الدول الاوربية طامحة اليها من كل الجهات

ومنليك من أعدل الملوك واكرمهم وأشدهم رزاة . ولو كان أصغر سنأ وساح في اوربا لعاد منها بأمور كثيرة تأول الى اصلاح بلاده . وكل ما تحتاج اليه بلاد الحبشة حكومة منظمة وشرائع ثابتة

ولم أجد كبير صعوبة في المسير من تلك البلاد الى نهر السببت . ولقيت في طريقي قبائل الغالا في غربي بلاد الحبشة وهم يكرهون الاحباش مع أنهم خاضعون لهم . واذا مات منليك فلا يبعد أن يخلعوا طاعة الاحباش ويستظلوا بالعلم البريطاني . وهم أهل نظر بحرثون الارض ويربون المواشي ولهم المام بالتجارة ويدينون بالاسلام والجانب الغربي أخصب بلاد الحبشة وهو معتدل الهواء لارتفاعه ويسهل اصلاح زراعته وفيه البن البري وهو من أخصر أنواع البن والصمغ الهندي ومعادن كثيرة ويجمع التبر من مسيل نهر باروا

ويلى الارض المرتفعة أرض منخفضة من أملاك الحبشة يديرها اناس من حكومة السودان وهناك يسكن اليميو وهم جيل من الناس طوال القامة جداً كأنهم الجبابرة وأول نقطة فيها مأمور مصري جمبلا وهي خيثة الهواء لا تبقي على انسان ولا حيوان رأيت فيها بعض تجار اليونان وكلهم في حالة يرثى لها من فعل الحمى الملاريا بهم ورأيت على قبر الجزال غانكر قطعيتين من الخشب في شكل صليب وكثيراً من الشوك منعاً للضباع من نبش الجثة واكلها

ولقيت قبائل النوير جنوبي نهر السُبت وهم أقوام غريبو الاطوار لا يأتمنون
أحداً ولا يأتمهم أحد عندهم كثير من المواشي لكنهم لا يبيعون منها ولا يقايضون
وثيرانهم ليست أقل شراسة منهم فكانت تهجم على دواب قافلي حينما رأها ورجلهم
يطلون أبدانهم بطلاء أبيض واما نساؤهم فيحافظن على لونهن الاسود ولا يلبسن الا
أبسطة الملابس الطبيعية . وكلهم ممتازون بطول أرجلهم ويطلون شعورهم بطلاء لزج
ويجمعونها معاً في شكل مستدق وهذا الطلاء يصبغ الشعر بلون احمر . ويدل طول
سوقهم على أنهم مخلوقون ليعيشوا في بلاد كثيرة المستنقعات كأنهم طيور الماء وكثيراً
ما ترى الواحد منهم واقفاً على رجل واحدة كأنه مالك الحزين

وقد اضطرت أن أعبر نهر السُبت مراراً كثيرة وهو عميق سريع الجري فكانت
أجد مشقة كبيرة في عبه برجلي وبغالي وكانت البغال تسبح سباحة ونحن نطلق البنادق
حولها خوفاً من التماسيح وكابدنا مشقات كثيرة الى أن بلغنا التوفيقية على النيل وهي
أقفر بقاع الأرض (١) وهناك حامية من الجنود السودانية

ولما دنونا من النيل دخلنا بلاد الشلوك وقد كانوا أكثر عدداً وأقوى صولة منهم
الآن ولكن حملات الدراويش والمصريين والنحاسين بددت شملهم وكادت تقرضهم
ويظهر من انتشار لغتهم انه كانت لهم صولة واسعة فاني رأيت الناس يتكلمونها أو يفهمونها
في عالية الحبشة وبلغني أن الامر كذلك في الجنوب حتى فكتوريا نيازا . وهم فريقان
أحدهما يعترف بالقرابة بينه وبين النوير ولا سيما بين الدنكا . وأكثر الشلوك الآن
على ضفة النيل الشمالية بين بحيرة نو ومصب السُبت وبلادهم سهل فسيح تكثر فيه
الاعشاب الكبيرة ومخترقه الخيران الكثيرة والمنخفضات التي يغمرها الماء زمن
فيضان النيل وليس فيها الا قليل من شجر الدوم والهجلج والدلب ويفسد هواؤها
في فصل المطر

وقلما يتزوج الرجل من الشلوك بغير امرأة واحدة لغلاء مهر النساء فان مهر الزوجة
لا يكون أقل من ثلاثة ثيران أو أربعة أو أربعين رأساً من الغنم أو المعزى عدا الهدايا
التي يهديها الخطيب الى أهل الفتاة قبل الاتفاق على مبلغ المهر وتعد الثيران أو الغنم
أو المعزى التي يتفق عليها بقطع من القش توضع على الأرض وقت الخطبة فإذا تم

(١) (المقتطف) وصلنا اول تليفراف منه من التوفيقية

الاتفاق بين الخطيب وأهل الفتاة على المهر أخبروها بذلك حتى اذا قبلت أهدي اليها الخطيب سواراً من النحاس أو العاج فتلبسه بذراعها . وقد يتزوج احداهم بفتاة ويعد أهلها بالمهر ثم يعجز عن الوفاء بوعده فتؤخذ زوجته منه . وبعض الشلوكة يزعون الثنتين والرباعيتين من الفك الاسفل كما تفعل بعض القبائل في قلب افريقية

والبلاد حول بحر الغزال من اقبح البلدان وقد اتفق اني مررت فيها من مشرع الرق الى واو في اشد شهور السنة حراً وجفافاً قبل فصل المطر وكثيراً ما كنت اعجز عن استقاء الماء الكافي لما معي من الدواب من الآبار التي هناك

والدنكا أقارب الشلوكة جاء اسمهم على ما اظن من دنجو الذي يقال في تقاليد الشلوكة انه كان أخاً لجواكنجو وهما اول من ظهر من قومها في تلك البلاد فاختصم الاخوان وعبر دنجو النيل وسكن على ضفته اليمنى ومنه جاءت قبائل الدنكا

ولما قطعت بلاد بحر الغزال ووصلت الى ديم زير سرت في الحراج الاستوائية متجهماً الى الجنوب ومررت على كثير من القبائل في اطراف بحر الغزال . اما قبائل النيام نيام فايس هذا اسمهم بل هو لقب ضعة يلقبهم به غيرهم واما هم فيسمون انفسهم اسنده من سنده اي تحت . وقد رأيت بعضهم وهم مشوهو الحلقة بطونهم كبيرة ورؤوسهم مستطيلة بله خبثاء لا يؤمن شرهم لكني وجدت في لغاتهم اموراً تدل على أنهم منحطون من اصل مرتق وهذه الامور قد تكون عرضية ولكن سواء كانت عرضية او غير عرضية فهي مما لم ار له مثيلاً في الايطالية والفرنسوية والالمانية والاسبانية والبرتغالية والانكليزية فاذا اراد الواحد منهم ان يضيف اليه شيئاً غير حي خارجاً عنه استعمل ضمير المتكلم المضاف اليه كما تقول بيتي ورعي ولكن اذا اراد ان يضيف اليه شيئاً متعلقاً به مثل ابيه ويده لم يقل كما تقول نحن ابي ويدي بل اضافهُ الى ضمير مثل الضمير المرفوع عندنا كما نه يقول اب انا يد انا للدلالة على ان المضاف من اهله او من نفسه . وبعض الاسماء عندهم مستعار من الحوادث الطبيعية او من عالم النبات فمعنى اسم اللحية عندهم مطر الذقن ومعنى اسم الراحة ورقة الذراع ومعنى اسم الظفر قشر الاصبع واسم القدم ورقة الساق ويسمون النجوم بما معناه اعداء الشمس . ولواحد والاثنين والثلاثة الى الخمسة اسماء مفردة واما الستة فاسمها واحد من اليد الاخرى والسبعة اثنان من اليد الاخرى والثمانية ثلاثة من اليد الاخرى والاحد عشر واحد من القدم والستة عشر واحد من القدم الاخرى والحادي والعشرون

رجل واصبع والحادي والاربعون رجلان واصبع والحادي والستون ثلاثة رجال واصبع وهلم جراً

وكان غرضي الوصول الى مملكة زميو وهي اكبر الممالك في اواسط افريقية فقطعت الحراج لهذه الغاية وتركني حينئذ كل الرجال الذين كانوا معي ما عدا واحداً من اهالي الصومال فسقنا القافلة وحدنا وكان فصل المطر فمات اكثر الدواب التي معي وكان الحر شديداً يزهق النفوس والارض مستنقعا متصلاً والاشجار تلطم الاحمال على ظهور الدواب فتحلها او توقعها ونضطر الى ربطها مراراً في اليوم والامطار. تنصب علينا كافواه القرب والاشواك والادغال تنشب في اقدامنا واصبنا كلانا بالحصى ومضى علينا شهر ونحن على هذه الصورة نقاسي اشد المشاق الى ان بلغنا هر مبومو وكان في قافلتنا ثلاثون دابة بين بغال وحمير فلم يبق منها سوى اربعة حمير فاسترحت هناك يومين استرجعت فيها قوتي وعدت الى مواصلة المسير

وعلى هر مبومو وهر او بنغي قبائل كثيرة اكثرها من اكلة لحوم البشر والنهران يفصلان بلاد الكونغو الحرة عن الكونغو الفرنسية وما رأيت من بلاد الكونغو الحرة يدل على حسن الادارة فيها واهاليها على تمام الرضى وقد اصلحت طرق البلاد وزراعتها وما يشاع على ضد ذلك غير منطبق على الحقيقة. والموظفون الايطاليون في حكومة الكونغو باذلون اقصى جهدهم في اسعاد السكان والسكان يحبونهم ويكرمونهم وقد قطعت مراراً الطريق الذي مر به الكولونل مرشان ورأيت الخريطة التي رسمها منطقة غاية الانطباق على البلاد وهي في غاية الضبط والاحكام

وقمت من او بنغي باربعين حمالاً وسرت نحو بحيرة شاد وكان الفصل لا يزال ممطراً واضطربنا ان تقطع انهرأ كبيرة ونمر على كثير من القبائل الغربية الاطوار وفي جماتهم قبيلة المنجيا وقبيلة السنجا ونساؤها يتقن شفاهن السفلى ويدخلن في الثقب عوداً او عظام او قطعة مستطيلة من البلور او يعلقن في الشفة العليا حلقة كبيرة جداً حتى تطول الشفة بها وتتدلى وقد يعلقن حلقة بكل شفة من الشفتين

وزرت بلاد الالمان في الكمرون ولقيت حسن الضيافة من الموظفين الالمانين ووجدت انهم يحسنون الاعتناء بالسكان وان البلاد آخذة في الارتقاء بعنايتهم وقد قيل ان ماء بحيرة شاد آخذ في النبوض ومن المحتمل انها تجف تماماً لكثرة التبخر منها ولان الانهر التي تصب فيها تحمل اليها كثيراً من الطمي فيرسب فيها

ويختلط بالنباتات التي تثبت وتيبس فيها فيعلو قاعها رويداً رويداً . ولا شبهة ان هذه البحيرة كانت في العصور الغابرة اوسع مما هي عليه الآن . وقد حفر الملازم فريدنبرج بئراً على بعد من البحيرة فوجد تراها طبقات مترادفة من الرمال والمواد النباتية البالية وهي تدل على ان البحيرة كانت تغمر المكان الذي كانت قد حفرت فيه البئر وتبين كيف ترسب المواد النباتية والرمل بعضها فوق بعض

وسرت في نهر النيجر بقارب من الحديد فقضيت ٢٨ يوماً حتى وصلت الى تمبكتو ولم يسر القارب في مسيل النيجر نفسه بل في الارض التي طغى عليها ماؤه . ولا تسلم عما لقينا من المشاق في طريقنا من القصب والحلفا ولا ما بلينا به من البعوض . وكثيراً ما كنا نجد الجنادل في طريقنا والماء يجري بينها سريعاً مزبداً فنضطر ان نعود ادراجنا . واتفق مرة ان وصلنا الى شلال من هذه الشلالات فخرج الرجال من القارب وربطوه بالحبال من الجانبين لكي يمنعوه من الانقلاب وبقيت انا وحدي فيه والدفة في يدي وكانت امتعتنا فيه لكن المياه رفعتة وقذفت به فوق الرجال الممسكون بالحبال في الماء وكاد بعضهم يغرق ودفع القارب الى اسفل وامتلا ماء لكنني نجوت من الغرق وانقذنا القارب والامتعة

اما مدينة تمبكتو فبنية على جانبي كشييين من الرمال ممتدين شرقاً وغرباً فيها خمسة آلاف من السكان المقيمين واربعة آلاف من التجار الذين يترددون عليها اكثرهم من طرابلس الغرب ومراكش وغدنون وتدوف وطوات واهاليها يتكلمون بكثير من اللغات الافريقية

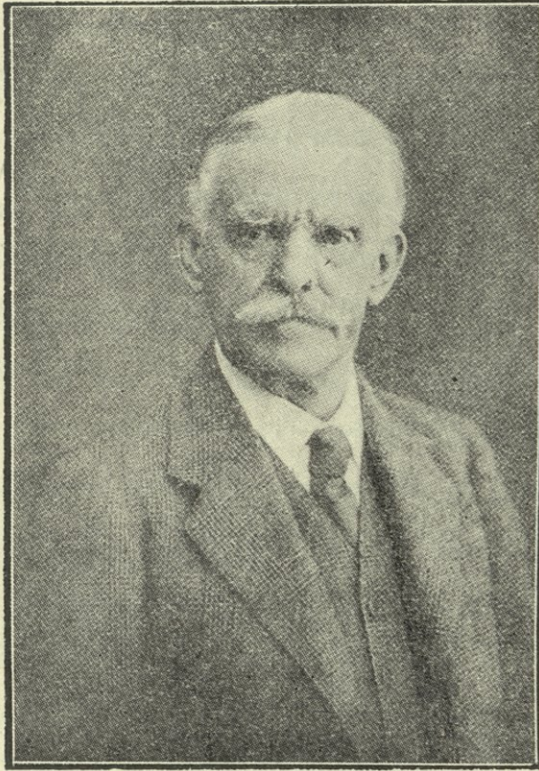
واسهب الخطيب في وصف معادن البلاد ونباتاتها ومدح الموظفين الفرنسيين على ما لقيه من كرمهم وقال ان العلماء منهم باذلون جهدهم في درس طبائع البلاد ومصادر ثروتها والاساليب التي تستثمر بها والضباط الذين يقودون جنود السنغال ماهرون في كل شي، فتراهم يمسحون البلاد وينون البيوت ويحفرون الترع ويعلمون الاهالي كل ما يحتاجون اليه لمعيشتهم ورجال الادارة منهم من اكثر الرجال حنكة وامهرهم في اساليب السياسة . وختم بالشكر للورد كرومر والسردار ولوكيللي فرنسا وبلجيكا السياسيين في مصر واللكبتن اون لاهم كلهم ساعدوه بما سهل عليه اختراق افريقية

(مقتطف اكتوبر سنة ١٩٠٨)

الرحالة جورج شوينفورث

George Schweinfurth

نعت الاخبار البرقية من برلين الاستاذ شوينفورث توفي في ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢٥
بالغاً من العمر ٨٩ سنة وكان واحداً من اوائل المستكشفين في افريقية بين سنتي
١٨٦٣ و ١٨٨٨ وقد تخصص في المسائل المتعلقة بالنيل والكونغو ورأس الجمعية
الجغرافية المصرية سنة ١٨٧٢ — روتر



هذا نص البرقية التي نعتها للعالم
وقد اخطأ روتر في تعيين تأسيس
الجمعية الجغرافية سنة ١٨٧٢ لان
امر التأسيس الذي اصدره المغفور
له اسماعيل باشا الخديوي الاسبق
تاريخه ١٩ مايو سنة ١٨٧٥ وفي
المادة الرابعة منه تعيين الاستاذ
شوينفورث بالاسم رئيساً لها
وتاريخ الجمعية الجغرافية عند
تأسيسها مرتبط بتاريخ اول رئيس
لها والى القراء موجزاً من ترجمة
حياته

ولد في ريفا في ٢٩ ديسمبر

سنة ١٨٣٦ وكان والده تاجراً

الرحالة جورج شوينفورث

بها ثم انتقل الى هايدلبرج حيث تربى التربية المدرسية واتم علومه العالية في جامعة
برلين حيث تخرج دكتوراً في العلوم الطبيعية وكان يميل اليها بكلية منذ نعومة اظفاره
واختص بدرس علم النبات وعلم الاتار المتحجرة (البالينولوجيا) وكان علماء اوربا
في ذلك الحين يتبارون في استكشاف مجاهل افريقية فمال اليها وكان احدهم العالم بارنيم

الالمانى قد جمع مجموعة نباتات من منطقة النيل الابيض واحضرها معه الى برلين وتوفي قبل ان يعين انواعها فعهد الى شوينفورت بالاشتغال في ترتيبها فلم يرَ بدأ من الشخوص الى حيث منابتها ليقف بنفسه على اصولها وسير عموها الطبيعي ومن هنا تولد فيه الميل الى الاسفار لتطبيق العلم وجاء الى القطر المصري سنة ١٨٦٣ وشرع في جمع مجموعة من نباتات الوجه البحري . وتنقل بين شواطئ البحر والصحراء الشرقية باحثاً منقباً حتى وصل الى بلاد الحبشة وقفل راجعاً الى الخرطوم حيث مكث سنتين ثم عاد الى وطنه ، ومعهُ مجموعة اخرى من النباتات وبدأ من ذلك الحين يبحث عن انواع المجموعتين حتى تكاملت معلوماته

كانت هذه رحلته الاولى التي استأنفها في ١٨٦٨ صاعداً من الخرطوم الى بلاد النيام نيام (ازانده) عن طريق النيل وزار قبائل الثبوتوت وكانت مجهولة الى ذلك الحين وكشف في بلاد منغبوتوهر ول في مارس سنة ١٨٧٠ وعرف ان هذا النهر ليس من روافد النيل وذلك قبل ان يثبت انه من روافد الكونغو. فشوينفورت كان بعد السر صمويل باكر الثاني الذي تكلمت مساعيه بالنجاح وزاده تشجيعاً جائزة مالية من همبولدت كان خصصها لينفق منها على تقدم العلوم والاستكشاف وهي التي كان ينفق منها في رحلاته التي استمرت ثلاث سنوات ورجع سنة ١٨٧١ فدوّن اخباره في الكتاب الاول الضخم الذي طبع بالمانيا وعنوانه « في قلب افريقية » فتلقتهُ اوربا بالترحاب وترجم الى الفرنسية والانكليزية والايطالية وقرظته الجرائد والمجلات ونشرت صور رحلته كما انه ترجم ايضاً الى اللغة التركية وطبع بالاستانة سنة ١٢٩٦ هـ ولم يكن شوينفورت عالماً نباتياً فحسب بل كان رساماً ماهراً فاخذ المناظر ودوّن ذكرياته برسوم ظهرت في كتابه وساعدته على وضع الخرائط في الاقطار التي رادها ووصفها اما في مؤلفاته او مقالاته ومراسلاته الكثيرة في المجلات العلمية

ولما طبقت شهرته الآفاق استلفت انظار الخديوي اسمعيل الى تأسيس الجمعية الجغرافية وبعد عشرين عاماً من تأسيسها له توفي الخديوي الى رحمة الله بالاستانة فنقلت رفاقه لتدفن في مسجد الرفاعي بالقاهرة فقامت الجمعية حفلة تأبين لمؤسسها في ١٥ مارس سنة ١٨٩٥ وكان رئيسها المرحوم الدكتور اباتا باشا فتقدم هذا في الجلسة طالباً من اول رئيس ان يترأسها خصيصاً لهذه الذكرى فافتتحها بخطاب فرنسي جاء في آخره «اني اتمنى واحدة وهي ان الجيل الحاضر يجب عليه ان يقيم للخديوي

الاكبر اثرأ يليق به في قلب القاهرة يكون باحد ميادينها العمومية في وسط اعماله
ومنشأته اعترافاً بفضلها الجلم رحمة الله عليه »

وفي سنة ١٩١١ فكر اعضاء الجمعية المصريون ومريدوه في اقامة حفلة تكريم له
وتم ذلك في ديسمبر سنة ١٩١٣ وقدموا له « التقليد المسطور على رق منشور » او
الشهادة الفخرية مؤرخاً محرم سنة ١٣٣٢ هـ موقعاً عليها من المعجبين به فشكر لانباء
مصر فضلهم متمنياً لمصر السعادة وكانت مصر قد قبلت الانضمام الى عضوية مجلس
المباحث الدولي سنة ١٩١٨ تحت رعاية الاتحاد الجغرافي الدولي فلم يشترك الالمان
والروس والأتراك من دول الاعداء في المؤتمر الجغرافي الذي اقيم في القاهرة في
اوائل ابريل سنة ١٩٢٥

ولعل الاستاذ شوينفورت كان اولى الناس بالحضور لسببين الاول انه لم يبق
غيره حياً من المؤسسين وانه الرئيس الاول للجمعية فله الحق في مشاهدة يوبيل غرس
يمينه وجهوده وكان قد وجه سؤال في المقطم عن حقيقة امتناع القائمين بامور المؤتمر
فعلق مستنداً الى ما جاء في الالمان ديتش زيتونج ان الالمان قد يرفضون الحضور
اذا دعوا بعد ما جرى مع ان العلم ليس له وطن والعلم فوق السياسة والدين ويقال
ان عدم حضور شوينفورت اثر في نفسه إذ لمصر كامن الحب في فؤاده وقد اتخذها
وطناً ثانياً

وأخر مؤلف ظهر له وهو مقيم في مصر كتاب مفيد عنوانه الاسماء العربية
للنباتات التي تزرع في مصر واليمن طبع برلين سنة ١٩١٢ بالالمانية
وبلغ سن الثمانين سنة ١٩١٦ فاقمت له حفلة تكريم برلين وحصرت آثار قلمه في
جدول فاذا بها قد بلغت من سنة ١٨٥٨ الى ذلك الحين ٤٢٨ عدداً ما بين كتاب ومقال
ومحاضرة ومراسلة لجريدة او مجلة علمية وهو عدد كبير ومع ذلك استمر في اشغاله
العلمية الى وقت وفاته اي بعد تسع سنوات وله اثناءها ما اثر معدودة فاعيد طبع كتابه
« في قلب افريقية » سنة ١٩١٨ في حجم ضخم مصدراً برسمه الذي تنقل عنه صورته.
وفي سنة ١٩٢٢ جمع بعض مقالاته عن شواطئ البحر الاحمر من مارس لاغسطس
سنة ١٨٦٦ وظهر له مؤلف آخر عنوانه في الطرق المجهولة بمصر — وقد صدرها
بترجمة كتبها بنفسه Autobiographie — تشمل الرحلة من الاقصر الى سواكن
واستكشافاته وتصعيده جبال القصير ، واقدام الاديرة المسيحية انبا انطونيوس وانبأ

بولا واقدم سد للمياه من عهد الاهرام وهو في وادي عزاوى بجلوان ، ومدينة رومانية في الصحراء وقنطرة من حجر في جبل كلوديانوس المعروف الآن بجبل فتيرة من حجر الجرانيت ذي اللون السنجابي ووصف قصر روماني وحمام وكتابات ومقابر قبليتي البلميين والنجا من اسلاف الاحباش والطرق الحديثة الموصلة الى اقدم المعادن واما كتبها بمصر وهذا الكتاب محلى بالرسوم مع صورة له لابسا الطربوش سنة ١٨٦٤ واخرى للدكتور كارل كلونزجر بطربوش ايضاً لانهما كانا في خدمة الحكومة المصرية وفي آخر ١٩٢٤ ظهر كتاب عنوانه نباتات الحدائق في مصر (الفرعونية) وهو بحث اثري مصري لمؤلفه لودج كابر في اجزاء وقد ساعده الاستاذ شوينفورت في اخراجه وكتب له مقدمة مفيدة

توفيق اسكاروس

(مقتطف نوفمبر سنة ١٩٢٥)

٢

قرأت في المقتطف جزء نوفمبر الماضي ترجمة هذا الرحالة الشهير الاستاذ النبائي المحقق جورج شوينفورت الذي توفي في الايام الاخيرة مناهزاً التسعين من العمر ولما كنت قد عرفت هذا الرجل عرفة شخصية منذ بضع سنوات احببت ان اضم الى هذه الترجمة الكلمات الآتية

سنة ١٩١٨ وهي آخر سني الحرب العامة كنت ببرلين بمأمورية تتعلق بازالة بعض الخلافات بين الدولة العثمانية والدولة الالمانية . فاقمت اشهرأ الى ان انتهت الحرب بما انتهت به . وفي اثناء اقامتي ببرلين عرفت اناساً كثيرين من رجال الالمان ولا سيما العلماء والادباء والصحفيين والاعباريين . ومن جملة هؤلاء رجل من يهود المانية اسمه « روتايت » كان محرراً في جريدة « الفوسيدشتي تسايونغ » التي صاحبها جورج برنار وهو من معارفي ايضاً . وكان روتايت هذا يتردد الى اخواننا المهاجرين المصريين الذين كانوا هناك الاستاذ العلامة الشيخ عبد العزيز جاويش والاستاذ عبد الملك حمزة ورفاقهما فتعرفت به عندهم . ودعانا مرة الى الشاي فوجدت في تلك الدعوة رهطاً من اهل الفضل منهم سيدة ادبية المانية قالت لي عند ما قدموني لمعرفةها : أي نعم انا اعرف بلادكم ولي خلطة نامة بعائلة ثريا بك . فقلت لها : وأي ثريا بك ؟ فقالت لي : ثريا بك افلا تعرفه ؟ فانه من بلادكم . فخطر ببالي مثل « فاطمة في سوق الغزل » وقلت لها : اتدبرين لو سألتك قائلاً : الا تعرفين الهرماكس من المانية ؟ فقولك ثريا بك في

المملكة العثمانية كما لو قلنا الهرما كس او الهركونراد في المانية . وبعد الاستيضاح علمنا انها تريد ثريا بك الارناؤوطي اخا فريد باشا الصدر الاعظم وانها تعرف البانية ومحسب ان البانية وسورية وازمير والستانة ومصر ومكة وربما الهند وفارس كلها بلاد واحدة بينها من الفروق ما بين برلين ومونيخ مثلاً . وجرى معي من هذا القبيل ان كونتاً او على قول العرب كنداً المانياً اقترح علي هدية تبناك من الشرق واخبرني انه تعود التدخين بالنارجيلة في بلادنا . فظننت انه وجد مرة في طرابلس الشام او في بيروت فقلت له : وفي أي بلدة من بلادنا كنت ؟ قال لي : كنت في الهرسك وهناك تعلمت شرب النارجيلة . مع ان الهرسك هي في الواقع أقرب الى المانية مما هي الى سورية . ولكن الاوربي ايما وجد المسلم عد المكان شرقاً . هذه عقلية القوم استطردت الى ذكرها لانها مما يجب على الشرقيين علمه . ونعود الى موضوعنا وهو اني تعرفت عند روتايت بالاستاذ النباتي الكبير شوينفورث ورأيتُه شيخاً ماجناً لا اقدر ان اقول شق مائل او لعاب سائل بالتمام ولكنه كان يخلج دائماً ويتكلم بنغمة من قد شبع من السنين وكان مع هذا حافظاً قواه العقلية . ومما اتذكره عنه انه لم يعمل الرحلة في باطن افريقية فحسب بل ساح في بلاد اليمن وحقق هناك نباتات وتعاشيب كانت مجهولة . وقال لي روتايت امامه ان تأليفه في النبات مدرسية وانها لا تدرس في المانية فقط بل هي مترجمة الى الانكليزية والافرنسية وغيرها وانها تدرس في لندن وباريز كما تدرس في المانية . وكان في سكوت الاستاذ شوينفورث على كلام روتايت هذا علامة التصديق . فنبطت هذا الرجل على هذه الشهرة العظيمة وهذا الاخضاء الذي جعل كتبه تدرس في بلاد الاجانب الراقية وهو لا يزال حياً . وذلك اشبه بالامام الغزالي الذي عند ما جاء الى دمشق واعتكف في صومعة من الجامع الاموي متكرراً كان يمر بحلقات الدروس ويسمع باذنه : قال الامام الغزالي . قال الامام الغزالي . وما احد يعلم انه هو الامام الغزالي . انا اقول هذا منتهى السعادة في الدنيا او على الاقل منتهى سعادة العالم في العالم

ومما اتذكره من آثار جلستنا مع البروفسور شوينفورث او شفينفورث انه كان يخلع جلباب شيخوخته وتأخذه هزة الطرب كالشباب عند ما يتحدث بدخول الالمان الى ريفنا . وكان الالمان قد استولوا في ذلك الوقت على بلاد البلطيك كلها ومن جملتها

ريغا مسقط رأس الاستاذ فكان يقول لي : الآن اموت مستريحاً لان ريغا دخلت في حوزة المانية . فكنت اقضي العجب من كون شيخ بلغ هذه الدرجة من السن يطرب هذا الطرب كله كأنه شاب ابن ١٦ سنة لاخذ ابناء جلدته البلدة التي ولد فيها . ولكن الوطنية امر عظيم . ولا شيء اعلق بقلب الانسان من حب الارض التي اول ما مس جلده ترابها . ولما زرت موسكو سنة ١٩٢١ ذهبت بحراً الى بلدة « ريثال » عاصمة « استونية » وركبنا من ريثال بقطار الحديد الى بتروغراد الى موسكو وقفلت من موسكو براً عن طريق « ليتونية » بالقطار فكنت ارى البلاد روسية الوسم حتى دخلت ريغا وشاهدت ما شاهدت من انتظامها ونظافتها وسعة شوارعها ورونق فنادقها وحسن حدائقها فحلت اني في قلب المانية . ومع ان اهل ريغا ليس اكثرهم من الجنس الالماني فان اللغة الالمانية فيها هي الغالبة وكل شيء هناك مسحته المانية . وعندها تذكرت شغف الاستاذ شوينفورث باندماج ريغا في الوحدة الجرمانية

على اني احسب عمر الاستاذ المشار اليه اكثر مما ورد في الجرائد فان كانت لم تخني ذاكرتي اقول ان الذي سمعته من روتايت عن عمره كان ٨٦ او ٨٧ سنة وهذا سنة ١٩١٨ فيكون عمره يوم ذهب الى ربه ٩٣ سنة بالاقبل . ولو لم يكن كذلك لما كان سكت على قول روتايت عن عمره وكان بادر الى تصحيحه او كان قال له : بالغت . نعم ان الرجال اسمح في هذا الموضوع من النساء وبعض السيدات يضمنن اشد الحقد لمن يقول الحقيقة عن عمرهن فضلاً عن زيود فيه ، شاهدت سيدة في احدى مدن سويسرا اغرت الحكومة بسيدة أخرى وكانت سبب طردها من تلك المدينة فسألتها : ما سبب تلك العداوة ؟ فقالت لي وصلت الامور معها الى ان زعمت ان عمري ٤٠ سنة مع ان عمري ٢٨ . فلا شك ان الرجال ايضاً لا يريدون ان يعدوا شيوخاً فانين ولا يوجد احد يحب ان يزداد في عمره او اذا زيد له فيه سكت عن الاعتراض . وحسبك ان سيدنا احمد بن حنبل رضي الله عنه سئل فيما اتذكر عن عمره فظهر الامتعاض في وجهه وقال للسائل : لا تسأل عما لا يعينك

نعم انا كنت اعتقد ان الاستاذ شوينفورث مناهز الرابعة والتسعين وهيئته يوم شاهدته واختلاج شفتيه واضطراب جسمه وعدم تبين جميع الفاظه كل ذلك كان يخبر عن التسعين او ما قاربها لكنني علمت بعد ذلك انه لم يتجاوز التاسعة والثمانين مقتطف يناير سنة ١٩٢٦ — شكيب ارسلان

٣

استطراد

(المقتطف) نشكر الامير الجليل على ما تحف المقتطف به . وبعد فقد ذكرت مجلة ناشر شوينفورت في السابع من نوفمبر فقالت ما ترجمته

جورج اوغسط شوينفورت ولد في ريغا من والدين المانيين في ٢٩ دسمبر سنة ١٨٣٦ وتوفي في برلين في ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢٥ وقد كان من علماء الطبيعة الذين امتازوا برحلاتهم ومستكشفتهم في الجانب الشرقي من اواسط افريقية . نشأ نباتياً مدرباً فاختير وهو في السابعة والعشرين من عمره لكي يرتب مجاميع النباتات التي احضرها بارنم وهرتمن من السودان . واقام من سنة ١٨٦٣ الى ١٨٦٦ يبحث في نباتات مصر والبلاد المجاورة لها من الاسكندرية الى الخرطوم واسناد البحر الاحمر ومن جبال الحبشة من البحر الازرق ثم الى بحر الغزال . وهذه الرحلة التي دامت ثلاث سنوات كانت اكثر الرحلات الافريقية ثمرة . فقد كان غرضه الاول فيها البحث في نباتات البلاد لكنه لم يقتصر على ذلك بل بحث ايضاً في حيواناتها وجبالها واوضح ما يتعلق بانهارها مما كان امره غامضاً فانه عبر النيل واجبه غرباً فكشف نهر ول^(١) وحسب انه يصب في بحيرة شاد ونال باكتشافه هذا وسام مؤسس الجمعية الجغرافية الملكية ببلاد الانكليز . ودرس احوال السكان وهو اول من وصف قبائل الدوير والدنكا والبنجو والازندا او النيام نيام آكلي لحوم البشر وقد كشف ايضاً اقزام الاكا ، فاثبت وجود الاقزام في قلب افريقية بعد ان كان وجودهم في معرض الشك اما في علم الحيوان فاهم ما كشفه نوع متنقل من الشمبازي كشفه في بلاد الازندا ووجود الشمبازي في وادي النيل لم يكن معروفاً هناك . وكشف ايضاً البيغاء الرمادي وغيره في تلك الجهات . اما في علم النبات فكان عمله واسع النطاق فانه كشف ان الحراج الكبيرة التي في قلب افريقية تمتد شرقاً ووصف اتساق اشجارها وصفاً شعرياً وشبهها بالاعمدة في الهياكل المصرية ونشر ذلك في كتاب سماه قلب افريقية، طبع اولاً سنة ١٨٧٣ مزداناً بكثير من الصور التي رسمها بيده لانه كان رساماً ماهراً كما كان كاتباً

(١) نهر كبير في قلب افريقية يخرج من بلاد المنبتو ويجري غرباً الى الدرجة ١٩ من الطول الشرقي يميل جنوباً ويصب في نهر الكونغو وقد ظن شوينفورت لما كشفه انه يتصل بنهر شاري ويصب في بحيرة شاد فأخطأ في ظنه

بليغاً فوق ما اشتهر به من شدة الانتباه والملاحظة . واذا اعتبرنا ما في هذا الكتاب من بلاغة الانشاء والاستيعاب في وصف البلاد وسكانها وما فيها من نبات وحيوان واطفنا الى ذلك ان الزمن الذي كان فيه كانت النخاسة في اوجها وتطلب العاج على اشده فوجدنا كتابه « قلب افريقية » قلما فاقه كتاب آخر من كتب رواد افريقية بعد ذلك لم يعد الى قلب افريقية بل رحل رحلات اخرى الى جهات اخرى فمن سنة ١٨٧٣ الى سنة ١٨٧٤ كان في صحراء ليبيا مع رولفس وبين سنة ١٨٧٦ و ١٨٨٨ ذهب مراراً الى الجنوب الغربي من جزيرة العرب وكان في غضون ذلك يقيم في القاهرة واسس فيها الجمعية الجغرافية سنة ١٨٧٥ تحت رعاية الخديوي اسمعيل وكان يبحث في نبات الجانب الاسفل من وادي النيل وحيولوجيته . وسنة ١٨٨٦ جعل اقامته في برلين ولم يغادرها الا حينما كان يذهب الى اترريا بين سنة ١٨٩١ و ١٨٩٤ . وطبع طبعة جديدة من كتابه في قلب افريقية سنة ١٩١٨ بعد ان اضاف اليه اضافات كثيرة . ومجموعاته النباتية والحيولوجية معروضتان الآن في متحف برلين انتهى

اما نحن فقد لقينا شوينفورث مرة في بيت الدكتور غرانت بك بالقاهرة وكانت مسألة وادي الريان وجعله خزاناً شاغلة الافكار وكان كوب هويتوس يحاول اقناعنا بصحة مشروعه حتى يؤيده المقطم والمهندس برون من وزارة الاشغال يحاول اقناعنا بفساده فسالنا شوينفورث عن رايه في ذلك من باب جيولوجي فقال انه لا يشير بجعل وادي الريان خزاناً لانه يحتمل ان تكون في الحاحز الذي بينه وبين الفيوم شقوق او نقط ضعيفة فاذا زاد ضغط الماء في الوادي تحلب الى الفيوم واغرقها . ومنذ عهد قريب كنا نكلم سري باشا وزير الاشغال في هذا الموضوع فرأيناه يرى ما رآه شوينفورث . اما نحن فبلغنا ان كوب هويتوس والسر وليم ولككس يقولان ان في وادي الريان آثار زراعة فاذا كان الامر كذلك فالماء كان فيه ولم يغرق الفيوم حينئذ فجعله خزاناً اسلم عاقبة من جعل الخزانات في اعالي النيل ومفتاحها ليس في يد مصر . والذي فهمناه من سري باشا انه يحسب الفاصل الذي بين وادي الريان والفيوم غير كاف لمقاومة ضغط الماء اذا ملي وادي الريان وهذا لم يقل به شوينفورث ولا السر وليم ولككس ولذلك فالمسألة تستحق البحث ثانية حتى اذا وجدت آثار زراعة في وادي الريان كما قال كوب هويتوس انتفى كل محذور .

مقتطف يناير سنة ١٩٢٦

رحلة مسز فوربس الى كفرة

حاول الفيلسوف افلاطون ان يؤجل الكلام على مقام المرأة في الهيئة الاجتماعية خوفاً من ان يكون رأيه فيها سبباً لسخط الرأي العام عليه . لكن تلميذه كلوكن اصرَّ على مناقشته في موضوع المرأة الاجتماعي فكانت النتيجة ان افلاطون قال بعد الجدل الطويل قوله المشهور الذي لا تطمع المرأة بمثله في هذا العصر حتى من اشد الناس غيرةً عليها وتحمساً في الدفاع عن حقوقها . فقد قال بلسان استاذة سقراط « ليس من عمل ما في نظام الهيئة الاجتماعية تختص به المرأة كامرأة او يختص به الرجل كرجل لان الطبيعة ساوت بين الرجل والمرأة فيما منحتهما من النعم والمواهب ولذلك يحق للمرأة ان تقوم بكل عمل يقوم به الرجل » وكانه خشي ان يؤخذ عليه اطلاقه هذا فاستدرك قائلاً « رغم كون المرأة اضعف جسماً من الرجل »

لكن امرأة القرن العشرين قد ابطلت استدراك افلاطون هذا بما تظهره من الهمة والبأس الذين لا تتحملهما الا اشد الاجسام قوةً وصلابةً . فالنساء في اليابان اخذن يحتكرن الغوص في اعماق البحار لاستخراج صدف اللؤلؤ . وما هذا الا أحد الشواهد على المقام الذي اخذت المرأة تحته في الهيئة الاجتماعية ناقضة نسبة الضعف اليها ، معلنةً بأعمالها انه قد حان الوقت لنقول مع افلاطون « يحق للمرأة ان تقوم بكل عمل يقوم به الرجل »

في لندن اليوم سيدة نالت من الشهرة على حداثة سنها مقاماً في نفوس مواطنيها لم تلهُ سيدة اخرى في عمرها ولا في نوع العمل الذي قامت به . هذه السيدة هي روزيتا فوربس التي زارت القاهرة منذ عهد قريب ويعرفها كثيرون من قراء المقتطف فقد صحت عزمها على التوغل في مجاهل افريقية التي لم يصلها رجل ايض قبلها . فقامت بما انتدبت له خير قيام واخترقت صحراء ليبيا ووصلت الى كفرة وعادت الى قومها بما رأت ودرست وعرفت من مواقع البلاد الجغرافي وحالها الاقتصادي وعادات سكانها وتقاليدهم . فاكبرت انكلترا شجاعها واقدامها وامتلأت اعمدة الجرائد والمجلات بحديث رحلتها ونالت حظوة الاجتماع الخصوصي بجمالة الملك والملكة فاطعتها على

خلاصة رحلتها وما اكتشفته وما رسمته من الخرائط وصورتها من صور البلاد
وسكانها مما جعلها في المقام الارفع بين سيدات القرن العشرين

مسز فوربس هذه في عنفوان صباها وهي على جانب عظيم من الذكاء والجمال
الذي قد يستهوي اعقل النساء للانصراف الى عيشة الراحة والكسل والسكون في
عاصمة كبيرة كمدينة لندن حيث يحيط بها اناس يكرمونها ويحلوونها . لكنها تركت قلب
لندن لتضرب في قلب افريقية . وزد على ذلك انها كاتبة من الطراز الاول ، وقد
اشهرت بما كتبه في مباحث مختلفة وبما نشرته اخيراً في جريدة التيمس وفي
الاستريتد لندن نيوز

ان كاتب هذه السطور عرف هذه السيدة ورافقها في رحلة رحلتها في صحراء تدمر
في العام الماضي فرأى من شجاعتها ونشاطها وعلو همها ما يستحيل ان ينسب الى
المرأة ان لم تكن مساوية للرجل في جميع القوى . وقد رأى ان ذكاءها الفطري
شبيه بذكاء الشرقيات فانها تحيد الانشاء واللقاء بالفرنسية والالمانية والايطالية
والاسبانية كما تحيد لغتها الانكليزية وتكلم العربية ايضاً . وقد قلت لها يوماً ان
ذكاءها شرقي اكثر منه غربي فاجبتني على الفور « ان امي اسبانية وقد يتصل نسبها
باحد امراء العرب الذين كانوا في الاندلس » وقصت علي في زيارتها الاخيرة لمصر
حديث رحلتها الى كفرة وما قاست من المشاق فرأيت ان الحصة لقراء المقتطف
بما يأتي

في اواخر اكتوبر الماضي قامت من لندن الى بنغازي وفي العشرين من نوفمبر
ودعت بنغازي وسارت بمن معها الى جديا وهي على مسافة اسبوع من بنغازي
فاستراحت فيها من وعناء السفر الى ان نشطت الى رحلة طويلة في قفر بلقع فقامت
بقافلها وسارت عشرة ايام متوالية الى ان وصلت الى اوجلة . وتأخر بعض قافلها في
الطريق فانتظرت هناك هنيهة الى ان وصلت القافلة كلها فتابعت السير من اوجلة الى
جالو ومن جالو الى بئر ابي الطفل وهناك آخر مكان في الصحراء يجده فيه الانسان ماء
وكان امامها بين ابي الطفل وكفرة مسافة اثني عشرة يوماً لا يجد فيها السائر ماء
ولا اثرأ من آثار الانسان بل رمال عفراء قضي عليها ان تقاسي فيها اشد
المشاق والاهوال

تأهبت قافلتها للسير من ابي الطفل وحمت ما تستطيع حمله من الماء وسارت هي في مقدمتها ووجهها واحة تساربو فتاهت القافلة في الصحراء وسدت في وجهها سبل النجاة

للصحراء ادواء خاصة بها منها ان الدليل اذا تاه اعتراه الذهول واستولى عليه اليأس . وقد قالت لي مسز فوربس ان هذا الداء ينتشر في الصحراء كما تنتشر الانفلونزا في انكلترا والملايا في الشرق . فاذا اصاب الدليل ارتدى على الارض وجعل يصيح « دماغى طاحت » يريد بذلك ان يقول لصاحب القافلة اني ضللت الطريق وتعذر علي وجوده فلم يبق لك الا ان تسير بقافلتك كيف شئت وكانت مسز فوربس تتبع الدليل وهو يوغل في الصحراء الى ان وقف امامها وانطرح على الارض وجعل يصيح قائلاً « دماغى طاحت ، دماغى طاحت » . ولو اکتفى بما اصابه هان الامر لكنه خيل اليه ان ضلاله في الصحراء عار عليه فعن له ان يسير بالقافلة على غير هدى الى ان تهلك ويختفي اثرها فلا يبقى منها من يخبر بما فعل

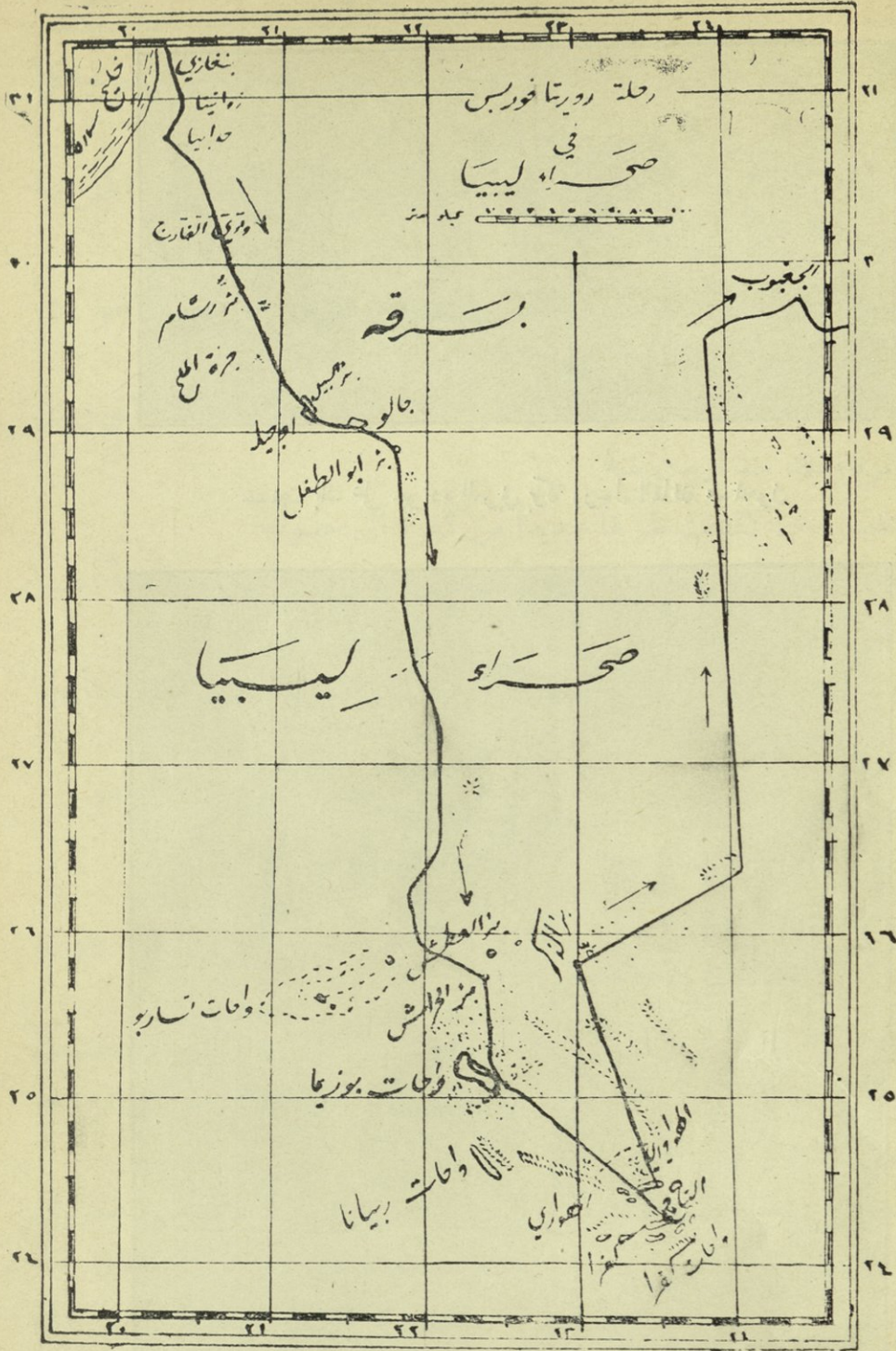
وضاقت الحيل بمسز فوربس فرأت ان تتكل على نفسها فاتجهت شرقاً معتمدة في معرفة الجهة على الابرة المغنطيسية فقادها الحظ بعد عناء كثير وجهد جهيد الى بئر مطوية لا ماء فيها تدعى بئر العطش وهي بئر قديمة تراكت عليها الرمال فطمرتها . ثم تابعت سيرها شرقاً وقد اخذ التعب منها كل مأخذ ونقد الماء الذي معها رغم التقدير الشديد في شربه واكلت الهوام جسمها . وبينما هي تفكر فيما يحل بها وبالذين معها اذا لم يجدوا ماء يروي عطشهم اذا رجال القافلة يصيحون مولولين ان علف الجمال نقد كله . والجمال اذا استطاع السير في الصحراء بلا ماء لا يستطيعه جائعاً . فرأت ان الوسيلة الوحيدة لاطعام الجمال ان تنزع رحالها وتخرج ما فيها من القش والتبن وتطعمها اياه ففعلت . وقويت الجمال على متابعة السير نوعاً . ومرت ثلاثة ايام والماء يقل والعطش يزيد الى ان كادت حبال الامل تنقطع وحينئذ اوصاها القدر الى بئر الحراش وفيها ماء فسرى عنها ونزلت القافلة هناك واستراحت وفتح الله على الدليل فتذكر الطريق وشفي من داء الصحراء . وكانت جبال واحة بوزيما قد لاحت في الافق فاخذت القافلة ما تستطيع حمله من الماء وسارت مسز فوربس والدليل امامها ووجهها واحة بوزيما فبلغتها بعد مسيرة يومين لكن السكان قابلوها بالعداء اولاً فرأت ان

تأخذهم بالمعروف واولت لهم وليمة فكسرت من حدتهم وسمحوا لها ان تجول في واحتهم
فاكتشفت قلاعاً ومعقل قديمة بناها برابرة التابو من سكان البلاد الاصلين . والسكان
هناك يلبسون جلود الحيوانات وطعامهم التمر والجراد ونسأؤهم يعلقن حجارة صغيرة
في انوفهن بدل الخزامة واذا مات الواحد منهم دفن في بيته

ثم سارت بقافلتها من واحة بوزيما الى واحة الهواري ومات في الطريق اربعة من
جهاها من شدة التعب والعطش . وشاهدت في طريقها كثيراً من العظام البشرية
واجسام اناس ضلوا الطريق فماتوا من العطش وبقيت اجسامهم حيث وقعت

ولما وصلت الى واحة الهواري وجدت ان اهلها بدو من قبيلة الزوي فاجتمع
مشايخها واجمعوا على منعها من دخول بلادهم لانهم يكرهون الاجانب مسيحيين كانوا
او مسلمين ولم يكتفوا بذلك بل قبضوا عايبها وعلى من معها ولم يخلوا سبيلهم الا بعد
ان ارسلت رسولاً الى حاكم كفرة فجاء الامر منه باطلاقهم مع انه كان معها كتاب
من السيد السنوسي يأمر فيه ان تكرم وتحترم حيث حلت وان يكون جميع ما تنفقهُ
على حسابهِ

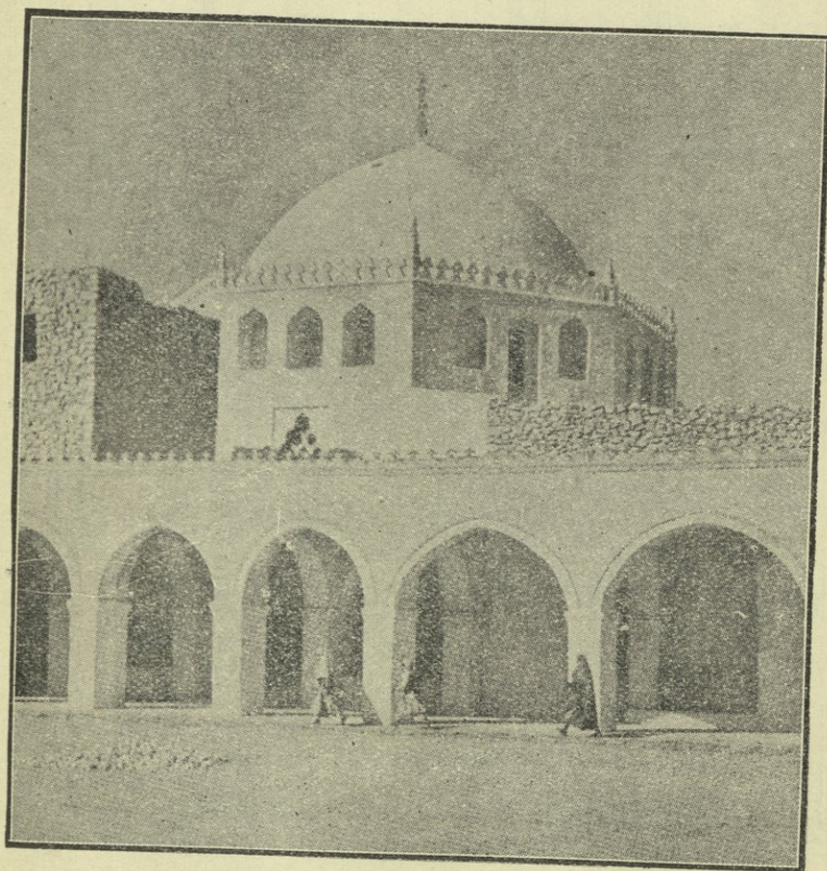
وسارت من واحة الهواري الى ان وصلت الى مدينة التاج وفيها قبة المهدي والد
السيد السنوسي الحالي . والتاج كعبة السنوسيين وفيها اهم زواياهم وهي في واحة كفرة
وعلى مقربة من مدينة كفرة نفسها فاقامت فيها سبعة ايام
وسكان كفرة الاصليون زنوج من قبيلة التبوين القدماء وقد غزاهم عرب الزوي
من الشمال فاستولوا على بلادهم . وكانت مسز فوربس وهي هناك تزور السكان في بيوتهم
ورأت انه يصيهم نوع من الحمى فكانت تداويهم بما معها من الكينا . وشاع بين نساء
كفرة انها تشفي ايضاً من داء العقم فتهاقن عليها ولم تستطع ان تصرفهن عن
اعتقادهن هذا فجعلت تعطيهن ما معها من اقراص اللبن المعقم دواء للعقم
وعادت من كفرة في طريق بئر الذكر ومنها الى جنجوب مسافة اثني عشرة يوماً
في قفر لاماء فيه . ومن جنجوب الى واحة سيوى ومنها الى الاسكندرية فالقاهرة حيث
اقامت بضعة اسابيع قابت فيها كثيرين من رجال الحكومة والاعيان وفي التاسع عشر
من ابريل ابجرت الى انكلترا حيث قوبلت باحتفاء لامثيل له
وقد بلغت المسافة التي قطعها في ذهابها الى كفرة خمسمائة ميل منها ٥٠٠ كيلو متر
في قفر لاماء فيه واثبتت برحلتها هذه الامور الآتية وهي : —



رحلة مسز فوربس الى الكفرة



حسني بك على جواده العربي بركة ورجال القافلة مسلحون



قبة الجامع في واح الجغبوب تموي تحتها رفات السنوسي الكبير

اولاً — ان واحة كفرة واقعة الى الجنوب الشرقي من المكان الذي ترسم فيه في الخرائط المعروفة

ثانياً — ان واحات ريبانا الى الجنوب من واحة بوزيما وكان اهل الجغرافية يحسبونها الى الجنوب الشرقي

ثالثاً — انها اكتشفت الآبار العديدة بين جالو وبوزيما وحددت مواقعها حتى لا يضل المسافر الى كفرة بعد الآن

رابعاً — اصلحت اغلاط الرحالة رولفس الالماني وهو الاوربي الوحيد الذي وصل الى كفرة وذلك منذ اربعين سنة

خامساً — اكتشفت طريقاً جديداً من كفرة الى جغبوب ومتى نشرت مسز فوربس تفصيل رحلتها اعود الى تفصيل ما اجملته هنا نقلاً عنها

والعالم المتمدين يأبى ان يرى امامه اماكن مجهولة وشعوباً لا يعرف عنها شيئاً فهو يبحث وينقب ويتجشم المشاق والمخاطر لكي يكتشف المجاهل ويعلم الجبهولات .
توفيق مفرج
مقتطف يوليو سنة ١٩٢١

٢

اطلعنا على مقالة في هذا الموضوع في مجلة ناشر العالمية بقلم ارثر سلقا هويت وصف فيها الرحلة من باب علمي قال ما خلاصتها

ان رحلة مسز روزيتا فوربس الى واحة كفرة في قلب صحراء ليبيا كشفت القناع عن امور كنا نجهلها وجاءتنا باخبار عن مكان في تلك الصحراء لم يصل اليه احد من اهل الرحلات بعد ان قصده جرارد رولفس سنة ١٨٧٩

فان رولفس هذا حاول مرتين الوصول الى كفرة ففي النوبة الاولى اضطر ان يترد على عقبه من اوجيلة وجالو مع انه كان ذاهباً بفرمان عالٍ من السلطان عبد الحميد ، لان النخاسين (الجلابة) رفضوا ان يعطوه دليلاً الا بامر من السنوسي . وفي النوبة الثانية وصل الى كفرة ولكنه أسر هناك ولم ينج الا بشق النفس . ومرة اربعون سنة ولم يستطع اوروبي ان يفعل ما عجز عنه هذا الرجل الى ان قامت مسز فوربس فوصلت الى كفرة وعادت منها سليمة مكرمة . ومن اسباب نجاحها تغير

الاحوال السياسية من ايام رولفس الى الآن لاسيما وان مسز فوربس دخلت صحراء افريقية وقامت بالاتفاق بين ايطاليا والسيد السنوسي رئيس الطريقة السنوسية قامت من بنغازي مع بعض الرفاق وسارت جنوباً ثمانين ميلاً الى جدايا حيث ابتدأ السير في الصحراء فعلاً ونزلت هناك على السيد رضا اخي السيد ادريس شيخ الطريقة السنوسية ولكن فتن عليها بمض الذين اساءوا الظن بها فاضطرت ان تلبس ثياب بدوية وتهرب ليلاً من غير دليل هي واحد الرفاق ثم تبعهما رجلان امينان من السنوسيين وسار الاربعة يومين في الصحراء الى ان التقوا بمجندين من السودانين فصاروا ستة وكادوا يموتون جوعاً لو لم يلتقوا بقافلة ساروا معها مرحلة بعد مرحلة الى ان وصلوا الى واحة اوحيلة . وكان السيد رضا قد اتبعها بقافلة تعني بامرها وارسل معها كتاباً الى قائم مقام جالو يوصيه بها فصاروا معها تسعة خدم من الزنوج وجاريتان ودليل وثلاثة من البدو و١٨ جملاً ولكن هذه الجمال لا تكفي لركب مثل هذا في تلك الصحراء لاسيما وانها لم تكن في حالة صالحة للضرب في القفار ولذلك لاقى هذا الركب اشد المشاق وزادت مشاقهم لان دليلهم ضل الطريق فتأخروا واقتضى لهم تسعة ايام حتى وصلوا الى بئر الحراش حيث وجدوا ماء ثم يومان حتى وصلوا الى بوزيما فاقاموا فيها ثلاث ليال ليستريحوا من وعناء السفر وقضوا اربعة ايام يمشون بين كثبان الرمال الى ان وصلوا الى واحة هواري في ضواحي واحة كفرة

والظاهر ان السنوسيين الآن فريقان مختلفان الاول انصار السيد احمد السنوسي الذي كان له الشأن في الحملة على مصر والثاني انصار السيد ادريس الشيخ الحالي . والفريق الاول يسيء الظن بالفريق الثاني ويعمل على مقاومة مريديه ولذلك كانت مسز فوربس ورفاقها في خطر دائم من رجال الفريق الاول

فلما وصلت الى التاج مقام السيد السنوسي فخص قائم مقام الكفرة السيد صالح العسكري جوازاتها وجوازات رفاقها واحسن ملتقاهم وانزل مسز فوربس في دار السيد ادريس فاقامت فيها تسعة ايام متحجبة كامرأة عربية وزارت قبة السيد المهدي ابن مؤسس الطريقة السنوسية وخليفته . ولم يرق ما فعلته في عيون خمسة عشر من شيوخ القبائل هناك لان نساء العرب عامة ونساء التاج خاصة لم يعتدن الخروج من منازلهن والجولان كما كانت مسز فوربس تفعل لكن القائم مقام حماها مهم فجالت في البلاد المجاورة وشاهدت ما فيها

ولما حان ميعاد رجوعها ارادت ان ترجع بطريق آخر غير الطريق الذي ذهبت فيه لعلها تكتشف طريقاً يسهل مرور التجار فيه بين مصر وتلك الانحاء . ثم اتضح لها ان الطريق الذي سارت فيه في رجوعها هو من الطرق التي فتحها السيد السنوسي وكان اتباعه يسرون فيها فيجدون في آخر كل مرحلة مكاناً ينزلونه وماءً يشربونه فبعثت امامها بعض رفاقها في طريق جالو وجدايا وبقي معها اربعة رجال وتسعة جمال فوصلوا بعد اربعة ايام الى بئر الذكر وكانت قد اهملت منذ اربع سنوات فردمت فاضطروا ان يحتفروها ثانية ثم ساروا اثني عشر يوماً في قفر بلقع لم يجدوا فيه ماء الى ان وصلوا الى الجنبوب وكانوا يسرون ١٣ ساعة كل يوم يقطعون فيها ٣٠ ميلاً . ولما وصلوا الى الجنبوب ازلت مسز فوربس في زاويتها في بيت الاخوان وفي ١٣ فبراير قامت من هناك قاصدة واحة سيوى . وجاءت من سيوى الى الاسكندرية باتومويل .

مقتطف يوليو سنة ١٩٢١



اول رائد مصري حديث

الرحالة احمد حسنين بك

[قرأنا المقالة التي نشرتها المجلة الجغرافية الوطنية (الاميركية) من قلم الرائد المصري الهمام احمد حسنين بك والخطبة النفيسة التي تلاها في الجمعية الجغرافية الملكية ببلاد الانكليز ونشرت في اعمالها فترجمنا منها الملخص التالي وابقينا الكلام فيه بصيغة المتكلم والحقنا به خلاصة ما كتبه المجلتان في هذا الصدد]

ان رحاتي التي قطعت بها صحراء ليبيا من السلوم على شاطئ البحر المتوسط الى الايض قاعدة كردفان بالسودان (انظر الخريطة) رحاتي في النصف الاول من سنة ١٩٢٣ . وقد بدا في الشوق الى هذه الرحلة سنة ١٩١٦ فان الكولونل تلبت وكان ضابطاً ممتازاً في الجيش المصري وقد استقال منه عاد الى الخدمة حالما استعرت نار الحرب العالمية فذهبت معه موفداً الى السيد ادريس السنوسي في الزويتنة . وكان من اغراض هذه البعثة الاتفاق معه كزعيم للسنوسية على منع البدو من مهاجمة تخوم مصر الغربية وكنت قد تعرفت به في مصر وهو راجع من الحج سنة ١٩١٥ لانه كان صديقاً لابي . فاخبرته حينئذ عن رغبتني في زيارة الكفرة التي لم يصل اليها من الاجانب الا رجل واحد وهو الرحالة الالماني رولفس وذلك سنة ١٨٧٩ . فابدى سروره من رغبتني هذه وطلب مني ان اخبره حينما انوي الرحلة ووعدني بكل مساعدة . ثم زرتة ثانية سنة ١٩١٧ وقلت له انني لا ازال مصمماً على الذهاب الى الكفرة وسأفعل حالما تضع الحرب اوزارها . فزاد في ترغيبني وكرر وعده لي وكان معي حينئذ المستر فرنسيس رود وهو من اصدقائي الذين صادقهم في كلية بليول بجامعة اكسفورد فبحثنا في امر الرحلة واتفقنا على ان نقوم بها كلانا

ولما اقتضت الحرب اتتني مسز روزيتا فوربس (وهي الآن مسز مكغراث) بكتاب من المستر رود طالبة ان ترافقنا في تلك الرحلة . فجعلنا نرسم خطة سفرنا ولكن لما حان وقت السفر حدث ما منع المستر رود من مرافقتنا فرحلنا انا ومسز فوربس وحدنا . قمنا من جدايه في نوفمبر سنة ١٩٢٠ ومعنا قافلة اعدتها لنا السيد

ادريس وبلغنا الكفرة في ١٤ يناير سنة ١٩٢١ . ثم رجعنا الى الجنبوب مارين بيتر
الذكر ومنها الى واحة سيوه فالاسكندرية
ورحاتي هذه الى الكفرة زادت رغبتني في الارتحال فاني رأيت حينئذ ان وراء
الكفرة قفراً مترامياً لم تطأه رجل مستكشف وبلغتني اخبار عن واحات مجهولة لا
يعلم عنها شيء الا بالاحاديث المتسلسلة . واحات مجهولة هذا مما يشجذ الهمم ويزيد
الشوق الى ارتياد المجهول !

فرجعت الى مصر عازماً على العودة وان لا اقنع بالوصول الى الكفرة بل احث
الركاب الى ما ورائها حتى ابغ بلاد السودان واعود من هناك بطريق الخرطوم .
وهناك امر آخر زاد رغبتني في السفر وهو اننا في الرحلة الاولى لم يكن معنا من
الآلات العلمية الا بارومتر ارويد وبوصلة مضبوطة وذلك لم يكن في الامكان الوصول
الى ارساد علمية وغاية ما وصلنا اليه معلومات عن الطريق دونها بما كان لدي من
الوسائل الضئيلة ولذلك عزمنا ان تجهز في الرحلة التالية بما يلزم من الآلات لمسح
البلاد التي نمر فيها لعلنا نتمكن من ان اضيف شيئاً الى ما يعرف عن صحراء ليبيا
جغرافياً وطبوغرافياً

فرسخت الخطة التي كنت عازماً على اتباعها ورفعتها الى جلالة مولاي الملك فؤاد
الاول فقابل جلالته مشروعي بالاستحسان والتنشيط التام وامر ان اعطى اجازة
طويلة . ولولا تعطفه وتشجيعه لما تكلم مشروعي بالنجاح الذي تكلم به
بلغت السلوم في الحادي والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٢٢ وبقاتي الجنبوب مقام السنوسية
العلمي ومدفن السنوسي الكبير وهي على ١٣٠ ميلاً من السلوم جنوباً . وقبلما غادرت
السلوم بلغني ان الجمالة الذين استأجرتهم ليذهبوا معي الى الجنبوب اتفقوا على نهب ما
معي في الطريق فغيرت خطة سفري واستأجرت جمالة آخرين ليذهبوا معي الى سيوه
ناوياً ان اذهب الى الجنبوب منها . وقامت قافلتني من السلوم في الثاني من يناير سنة
١٩٢٣ ولحقت بها بعد يومين . ومن السلوم الى سيوه تسعة ايام وكنت اهتم في اثناء
الطريق بتغطية الصناديق التي فيها الآلات العلمية حتى تظهر كأنها من الامتعة العادية
التي يحملها البدو في رحلاتهم . ورأيت في اليوم الخامس ظيباً يرعى على مقربة من
الطريق فقصدته وللحال سمعت ضجة من رجالي كأنهم يهونني عن اللحاق به فلم افهم
ما غرضهم من ذلك لا سيما واني اعلم شدة قرمهم الى اللحم وحسبت انهم خافوا ان

اضل الطريق . وبعد قليل تمكنت من اطلاق بندقيتي على الظبي فوقع صريعاً فحملته
 وعدت به الى القافلة فاسرع الجمالة الى لقائي فرحين متهللين . ثم علمت ان من تقاليدهم
 ان ما يصيب القافلة من نجاح او فشل يتوقف على الطلقة الاولى التي تطلق من بندقية
 بعد الشروع في السير فاذا اصابت فالرحلة ناجحة واذا اخطأت فالفشل نصيبها
 فوجسوا شراً من تعرضي للظبي لثلا اخطئه فيحل بهم ما يحذرونه ولو علمت ذلك قبلاً
 لما كنت اقل منهم حذراً ولا بقيت اطلاق بندقيتي الى ان تبلغ الفاشر في ختام الرحلة
 واستأجرت جمالة آخرين من سيوه للذهاب الى الجغبوب وهي على اربعة ايام من
 سيوه فالتقينا في منتصف الطريق بالسيد ادريس السنوسي آتياً الى مصر فاعطاني
 مكاتيب توصية الى ابن عمه السيد محمد العابد في الكفرة والى وكلائه في الجغبوب وجالو
 والكفرة . ولمعرفتي القديمة بالسيد ادريس الشأن الاكبر في نجاح هذه الرحلة والرحلة
 التي سبقتها الى الكفرة سنة ١٩٢١ . ولما ودعته دعالي ولرجالي بالتوفيق فاصر رجالي
 على السير في الطريق الذي جاء فيه تبركاً ولو كان اطول من غيره فوافقهم على ذلك
 ولما بلغنا الجغبوب رحب بنا السيد حسين وكيل السيد ادريس وسائر الاخوان

[وهنا استطرد حسين بك الى ذكر السنوسية وتاريخها ثم قال]

لم استطع ان اغادر الجغبوب الا بعد اكثر من شهر لما وجدته من الصعوبة في
 استئجار الجمال فاقت فيها ٣٤ يوماً كانت ايام سكينه وسرور وغادرتها والسعد في
 خدمتي حسب رأي اهل البادية لان يوم مغادرتها كان يوم زوبعة رملية (هبوب) .
 ولعلمهم جروا في اعتقادهم هذا على قول من قال اذا لم يكن لك ما تريد فأرد ما يكون .
 والمسافة من الجغبوب الى جالو سبعة ايام لكننا اضطررنا ان نقطعها في اثني عشر يوماً
 بسبب تلك الزوبعة . يطلع النهار والسماء صافية الاديم لا دليل على زوبعة ولا على ريح
 والصحراء منبسطة امامنا كأنها تبسم لنا فتسير القافلة متهادية ثم يهب نسيم عليل ينعش
 النفوس وبعد قليل يزيد جراءة فنلتفت واذا وجه الصحراء قد تغير كان انايب من
 البخار انتشرت افواها تحتها وشرعت تقذف بخارها فيثب الرمل به ويدور على نفسه
 ويصعد في الهواء كان في الارض قوة دافعة تدفع رملها وتدفع ما فيه من الحصى
 فتصيب الارجل والانفاذ . وتعلو اعاصير الرمال وتلطم الوجوه والرؤوس . ويطبق
 الجوح حتى لا ترى من القافلة الا اقرب جماها لينا نم لا تلبث الريح ان تصير رمالاً
 وحصباء تعمي العيون وتلطم الرؤوس والابدان والسعيد من هبت تلك الريح في ظهره

لا في وجهه لان الرمل ينخس الوجوه كالابر ولا يستطيع المسافر ان يغمض عينيه
لان الضلال في تلك الغدافد شر من الزوبعة

لكن العاصفة لم تكن متصلة الاوصال بل كان فيها فواصل كأنها هبات تأتي ثلاثاً
او رباعاً ويدها فترات تطول بضع ثوان فاذا بدأت الهبة ادار المرء وجهه وبسط
كوفيته امامه ليقيه منها واذا جاءت الفترة ابعد الكوفية وتنفس والتفت ليري طريقة
واستعد للهبة التالية كأن وحشاً هائلاً من الوحوش الخرافية كان يتنفس فيقذف الرمل
في وجوه الناس او كأن اصابع جبار مرّت على اوتار مشدودة « فحنت كأنها مرزاة
تكلّي ترن وتعول »

واذا لتي المرء زوبعة رملية (هبوباً) فلا سبيل له الا ان يواصل السير لانه
اذا اعترضها شيء ثابت عموداً كان او جملاً او انساناً تراكم رملها حوله وصار به
كثيباً فاذا كان السير في الزوبعة الرملية اليماً فالوقوف فيها موتاً زوأمأ

وقد يطول امد الزوبعة خمس ساعات او ستاً وحينئذ لا بد للقافلة من متابعة السير
بتأن وحذر لئلا تضل الطريق واذا بلغت اشدها مشيت الجمال مشياً وثيداً عالمة ان في
الوقوف عن السير الموت المحتوم بدليل انها تقف عن السير وتبرك حالما يقع المطر

ومن شأن الزوبعة انها تسفي الرمل وتدخله في كل خروب رحلك فيصل الى
الثياب والزاد والآلات والادوات وتشعر به وتنفسه وتأكله وتشربه وتكرهه
وتتناظ منه وادق اجزائه يدخل مسام بدنك فتشعر بحكة مؤلمة

بعد ما جزنا برّ ابو سلامه وهي على مرحلة من الجغبوب سرنا في ارض فيها
بقايا اشجار متحجرة فكنا نرى منها من وقت الى آخر قطعاً منصوبة في الصحراء
اعلاماً للسابلة كأنها اجزاع شجر مائلة نقلتها الطبيعة من عالم النبات الى عالم الجماد
واذا سقط واحد منها فالعرف العام بين البدو يقضي بنصبها ثانية لاهتداء القوافل

بلغنا جالو في الخامس من شهر مارس وهي اهم الواحات هناك لجودة ثمرها ولانها
محطة قوافل التجار الآتية من ودّاي ودارفور بطريق الكفرة ومعها ريش النعام
والجلود من ودّاي ودارفور تأتي بها الى جالو لتنقل منها الى مصر شرقاً او
بنغازي شمالاً

واكثر التجار من قبيلة المجابرة وهم كبار التجار في صحراء ليبيا ويفتخر الواحد

مهم ان اباه مات على الباسور (رحل البعير) كما يفخر ابن الجندي بان اباه قضى في حومة الوغى

والقوافل تهباً وتصلح ما فيها من خلل وهي في جالو استعداداً للسير الى الكفرة
ففي رحلتي الاولى اليها سنة ١٩٢١ اهم السيد ادريس بتدبير لوازم السفر كرمياً منه
فكان لذلك شأن كبير في نفوس البدو فاضعف ما فيهم من شكوك ومنعهم من التعرض
لنا بسوء اما الآن فاضطرت ان ادبر امر الجمال وكانت كثيرة لكثرة ما معنا من
الامتعة ولاسيما الآلات العلمية التي عاينها يتوقف نجاح الرحلة . والرحلة السابقة كانت
في الفصل المناسب من السنة اما هذه فاخرتني العوائق عن جعلها في ذلك الفصل

اقمت في جالو عشرة ايام استعد لقطع قفر لاماء فيه وقبول الدعوات لولائم وجوه
جالو وايلام الولايم لهم . واهم من ذلك الارصاد التي رصدها هناك فرصت الشمس
والنجوم لمعرفة مكان الواحة بالتدقيق ودونت درجات البارومتر والثرمومتر لمعرفة
الارتفاع وكان رولفس قد وجد سنة ١٨٢٩ ان ارتفاع جالو مثل ارتفاع سطح البحر
فثبت لي من المقابلة بالارصاد التي رصدها في سيوه ان جالو صارت الآن أعلى مما
كانت في زمن رولفس ستين متراً ورأيت تعليلاً لذلك ميسوراً بما تسفيه الرمال فاني
وجدتها قائمة حول جذوع الاشجار والى جانب الجدران تكاد تدفنها حتى اضطر
بعض السكان ان ينقلوا بيوتهم الى اماكن مرتفعة فان البيت الذي كنت فيه حيث دوت
قراءات البارومتر كان يعلو فوق بيوت القرية ١٥ متراً الى ٢٠

وكننت الزم الحذر التام في ارصادي لان البدو يسيئون الظن اذا رأوا آلة كثيرة
الاجزاء كالثيودوليت وشأنهم ان يقولوا حينئذ اني اقصد تخطيط البلاد لاجل التغلب
عليها وفتحها . واول مرة رأني شيخ من شيوخهم استعمل الثيودوليت سأني في
ذلك فاجبته على الفور جواباً فاقنعه وهو اني ابحت عما تبين به بداءة شهر رمضان
وكان معي رجل اسمه عبد الله كنت اعتمد عليه في اخفاء اعماله العلمية عن الذين
يوجسون منها شراً وكان هذا الرجل آية في تسكين الخواطر . كنت مرة استعمل
الثيودوليت وانا في جالو فقبل لنا ما انتم فاعلون فاجابه عبد الله اننا نصور البلد فقال
الرجل وكيف تصورها وانتم بعاد عنها فاجابه عبد الله ان الآلة تجذب الصورة
فتطير اليها . فقال الرجل كيف تجذب الآلة الصورة فقال عبد الله اسأل المغنطيس
كيف يجذب الحديد . فسكت الرجل كأنه اخفم

وفي الخامس عشر من مارس شرعنا في السير ووجهتنا الكفرة وكان في القافلة ٣٩ رجلاً و٢١ فرس وكلب وكان الحر شديداً والفقر امامنا كبساط لا حده رمال فيها حصباء مبعثرة هنا وهناك . فسرنا قاصدين آبار الظيغن آمين ان نصل اليها في ثمانية ايام او تسعة . ورأينا في طريقنا عصاب من الطيور قاطعة شلالاً وهي معياة من العطش فقدمنا لها الماء فجعلت تجثم على ايدينا وهي تحسوه

مرت الايام في هذا القفر على هذه الصورة نهض بعيد الفجر لان البرد اشد من ان تكفي دثرنا لتدفئة اجسامنا ويكون واحد قد اضرم النار فابادر اليها وانا ملتف بجردي وكوفيتي تغطي اذني والتفت الى ما حولي فاذا كل واحد ملتف بمجرد كل وما تصل اليه يده من الثياب واذا كان الماء كافياً اغلي الشاي وادبرت كؤوسه على الرجال فيشربونه ويشردون في اعمالهم . يذهب رجلان لاطعام الجمال تمرأياً بساً فتقضمه هو ونواه ويتذاكر الجمالة احياناً في امر حملها اذا راوا منها ما يستدعي ذلك اما بالتخفيف عن واحد والتثقل على آخر او بتغيير حزمها . ويقوض بعضهم الحيام وهي ثلاث تنصب في زوايا مثلت والجمال في وسطه . وانا اكون قد التفت الى البارومتر والثرمومتر ودونت درجاتهما في يوميتي العلمية ووضعت شرائط جديدة في آلات التصوير الشمسي . واصوات الرجال خافتة لان الكوفيات حول افواههم . ويكون الطعام قد تهيأ فنطر عصيدة او ارزاً وما من احد يحجم من اكلة الصباح وهو في القفر كما يحجم وهو في المدن . وتتبع العصيدة بثلاث كؤوس من الشاي تشرب حسواً . اذا اردت ان يعمل رجالك عملهم في القفر هممة ونشاط اطعمهم الى الشبع واسقهم الشاي ودعهم يشربونه على هينتهم الجمل عليهم او استعجلهم فيصكب منهم الضرر بدل النفع بعد الاكل يشعر كل احد بالدفء فتحمل الجمال والتفت انا الى الدليل في رسم لي خطأ على الرمل يقول اننا نسير فيه فاتحقق جهته بالحك وهو ينظر الي حاسباً ما افعله سخافة لا تنفع ولكنها لا تضر . والغالب ان لا داعي لهذا التحقيق لان هذا الدليل واسمه ابو حسن لا يخطيء السير كأنه حمام الزاجل ولا يتردد الا في الظهيرة قائلاً « انه متى كانت الشمس عالية وخيالي بين قدمي يدور رأسي » ويضل احياناً بين غروب الشمس وطلوع النجوم وقد رأيت دليلاً مرة حاد عن الطريق تسعين درجة في ذلك الوقت .

(مقتطف يونيو سنة ١٩٢٥)

قبل ان نباشر السير يدفيء الرجال اياديهم وارجلهم على النار ويحتذون نعالهم ثم يسرون خلف جماهم وهم يغنون ويكون وهج الشمس قد اشتد فيجعل كل احد يبعد عن اذنيه وعنقه ما لفها به اتقاء البرد ثم يخلع جرده ايضاً الا اذا هبت الريح شمالية . ويتبارى الرجال في النكت والجري وامارات البشر على وجوههم . وينقسمون اثنين اثنين او ثلاثة ثلاثة يتحدثون في امورهم الخاصة والعامة . وانا اسير امام الجمال او وراءها من وقت الى آخر لكي اتحقق اننا غير مخطئين في اتجاهنا ولكي اشعر بلذة الافراد . ووقت الغذاء لا يحط الرجال لان الجمال لا تأكل الا مرتين في اليوم فاذا كنا قد خرجنا من واح وخبزنا طري تناول كل منا رغيفاً او نصف رغيف فاكله وهو ماشٍ مع قليل من التمر . وبعد ذلك يحف الخبز ثم ينفد فنكتفي بالتمر لانه معنا دائماً وقد كان معي جمل على رحله حواججي حتى اذا اضناني التعب اصعد اليه واستلقي فيه فاطلق عليه احد رجالي اسم « الكلوب » . استفقدوني ذات يوم وقت الغذاء وسأل بعضهم عبد الله ان كنت قد اخذت حصتي من الخبز والتمر فقال ان البك يتعدى اليوم في « الكلوب » ولا يصعب على المرء ان يقيل في الهودج ولكن السير وراء الجمال سهل لان معدل سيرها ميلان ونصف ميل في الساعة والركوب حينئذ اصعب من المشي

وبعد الظهر يشهد الحر وييطىء سير الجمال والرجال . ونحو المساء يبرد الهواء فتسرع الجمال ولا سيما قبلما تحط الرحال ويحدوها الرجال فزيد سرعة وحالما تغرب الشمس ادنو من الدليل واسأله عن الجهات والبوصلة في يدي مخافة ان نضل بين غروب الشمس وظهور النجوم . وحينما يرخي الليل سدوله نضيء مصباحاً يسير به الدليل امام القافلة . والظاهر ان الجمال تسر برؤية المصباح امامها فتنشط لاتباعه

اذا كانت الامور ميسرة كلها مشينا اثنتي عشرة ساعة الى ثلاث عشرة وإلا اكتفينا باقل من ذلك وفي نهاية المرحلة أمر بالوقوف فتبرك الجمال حالاً لترفع الاحمال عنها . ولا بد من اتخاذ الحيطه التامة حينئذ لان الرجال يكونون متعبين فلا يعنون بانزال الاحمال وما فيها من الآلات الدقيقة . واذا خيف من اشتداد الريح ليلاً وضعت الاحمال بعضها فوق بعض لتكون سداً في وجه الريح وتنصب الخيام في مثلث

وتضرم النار ويغلي الشاي وحينئذ نعرف قيمته . والبدو يحضرونه باغلاء حفنة منه وحفنة من السكر في نحو رطلين من الماء فيكون له فعل عجيب في انعاش المتعب من السفر وانهاض قوته . ويسرع الرجال في تقديم العلف الى جماهم وتحضير العشاء وتناوله ثم يستلقون وينامون اما انا فاقابل بين الساعات الست التي معي واديرها واكتب على الصور الفوتوغرافية التي صورتها والرواميز الجيولوجية التي جمعها واغير الشرائط في آلة التصوير للسنما واكتب يوميتي

بلغنا بئر الظيغن في السادس والعشرين من مارس واقمنا يوماً هناك بسبب الهبوب . والراسخ في الازهان ان الصحارى ثابتة على حال واحدة على كروور الازمان ولكن ليس الامر كذلك . فلما سار رولفس الى الكفرة سنة ١٨٧٩ قال انه وجد في طريقه بالسماع من العرب بقعة خضراء واسعة اما الآن فليس هناك الا قليل من النخل في بئر الحرش وكثير من الحطب . وما قاله رولفس يؤيده ابو حليقة من الكفرة فقد قال لي انه لما كان صغيراً كان ابوه يأخذه معه الى الكفرة حينما يذهب لجلب التمر منها وكانت تلك المسافة تقطع في خمس ليال وثلاثة ايام وحينما يبلغون الظيغن يجد دوابهم عشياً ترعاه . فما ذكره رولفس صحيح ولكن تغيرت الحال في خمسة واربعين سنة وسبب ذلك فيما يظهر نضب المياه الارضية فصار ما كان ثابتاً هناك حطباً يابساً

ان سيرنا من بئر ابي الطفل الى الظيغن اثبت لنا خطأ ما يقدره الانسان في قطع الصحارى فاننا اتخذنا الحيطه من كل وجه ومع ذلك نقد وقودنا ومات جمل من جمالنا ووزح جملان آخران ونقد علف الجمال فجعلنا نطعمها من الظيغن الى الكفرة من خصوص النخل الذي قطعناه من الظيغن وهو علف لا يغذي

ورصدت الشمس في الظيغن بالثيودوليت مراراً فثبت لي بالحساب ان الظيغن ابعد الى جهة شرق الشمال الشرقي ١٠٠ كيلو متر مما قاله رولفس . وكان قوله مبنيّاً على ما قاله له الادلة وهو في تسربو لا على ارصاد فلكية ووجدت ان ارتفاع الظيغن ٣١٠ امتار فوق سطح البحر

ومن الظيغن الى هواري اربعة مراحل وهي ابعد واحات الكفرة شمالاً وقد لقينا في منتصف الطريق اشد الزوابع الرملية التي صادفها في حياتي . عصفت الرياح فجأة بعد نصف الليل بثلاث ساعات ونصف ساعة ولم يكن الا قليل حتى قووضت خيامنا ووقعت خيمتي على رأمي وجعلت الرياح تسفي الرمال عايبها وتزيد ثقلها ثقلاً حتى كدت

اختلف ولكنني مسكت باحد الاوتاد ورفعت به بعض الخيمة عن وجهي وبقيت على هذه الحال ساعتين وكان الرمل يدخل من فروج الخيمة ويصل الي كراسي البنادق وذات الجملة والجمال من الشدة امرها . ووجدت في الصباح ان اكثر آلاتي قد تهشم وانكسر خرنوم تري الصغير ولو اصاب عمود الخيمة خرنوم تري الكبير لكسره ولكانت النتائج العلمية من رحلتي غير ما هي الآن . وهذا العمود لم يخطئه الا جزءاً صغيراً من البوصة . ومن ثم يظهر ما للصدف من اليد في نجاح الرواد . استرحنا يوماً في هواري بعد العاصفة ثم استأنفنا السير الى الكفرة

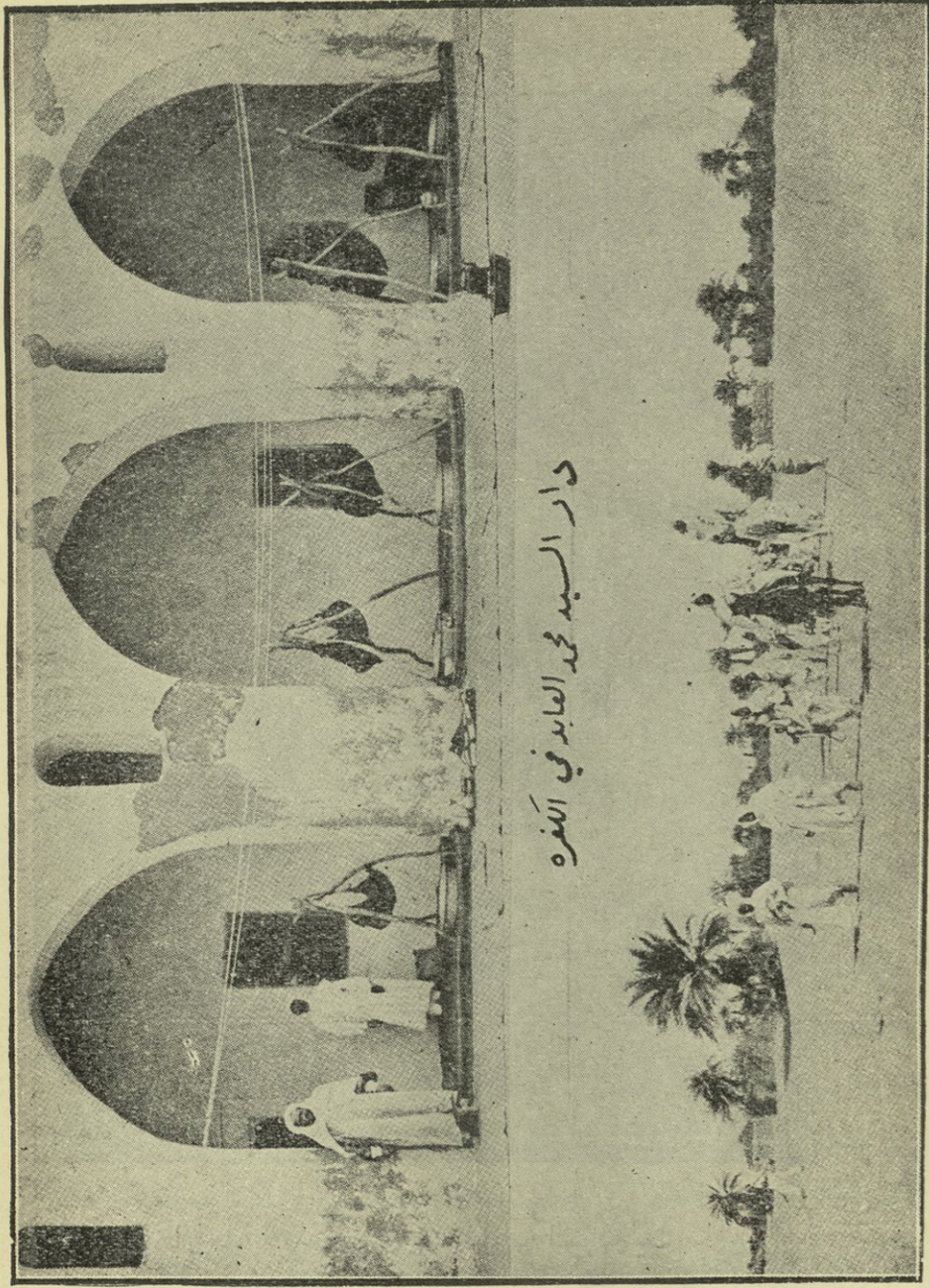
في الوصول الى الكفرة شيء يستوقف النظر مشينا اليها في ارض متموجة تنطوي امام السائر كالسجل يحيط بها مجد قليل الارتفاع يتكون منه افقها . وبينما المرء سائر ينكشف هذا النجد امامه عن مبان لا يكاد يفرق بينها وبين الصخور والرمال لشدة الشبه بين الفريقين شكلاً ولوناً . هذه مدينة التاج مقر البيت السنوسي في الكفرة . حينما دخلناها رأينا الارض وراءنا تعيب عن نظرنا فجأة ويقوم مقامها وادي الكفرة . وهو غور قطره الاطول اربعون كيلو متراً والاقصر عشرون رصعاً اشجار النخيل وتنتظم فيه من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ست محلات وهي بويما وبوما وجوف والزرديق وطلالب وطلاب . والى جانب جوف بحيرة واسعة يترقرق ماؤها الازرق فيهب النظر . وهذا الماء الغزير وفي وسط قعر اجرد نعمة لم تكمل لانه ملح ولقد وجدنا في الاغتسال فيه لذة لم نجدها في بحر ولا في هر ولا في حمام لما دخلنا التاج لاقانا الاصدقاء بمزيد الترحاب . كان السيد محمد العابد ابن عم السيد ادريس رئيس السنوسيين في كفرة مريضاً بالنقرس فاستقبلنا السيد صالح البسكري والقائمقام والسيد محمود الجداوي ووكيل السيد ادريس وكثيرون من الاخوان وحيونا باسم السيد العابد وساروا بنا الى دار السيد ادريس وقد نزلت فيها في رحلتي الاولى الى الكفرة منذ سنتين فشعرت الآن كأنني في بيتي ولم أكد استريح من وعناء السفر حتى جاءني عبد من قبل السيد العابد ليذهب بي اليه للعشاء وهو نفس العبد الذي مشى بي منذ سنتين فسرنا في الطريق الذي سرنا فيه اولاً الى البيت الذي دخلناه حينئذ فخيّل الي ان الزمان اتفق من الوجود او رجع بنا القهقري بيت العابد لغز من الالغاز سراديب وراءها الغرف التي يسكن فيها اهله وخدمته . وصلنا بها الى غرفة دخلتها قبلاً ارضها مغطاة بالبسط الفاخر والوسائد المطرزة وعلى

جدرانها الساعات الدقاقة والبارومترات والثرمومترات التي يفاخر فيها مضيفي . اما الساعات وهي اثنتا عشرة على الاقل من اقدار مختلفة فلا انتظام في سيرها واذا دقت لم تدق معاً بل بعضها بعد بعض فتذكرني بساعات الكنائس والابراج في اكسفورد حينما كنت اسمعها وهي على ابعاد مختلفة فيأتي صوت الواحدة بعد صوت الاخرى . وجاء السيد صالح البسكري ليسليني ويعتذر عن السيد العابد ثم جيء بالطعام وهو مما تشتمقه الالهة او البشر الذين قضوا وقتاً طويلاً في القفر الاجرد . رز مفلغل وحمل حنيد وخضراوات مطبوخة وخبز سميد ولبن رائب وحلوى بدوية ثم القهوة ولبن مزوج برب اللوز وثلاث كؤوس من الشاي مطيبة بالغنبر وماء الورد والتنعاع

استرحت يوماً ثم جلت في وادي الكفرة فزرت القرى والزواوية وهي اقدم مدارس السنوسي واول بناء بني في الكفرة . وزرت السوق التي تقام كل اسبوع يرى الانسان فيها اشياء متباينة معروضة معاً فيرى مثلاً خرطوش البنادق وتاريخه منذ ثلاثين سنة والى جانبه مربى الطاطم الايطالي وارداً من بنغازي واقمشة بيضاء وزرقاء واردة من مصر والجلود والعاج وريش النعام من وداي . الا ان بضائع الجنوب هذه قلّ بيعها الآن في الكفرة فلا تباع الا اذا جاء بها التجار قاصدين مصر او طرابلس الغرب فتمنعوا من مواصلة السير لسبب من الاسباب

وقد كان عصر الكفرة التجاري قبل استرجاع السودان فانها كانت حينئذ سوق وداي ودارفور ترد المتاجر اليها وتنقل منها شمالاً . والآن يصل اليها ما يمنع مروره او اصداره من السودان مثل عاج اناث الايغال والاسنان التي وزن الواحد منها اقل من ١٤ رطلا . واكثر رؤساء الزوايا الكبيرة يأتون الكفرة للزراعة فيزرعون فيها الشعير والذرة اما السنوسيين فيزرعون العنب والموز والبطيخ ونحو ذلك من الخضراوات التي يجدها المرء فاكهة منعشة بعد الضرب في الصحراء ويزرعون ايضاً التنعاع والورد ويستخرجون روحيهما لانها لازمان في تكميل شروط الضيافة . وعندهم قليل من شجر الزيتون فيعصرون الزيت منه . ولكن طعام البدو الذي هو قوام معيشتهم التمر ولذلك ترى النخل كثيراً في وادي الكفرة . والتمر هو الشيء الوحيد الذي يصدر من تلك الواحات . اما سائر الحاجيات والكماليات فترد الى الكفرة من الخارج كالشاي والسكر والرز والدقيق والاقمشة

والمساكن هناك بسيطة تبنى بالحجارة وتبيض من الداخل وتوضع فيها مقاعد تغطي



دار السيد محمد العابد في الأنف

الرواد صفحة ١٧٠

خروج قافلة حسنين بك من الكفرة



الرحالة احمد حسين بك وامامه الـثيودوليت

بالبسطة اليدوية والمساند . واذا كان صاحب البيت غنياً وجدت فيه غرفة للاستقبال
ارضها مغطاة بالبسط العجمية ومساند الحرير وقد يكون فيها غراموفون وصفاح عليها
اغاني عربية مصرية

والاعمال اليدوية يعملها العبيد غالباً وقد غلا سعرهم حديثاً لقلة ورودهم من
واداي . لما ذهبت الى برقة سنة ١٩١٦ عرضت علي فتاة من الرقيق بمائة وعشرين
فرنكا اما الآن فثمان مثلها من ٣٠ جنياً الى ٤٠ . والذكر ارخص من الانثى . واذا
استولد رجل امة من عبيده فولدت صبياً أصبحت حرة بولادته فاذا كان الرجل شيخ
قبيلة وكان هذا الصبي بكره صار شيخ قبيلته بعده ولو كان اسود لان لاشان للون في
اعتبارهم . ويتألق العبيد في لبسهم كاسيادهم . ولعلي كاجا عبد السيد ادريس المنزلة
العليا عنده والناس يحترمونه اكثر مما يحترمون كثيرين من الاحرار . ويباح للعبيد
ان يشتري امة . سألت علي كاجا كم ثمن العبيد الآن فقال شاكياً قد غلا سعرهم
كثيراً فبالامس اشتريت جارية باربعين جنياً . قال ذلك كأنه لم يكن عبداً في زمانه
اقتت في الكفرة نحو ثلاثة اسابيع في ضيافة السيد العابد وغيره من الاعيان .
وخلصة مباحثي العلمية في هذه المرة ان الكفرة ابعد اربعين كيلومتراً الى جنوب
الجنوب الشرقي مما اثبتته رولفس من ارضاد ستكر ووجدت ارتفاعها كما حققه رولفس
اي ان ارتفاع بوما في اسفل الوادي ٤٠٠ متر وارتفاع التاج ٤٧٥ متراً

وبُعيد وصولي الى الكفرة سمعت اخباراً اضطرتني الى تغيير خطة رحلتي فقد كنت
عازماً ان اذهب بطريق القوافل من الكفرة الى واداي وهو طريق لم يسلكه احد
قبلي من غير اهل البلاد ولكن بلغني ان كشافه فرنسوية قدمت من واداي الى منتصف
الطريق بين واداي والكفرة وسمعت اخباراً مهمة عن الواحيتين المفقودتين وقيل لي
انهما الى الشرق من طريق واداي ولم ارلها رسماً في خريطة من الخرائط فغيرت
خطة سفري وعولت على الذهاب الى السودان لعلي اكتشف هاتين الواحيتين في
طريقي فاكون قد عملت عملاً يذكر . وتغيير الخطة سهل فكراً ولكنه صعب عملاً فان
ابا حليقه صاحب الجمال التي استأجرتها من جالو ليذهب معي الى واداي ابى ان
يذهب بطريق عوينات قائلاً انه لا يخاطر بنفسه وابى ان يدع رجاله وجماله تذهب
معي واتاني بسليمان ابى مطارى وهو تاجر غني ليصرفني عن هذا الطريق فقال لي ان
اخاه محمداً سار منذ ثمانى سنوات في هذا الطريق فهلك هو والقافلة قتلوا على تخوم

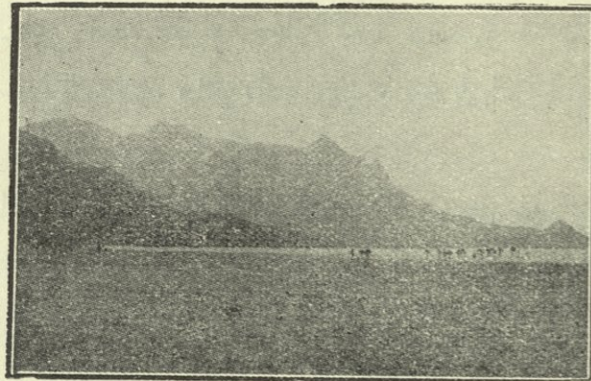
دارفور مع أنهم لم يسيروا في الطريق الذي انا عازم على السير فيه بل في طريق اسلم
واسهل من طريق عوينات الى مريجا . اما الطريق الذي انوي الذهاب فيه فيمر في بلاد
لم تطأها رجل بدوي والدفه (قفر لا ماء فيه) بين عوينات واردي طويلة كثيرة
المخاطر فلقافلة التي تضرب فيها يرحمها الله فان جاهلها تقع كما تقع العصافير في ريح
السموم واذا سلمنا في الطريق فمن يعلم كيف يستقبلنا سكان البلاد التي نصل اليها فيجب
ان لا اخطر بنفسي ولا ادع الطريق السليم طريق القوافل الى واجنجا وأبشه .
فشكرته على نصحه وانا واثق اني لست عاملا به . ثم بحثت في هذا الموضوع بعد
يومين مع ابي حليقه فلم يقنعني ولا اقنعتني واخيراً لما رأى اصراري على الذهاب
بطريق عوينات وان السيد العابد يوافقني على ذلك رضي ان يؤجرني بعض جماله
باجرة الجمال كلها وان يدبر رجالا يذهبون معي فانفقنا وانا لا اعلم ما خبي لي في لوح
القدر ولكن حب كشف المجاهل تملكني فسلمت نفسي للتقدير

في الثامن عشر من ابريل صارت قافلتنا على اهبة السفر فاني كثير من الاخوان
ورؤساء البدو لتوديعي وودع رجالي اصدقائهم وهم يحسبون انه الوداع الاخير
ويقولون اذهبوا بحفظ الله (المقدر مقدر) وعسى الله ان يأخذ بيدكم ويكون معكم .
قالوا ذلك قول من يرى الهلكة امام عينيه ويدعو للنجاة منها

قطعنا الحيد الجنوبي فوق الكفرة فانبسطت امامنا الارض صحراء ناعمة الرمل
دقيقة الحصى . وفي العشرين من ابريل قطعنا حزونا كثيرة الحجارة ورأينا سنونة في
الصباح وباشقاً في الاصيل . الليالي شديدة البرد والحر وسط النهار يزهد النفوس
فصرنا نسير بعيد نصف الليل ونستريح حينما يشتد الحر . وفي الثاني والعشرين من
ابريل وصلنا الى كشان من الرمال ارتفاع الكثيب منها ثلاثة امتار الى عشرة امتار
مغطاة بحجارة سوداء ثم رأينا عن يسارنا سلسلة من التلال تمتد من الشمال الى الجنوب
الغربي فتقطع طريقنا فصعدنا فيها واذا امامنا نجد سرنا فيه النهار كله واسمه وادي
المحاريح ورأينا هناك قشوراً من بيض النعام واتاني رجل من رجالي بفرخي نسر
فامرته ان يردهما الى عشهما

وفي الثالث والعشرين من ابريل وصلنا الى كشان من الرمال المنهار عمرة المرتقى
وجزنا غور فوروا ورأينا جبال اركنو ممتدة امامنا
مر بنا ثمانية ايام لم نم في اليوم منها اكثر من اربع ساعات وحالما كنا نشرع في

السير كنت ارى رجالي يغمضون عيونهم وينامون على الرمال ولو نصف ساعة والجمال تابعة الدليل ومصباحه الضئيل اما انا فقلقي على الآتي كان يحرمني من النوم معهم ولقد كابدنا مشقة كبيرة في قطع كيشان الرمال القائمة امامنا ولم نكد نتم قطعها حتى قابلتنا الجبال كماها من قلاع العصور الوسطى وقد كاد ضباب الصباح يحجبها عن عيوننا وبعد دقائق قليلة حولت الشمس ذلك الضباب الاغبر الى شعاع وردي . وفي الرابع والعشرين من ابريل قطعنا ٣٧ كيلومتراً فبلغنا جبل اركنو اركنو جبل من الحجر المحبب (الغرايت) يعلو خمسمائة متر عن سطح الصحراء المجاورة له وهو قنن مخروطية متصلة من اسفلها . بلغناه من طرفه الغربي وسرنا حول هذا الطرف فوصلنا الى مدخل واد فيه متجه شرقاً وقرب مدخله شجرة وحيدة من



جبل اركنو

نوع يسمى هناك شجر الاركنو وقد اطلق اسمه على الالواح التي هناك فنصبنا خيامنا الى جانب هذه الشجرة وارسلنا الجمال الى الوادي لتشرب وتأتينا بالماء وكننا في حاجة شديدة اليه . وللحال اتانا اناس سود من سكان تلك البلاد فأحسننا ملتقاهم ودعوتهم للاكل مع رجالي . الجبل قاحل لا ينتظر ان يكون فيه واد خصب مسكون والواقع ان هؤلاء الناس لا يقيمون فيه السنة كلها بل يأتونه يجاهلهم في فصل الربيع لتربع فيه ثلاثة اشهر ويتركونها فيه وحدها بعد ان يسدوا مدخل الوادي بالصخور وواحة اركنو هي اولى الواحيتين المفقودتين اللتين سممت اخبارهما وكان من نصيبي ان اكون الاول في رسمهما . وقد يصير لهذا الوادي شأن حربي في المستقبل لانه واقع في ملتقى تخم مصر الغربي بتخمسها الجنوبي . مقتطف يوليو سنة ١٩٢٥

وفي ٢٨ من ابريل بدأنا سرانا لان للسرى ليلاً مزية على السير نهاراً يرى المسافر الوقت ينقضي سريعاً الا اذا كان قد اضناه التعب ويرى له من النجوم رفيقاً انيساً يسليه اذا كان من عاشقي الطبيعة . وكنا نرى جبال عوينات في الافق قائمة امامنا فنظمتن اليها لان السامة تزول اذا كان امام المرء غرض محدود يسعى اليه بدلاً من ان يسير في عرض القفر على غير هدى لا يرى امامه الا ابعاداً شاسعة لا حد لها . ولما دنونا من تلك الجبال ظهرت الشمس فوقها وافاضت على قننها من اشعتها الذهبية فالقت على الارض ظلاً ظليلاً كنا نراه يتقلص ويقصر رويداً رويداً بدنونا من الجبال فنصبنا خيامنا عند الزاوية الشمالية الغربية وهناك شعب في طرفه عين ماء والجبل قائم على جانبه كشاهق تسند قدميه حجارة كبيرة وصغيرة فعلت بها انياب الدهر فازالت زواياها وسحاتها سحلاً . والعين ليست ينبوعاً جارياً بل قسلت في الصخر تتجمع فيه مياه المطر

وقنا في الصباح وصعدنا في الجبل الى العين الكبرى وهي غزيرة المياه طيبها تحيط بها قصباء دقيقة القصب . وفي اخريات النهار امعنا في الواحة حتى اذا كان منتصف الليل دخلنا وادياً تحيط به التلال عن يسارنا والجبل عن يميننا . والوادي ناعم الرمل كثير الحجارة السير فيه شاق على الجمال . ووقفنا عند الفجر صلينا الصبح وشربنا الشاي حتى اذا كانت الساعة السابعة دخلنا وادياً واسعاً بين جبلين شاهقين ارضه منبسطة كالكف وفيه عشب واشجار من السنط والحجم اذا مرثت اوراقها يدك شممت لها رائحة كرايحة النعناع . وهناك كثير من نبات الحنظل وهو عريض الورق له ثمر اصفر مستدير كالليمون الكبير الحجم يغلي السكان بزره حتى تزول مرارته ثم يسحنونه مع التمر والجراد في هواوين من الحشب ومنه اكثر طعامهم

ونصبنا خيامنا الساعة العاشرة ونمنا ثم قمنا واكلنا وسرت انا لاشاهد آثار الانسان في العصور الخالية فاذا هناك رسوم حيوانات منقوشة في الصخر تجدد فيها رسم الاسد والزرافة والنعامة وانواع الغزال ورسوماً كالبقر . والنقش غائر في الصخر من ربيع بوصة الى نصف بوصة . ولم اقف على تاريخ لهذه النقوش . ومما الفت نظري بنوع خاص امران الاول ان الزرافة لا تقطن تلك البلاد الآن ولا توجد في قفر مثل هذا

الفقر ان ليس بين هذه الرسوم رسم الجمل مع انه يستحيل على المرء ان يصل الى هناك الا اذا كان الجمل مطيته . فهل كان الذين نقشوا هذه الصور يعرفون النعامه ولا يعرفون الجمل مع ان الجمل أدخل الى افريقية من اسيا نحو سنة ٥٠٠ قبل المسيح . ولم ار هناك من انواع الصيد الا الغزال والضأن الجبلي ونوعاً صغيراً من الشعب رمادي اللون

عدنا الى خيامنا صباح الثاني من مايو فوجدنا الشيخ هري في انتظارنا ويلقب بملك العوينات مع ان سكانها ١٥٠ نفساً . وقد اتفقت معه لكي يرافقنا الى اردي كدليل وقمنا من هناك مساء الاحد في السادس من مايو وسرنا في ارض منبسطة وهي رمال تغطيها الحصى وهنا وهناك شيء من الحشيش فكانت جمالنا تتقوت به فقطعنا ٥٤ كيلومتراً في ١٢ ساعة

وفي التاسع من مايو كنا سائرين فشعرت نحو الساعة الثامنة ليلاً ان الريح تهب في وجهي وكان الجو مطيفاً بالغيوم فالتفت الى الحك (البوصلة) واذا نحن سائرون الى جهة الشمال الشرقي بدل الجنوب الغربي فاتضح لي ان دليلنا سكر اضاع رأسه . وهنا مشكل تجب مداواته بالحكمة لثلا يفقد الدليل ثقته بنفسه . وزاد الطين بلة ان ثارت زوبعة رملية اطفأت المصباح الذي يسير به امامنا فاختلط الحابل بالنابل واشتد عصف الرياح وادرك كل أحد اننا ضلنا السبيل فصممت على السير مسترشداً بالحك وارضاًنا المصباح وسرت في المقدمة والحك في يدي وبعد ساعات قليلة هدأت العاصفة فاذا نحن بين كئبان من الرمال

وفي العاشر من مايو بلغنا الجرد وهي مرتفعات من الرمال جوانها تكاد تكون قائمة تسير الجمال عليها فتمعوص فيها الى الركب . وفي الثاني عشر منه شرعنا في السير الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر وقطعنا سبعين كيلو متراً دفعة واحدة ثم حططنا رحالنا قبيل الساعة العاشرة صباحاً وارسلنا الجمال الى التلال المجاورة لترعى فيها

وفي الرابع عشر صار همنا الاكبر الوصول الى اردي لان ماءنا كاد ينفد وكنت جمالنا من التعب ورأى اثنان من رجالنا اثار ورل فاقفياها الى حجره وبجنا عنه وامسكاه وهو لا يعرض ولكن ذنبه كالمسوط فيضرب به . والبدو والزنوج يستعملون دهنه دواءً لداء المفاصل ويقولون ان رأسه عوذة تقي من السحر . وهنا كثرت الاودية

وهي كثيرة الكلاي والحشيش دليلاً على اننا دنونا من اردي ولكننا لم نر تلاها
الحمراء الا صباح السادس عشر من مايو . وأجمع رأينا على النزول في وادي اردي
نفسه لا فوقه لكي نكون على مقربة من الماء مخافة من طارق يفاجئنا ونحن بعاد عنه
فصعدنا حيداً الى ان بلغنا اعلاه فاشرفنا منه على وادي اردي وهو ضيق طوله ٨
كيلومترات وعرضه نحو ١٠٠ متر تحيط به صخور شاهقة حمراء اللون فابتهجنا برؤية
ما فيه من الاشجار النخيل والمروج الخضراء . وهذا الوادي غير نافذ وفيه بئر تغطيها
الصخور وهي بركة كنصف دائرة طولها ستة امتار وعرضها ثلاثة ومن رأينا ان ماءها
خليط من ماء المطر ومن ماء نابع في الارض . والوادي جميل بما فيه من الخضرة
وما يحيط به من الصخور الحمراء القائمة حوله كالجدران

وهنا حذرنا دليلاً من السفر ليلاً لكثرة ما في البلاد من التلال والوهاد
فقمنا في السابع عشر من مايو الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين صباحاً ولما خرجنا من
الوادي رأيت الفرق الكبير بينها وبين اودية اركنو والعوينات فان ارض الاودية
هناك على ارتفاع الارض حول الجبل واما هنا فالوادي اعرق من السهل الذي حول
الجبل . ولما خرجنا منه جزنا في ارض جبالية صخورها سوداء وحمراء وقبلما انقضت
مرحلتنا رأينا تلال اجاه في الافق وبلغنا وادي اجاه في العشرين من الشهر ولم نر في
وادي حتى الآن ما رأيناه فيه من كثرة الاشجار والنباتات . والبئر فيه مثل بئر اردي
ولكن الجمال والقطعان عبت بماها فافسدته . والطيور كثيرة هنا تطرب الاذن
باصواتها . واردنا ان نبتاع بعض الخرفان من السكان فابوا حاسيين ذلك عاراً عليهم
لكنهم اهدوا لنا ثلاثة خرفان ضيافة وابوا ان يأخذوا ثمنها فاهدنا اليهم مقاطيع
من البفت الازرق فسروا بها

واستأنفنا السير في ٢١ مايو قبل غياب النجوم واذا امامنا ثلاثة غزلان فتبعها
ثلاثة من رجالنا واطلق حامد بندقيته على واحد منها فاخطأه لكنه اقسم بالله انه
اصابه ورأى الدم يفور من بدنه . ولما جلسنا الظهر للغداء جرح واحد يده وهو
يقطع بضعة من الخروف الذي شويناه لغدائنا فسألته من اين هذا الدم فاجاب آخر
هذا من غزال حامد فقهقه الرجال مسرورين . وبعد الغداء كنت ادير ساعاتي واكتب
قراءات البارومتر والترمومترين اللذين يدل احدهما على اعلى درجات الحرارة والاخر

على اوطأها واذا بحامد يعدو الينا وهو يقول انه رأى سرباً من النعام فامسكنا بناذقنا استعداداً لها فمرت بنا وهي نحو ثلاثين او اربعين نعامة فاطلق الرجال بناذقهم عليها وهي لا تزال بعيدة وعدا حامد وامسك بعنق واحدة منها فضربته برجلها في خاصرته وافلتت فعاد الينا ويده على جنبه فسألته هل آذتك فقال كلا فقلت لماذا لم تأت بها اذاً فقال لاني وجدتها اني

وقنا الساعة الخامسة وسرنا في الوادي ساعة من الزمان ثم سعدنا في الآكام فلما بلغنا اعلاها رأينا ذلك الوادي تحتنا كبساط من الزبرجد ترصعه الاشجار والانجم وبقع الرمل الوردي وتحيط به صخور وتلال حمراء . ونسيم المساء يتخلله هديل الغماري وغابت الشمس حينئذ فاكتمى الجو حلة من الارجوان لا ينساها من يراها بلغنا اينباه في ٢٣ مايو والماء هناك عذب قراح وعليه جماعة من قبيلة البديات ومعهم كثير من الغنم وبعض الخيول فخرجوا لاستقبالنا فصاحقهم وصبت على ايديهم قليلا من الروائح العطرية فأتونا بالحرفان ضيافة وجاءنا نساؤهم بالسمن والجلود ليعبها منا لان البيع والشراء في ايدي النساء . وبينما كنت ارصد في المساء رأى الرجال الثيودوليت والمصباح الكهربائي فاجسوا شراً ودخل احد شيوخهم خيمتي ورآني افتح صندوق آلة من الآتي فاغلقته لما رأيته ولكنني انتبهت الى ما في عملي هذا من الخطأ لاني رأيت امارات الشر في وجهه كأنه حسب ان الصندوق مملوء ذهباً . ولما خرج من خيمتي ناديت اثنين من رجالي وامرتهما على مسمع منه ان يتدنا دورهما في حراسة المعسكر ثم اخبرته ان لا يدع احداً من النساء او الاولاد يدنو منا لئلا يطلق رجالي الرصاص عليه خطأ . قلت ذلك لاريه اتنا على حذر فاصاب قولي المرعى

وسرنا من هناك الى ان بلغنا وادياً كبيراً اسمه كوتي مينا ممتداً من الشرق الى الغرب تغطيه اشجار كبيرة وكان فيه جماعة من قبيلة الجرعان ووصل اليه ونحن هناك تاجر قادم من واداي ومعه بقر وغنم وهو ذاهب بها الى الفاشر . وسرنا في ٢٦ مايو مقتفين آثار الغنم والجمال الى ان بلغنا وادياً كبيراً جداً فيه كثير من الاشجار الظليلة اسمه كب تركو وكنا نحسب اتنا نصل الى باو صباح السابع والعشرين حسب قول الدليل هري ولكن انقضى النهار ودخل الليل ولم نصل لان هذا الدليل اخطأ في تقديره . وكان ماؤنا قد نفذ كله ما عدا قرية واحدة . فتابعنا السير الى الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين فوصلنا الى ارض صخرية يتعذر السير فيها في ضوء القمر

وكننا على حافة وادي ادعى هري انه وادي باو لكنني لم اصدقه ولم اسمح للرجال ان يشربوا ماء القرية الا حينما نبلغ مكاناً فيه ماء فنمنا تلك الليلة من غير عشاء لكي لا نشرب

وكان النزول الى الوادي عسراً جداً لكن كان لا بد منه فزلنا الى ان رأينا في الوادي غما وكوخاً فاذنت للرجال ان يشربوا ماء القرية واقبل نفر من الجرحان والبديات للقائنا ونساؤهم حسان المنظر يشتملن بتيابهن اشمالاً ويضفرن شعورهن ويتحلين بحلي من الفضة والعاج وفي اعناقهن عقود من الخرز والسكرمان والبنات يكتفين بوزرة يسترن بها عوراهن والرجال عراة في الغالب وهم مجدولو العضل يحمل الواحد منهم حربتين او ثلاثاً وسيفاً وسكيناً يرشق بها خصمه رشقاً . واما شيوخهم فيرتدون اردية بيضاء ويعتمون . اعطينا النساء من المعكرونة فلم يأكلنها بل نظمنا عقوداً تقلدن بها وللحال دار الاخذ والعطاء ينهن فتبادلن هذه العقود بالسمن والجلود

وقمنا من هناك في الثلاثين من مايو وانبسطة الارض اماننا وقلت الاودية والاشجار الكبيرة ورأينا آثار الاسد . وبلغنا وادي هور في اول يونيو وهو كنصف دائرة وفيه اشجار كبيرة وارض زراعية كارض مصر . والارض بعده قليلة الشجر ولكنها كثيرة العشب . ومررنا امام تلة تسمى تاميرا على رأسها شجرة يابسة وهي الحد الفاصل بين وادي والسودان

ونهبنا في الثاني من يونيو باكرأ لكي نصل الى فوروية ذلك اليوم فررنا في الساعة الخامسة صباحاً امام حجر كمرارا وكان على عشرة كيلو مترات عن يميننا وبعد ساعة مررنا امام حجر اردو وهو تل ارتفاعه نحو ٨٠ متراً وطوله ٢٠٠ متر . والحجر بلغة السودان الائمة الصغيرة . ثم زلنا الى وادي فوروية وهو اكبر وادي واهل وادي مررنا به في رحلتنا حتى الآن وسكانه من الزغاوي وقليل من البديات . وكنا ننتظر ان نجد طعاماً في هذا الوادي فلم نجد وكان سكرنا قد نفذ منذ ثلاثة اسابيع فكنا نحلي الشاي بدقيق التمر . ونفذ ايضاً ما معنا من الدقيق والرز ولم يبق معنا الا المعكرونة فعافتها نفوسنا . فكتبت الى سقيل باشا حاكم دارفور في الفاشر ليرسل الينا طعاماً وثياباً لرجالي لان ثيابهم صارت اخلاقاً وارسلت الكتاب مع رسول استأجرتُه بعد عناء كثير

اقمنا في فوروية ثلاثة ايام وكانت السماء تمطر كل يوم واكثر رجالي من اكل اللحم ولكنه لم يغمهم من الشاي والسكر

وفي ٦ يونيو سرنا في طريق مطروق جنوباً وكنا نمر في طريقنا بقرى صغيرة بيوتها اكواخ من القش وبلغنا ام بورو في اليوم التالي فنزلنا قرب البئر ونهضنا في الصباح باكراً على صوت النغم والبقر آتية لتشرب وبعد ساعة قامت سوق الى جانب خيامنا لاتنا كنا قد نصبناها ملاصقة لشجرة كبيرة وهي في وسط مكان السوق ولا يحضر السوق الا النساء فهن يبعن ويشترين بالسمن والجلد والحصر والذرة والقطن والملح يتبادلنها مبادلة والرجال مقيلون كسالى

والمرحلة التالية كانت خمسة ايام الى كتم قطعنا فيها ١٢٩ كيلومتراً والطريق مطروق وكنا نقوم في الصباح ونزل العصر. وفي البلاد تلال كثيرة تغطيها الاشجار والحشيش ويدها بقاع حرق هشيمها استعداداً لزرعها

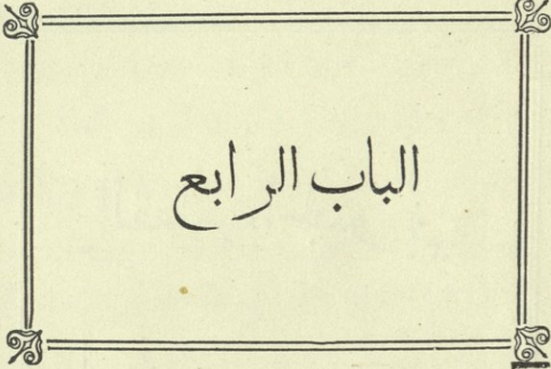
وفي صباح اليوم الرابع جاءني رجل يقول انه رأى عن بعد عسكرياً راكباً جملًا (هجاناً) وبعد قليل وصل هذا العسكري ومعه كتاب من المستر تشارلس دبوي حاكم دارفور بالنيابة لان سثيل باشا كان قد استعفى ومعه شيء من الرز والدقيق والشاي والسكر والسكرير وقد كان سرورنا بالسكرير على اشده لان ما كان معي منها فقد كاهه بعد خروجنا من ارضي . ولما بلغنا بيت الحكومة في مرايح جعل رجالي يغنون ويطربون واقاموا قالب السكر في وسط ساحة وجعلوا يرقصون حوله والعسكري ينظر اليهم مدهوشاً حاسباً انهم جنوا ولا يعرف الشوق الى السكر الا من حرمه اياماً متوالية وصممت على ان نسرع السير لان مؤوتنا كادت تنفد كلها فبلغنا ضواحي كتم في الرابع عشر من الشهر وشاهدنا حينئذ كوكبة من الخيالة تدنو منا فقا بلناها بالهتاف وكان اهبج شيء في نظري رؤية الجنود السودانيين بملايسهم العسكرية وكان في الكوكبة معاونان وعشرة جنود وقاض وكاتب وبعض وجوه كتم فصاحتم كلهم وسرنا تحت لوأهم ولما دنونا من المركز خرج النساء للقائنا لابسات البياض يقرعن الدفوف وينشدن الاناشيد فدخلنا المركز واقمنا فيه وحواله وعادت النساء الينا وهن يغنين ويرقصن فسر رجالي واستاذنوني في اطلاق بنادقهم عند اقدام البنات فاذنت لهم بخفاف البنات اولاً لانهن لم يألفن ذلك ولكنهن ادركن المراد حالاً واستأنفن الغناء والرقص والزغردة فزال كل ما كنا نشعر به من وعناء السفر

اقمنا يومين في ضيافة المعاوين لان المستر اركل المفتش كان في الفاشر . وقمنا في السابع عشر من يونيو فوصلنا الى الفاشر بعد يومين كانا من ايام السرور والبهجة لاننا شعرنا باننا رجعنا الى العمران الذي كنا نشواق اليه . ولما صرنا على ثلاث ساعات من الفاشر نزلنا لكي نستعد لدخولها فخلقت وكان المستر دبوي قد بعث الينا مقداراً من البفت الابيض الى كتيم فالتحف به رجالي ثم استأنفنا السير واذا بكوكبة من الفرسان آتية للقائنا فصر جوادي اذنيه وعدا اليهم وخرج المستر دبوي على جواده للقائنا فتصافحنا مصافحة الاصدقاء ورحب بنا الضباط كلهم من انكليز ومصريين واطفاننا المستر دبوي في بيته . وهناك مركز للتغراف اللاسلكي فاستعلم مديره لي عن وقت غرينتش (بانكلترا) فاذا خرونومتري لم يفقد الا ٢٣ دقيقة و٢٣ ثانية في ثمانية اشهر أي أقل من ست ثوان كل يوم . واقمت عشرة ايام في ضيافة المستر دبوي والضباط واعيان المدينة فانهم لم يتركوا وسيلة لا كرامنا . وسرنا من هناك الى الابيض وركبت منها الى الخرطوم فالقاهرة فبلغتها في اول اغسطس سنة ١٩٢٣

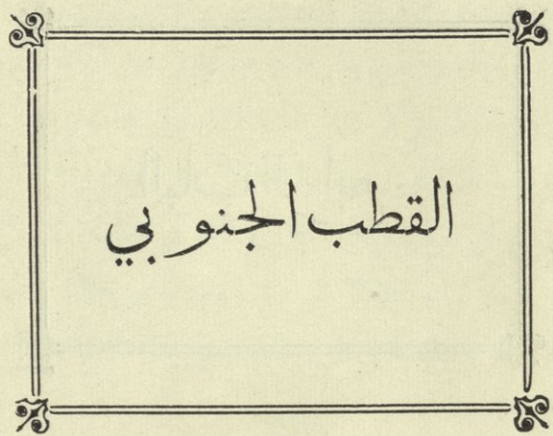
ولا يسعني ان اختم هذه الخطبة من غير ان ابدي جزيل شكري للسردار السري ستاك باشا حاكم السودان العام والمستر دبوي مدير دارفور بالنيابة والمستر كرايج مدير كردفان ولكل الضباط والموظفين والاعيان في حكومة السودان على ما لقيت منهم من العناية وحسن الضيافة انتهى

(مقتطف اغسطس سنة ١٩٢٥)





الباب الرابع



القطب الجنوبي



الكبتن سكوت ورفاقه

كان لما اصاب الكبتن سكوت ورفاقه الذين رافقوه الى القطب الجنوبي وقع شديد في كل انحاء العالم . وصل هذا المكتشف الشهير الى القطب، وقد ثبت ذلك مما ذكره عن العلامات والآثار التي تركها امندسن هناك، ثم لقي حتفه هو ورفاقه في رجوعهم . ولم يكن بينهم وبين المركز العمومي الذي كانوا قد اعدوه للاتجاه اليه الا ١٥٥ ميلا حين فاجأتهم العواصف واقامت في وجههم ما لا يذلل من العقبات

انقطعت اخبار سكوت ورفاقه من اوائل سنة ١٩١٢ ولم يعرف عنهم شيء بعد ذلك حتى وصلت باخريتهم ترانوا الى جزيرة زيلاندا الجديدة وكانت قد اقلعت من لندن في اول يونيو سنة ١٩١٠ وذلك اول عهد لها بنحوض البحار الشاسعة وفيها بعثة سكوت وهي تامة العدة مجهزة بكل ما يلزم لها ومما زاد في اتقان معداتها وابلغ ترتيبها حد الكمال خبرة سكوت السابقة في مغالبة المضاعب ومعاونة غيره ممن سافروا الى الاصقاع الجنوبية وعرفوا بالاختبار ما يحتاج اليه المكتشف فيها . واجتمع حوله من الاعوان والعلماء ما لم يجتمع حول غيره من جميع الذين اقتحموا بلاد الجليد

وصلت بهم الباخرة الى خليج مكردو بعد ان قاسوا احوال البحر في شدة هيجانه واضطراب امواجه فانقسموا هناك الى ثلاث فرق نزلت الفرقة الاولى الى البر لاقامة مركز عمومي على رأس ايثنس وكان سكوت فيها ونزلت الثانية في غرب الخليج وحاولت الثالثة النزول الى الارض المسماة ببلاد الملك ادورد السابع فلم تتمكن من ذلك لكثرة الجليد فنزلت في رأس اداري

وكابد رجال الفرقة الثالثة شدائد كثيرة فان العواصف دهمتهم من أول الامر ففصوا فصل الشتاء في كوخ من الثلج يفتانون بلحم الفقم وقليل من الزاد الذي بقي معهم فذب فيهم المرض ولم يصلوا الى المركز العمومي الا في اوائل شهر نوفمبر الماضي ولما عادت الباخرة باخبارهم وما جرى لهم حتى شهر يناير من سنة ١٩١٢ علم الناس ان العلماء بينهم يبذلون اقصى جهدهم ليقوموا حق القيام بما اتدبوا له حتى ان الدكتور ولسن اقتحم مخاطر حمة ففضى اشهر يونيو ويوليو واغسطس (وهي اشهر الشتاء هناك) في رأس كروزر يدرس اطوار الطائر المعروف بطريق الامبراطور

وطبائعه في افراخه وتريته لصغاره في فصل الشتاء . وكان الموكلون برصد المظاهر الجوية وحركات الرياح وضغط الهواء واختلاف درجة الحرارة وامواج المد والجزر وجاذبية الارض ومغناطيسيتها ، مواظبين على اعمالهم يرقبون التغيرات ويضبطونها بدقة وعناية . ومثل ذلك يقال في الموكلين بالابحاث الجيولوجية والبيولوجية وغيرها من اغراض الرحلة

وكان آخرون يهيئون معدات التقدم نحو القطب وقيمون المستودعات في الطريق واخذ سكوت في التقدم الى القطب في الثاني من شهر نوفمبر سنة ١٩١١ ولكنه عاد فتأخر شهراً بسبب موت نصف الدواب التي كانت معهم . واتي الكوماندر ايغنس بأخر اخبارهم في السنة الماضية بعد ان تركهم وهم على ١٥٠ ميلاً من القطب وكانت امورهم حسنة في ذلك الوقت

ولم يعرف عنهم شيء بعد ذلك الا ما وجد في اوراق سكوت الذي اعنى بتدوين كل الحوادث بالضبط والتدقيق رغماً عما كان يحق به من المخاطر . ومما يدل على ثباته وبعد نظره انه لما رأى ان لامناص من الهلاك جلس يكتب تفاصيل النوازل التي حلت بهم كما سيجيء

وقد وصل الى القطب في الثامن عشر من يناير سنة ١٩١٢ وكان معه الدكتور ولسن والكبتن اوتس والملازم بورز والضابط ادغرايغنس . وقاسوا كثيراً من الشدائد في عبور نهر الجليد المسمى بيردمور فاصيب ايغنس بارتجاج الدماغ وقضى نحبته هناك . ثم اشتد الصقيع والريح فرض الكبتن اوتس واعوزهم الوقود . وفي السادس عشر من شهر مارس رأى اوتس ان الموت مدركه لاحالة وانه اصبح عبئاً على رفاقه فتخلف عنهم ليلتي حفته . وواصل سكوت وولسن وبورز السير لكن الزمهرير اشتد عليهم وهم على احد عشر ميلاً من احد المستودعات فتعذر عليهم التقدم ولم يكن لديهم من الزاد الا ما يقوهم يومين . وكتب سكوت رسالته الاخيرة هناك وكان قد انقضى عليهم اربعة ايام وهم في ذلك المكان . وقد خرج البعض في ذلك الوقت نفسه من المركز العمومي للقاهم واعانهم ويظهر انهم اقتربوا منهم كثيراً الا انهم لم يعثروا عليهم . ولم يهتد الى جثث سكوت ورفيقه الا في شهر نوفمبر الماضي بعد ان انقضى فصل الشتاء هذه نهاية رجل من اكبر المكتشفين وقد كان كبير النفس يثير في رفاقه روح النخوة والثبات في قضاء الواجبات ويعلمهم بمثاله قدر اتعاب الرجال قدرها ويكتسب

محبهم له وتعلقهم به حتى ان الذين رافقوه في رحلته الاولى الى القطب سنة ١٩٠١ كالدكتور ولسن لم يجمعوا عن اقتحام المخاطر معه مرة ثانية . وقد قال فيه الدكتور شاركو « انه فاح الطريق الى القطب » . وحرص سكوت على التدقيق في التقارير وما اظهرته رحلته الاولى وبقايا رحلته الثانية من الحقائق والفوائد العلمية كاف لان ينفي عنه كل تهمة توجه اليه من انه كان يقصد باعماله اكتساب الشهرة والصيت

كانت ولادته في مدينة ديفونبورت ببلاد الانكليز سنة ١٨٦٨ ودخل مدرسة عسكرية سنة ١٨٨١ ثم دخل في سلك البحارة في الاسطول الانكليزي وتقلب في المناصب حتى رقي الى رتبة كوماندر سنة ١٩٠٠ . ولما رجع من رحلته الاولى سنة ١٩٠٤ رقي الى رتبة كبتن ومنح لقب كوماندر من رتبة فكتوريا الملكية ونال بضعة نياشين منها النيشان الملكي ونيشان خاص من الجمعية الجغرافية الملكية

والدكتور ولسن من متخرجي جامعة كمبردج وكان في الرحلة الاولى مصوراً ومولاً بالبحث في الحيوانات الفقارية وفي الرحلة الثانية رئيس القسم العلمي

اما الرسالة المشار اليها آنفاً فقد وجدت في خيمة سكوت الى جانب جثته وهذا تعريبها

ان فشلنا لم يكن لاننا اخطأنا في تدبير امورنا بل لانه نزلت بنا نوازل لم تكن منتظرة

فولاً — اتنا فقدنا دواب النقل في مارس سنة ١٩١١ فاضطرت ان اؤخر سفرنا وان اقلل المؤونة التي اخذناها معنا

وثانياً — اشتد البرد واثارت العواصف كل مدة السفر ولاسيما حينما كنا عند الدرجة ٨٣

وثالثاً — وجدنا الثلج رخفاً لينا فابطأ سيرنا عليه

وقد قاومنا هذه العوائق بهمة ونشاط وتغلبنا عليها ولكنها قلت مؤونتنا ولولا مصيبة اخرى حلت بنا لوصلنا الى القطب ورجعنا منه ومعنا زاد كاف لاننا كنا قد استعدنا لهذه الطوارئ . اما المصيبة فهي مرض الرجل الذي كنا نحسبه اقوى منا لكننا واصبرنا على المشاق وهو ادغر ايثنس . وكان امامنا نهر الجليد المسمى بيردمور وعبوره قليل الصعوبة في الصحو ولكنها لم تصح يوماً واحداً في رجوعنا ومعنا رجل مريض نضطر الى حمله فانه وقع واصيب بارتجاج الدماغ ثم مات بعد ان هد حيلنا

وتركنا وفصل الزوابع قد ادركنا . ولكن ذلك كله لم يكن شيئاً مذكوراً في جنب ما وجدناه مخبوءاً لنا . فما من مخلوق كان يظن اننا نصادف البرد الذي صادفناه في هذا الفصل من السنة ، فقد كانت درجته ٢٠ الى ٣٠ تحت الصفر بين عرض ٨٥ و٨٦ ولكننا لما رجعنا الى العرض ٨٢ وفي مكان اوطأ من الاول ١٠٠٠٠ قدم رأينا ٣٠ تحت الصفر نهراً و٤٧ تحت الصفر ليلاً والريح تعصف في وجوهنا صرصراً مستمراً وبين من ذلك ان ما اصابنا انما سببه هذا البرد الشديد الذي جاءنا بغتة على غير انتظار وفي غير ميعاده وغير مكانه فلم يكن في الحسبان . ولا اظن ان احداً من بني الانسان اصابه ما اصابنا في مثل هذا الشهر . وكان في الامكان ان نتجو لو لم يمرض رجل آخر منا وهو الكبتن اوتس وينفذ الوقود من مستودعنا وتعرض الزوابع بيننا وبين المستودع التالي وهو منا على احد عشر ميلاً فقط حيث كنا نرجو ان نجد كل ما نحتاج اليه

حقاً لقد جازت ملهات الزمان حدودها واستنزفت آفاته مجهودها

صرنا على احد عشر ميلاً من المستودع الذي ودعنا فيه طعامنا ووقودنا وليس معنا سوى طعام يومين ووقود لتسخين طعام يوم واحد فاقنا في هذه الخيمة اربعة ايام لا نستطيع الخروج من شدة العاصفة ونحن على غاية الضعف وانا لا اكاد استطيع الكتابة . واذا قصرت نظري على نفسي فانا لست نادماً لان هذه الرحلة برهنت على ان الانكليز لا يزالون يستسهلون تجشم المشاق والتعاون في الضراء ومقابلة الموت الزوأم بالصبر الجميل كما كانوا في سالف عهدهم

لقد ركبنا الاخطار عن طيب نفس فجاءت التقادير على غير ما انتظرنا فلا نشكو من احد ولا نلوم احداً بل نسلم انفسنا للاقدار عازمين ان نبذل جهدنا الى النهاية ولكن ان كنا قد خاطرنا بانفسنا لاجل شرف وطننا فانا نتوقع من ابناء الوطن ان يعتنوا بالذين تركناهم وراءنا وليس لهم ملجأ سوانا

واذا فسح لنا في الاجل فعندي كلام كثير في وصف شجاعة رفاقي وصبرهم وتحملهم المشاق — كلام يثير النخوة في صدر كل ابناء وطني . ولكن هذه السطور وجبتنا الهامدة ستخبر خبرنا ويقيني تام ان بلاداً عظيمة غنية مثل بلادنا تعني بالذين تركناهم في بيوتنا . ر . سكوت . (مقتطف مارس سنة ١٩١٣)

امندسن

لقد كان من نصيب اهل نروج الساكنين في اقصى الشمال ان يكون مكتشف القطب الجنوبي منهم فقد ثبت الآن ان الرحلة امندسن الزوجي الذي سار بسفينته الفرام قاصداً الوصول الى القطب الجنوبي وصل اليه في ١٤ ديسمبر سنة ١٩١١ وقد بعث الى جريدة الديلي كرونكل الانكليزية بوصف اكتشافه للقطب الجنوبي فنشرته في ٨ مارس وخلاصته انه شرع في سفره نحو القطب في ١٠ فبراير سنة ١٩١١ فوصل الى حيث قضى فصل الشتاء القطبي وكان متوسط درجة الحرارة ٢٦ تحت الصفر ميزان سنتغراد واوطاً ما بلغته ٥٩ درجة تحت الصفر . وابتداءً فصل الربيع في اواسط اكتوبر فعاد الى السير جنوباً فوصل الى الدرجة ٨٣ في ٩ نوفمبر والى الدرجة ٨٥ في ١٤ نوفمبر . وفي ١٧ نوفمبر وصل الى ارض مرتفعة فجعل يصعد فيها هو ورجاله حتى بلغوا ما ارتفاعه ١٠٧٥٠ قدماً في ٦ ديسمبر وكان ذلك حيث العرض ٨٧ درجة و ١٤ دقيقة وفي ٩ ديسمبر بلغوا الدرجة ٨٨ والدقيقة ٣٩ من العرض الجنوبي اي بقي بينهم وبين القطب درجة و ٢١ دقيقة . وفي ١٢ ديسمبر بلغوا الدرجة ٨٩ والدقيقة ٣٠ وفي ١٣ ديسمبر بلغوا الدرجة ٨٩ والدقيقة ٤٥ وفي ١٤ ديسمبر بلغوا القطب نفسه وكانت درجة الحرارة حينئذ ٢٣ تحت الصفر . والقطب في سهل مرتفع فسيح جداً . وفي اليوم التالي كانت السماء صافية فرصدوا ارساداً فلكية كثيرة من الساعة ٦ قبل الظهر الى الساعة ٧ بعده فوجدوا انهم كانوا حيث العرض ٨٩ درجة و ٥٥ دقيقة فساروا جنوباً مسافة ٩ كيلومترات حتى يكونوا قد مشوا على القطب حتماً وقد كانت المسافة من آخر مكان شتوا فيه الى القطب ١٤٠٠ كيلومتر وعليه فقد كان متوسط ما قطعوه في اليوم ٢٥ كيلومتراً

فصل الكبتن امندسن نتائج رحلته الى القطب الجنوبي في اجتماع الجمعية الجغرافية الملكية ببلاد الانكليز في ١٥ نوفمبر فقال ان رجاله اتموا وضع المؤونة في طريقهم في ١١ ابريل سنة ١٩١١ فاحسنوا في اختيار الاماكن التي وضعوها فيها لانه لم يجد اقل

مشقة في سفره من حيث الطعام والشراب لا في ذهابه ولا في اياه. ولم يكتفوا بذلك بل وضعوا اشارات على جانبي الطريق حتى اذا انحرف امندسن ورجاله عن موضع الطعام ترشدهم تلك العلامات اليه. واتفق ان الهواء كان موافقاً لهم لم تصبهم الانواء الا مرتين وكانت درجة الحرارة ٥٦ تحت الصفر بميزان فارنهایت مدة خمسة اشهر وبلغت في ١٣ اغسطس ٧٤ تحت الصفر ولم يعتدل الهواء الا بعد العشرين من اكتوبر. ورأوا عند الدرجة ٨٣ من العرض الجنوبي جبلاً عالية ارتفاعها من ١٠٠٠٠ قدم الى ١٥٠٠٠ قدم الى الجنوب الغربي منهم. وبلغوا الحد بين الارض والجليد الدائم في ١٧ نوفمبر حيث العرض ٨٥ درجة جنوباً والطول ١٦٥ غرباً ولم يجدوا كبير مشقة في الصعود الى سهل الجليد الذي حول القطب. وارتفاع مكان بلغوه كان ارتفاعه عن سطح البحر ١٠٧٥٠ قدماً ومن ثم بقي الجليد منبسطاً على ارتفاع واحد تقريباً الى الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٥ ثم انخفض رويداً رويداً وكان المسير سهلاً والهواء معتدلاً. وظهر بالرصد في ١٤ و ١٥ ديسمبر انهم بلغوا عرض ٨٩ درجة و ٥٥ دقيقة وفي ١٦ ديسمبر نقلوا مخيمهم الى موقع القطب تماماً اي الى الدرجة ٩٠ واقام اربعة رجال حينئذ يرصدون مدة اربع وعشرين ساعة وسموا تلك البقعة باسم الملك هاكون السابع ملك نرويج

واهم اكتشاف جغرافي في هذه الرحلة اكتشاف سلسلة الجبال العالية المشار اليها آنفاً فسميت جبال الملكة مود باسم ملكة نرويج.

(مقتطف ابريل وديسمبر سنة ١٩١٢)



السرا نست شكلتن

لبعض الناس غرام شديد باقتحام المخاطر واكتشاف المجاهل مدفوعين بحب الاكتشاف او بحب الشهرة او بحب الكسب او بذلك كله ومما رغبوا في الوصول اليه مها تجشموا في سبيله من المشاق القطب الشمالي والقطب الجنوبي اي طرفي محور الكرة الارضية . اما القطب الشمالي فاول من قصده وحفظت اخباره السرجون فرنكلين الذي سار نحوه سنة ١٨٤٥ قاصداً ان يكتشف طريقاً بحرياً الى اسيا من الشمال الغربي وقضي عليه وعلى رجاله بعد سنتين او ثلاث ووجدت آثارهم واخبارهم في رجمة هناك وظهر منها انهم وصلوا في سيرهم الى مكان يبعد ١٣٢٢ ميلاً عن القطب الشمالي وتوالت البعث بعد فرنكلين وكل بعثة تحاول ان تبعد اكثر مما ابعدت سابقتها كما ترى في هذا الجدول

السرجون فرنكلين	سنة ١٨٤٧ وصل الى ١٣٢٢ ميلاً عن القطب
مستر لاي سمث	» ١٨٧٣ » » ٥٩٢ » » »
الكبتن نيرس	» ١٨٧٦ » » ٤٥٨ » » »
اللفنتن لكوود من بعثة غريللي	» ١٨٨٤ » » ٤٥٥ » » »
الدكتور نسن	» ١٨٩٥ » » ٢٦٠ » » »
الكبتن كاني من بعثة ابروزي	» ١٩٠٠ » » ٢٣٩ » » »
الكومندور بيرى	» ١٩٠٦ » » ٢٠٣ اميال » »

اما القطب الجنوبي فاهم البعثات التي قصدهت ست وهي

بعثة القبطان كوك قصده سنة ١٧٧٤ ووصلت الى ١٢٠٠ ميل عنه	
» ودل » ١٨٢٣ » » ١٠٥٠ ميلاً » »	
» روص » ١٨٥١ » » ٠٨٥٠ » »	
» سكوت » ١٩٠٢ » » ٠٤٥٠ » »	
» شكلتن » ١٩٠٩ » » ٠١١١ » »	

فبعثت شكلتن وصلت الى ابعد ما وصلت اليه البعثات القطبية شمالاً وجنوباً . ويفتخر الانكليز بانهم سبقوا الاميركيين في هذا المضمار لان بيرى الذي وصل الى ٢٠٣

اميال من القطب الشمالي اميركي. وقد ذكرنا رحلة سكوت وما لقيه في الاصقاع الجنوبية في المجلد التاسع والعشرين من المقتطف. وها نحن واصفون الآن رحلة شكلتن وما لقيه فيها مأخوذاً من الانباء التلغرافية التي بعث بها الى انكلترا من جزيرة زيلندا الجديدة والملازم شكلتن من اعوان الكبتن سكوت الذي قصد القطب الجنوبي بسفينة الدسكشري وابعد معه اكثر مما ابعد احد قبله حتى صاروا على ٤٥٠ ميلا من القطب وذلك في آخر سنة ١٩٠٢ فقد قال انه احد الثلاثة الذين نصبوا العلم الانكليزي في ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٢ حيث العرض ٨٢ درجة و ١٦ دقيقة. وبدأت منه حينئذ دلائل الهمة والنشاط والصبر على المشاق والمقدرة على ادارة الناس بجأش رابط. وقد حدثته نفسه بالذهاب مرة ثانية لاكتشاف القطب الجنوبي ومعرفة احوال البلاد التي تحيط به فاقبل من بلاد الانكليز في ٣٠ يوليو سنة ١٩٠٧ على سفينة بخارية من سفن الصيد اسمها النمرود بعد ان اعدت لهذه الغاية وجهزت بكل ما يلزم لهذا السفر الشاق والنمرود من اصغر السفن التي تشق الاوقيانوس عمرها ٤١ سنة وقد ظهر بالاختبار انها من اقدر السفن على احتمال ضغط الجليد اذا احاط بها وضغط عليها. محمولها ٢٢٧ طناً وطولها ١٣٦ قدماً وعرضها ٢٧ قدماً وكثيراً ما كانت تحمل ١٦٠ نفساً من البحارة والركاب. اما الآن فلم يذهب فيها سوى ٣٢ نفساً ولذلك وضعت فيها كل لوازم الراحة لهم ولسفرهم على الجليد بالمزلق والاوتوموبيلات واخذوا معهم خيولاً صغيرة من خيول منشوريا المعتادة زمهرير البرد وكلاباً من نسل الكلاب التي تبعت البعثات السابقة لاكتشاف القطب. وقبل ان اقلعت نزل اليها ملك الانكليز وتفحص ما فيها من امتعة البعثة ومؤوتها ولما رأى انها كلها على ما يرام قال للملازم شكلتن لم يبق لي الا ان ارجو لك سفراً سعيداً وعوداً حميداً في مهمتك العسيرة. لما سافر الكبتن سكوت في سفينة الدسكشري اهديت اليه نيشان فكتوريا واني اهدي اليك الآن نيشاناً مثله تفاعلاً بفوزك في البحث العلمي الذي شرعت فيه. ثم سلمته الملكة علماً لينصبه في ابعد مكان يصل اليه فنصبه على نحو مئة ميل من القطب كما تقدم. وما كاد يصل الى زيلندا الجديدة في عودته من السفر حتى بعث الى جريدة الديلي ميل تلغرافاً مسهباً تقتطف منه الفقرات التالية

قام النمرود بنا من رأس رويد في ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٠٨ وابعد ما بلغناه الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي والدرجة ١٦٢ من الطول الشرقي. وكان السفر

شاقاً جداً فقطعنا في اول الامر جبلاً كثيرة ثم وصلنا الى سهل عال يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر عشرة آلاف قدم واكتشفنا سلاسل كثيرة من الجبال وقطعنا ١٧٠٨ اميال في ١٢٠ يوماً واكتشفنا اكثر من ١٠٠ قمّة جديدة من قمم الجبال وكانت المؤونة كافية والحيول المنشورية على ما يرام وقد اكتشفنا اكتشافات مهمة في علم الحيوان واكتشفنا ايضاً القطب المغنطيسي الجنوبي عند الدرجة ٧٢ والدقيقة ٢٥ من العرض والدرجة ١٤٥ من الطول وكان الشتاء معتدل البرد وبلغت اوطاً درجات الحرارة ٤٠ بميزان فارنهایت تحت الصفر . والاكتشافات الجيولوجية التي اكتشفناها مهمة كالاكتشافات في علم الحيوان وقد اشتدّ ضغط الجليد على المرود لكنه احتمله . وصعدنا على قمة بركان اريوس وهو ابعد البراكين جنوباً وارتفاعه ١٣٠٠٠ قدم وهذه اول مرة صعد انسان الى قمته . قصده الملازم ادمس الجيولوجي ورفاقه في ٥ مارس سنة ١٩٠٨ فصعدوا بالمرزالي الى ما ارتفاعه ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر ثم حملوا زادهم وامتعتهم وتركوا مز القهم وصعدوا حتى بلغوا ما ارتفاعه ٩٥٠٠ قدم فوق سطح البحر وكانت الحرارة هناك على ٥٠ تحت درجة الجليد . وحينئذ عصفت عاصفة ثلج منعهم عن السير ثلاثين ساعة متوالية ولما سكنت عاودوا التصعيد فبلغوا فوهة البركان القديمة وارتفاعها ١١٠٠٠ قدم عن سطح البحر فتفحصوها جيداً ورأوا منافس الدخان القديمة والفوهة مملوءة الآن بالحجارة المتبلورة وحجارة الخفان والكبريت وهراً البرد قدحى السر فيليب بروكهرست فاضطر ان يقطع ابهامه . وبلغوا فوهة البركان العامل في ١٠ مارس ومحيطها نصف ميل وعمقها ٨٠٠ قدم وكانت تنفث البخار والغازات الكبريتية فتعلو فوقها النفي قدم

وشرع الدكتور مرتش في رصد الحوادث الجوية من اوائل السنة . والاستاذ داقد في رصد مجاري الهواء العليا من عبها بغيوم البخار الصاعدة من البركان وواصل الرصد الى آخرها

ووجد الدكتور مري كثيراً من الاحياء الميكروسكوبية في بحيرات عذبة قرب رأس رويد ويوجد الماء حولها سنة بعد سنة فتعيش فيه من غير ان يؤذيها وظهر بالامتحان انها تتحمل البرد الشديد والحر الشديد وتعيش في الماء العذب وفي الماء الاجاج . ورأينا طائر البنغوين المطوق اما النباتات التي وجدناها فاكثرها من انواع الفطر والاشنان والطحالب والاعشاب البحرية . وكان الشفق القطبي كثير الظهور ساطع النور كل مدة

الشتاء واكثر ظهوره في الافق الشرقي وغالبه من السجفي ويكون احياناً من النوع الثابت واحياناً من النوع المتحرك وكثيراً ما كانت مجاري النور تسير في عرض السماء بسرعة فائقة . واشتد ثوران بركان اريوس في شهر يونيو

ومضيت انا وارميتاج ودافد بالمزلق في ١٢ اغسطس لفحص حاجز الجليد فوجدنا درجة الحرارة ٨٩ تحت درجة الجليد فوضعنا المؤونة في طريقنا على ١٢٤ ميلاً من مشقى الدسكشري ثم عدنا الى اقتحام الحاجز وسرنا بالاوتومويل على بحر من الجليد في ٢٩ اكتوبر وكنا اربعة ، ادمس ومرشل وولد وانا وتبعنا خمسة لمساعدتنا بحمل الزاد وغادرنا نقطة هت في ٣ نوفمبر ومعنا زاد يكفيننا ثلاثة اشهر فعاقنا عاصف الثلج ٥ ايام وعاد الذين تبعونا في ٧ نوفمبر . وكاد المستر ادمس يقتل لانه سقط في شق كبير في الجليد هو وفرس من الافراس لكننا تمكنا من اتقاذه . وفي ١٣ نوفمبر بلغنا مكان المؤونة التي وضعناها في سبتمبر الماضي حيث العرض ٧٩ درجة و٣٦ دقيقة فاخذنا منها زاداً لنا وعلفاً لحيواننا وجعلنا نقتصد في طعامنا وسرنا جنوباً على حروف واكام من الجليد الصلب يتخللها اماكن مغطاة بالثلج فكانت الخيل تفرق فيه الى بطونها . ولما وصلنا الى الدرجة ٨١ والدقيقة ٤ قتلنا فرساً من الافراس وابقينا هناك وديعة من لحمه ومن البسكوت والزيت اللذين كانا معنا واخذنا بقية اللحم اداماً

وفي ٢٦ نوفمبر وصلنا الى ابعدها وصلت اليه بعثة الدسكشري فرأينا سطح الجليد ليناً جداً يعسر السير عليه واصيبت الخيل بالبهر من بريق الجليد فقتلنا فرساً منها وابقينا جانباً من زادنا ومن لحمه حيث العرض ٨٢ درجة و٤٥ دقيقة ثم قتلنا فرساً ثالثاً في ٣٠ نوفمبر واستمر بنا السير جنوباً وجنوباً بشرق فدونا من سلسلة عالية من الجبال متجهة الى الجنوب الشرقي . وفي الثاني من ديسمبر اكتشفنا نهراً من الجليد (اي جليداً جارياً جرياً بطيئاً) طوله ١٢٠ ميلاً وعرضه نحو ٤٠ ميلاً فخاولنا الصعود عليه في ٥ ديسمبر وكانت فيه شقوق كبيرة حتى لم نستطع مرة ان نقطع اكثر من ٦٠٠ يرد في اليوم وفي ٧ ديسمبر سقط فرس من خيلنا في شق من هذه الشقوق واختفى لكننا انقذنا المستر ولد الذي كان معه

وتقشمت الغيوم في ٨ ديسمبر فاكشفنا سلاسل جديدة من الجبال متجهة الى الجنوب والجنوب الغربي وكنا مرتبطين بعضنا ببعض بسيور وحبال متينة حتى اذا وقع واحد منا في شق ينقذه الباقيون لانه يكون معلقاً بهم فوقنا مراراً ومجونا . واستمرت

الحال كذلك من ٦ ديسمبر الى ١٨ منه حتى بلغنا ما ارتفاعه ٦٨٠٠ قدم عن سطح البحر . وابقينا كل ما معنا حيث العرض ٨٥ درجة و ١٠ دقائق ولم نأخذ غير الزاد والآلات العلمية وخيمتين وقللنا طعامنا

وفي ٢٦ ديسمبر بلغنا سهلاً علوه ٩٠٠٠ قدم ثم ارتفع رويداً رويداً حتى صار علوه ١٠٥٠٠ قدم وتوالت علينا زوابع الثلج هناك وكانت الحرارة بين ٣٧ و ٧٠ تحت درجة الجليد

ولما رأيت ان قوى رفاقي قد خارت من قلة الطعام وخفة الهواء وشدة البرد عزمت على ان نضع جانباً من زادنا هناك وتقدم الى حد ما يصل اليه جهدنا فاخذنا خيمة واحدة وعرسنا اعمدة الخيمة الثانية في طريقنا لترشدنا في رجوعنا وسرنا في ٤ يناير واشتد عصف الثلج في وجوهنا واستمر ستين ساعة من غير انقطاع وكانت درجة الحرارة على ٧٢ تحت درجة الجليد وسرعة الريح سبعين ميلاً في الساعة حتى كان من المستحيل علينا ان نتقدم خطوة واحدة . وكاد البرد يهرأنا ونحن نيام في ايكاسنا . وفي التاسع من يناير استأنفنا السير فبلغنا الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي والدرجة ١٦٢ من الطول الشرقي وهي ابعد نقطة وصل اليها انسان حتى الآن فنصبنا هناك العلم الانكليزي الذي سلمتنا اياه الملائكة ولم نر على مدى بصرنا جبلاً ولا اكمة بل رأينا سهلاً منبسطاً الى القطب . ثم عدنا ادراجنا ولم نجد الاعمدة التي نصبناها لان العاصفة اقتلعتها . ولكننا رأينا آثار اقدمنا فارتشدنا بها وكانت العاصفة تهب من ورائنا فساعدتنا على السير وكنا نقطع ٢٠ الى ٢٩ ميلاً كل يوم ورأينا العاصفة قد ازالته الثلج عن نهر الجليد فصار شديد الزلق وفرغ زادنا في ٢٦ يناير ولم نستطع ان نقطع سوى ١٦ ميلاً في ٢٢ ساعة وبلغنا مكاناً من امكنة الزاد الذي وضعناه في طريقنا عصر السابع والعشرين من يناير

واصيب ولد بالدوسنطاريا من اكل لحم الخيل ولم يجيء ٤ فبراير حتى أصبنا كلنا بالدوسنطاريا ودامت معنا ثمانية ايام ولكن ريح الجنوب كانت تساعدنا على الرجوع وكنا كلما وصلنا الى مكان من الاماكن التي ودعنا فيها الزاد يكون الزاد الذي معنا قد نفذ كله . وانتكس مرشل وعاودته الدوسنطاريا فتركته في الطريق وتركت معه ادمس واسرعت انا وولد الى السفينة ثم عدت اليها في اول مارس ومعى رجال لا تقاؤها

وبلغت المسافة التي قطعناها ذهاباً واياباً ١٧٠٨ اميال والمدّة في السير والانتظار ١٢٦ يوماً . وقد جمعنا مجموعاً جيولوجياً كبيراً . ووجدنا طبقات الفحم الحجري في الصخور الكلسية ورصدنا الاحداث الجوية رسداً كاملاً واكتشفنا ثمانية من سلاسل الجبال واكثر من مئة جبل وصورنا كثيراً من انهر الجليد والقطب الجنوبي واقع في سهل يعلو عن سطح البحر عشرة آلاف قدم أو احد عشر ألفاً . وعلو سلاسل الجبال التي اكتشفناها يختلف بين ٣٠٠٠ قدم و ١٢٠٠٠ قدم . والعاصفة التي لقيناها عند الدرجة ٨٨ تدل انه ان كان حول القطب سكون فهو في فسحة ضيقة او هو ليس عند القطب الجغرافي . انتهى

ونحن ننشر هنا الخلاصة التالية ملخصة من مجلة ناشر

امتازت بعثة شكلتن على كل البعثات التي تقدمتها في انها ركبت المزالق فبلغت بها الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي فلم يبق بينها وبين القطب سوى ١١١ ميلاً فعرفت حالة تلك الاصقاع تماماً حتى القطب الجنوبي . واكتشفت فرقة منها القطب المغنطيسي الجنوبي واثبتت ان تلك الاصقاع برمتصل ولو علاه الجليد وقد وصلت البعثة على السفينة ممرود الى مضيق مكردو قرب جبل اريوس في اوائل سنة ١٩٠٨ وصعدت على ذلك الجبل وهو ركان عامل يقذف الدخان والغازات من جوفه ارتفاعه عن سطح البحر ١٣١٢٠ قدماً ووجدت انه كان له فوهة قديمة تعلو ١١٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وشنت هناك في كنف الجبل وانتظرت فصل الصيف حتى تتقدم في سيرها جنوباً نحو القطب ووجدت ان الاوتومويل خير وسائل النقل والانتقال على بحار الجليد . وافترقت هناك الى ثلاث فرق ، فرقة سارت على المزالق تجرها الخيول الصغيرة القد بقيادة شكلتن نفسه قاصدة القطب الجنوبي وفرقة بقيت في تلك الجهات تبحث في طبائع البلاد واحوالها الجوية وفرقة ضربت شمالاً وغرباً تفتش عن القطب المغنطيسي الجنوبي

اما الفرقة الاولى فشرعت في سيرها في ٣ نوفمبر الماضي فلم تسر طويلاً حتى اعترضتها عاصفة شديدة من الثلج اوقفتها اربعة ايام . ثم استأنفت السير الى ان وصلت الى بلاد مرتفعة يغطيها الجليد ويعسر التصعيد فيها لشدة سخوصها فلم تستطع ان تتقدم فيها اكثر من ستين متراً في اليوم . وصفا الجو في الثامن من ديسمبر فشاهدت الجبال تمتد جنوباً وشرقاً واستمرت في سيرها فصعدت ٦٨٠٠ قدم في اثني عشر يوماً اي قطعت ارضاً جبليّة

بلغ ارتفاعها ٦٨٠٠ قدم فكانها كانت تقطع في اليوم ما ارتفاعه ٥٦٦ قدماً وتركت اثقالها هناك حيث العرض ٨٥ درجة و ١٠ دقائق واخذت معها ما يقوتها بالتقدير وجعلت تمشي جنوباً وعواصف الثلج تعصف في وجهها والارض تزيد ارتفاعاً فبلغت ما ارتفاعه ١٠٥٠٠ قدم في ثمانية ايام واشتد عاصف الثلج حينئذ فمنعها عن السير ثلاثة ايام وكانت درجة البرد على ٤٠ تحت الصفر ، وفي التاسع من يناير صفا الجو نوعاً فتقدمت في سيرها حتى بلغت الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي و ١٦٢ درجة من الطول الشرقي وهو ابعد ما وصلت اليه فلم يبق بينها وبين القطب سوى درجة ٣٧ دقيقة او نحو ١١١ ميلاً والارض من هناك ، الى ابعد ما تراه العين في جهة القطب نجد مرتفع ولكن لا جبل فيه . ثم عادت ادراجها لانه لم يبق معها طعام يقوتها ان تقدمت اكثر من ذلك ولان المرض والتعب انهك قوى رجالها وقد لقيت من المشاق في ايبها اشد مما لقيت في ذهابها لان قلة الطعام اضعفت رجالها ولكن الرياح الجنوبية ساعدتها على الاسراع في السير فقطعت ١٧٠٨ اميال في ١٢٦ يوماً ووصلت الى رأس هت في ٤ مارس

والفرقة الثالثة التي ذهبت تقش عن القطب المغنطيسي سارت على المزالق شمالاً وغرباً وكانت الرياح الجنوبية الشديدة تساعدها تارةً وتعاكسها اخرى وكانت درجة البرد على ١٨ تحت الصفر فاهتدت الى القطب الجنوبي في السادس عشر من شهر يناير وهو حيث العرض ٧٢ درجة و ٢٥ دقيقة والطول ١٥٤ درجة وقطعت في هذا السفر ٢٦٠ ميلاً ولما ارادت الرجوع رأت ان الجليد الذي سارت عليه في ذهابها قد تمزق وتفرق الا ان السفينة نمرود فتشت عنها فوجدتها في ٤ فبراير وانقذتها من الهلكة

والامور التي علمتها هذه البعثة وارسلتها بالتلغراف هي هذه

اولاً— ان القطب الجنوبي واقع في ارض عالية يباغ ارتفاعها عشرة آلاف قدم او احد عشر الف قدم عن سطح البحر وحول تلك الارض سلاسل من الجبال يبلغ ارتفاعها من ثلاثة آلاف قدم الى اثني عشر الف قدم

ثانياً— ان الرياح الجنوبية تعصف هناك دواماً حتى قرب القطب في الاماكن التي سارت فيها تلك البعثة فان كان هناك رياح مضادة لها تهب نحو القطب فهي على الجهة المقابلة من القطب في الاوقيانوس الاثنتيني ولذلك فالارض العالية المغطاة بالجليد تمتد

مقتطف مايو سنة ١٩٠٩

حول القطب الجنوبي الى بعد شاسع

رحلته الاخيرة ووفاته

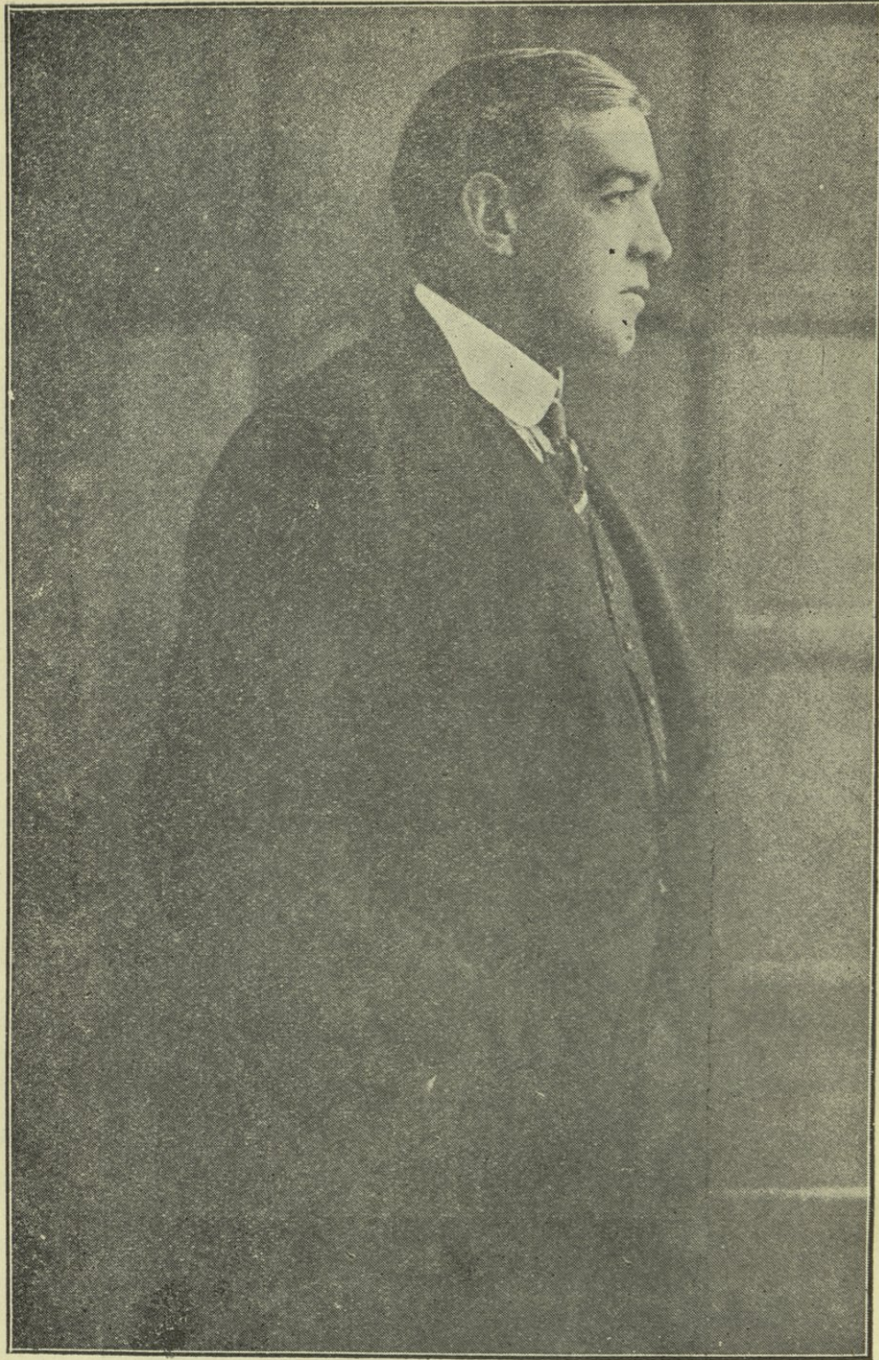
رجل مقدم من اشهر رواد القطب الجنوبي . توفي ذاهباً اليه في جيورجيا الجنوبية وهي جزيرة قفراء حيث العرض نحو ٥٥ درجة جنوباً والطول نحو ٣٧ درجة غرباً . ولقد لقي في رحلاته السابقة مخاطر كثيرة فنجا منها ولكن لما حمّ القضاء تغلب عليه اصغر الاحياء

ولد في ايرلندا سنة ١٨٧٤ وكان ابوه طبيباً فانتقل به الى مدينة لندن وهو فتى واراده ان يتخذ الطب حرفة له لكنه ابى لميل شديد فيه الى ركوب البحار واقتحام الاخطار . فسافر الى اميركا الجنوبية وغيرها من البلاد وانتظم في سلك البحارة الملكية . وبلغه أن الحكومة عازمة على ارسال بعثة لارتداد القطب الجنوبي فطلب ان ينضم الى رجالها فرفض طلبه فُلج في الطلب حتى قبل واقلعت السفينة في اغسطس سنة ١٩٠١ فجعل يتطوع للاشتراك في كل الاعمال ولو لم تكن مما يطلب منه . فاشترك في الابحاث الكيماوية والجغرافية وطالع ما كتبه رواد الاصقاع القطبية

ثم لما عزم سكوت على الذهاب الى القطب الجنوبي ذهب معه ووصلت هذه البعثة الى الدرجة ٨٢ والدقيقة ١٧ جنوباً وعادت ادراجها

وتولى بعد رجوعه اعمالاً مختلفة ولكن ميلاه الى السفر واقتحام المخاطر تغلب عليه فاستدان من اصدقائه مالاً اتباع به سفينة وجهازها بكل ما دله اختباره انه لازم لها ثم اقلع قاصداً القطب ، ولكن حالت الحوائل بينه وبين الغرض الذي قصد اليه واضطر ان يرتد عنه وهو على نحو درجة ونصف منه ، لكنه جمع هو ورجاله من الفوائد ما يعد في الدرجة الاولى بين الحقائق العلمية وانها لات عليه الاوسمة من الجمعيات الجغرافية فجعل يخطب في الاندية عما شاهده في رحلته الى ان جمع مبلغاً من المال اوفى به الدين الذي استدانه

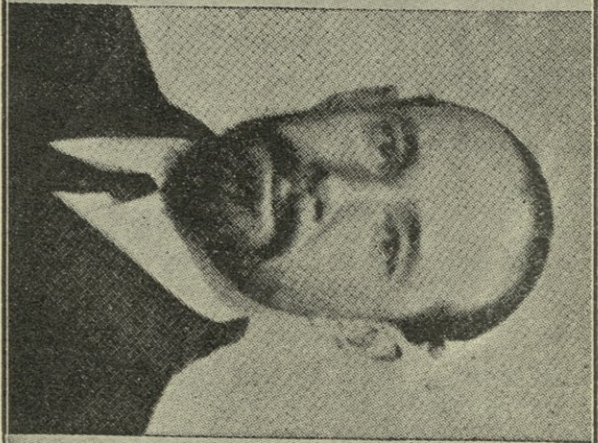
ومضى بعده امندسن وسكوت فبانما القطب الجنوبي كما يعلم قراء المقتطف فعزم شكلتون ان يقصده من الجهة المقابلة للجهة التي سارا فيها واستدان ما يكفي من المال وسار بسفينتين لكنه لم يوفق . وقد شرحنا سفرته هذه في المجلد التاسع والاربعين من المقتطف صفحة ١٠١ حيث قلنا ما خلاصته : —



الرحالة السرارنست شكلتون
انظر الرواد صفحة ١٩٦



امين
الرواد صفحة ٢٥٢



ولكنز



برد

« في خريف سنة ١٩١٤ شخص ارنست شكلتون الرحالة الانكليزي المعروف في جماعة من رجاله لاجتياز البلاد المسماة قارة القطب الجنوبي من طرف الى طرف . وكان يرجو عند سفره ان يكمل رحلته في بضعة اشهر ولكن الطبيعة عاندته فإخطأ حسابه فيما قدر لرحلته من المدة . فانه خرج في ٦ ديسمبر سنة ١٩١٤ في سفينة اسمها « انديورنس » من جزيرة جيورجيا الجنوبية وسار جنوباً بشرق ثم بغرب حتى اكتشف مكاناً على ساحل القارة المذكورة سماه ساحل كايرد طوله مئتا ميل ثم انقلب شمالاً لما لم يعد يستطيع السفر جنوباً . وكانت نقطة انقلابه تبعد ٦٥٠ ميلاً عن القطب الجنوبي . وانكسرت السفينة في اثناء الطريق فنزل هو ورجاله في جزيرة الفيل في منتصف ابريل وهناك ترك ٢٢ رجلاً من رجاله وترك لهم زاداً يكفيهم الى آخر مايو وركب هو واربعة آخرون قارباً من قوارب السفينة عائداً الى جزيرة جيورجيا التي سافروا منها فبلغوها سالمين في ١٠ مايو ثم قصدوا بونس ايرس في اميركا الجنوبية فبلغوها في ٣١ مايو . ولما بلغ الجزيرة المذكورة ارسل قسماً من الزاد الى رجاله الذين تركهم في جزيرة الفيل

وكان اول ما فعل بعد وصوله الى بونس ايرس انه سعى في تخليص رفاقه من جزيرة الفيل وساعدته الحكومة الانكليزية على ذلك فقصد هذه الجزيرة بنفسه ولكنه لم يستطع بلوغها لتكاثف الجمد فاشتد القلق في انكلترا على رجاله الذين تركهم فيها ولكنه لم ييأس بل ما زال يحاول الوصول الى الجزيرة المرة اثر المرة حتى فاز بأربه في المرة الرابعة فبلغها في ٣ سبتمبر فاستعلم عن رفاقه فعلم انهم سالمون فارسل تلغرافاً مقتضباً الى جريدة الدايلي كرونكل يقول فيه ما ترجمته « الجميع سالمون . الجميع بعافية » . ثم عاد برجاله الى انكلترا . وقد ارسل تلغرافاً الى الملك يخبره بنجاتهم فاجابه الملك بتلغراف قال فيه : « يسرني من صميم الفؤاد انك انجيت رفاقك الاثنين والعشرين فاهنتك . بنتيجة مساعيك الحسان في انقاذهم وبان النجاح كلل سعيك وآمل ان تعود بهم سالمين الى منازلهم عن قريب »

وقد رأينا مناظر رحلته هذه معروضة بالسما في باريس وكنا قد رأينا قبلها مناظر رحلة سكوت وهذه وتلك من ابداع ما رأته عين انسان . اما سفرته الاخيرة التي قضى فيها فلم يكن يقصد منها البلوغ الى القطب بل مجرد الابحاث والمكتشفات العلمية فوافاه القدر المحتوم على غير انتظار .

الاصقاع المتجمدة الجنوبية

ذكرنا غير مرة ان السفينة الانكليزية المسماة دسكشري اي الاكتشاف قصدت القطب الجنوبي لاكتشاف ما حوله فجمد البحر حولها ومنعها عن السير ولقي من فيها اشد المشاق قبل ان بلغتهم سفينة الصباح وانقذتهم . وقد كتب احد ضباطها وهو العالم شكلتون مقالة في مجلة بيرصن وصف فيها تلك الاصقاع وما لقوه فيها فاقتطفنا منها ما يلي لما فيه من الفكاهة والفائدة قال :

ان الاصقاع الجنوبية ابرد من الشمالية لان المياه الحارة تجري من خليج المكسيك شمالاً وتلطف بردها فلا يبلغ الحد الذي يبلغه في الجنوبية . ولكن في الاصقاع الجنوبية من الغرائب ما تتعلق به النفوس فترى الذين ذهبوا اليها مرة يودون الذهاب مرة اخرى رغماً عما يقاسونه من شدة البرد وقلة الطعام والبعد عن الاصدقاء والحلان وقد بنيت سفينتنا لكي تحتمل ضغط الجليد على جانبيها ولا تنكسر ولكي لا يتطرق البرد الشديد الى من فيها ولذلك لم نخش الوصول الى البحر المتجمد بل فرضنا جائزة لمن يشاهد الجمد اولاً ولما قال واحد انه شاهده في ظهر البحر هرعنا كلنا الى ظهر السفينة لنشاهد ما شاهده ولم يكن سوى كسر صغيرة طافية على وجه الماء ولكن لم يمض ذلك النهار حتى مخرت السفينة في الجليد ولم نعد نرى حولنا الا بساطاً ابيض يرصعه حيوان الفقمة وطار البنغوين . اما الحيوان فلم يعبأ بنا واما الطائر فكان يمشي الينا الخيزلي وهو يصرخ مستغرباً اعتداءنا على حماه كأنه شيوخ لبسوا رداء اسود تحته صدر ابيض

وكان الجليد رخصاً غير متماسك الاجزاء فمخرت سفينتنا فيه خمسة ايام متوالية وحينئذ وصلنا الى بر القطب الجنوبي وهو جبال شاهقة يغطيها الثلج تعلو عن البحر عشرة آلاف الى خمسة عشر الف قدم . تناطح السحاب وتعلو فوقه وتصب في البحر انهاراً من الجليد تنكسر وتجري فيه كقطع الغمام . وكنا نتشوف الى النزول على هذا البر لمشاهدة ما فيه من انواع النبات والحيوان فلم نجد فيه سوى قليل من الطحالب والاشنان وانواعاً قليلة من الطيور وحيوان الفقمة المشار اليه آنفاً . واما البلاد القطبية الشمالية التي من هذا العرض فانه يوجد فيها ثمانية عشرة نوعاً من النباتات المزهرة

وكثير من انواع الحيوان كالفقمة والدب والارنب والثعلب والسنجاب والقطا القطبي وتكبر الفقمة هنا حتى يبلغ وزنها الف رطل ومنها كان اكثر طعامنا وهي كثيرة الدهن ودهنها زنج تعافه النفس ولكن الجوع كافر فكنا اذا فرغ طعامنا ونحن في المزالق نرحب بكل قطعة من هذا الدهن ونسى خبث طعمه

وتزحف الفقمة على الجليد زحفاً بطيئاً ولا تخشى من الانسان لانها لم تره قبلاً ولا عرفت انه افتك انواع الحيوان . اما طائر البنغوين فكان يشور في وجه من يدنو منه لانا شاهدناه في زمن التفريخ وتدعوه سليقته حينئذ الى الدفاع عن فراخه وهو يبني ادحيه من حجارة صغيرة يلتقطها من الشاطئ وقد لا يبني ادحياً بل يضع بيضه على الصخر ويحضنه كذلك ويزق فراخه هكذا : ينزل الى البحر ويصطاد منه بعض السراطين ونحوها ويتلعا ثم يفتح فاه والفراخ تدخل رءوسها في حلقه وتأكل ما تجده فيه . ويسطو عليه الطائر البحري المعروف بالزءاق ويختلس فراخه ولذلك يعيش بعضه مع بعض اسراباً لكي يتعاون ويدافع عنها

هذا ما كنا نراه في فصل الصيف حين وصلنا الى هناك والصيف ستة اسابيع لا غير من منتصف ديسمبر الى آخر يناير فقضينا في التجوال حول البر. ولما وصلنا الى جبل اربوس الذي اكتشفه السرجس روس منذ ستين سنة وجدنا الدخان فوق قنته لانه بركان مشتعل تعلو قنته عن البحر ١٢٥٠٠ قدم ولكننا لم نر النار تخرج منه الا مرة واحدة وكنا نرقبه كل يوم لنعلم جهة الريح من اتجاه دخانه . وعزمنا ان نشي في سفحه ولو كنا نعلم ان ناره لا تخفف صبارة البرد

وكنا في الصيف لابسين ثيابنا العادية ثم اشتد البرد رويداً رويداً وبلغ درجة الصفر بميزان فارنهایت وانحط الى ما تحته فلبسنا احذية من الفرو وجعل الجليد يزداد سمكاً في اوائل فبراير ولم تعد سفينتنا تستطيع السير فيه لانه متهالك صلب لا كجليد الصيف المتخلخل فالقينا مرساتها ونحن نعلم اننا قادمون على ليل طويل يدوم مئة واثنين وعشرين يوماً فاعدنا كل ما يمكننا اعداده ليسهل علينا احتمال ذلك الليل الطويل ولما تراكم الجليد حول السفينة ومنعها من الحركة ربطنا حبالاً بها ومددناها في كل جهة حتى نهدي بها اليها لانه اذا عصفت العواصف في ذلك الليل البهيم لا يعود الانسان يرى شيئاً فيضل السبيل

اتفق ان اثنين من رجالنا اضاعا الجبل مرة ولم يكونا قد ابعدا عنه الا قليلا فبقيا ساعتين يفتشان عنه قبل ان اهتديا اليه ووصلا الينا وقد هرا البرد وجهيهما اعني بذلك ان البرد يقاص الاوعية الشعرية ويطرد الدم منها فيبيض اللحم ويموت ما لم يبادر المرء الى فركه لارجاع الدم اليه

والليل القطبي منقطع النظير لا يعلمه الا من مر عليه . افرض انك في قفر قاحل لا نبات فيه ولا حيوان ولا علامة من علامات الحياة وذلك القفر جليد بحت وانت مقيم فيه مع رفاقك منقطعين عن الناس تمام الانقطاع لا يصل اليكم منهم شيء ولا يصل شيء اليهم منكم وقضي عليك ان تقيم هناك شهراً بعد شهر بعد آخر اربعة اشهر متوالية في ظلام دامس والرياح تهب باردة حتى اذا كشفت وجهك او يدك هراهما البرد ولا شيء يسليك الا حديث اصحابك . اذا تصورت ذلك امكنك ان تتصور حال من يشقي في الاصقاع القطبية ويمر عليه ليلاها البهيم . اما نحن فلم نضجر لاتنا كنا على تمام الصفاء وكنا قد اعددنا اشياء كثيرة لتسليتنا وحالما ابتداء فصل الشتاء لبسنا ثياب الفرو وثوباً صفيقاً فوقها مما يمنع دخول الهواء فصار يسهل علينا الخروج ولو في اشد العواصف

وهبطت درجة الحرارة رويداً رويداً حتى صارت ٤٠ تحت الصفر بميزان فارنهييت ولكن شعور الانسان واحد سواء كان البرد على ٣٠ تحت الصفر او على ستين تحت الصفر لا يرى الفرق بين الدرجتين الا اذا نظر الى ميزان الحرارة . وكنت اشعر احياناً بلسع في وجهي كلسع الزنايز فاعلم ان البرد هرا هرا فاجعل أفركه يدي الى ان اعيد الحرارة والدورة الدموية اليه ولم تكن نستطيع ان نكشف ايدينا اكثر من دقيقتين او ثلاث. اما وجوهنا فكنا نلزم ان نبقها مكشوفة حول افواهنا والا اجتمع البخار منها على اجفاننا وجلد هناك . وقد تهب الرياح في وجه المرء فيجلد نفسه على وجهه ولا بد له حينئذ من ان يدور من وجه الرياح وينزع كفه من يده ويفرك وجهه شديداً والا هرا البرد والا الصق اجفانه واعماه . واضطررنا ان نحلق لحانا وشواربنا لان بخار النفس كان يجتمع عليها ويجلد ولم تكن نستطيع ان نلمس شيئاً معدنياً لان بردها كان هرا اليد . واتفق ان كلباً رأى اناء من الصفيح مما يوضع فيه الطعام فمد لسانه ولحسه فلصق لسانه به

ولما ابتداء فصل الشتاء خرج البعض منا في المزالق فلقوا عاصفة شديدة كانت تعصف

الثلج في وجوههم وحاولوا الوصول الى اكمة يستدرون بها فلم يستطيعوا وشعروا ان
البرد اخذ يهرأ وجوههم وكان معهم خيمتان فنصبوهما حالا ولجأوا اليهها ولو تأخروا
خمس دقائق لقضي عليهم لانه لا يبقى فيهم قوة لنصب الخيمة

وكانت هذه العواصف من اشد البلايا علينا لاسيما وانها كانت تمور من غير انذار
حتى لا نكاد نجد الوقت الكافي لنصب الخيام والالتجاء اليها وكان العاصف يدوم احيانا
يومين او ثلاثة فلا تتجاسر على الخروج الا لاخذ الارصاد الجوية

وكان لا بد لنا من الخروج في المزالق لمعرفة تلك الاصقاع وما فيها وهو الغرض
الذي ذهبنا لاجله فكنا نخرج بها والكلاب والخيام وهذه الخيام صغيرة تسع الخيمة
منها ثلاثة رجال وكانونا يشعلونه ويسخنون عليه طعامهم وقد يضطرون ان يقيموا
فيها يومين او ثلاثة او اكثر لا يستطيعون الخروج منها ثم اذا ارادوا الخروج وجدوا
الثلج قد طمرها

والكلاب التي كانت معنا من كلاب سيبيريا المعتادة البرد وكانت ثلاثة وعشرين
فقط لاننا لم نحسب اننا نزل على البر وحبذا لو اخذنا معنا ستين او سبعين كلباً فكنا
اذاً وصلنا الى القطب الجنوبي على ما اظن . وولد عندنا تسعة اجراء في فصل الشتاء
ولكنها لم تقو مثل امهاتها

واصطدنا كثيراً من طائر البنغوين المائي وهو نادر ووجدنا بيضة من بيضه وهي
الوحيدة وهذا الطائر لا يبني عشاً ولكن للانثى شيء ككيس من الريش حول رجليها
فتضع بيضها فيه وتربي هناك فراخها فلا يهرأها البرد واذا سقط فرخ من امه اسرعت
الطيور كلها اليه لتنتشله فتمزقه ارباً في الغالب من حنانها عليه

ولما التى الشتاء عصاه لم نعد نجد ان نبعد عن السفينة لكننا كنا نخرج منها احيانا
الى اكمة قريبة منها ونصعد عليها ونزل ترويضاً لاجسامنا او نقطع الثلج ونأتي به الى
السفينة لندوبه ماء ونفطر الساعة الثامنة صباحاً ثم نتعاطى اعمالنا المختلفة بعضنا يجرف
الثلج عن السفينة وبعضنا يرفأ الغطاء الذي يغطيها او يصبر جلود الطيور والفقاقم او
يسبر غور البحر او يصطاد الحيوانات البحرية . وقد اصطاد العالم البيولوجي الذي
كان معنا خمس مئة صنف من الحيوانات البحرية الجديدة من انواع السراطين وعناكب
البحر والمحار مما يعيش في البحر او يسبح فيه وكان اذا اراد ان ينظف عظام فقمة

من لحمها يضعها في شبكة حيث يصل اليها ماء البحر تحت الجليد فتأتي السراطين ونحوها من الحشرات البحرية وتأكل اللحم عن العظم وتنظفه في يومين وكان معنا اجزاء كوخ كبير اقناه على الشاطئ حتى نقيم فيه اذا انكسرت السفينة فجعلناه ملعباً كنا نمثل فيه بعض الالعب الهزلية وانشأنا جريدة شهرية سمينها تيمس القطب الجنوبي كنا نشترك في كتابتها وزرعنا قليلا من الرشاد والجرجير في غرفة المرضى فنبتنا واطعمناها لفريق منا كان قد ذهب على المزالق وعاد اليها . وكان في هذه الغرفة موقدان لتدفئتها وكنا نقيم فيها غالباً لان حرارتها كانت دائماً على الدرجة ٥٥ بميزان فارنهایت ولم تنقطع عن رصد الحوادث الجوية كل ساعتين لا نهائياً ولا ليلاً

كانت سفينتنا على ما نبتغي راحة ودفئاً ونوراً وبهجة وسكوناً ولكن اذا فتحنا بابها وصعدنا الى ظهرها فهناك ليل بهيم وعصف الرياح يصم الاذان والزهمير يجلد به الدم في العروق والجلد في الهواء يدخل العيون فيعميها ويسد الافواه فيقطع الانفاس غير ان هذه الاحوال لم تدم فان العواصف كانت تهجم احياناً ويشرق البدر ويفيض نوره على ما حولنا من السهول والهضاب فيكسوها حلة من البهاء ويظهر في طرف الافق ضوء مستطير يدل على ان الشمس لم تزل في الوجود ولو كانت محجوبة عن الابصار . وجبل النار العظيم قائم في ذلك السهل الفسيح يشمخ بانفه الى السماء والدخان مسردق فوق هامته كغمامة قوراء — وقد كنا ثمانية واربعين رجلاً ولم يكن غيرنا في تلك البلاد . وها فقررة مما كنت اكتبه في يومتي

« الثلاثاء في ١٩ يونيو سنة ١٩٠٢ صعدت الى قنة الكاس انا وولسن وكان الثلج يسقط والرياح تعصف والظلمة دامسة والثرموتر على ٤٦ تحت الصفر . جلد البرد اتف ولسن ثم اصطدنا فقميتين وخروج الفقاقم الى البر نادر في هذا الوقت وذهب هدى الى غرفة المائدة ومعه العناكب والسراطين التي اصطادها لكي يشرح طبائعها للرفاق وكل منا يشرح لهم في دوره بعض الامور العلمية مرة في الاسبوع . وقد رفعت درجة الحرارة في غرفة الجلوس فوق الستين فذاب الجليد في غرفتي وبلل ثيابي »

ولما عادت الشمس في الثاني والعشرين من شهر اغسطس خرجنا من السفينة كلنا لاستقبالها ولا يعلم ما يشعر به المرء من البهجة حين رؤية الشمس الا اذا حجبت عن

بصره شهوراً متوالية. فنظرنا الى السماء كلنا كأن فيها عنصر الحياة وتلقفنا اشعة شمسها كما يتلقف العطاش بارد الماء حتى الغيوم رققت طرباً وتوشت حواشها بالوان قوس السحاب. ولما توارت الشمس في الحجاب وانبسط الشفق وراءها ظهر فيه الهلال كالعرجون القديم

ودنا حينئذ زمن المزالق فجعلنا نمرن الكلاب على جرها ونعد الخيام والمؤن وكان لا بد لنا من ان نزن كل شيء وزناً دقيقاً لان المرء لا يستطيع ان يجز اكثر من زاد ستة اسابيع واذا اردنا ان تطول مدة سفرنا اكثر من ذلك فلا بد من تقليل طعامنا

ولما شرعنا في السير كان الترمومتر على ٥٧ تحت الصفر أي ان البرد كان على اشدّه فلم نسر تسعة ايام حتى اضطررنا ان نعود ادراجنا من شدة البرد ولم نكن نلجج ثيابنا بل كنا ننام فيها الا جواربنا فانتا كنا نلججها ليلاً والا جلدت اقدامنا لان الاقدام تدفأ بانحصارها ضمن احذية الفرو فتترطب ثم تبرد وتجهد

وكنا ننام في اكياس صفيقية لا يدخلها الهواء كان ثقل الكيس منها اولاً ١٤ رطلاً ولكنها ثقلت رويداً رويداً بما تجمع عليها من البخره انفاًسنا فبلغ ثقل الكيس منها لما رجعنا ٢٨ رطلاً. وكنا في الصباح نلف الكيس لنحمله وفي المساء ننشره وندخل فيه فتذيب حرارة ابداننا بعض الجليد اللاصق به او المتخلل نسيجه فيصير داخله رطباً ونعلق جواربنا خارجاً عسى ان تتبخر الرطوبة منها فتجدها في الصباح مجلودة فنضع اقدامنا فيها رغماً عنا ويمضي على الواحد منا ثلاثة ارباع الساعة قبلما يتمكن من لبس جواربيه وحذاءيه. فكنا نهض الساعة الخامسة صباحاً فنقضي ساعتين في رفع اثقالنا قبل الشروع في السير ولم نكن نشعر براحة الا حين نعود الى اكياسنا في الليل التالي وندخل قليلاً من التبغ اما ونحن سارون جنوباً فلم نستطع ان نحمل التبغ معنا، فخرمنا تلك اللذة ثلاثة اشهر متوالية وبلغنا حينئذ الدرجة ١٧ و ٨٢ من العرض الجنوبي فابعدنا مئتي ميل عن ابعدها وصل اليه غيرنا جنوباً ولم نلجج ثيابنا الا مرة واحدة وكنا حينئذ ثلاثة انا والدكتور ولسن والقبطان سكوت وقضينا في ذلك السفر ٩٤ يوماً وكنا نسير في اليوم ١٥ ميلاً فلا نتقدم اكثر من خمسة اميال لان كلابنا مات اكثرها فكنا نضطر ان نتقدم خمسة اميال بنصف مزلقنا ثم نعود ادراجنا

ونجر النصف الثاني ودمنا على ذلك شهراً من الزمان الى ان بلغنا مرتفعاً من الارض حيث نستطيع ان نبقى بعض امتعتنا ولا نضل عنها فابقينا هناك كل ما يمكننا الاستغناء عنه وسرنا ببقية الامتعة والكلاب سيراً حثيثاً وجعلنا نقتز على انفسنا في الطعام فلا نأكل الا قليلا من السكر واللحم المقدد والبسكوت ولم يعد معنا ما نطعم الكلاب فكنا نذبح الكلب منها ونطعم رفاقه لحمه فعاش بعضها على بعض . وبلغ النصب منا ان صرنا لانستطيع في المساء رفع اقدامنا ودخول الخيمة ما لم نرفعها بايدينا . وصرنا نحلم بالطعام لشدة ما عرانا من الجوع وكثيراً ما كنت احلم ان امامي قطائف بحلوى وامد يدي اليها فتختفي من امامي . وكان واحد من رفيقي يحلم انه يأكل دائماً لكن الطعام لا يشبعه فيبقى جائعاً . ومرة الايام ونحن نقدم في سيرنا رويداً رويداً الى الحادي والثلاثين من ديسمبر فبلغنا ابعد نقطة وصلنا اليها ونشرنا هناك العلم البريطاني

وها خلاصة ما كتبت في يومتي في ٢٥ ديسمبر يوم عيد الميلاد سنة ١٩٠٢

اليوم من اجمل الايام واقلها برداً واصفاها سماء ولقد اسرعنا في سيرنا بعد ان خففنا اثقالنا فصرنا نقطع عشرة اميال في اليوم . افطرننا على قليل من اللحم والبسكوت ومربي كبوش العليق وقد اتينا به معنا من السفينة لهذه الغاية . اكل كل منا ملعقة منه ثم صوّرت رفيقي والعلم البريطاني فوق رأسيهما . ومشينا بعد ذلك اربع ساعات وجلسنا للغداء وسخنا طعامنا قبل اكله وكان دوري في الطبخ . ومشينا ثلاث ساعات ونصبنا خيمتنا للمبيت وسخنت طعام العشاء وكان عشاءنا فاخراً فيه الكوكوى والبلم بدن وعز منا ان لا نبعد اكثر مما نصل اليه في الثامن والعشرين من الشهر لان علامات مرض الاسكربوط كانت قد بدت فينا

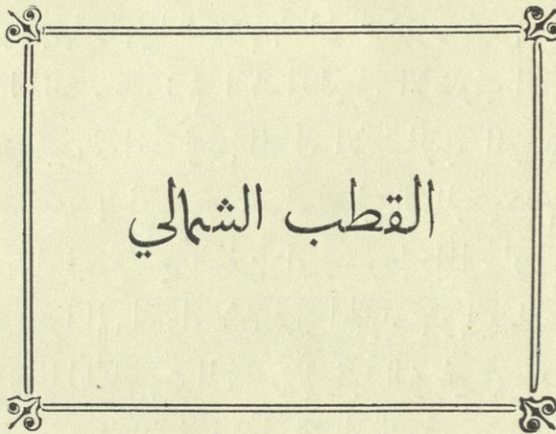
« لكننا واصلنا السير حتى الحادي والثلاثين من الشهر ووقفنا حيث وصلنا وعن يميننا جبل شاهق يناطح السحاب ارتفاعه اربعة عشر الف قدم والجنوب والشرق منا سهل منبسطة من الجليد لا احد له غير الافق والى الشمال شمس مشرقة يتدفق النور منها وهي تدور حولنا يوماً بعد يوم من غير ان تغرب . وقد نفذ اكثر طعامنا وبدت علامات الاسكربوط فينا ولم يبق من كلابنا الا القليل وصار بعدنا عن السفينة نحو ٣٠٠ ميل فاضطررنا ان نعود ادراجنا رغمنا عن انوفنا فحولنا وجوهنا نحو الشمال وسرنا القهقري على ما بنا من التعب والضعف

« ثم اعترانا البهر فان نور الشمس كان ينعكس عن الثلج ويعمي بصرنا والذي يصاب بذلك يضطر ان يربط عينيه ويسير متمسكاً حتى اذا انقضى سير النهار لم يجد في المساء غير قليل من الطعام لا يشبع جائعاً وهاك فقرة مما كتبتُه ونحن راجعون .
 « ١٠ يناير مضى عليّ يومان لم استطع ان اكتب فيها كلمة لاني كنت مصاباً بالبهر .
 ذبحنا « كد » البارحة ومات « بوس » (اسما كلبين) سرنا خمسة اميال ونصف ميل قبل الظهر وثلاثة اميال ونصف ميل بعده . عصفت الريح ومعها ثلج رطب فذاب الثلج في خيمتنا وقضينا الليل كأننا في بركة ماء ولم يبق معنا الا ثلاثة كلاب «
 « ١١ يناير لا تزال الريح تهب ومعها ثلج ناعم رطب . سرنا ثمانية اميال ولم يبق معنا الا كلبان »

ووصلنا الى حيث تركنا امتعنا فحمانا الطعام وتركنا كل ما سواه واصابني نزف دم هناك فلم اعد اعني على شيء ولولا رفيقاي لقضي عليّ فانهما جراً المزالق وحدهما وكانا يعاوناني على السير مع ما بهما من الضعف وبلغنا سفينتنا في الثالث من شهر فبراير فوجدنا هناك السفينة المسماة بالصباح وكانت قد ارسلت للتفتيش عنا واتقاذنا . وذهب رفاقنا فرقاً فرقاً للبحث والاستقصاء فاتي اكثرهم من المشاق اكثر مما لقينا انتهى
 وخلاصة ما يقال عن سفر هذه السفينة ان جماعة من الانكليز — محيي الاكتشاف الراغبين في مصلحة وطنهم ورفع شأنه واحراز قصب السبق له في كل مفخرة — اكتبوا بمال لارساله الى ابعد ما وصل اليه الناس جنوباً لاجل المكتشفات العلمية ورفع العلم البريطاني على ما يمكن ان يكتشف من الاراضي فعاوتهم الحكومة الانكليزية بخمسة واربعين الف جنيه واقلمت السفينة من بلاد الانكليز في السادس من شهر اغسطس سنة ١٩٠١ بقيادة القبطان سكوت بعد ان زارها الملك والملكة فبلغت زيلندا الجديدة في اوائل ديسمبر وغادرتها ليلة عيد الميلاد وكان فيها حينئذ ١١ ضابطاً و٣٧ بحاراً و٢٣ كلباً من كلاب المنطقة الشمالية لجر المزالق فسارت اولاً ١٠٠٠ ميل الى الجنوب ووجدت الثلج هناك فخاضت فيه ٥٠٠ ميل وبلغت شاطئ البر الجنوبي في ٩ يناير سنة ١٩٠٢ والظاهر ان حول القطب الجنوبي برأً واسعاً اوسع من استراليا . والقطب الجنوبي في مركزه فلما بلغت سارت بازاء شاطئه الشمالي ثم عادت الى لحف جبل اريس حيث شئت وهو بركان كبير يبعد عن زيلندا الجديدة نحو الافي ميل جنوباً واطبق الليل

عليها من ابريل الى اغسطس ووجد البحر حولها مسافة مئات من الاميال وبقي كذلك نحو عشرة شهور فانقطعت اخبارها

وفي اوائل نوفمبر قام القبطان سكوت والدكتور ولسن والملازم شكلتون واخذوا الكلاب كلها معهم وساروا جنوباً وجرى لهم ما اشير اليه في الفصل السابق ولما رجعوا وجدوا ان السفينة التي بعث بها الجمعية الجغرافية الملكية وهي المسماة بالمورنج (الصباح) قد جاءت لمعونتهم فوصلت اليهم كثيراً من الزاد وكذلك وصلت اليهم سفينة أخرى اسمها ترانوكا وبعد عناء شديد انفك الجليد من حول سفينة الدسكشري وعادت الى انكلترا بمن فيها من الرجال وما جمعوه من الآثار الطبيعية وما كتبوه من الارصاد الجوية والفلكية وكان لرجوعها شأن كبير في اوروبا وقد جاءتنا شركة روتر التلغرافية بتلغراف في اول ابريل من مدينة لتون تقول فيه « وصلت السفن الثلاث المرسلة الى جهات القطب الجنوبي (وهي دسكشري ومورنج وترانوكا) وقد ادركت الاخيرتان الاولى في فبراير فوجدتا كل من فيها بخير وقضى علماءها والرواد فيها فصل الشتاء سنة ١٩٠٣ في اجاثم العلمية ثم جاء الربيع وكلهم في الصحة والاعتدال. وقد تحققوا ان بلاد فكتوريا لند تمتد الى الداخل على ارتفاع تسعة آلاف قدم فاستدلوا من ذلك على وجود بر واسع مرتفع حول القطب الجنوبي » هذا شأن الاوروبيين يبذلون النفس والنفيس في البحث والاستقصاء لكي تتسع معارفهم ويكون لهم السبق في كل شيء (مقتطف مايو سنة ١٩٠٤)



القطب الشمالي

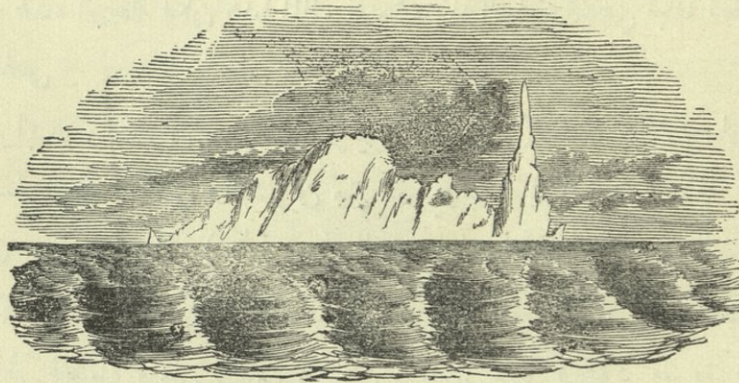
الدكتور نذسن و الرحلة القطبية

دفعت جريدة الدايلي كرونكل الانكليزية الى الدكتور نذسن الرحلة الشهيرة اربعة آلاف جنيه على ثلاث رسائل مختصرة وصف بها سياحته في الانحاء القطبية . فتشوف كثيرون من القراء الى مطالعة هذه الرسائل والاطلاع على ما فيها من الغرائب فرأينا ان نوافيهم بترجمتها وابقينا الكلام بلسان الدكتور نذسن مع ايجازنا فيه واضفنا اليه صوراً تم بها الفائدة . قال : لم اكد انظر في الاسلوب الذي يجري عليه رواد الانحاء القطبية حتى تبين لي انه ليس افضل الاساليب الموصلة الى المراد . وكان المعروف ان الجليد الذي يغطي البحر حول القطبة الشمالية يتقدم من الشمال الى الجنوب رويداً رويداً فيمنع سير السفن او يكسرها واذا سار الناس عليه بالمزلق بقوا في مكانهم او رجعوا الى الورا لان سير الجليد جنوباً يساوي سير المزلق عليه شمالاً او يزيد عليه . اما انا فانتبهت الى امر لم يتنبه اليه غيري وهو ان بعض الاشياء مما كان في السفينة « جنت » التي غرقت في الشمال الشرقي من جزائر سيبيريا الجديدة وجدت على الشاطئ الجنوبي الغربي من جزيرة غرينلندا فقلت في نفسي ان هذه الاشياء لم تبلغ شاطئ غرينلندا الا لانها جرت من نفسها على سطح الجليد ومرت على القطبة الشمالية في طريقها وعليه فاذا التصقت سفينة ببحر الجليد الذي يغطي الجهات الشمالية الشرقية وسامت نفسها لرحمته فهو يجري بها من نفسه كما جرى بتلك الاشياء من سيبيريا الجديدة الى غرينلندا . وجاهرت برأيي هذا في الجمعية الجغرافية الملكية بخطبة القيمة فيها في نوفمبر (٢) سنة ١٨٩٢ بانياً كلامي على الامور الثلاثة الآتية وهي

- (١) وجود قطع من الخشب على شاطئ غرينلندا وارده من سيبيريا
- (٢) وجود بعض عصي الاسكيمو على شاطئ غرينلندا وهي مما يرميه الاسكيمو للصيد في بلاد الاسكا

(٣) عظم جبال الجليد التي تجري عند شاطئ غرينلندا الشرقي فان جرمها يدل على انها جرت مسافة طويلة في بحر مغطى بالجليد (كما ترى في الشكل الاول على الصفحة التالية وهو صورة قطعة كبيرة من الجليد جارية في البحر كالجيل الكبير)
ووجدت على الجليد الذي يجري في البحر شرقي غرينلندا غباراً ثبت بالبحث

فيه ميكروسكوبياً أنه من غبار سيبريا وهذا يدل دلالة واضحة على أنه جرى من نفسه من شواطئ سيبريا الى شرقي غرينلندا . وقلت في ختام تلك الخطبة انه يتبين من هذه الادلة ان في الاقطار القطبية تياراً يجري من البحر شمالي سيبريا وبوغاز بهرنغ الى البحر الذي بين سبتسبرجن وغرينلندا ماراً بارض نرس جوزف ولذلك فمن شاء دخول تلك الاقطار المجهولة فعليه ان يسلم نفسه للجايده بقرب جزائر سيبريا الجديدة فيجري الجليد به عفواً في تلك الاقطار غير سائل اجراً ولا شكوراً



الشكل الاول

(تظهر هذه الاماكن للقارىء من النظر الى الشكل الثاني على الصفحة التالية وهو خريطة القطبة الشمالية والبحار والجزائر والبلدان التي حولها الى حد الدائرة الشمالية . وقد رسمنا فيه طريق نسن في ذهابه وايابه كما سيجيء)
ولم اقل حينئذ ان هذا السبيل يوصل الى القطبة الشمالية نفسها بل انه يوصل الى انحاءها المجهولة وهي الغرض المقصود بالذات

واتضح لي حينئذ انه يمكننا ان نتال هذا الغرض باسلوب من اسلوبين الاول ببناء سفينة متينة جداً تحتمل ضغط الجليد فنذهب بها الى حيث الجليد يجري من نفسه كما تقدم وتقيم فيها ونسلمها الى رحمته فيجري بها رويداً رويداً الى ان يمر بالاقطار الشمالية المجهولة . والاسلوب الثاني ان نسير في قوارب صغيرة الى حيث الجليد يجري من نفسه وننصب خيامنا عليه وتقيم فيها وهو يجري بنا وبها فيعبر الاقطار المجهولة . واخترت الاسلوب الاول ولكنني اخذت الاهبة للاسلوب الثاني ايضاً اذا تغلب ضغط الجليد على سفينتنا فكسرهما . وبذلت الجهد حتى تكون السفينة مما يحتمل كل ضغط

مهما كان شديداً واهتديت الى رجل زوجي من صانعي السفن بنى لي سفينة لم يبن
امتن منها قط بالنسبة الى جرمها وهي سفينة الفرام التي دخلت بي الاقطار القطبية
وعادت منها سالمة (وهنا اظن في وصف هذه السفينة وكال معداتها وقال انه لولا
اتقانها ما بلغ تلك الاقطار . واسهب في اعتراض الناس عليه ومنهم الجزال غريبي
الرحالة الاميركي الشهير . ثم قال)

إلا ان ذلك كله لم يثن من عزمي . وكان مجلس النواب الزوجي قد وهبني المال
الذي طلبته لهذه الرحلة لكن هذا المال نفد في بناء السفينة فنحنى مبلغاً آخر من المال
عن طيب نفس

وفي الرابع والعشرين من شهر يونيو (حزيران) سنة ١٨٩٣ سارت السفينة
على اهبه السفر وفي الحادي والعشرين من شهر يوليو (تموز) بلغنا مرفأً فرردو وهو
اقصى مرفأء زوج الشمالية (كما ترى في الشكل الثاني) فقمنا منه وسرنا شرقاً واخذنا
في طريقنا ٣٤ كلباً من كلاب المزالق السيبيرية وظلنا نسير الى ان دخلنا بحر كارا
الكثير المخاطر فلقيناه مغطى بالجليد ولكن لم يتعذر علينا وجود طريق فيه بجانب
الشاطيء فسرنا الى ان ضيق الجليد علينا الخناق ومنعنا عن السير . وكان ذلك في
السادس من شهر اغسطس (آب) فنزلنا على الشاطيء وقضينا الوقت في البحث عن
نباتات البلاد وبنية ارضها وضافنا هناك اثنان من السكان وهما آخر من شاهدناه
من نوع الانسان

وفي الثاني عشر من اغسطس انفتح الجليد في طريقنا فسرنا الهوينا وكانت
العواصف تهب في وجوهنا من الشمال الشرقي فتعيق سيرنا ودامت على ذلك اياماً
واسابيع الى ان بلغنا ميناء دكسن وكنا عازمين ان نبقى رسائنا هناك لكي يعود بها
الرحالة وغنس الانكليزي الى اهلنا لكن الفرصة كانت آتت من ان نضيعها بالنزول
الى البر فواصلنا السير واكتشفنا جزائر كثيرة امام شاطيء سيبيريا لم تكن معروفة
ورأينا ذلك الشاطيء يختلف عما يرسم في الخرائط عادة وهو كثير الاجوان والخلجان
والصخور والجزائر . ظاهره يدل على ان انهر الجليد تجري فيه وان بلاد سيبيريا
كانت مغطاة ببحر من الجليد منذ عهد غير بعيد

وفي العشرين من اغسطس نزلنا على بعض الجزائر واصطدنا دينين وبعض الايائل

ولما اردنا استئناف المسير عصفت الانواء فصدتنا اربعة ايام وحاولنا حينئذ ان نسير شمالاً فصدتنا الجزائر والجليد المتراكم فعدنا ادراجنا وعزمنا ان نشقي في تلك الانحاء لكن العواصف كسرت الجليد وفتحت لنا طريقاً فيه فعاودنا السير في السادس من سبتمبر (ايول) وكنا حينئذ في بوغاز تامير وهو أضيق مما يرسم في الخرائط . وسرنا نحو راس تشليوسكن فبلغناه في ٧ سبتمبر وحينئذ ضيق علينا الجليد الحناق فوقفت السفينة ونزلت الى البر فرأيتُه سهولاً فسيحة فيها كثير من حجارة الغرانيت الكبيرة مما جرت انهر الجليد به في غابر الزمان ثم طرحته في طريقها حينما ذابت

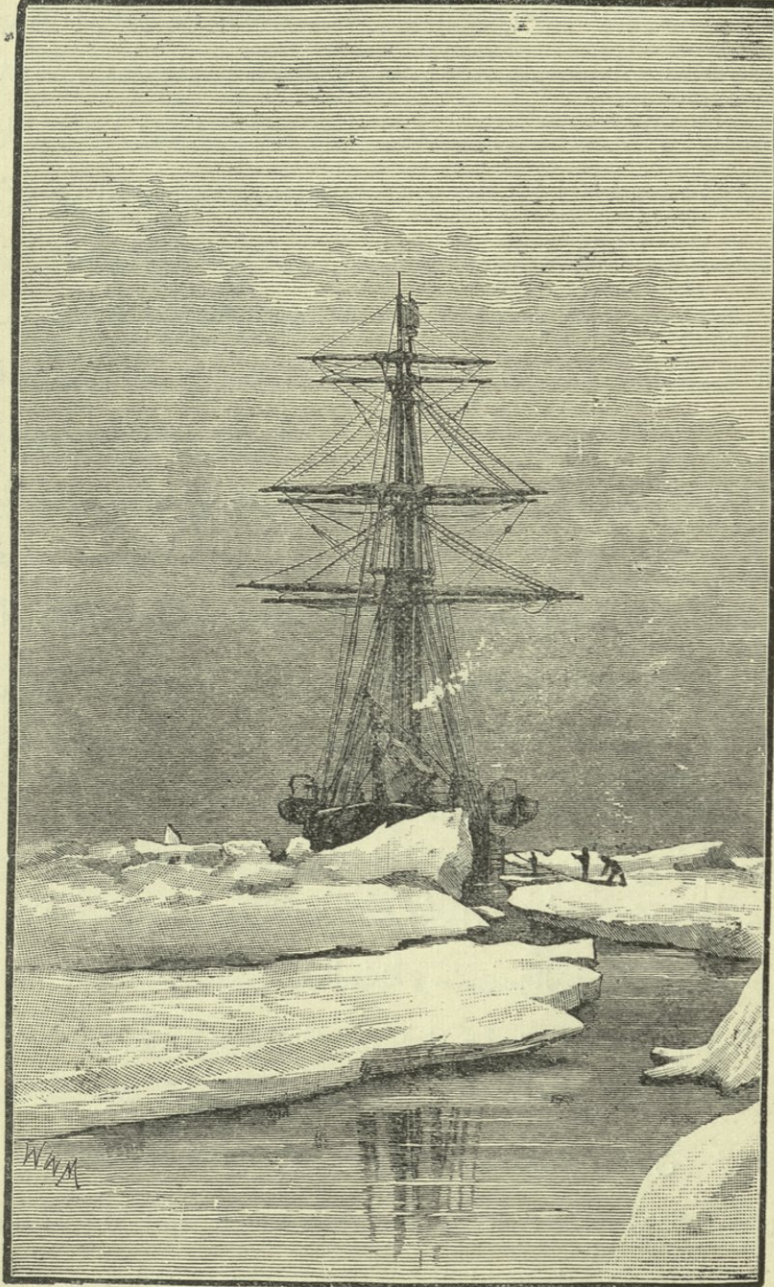
وفي التاسع من سبتمبر انحل قيد الجليد فسرنا شمالاً ولكننا لم نبعد كثيراً حتى اعترضتنا جبال الجليد فصدتنا عن السير . وفي الخامس عشر منه وصلنا الى امام نهر اولنك فوجدنا ستة وعشرين كلباً من كلاب المزالق في انتظارنا وكان البارون تول قد اعدنا لنا لان كلاب شرقي سيبيريا اقدر على الجري واحتمال المشاق من كلاب غربها . ولم اجسر ان ادنو من الشاطئ لان البحر رقارق نحفت ان تجنح السفينة بنا فنضطر ان نقيم السنة كلها هناك فسرنا سيراً حينئذ حتى مررنا امام جزر سيبيريا الجديدة وكان البارون تول قد اعد لنا المعدات اللازمة في تلك الجزائر حتى اذا اضطررنا ان نترك السفينة نجد من المؤونة ووسائل السفر ما يسهل علينا العودة الى بلادنا لكنني لم انزل الى البر لاراها وبقينا سائرين الى العشرين من سبتمبر وحينئذ قام الجليد في وجهنا كالسور المتيع

وفي الثاني والعشرين من سبتمبر سنة ١٨٩٢ لصقت سفينتنا بجبل من الجليد والتحمت به وكنا حينئذ عند الدرجة الثامنة والسبعين والدقيقة الخمسين من العرض الشمالي والدرجة ١٣٣ والدقيقة ٣٧ من الطول الشرقي وللحال احاط بنا الجليد من كل ناحية فسلمنا نفسنا له فجرى بنا شمالاً في اول الامر ثم عصفت الرياح الشمالية فردتنا جنوباً حتى خفنا ان تجبط كل مساعينا وظللنا على مثل ذلك الى الثامن من نوفمبر وحينئذ عاد الجليد يجري بالسفينة الى الجهة الشمالية الغربية كما قدرت في اول هذه الرحلة واشتد ضغطه على السفينة في اوائل اكتوبر ودام فصل الشتاء كله وكان يزيد وينقص مرتين كل يوم بحسب المد والجزر ولذلك اشتد فعله ايام مد الربيع وكنا نسمع لوقوعه على السفينة اصواتاً قاصفة ترتعد لها فرائصنا ولولا ماتتها الفاتكة الحد لسحقها سحقاً ولكنه لم يؤثر فيها اقل تأثير . وكثيراً ما كان صوت صدمه لها يشتد

ويتوالى حتى يصم آذاننا ويمنعنا من سماع بعضنا بعضاً . ثم الفناء ولم نعد نعبأ به اذ ثبت لنا اننا في حصن حصين وحرز حرز . وكانت السفينة فوق ذلك محكمة الاوصال فلم نشعر فيها بالبرد الشديد
(ترى في الشكل الثالث على الصفحة التالية صورة سفينة يحيط بها الجليد وهي واقفة لا تستطيع حراكا)

وهبطت الحرارة بغتة وظلّ البرد شديداً كل فصل الشتاء والزمهرير حتى ان الزبيق جمد في الترمومتر اسابيع كثيرة . وبلغ البرد الدرجة الثالثة والستين تحت الصفر لكن ثيابنا كانت سميقة مغطاة بنسيج لا تحرقه الرياح فلم نكن نشعر بالبرد ولو مشينا في الهواء ولم نضطر ان نشعل النار في غرف السفينة حتى شهر يناير (ك ٢) كانت صحة رجالنا على ما يرام واجمع رأينا على ان الاصقاع القطبية موافقه للصحة لمن كان في سفينة مثل سفينتنا . وكان في السفينة دولاب تديره الرياح فتتحول قوة حركتها الى كهربائية تنير ليلنا الطويل فاذا هجعت الريح كنا نستصبح بالزيت مرت الايام ونحن على ما يرام من الالفة والوثام ولكل منا عمل يعمل به خوفاً من السامة والضجر . وكان عندنا كتب كثيرة للمطالعة وآلات موسيقية . والذين كانوا يهتمون بالمسائل العلمية منا كانت شغلهم اكثر من طاقهم في المراقبات الجوية والمغناطيسية والفلكية والنباتية والحيوانية والفسولوجية والطبية وما اشبه ووجدنا ان عمق البحر عند شواطئ سيبيريا قليل جداً ليس اكثر من تسعين قامة ثم يزيد بغتة بالتقدم شمالا فيبلغ ١٦٠٠ الى ١٩٠٠ قامة . وهذا مخالف لما ظنه البعض من ان البحر رقارق في الانحاء القطبية . ولم نجد في ما كنا نستخرجه من قاع البحر شيئاً من المواد الحيوانية دلالة على ان الاحياء لا تقيم في تلك الاعماق . والماء تحت الجليد ليس شديد البرودة بل هو حار نوعاً وملوحته شديدة ولعله جار الى هناك مع تيار الخليج الا اني من خليج المكسيك فان حرارته تبلغ درجة فوق درجة الجليد ولكن تحت هذا الماء الحار ماء ابرد منه وهو مع ذلك احر مما يظن ولم يكن جريان الجليد بالسفينة منتظماً في جهته ولا في سرعته وكثيراً ما كنا نعود ادراجنا ثم نتقدم ثانية كما يظهر من الخريطة السابقة ولكن سيرانا كان الى الغرب الشمالي في الشتاء والربيع ثم كنا نقف مكاتنا صيفاً لان الرياح الشمالية كانت تصدنا عن السير

وفي الثالث عشر من شهر يونيو بلغنا الدرجة الحادية والثمانين والدقيقة الثانية
والخمسين من العرض ثم صدتنا الرياح الشمالية الغربية واعدتنا على اعقابنا وبقينا ذلك



الشكل الثالث

الصيف كله في تقهقر حتى الحادي والعشرين من اكتوبر فبلغنا الدرجة الثانية والثمانين

من العرض ولم تنته سنة ١٨٩٤ حتى بلغنا الدرجة الثالثة والثمانين والدقيقة الرابعة والعشرين

وفي الرابع من يناير (ك ٢) سنة ١٨٩٥ بلغ ضغط الجليد على سفينتنا مبلغاً لم يبلغه قبلاً فان سمكه صار حينئذ ثلاثين قدماً فشد عليها شداً عنيفاً وكانت قطعته ترد تباعاً ويلطم بعضها بعضاً فتراكمت حول السفينة حتى كادت تنطفيها وانقطع املنا من نجاتها لاننا قلنا إما ان تنكسر واما ان يطرها الجليد . فنزلنا منها وانزلنا كل ما نحتاج اليه من الاطعمة والآنية والوقود والحيام والمزالق ونصبنا خيامنا على الجليد واقننا فيها . لكن السفينة قويت على ذلك الضغط الشديد وتماصت من الجليد المحيط بها وعلت فوقه ولم يكسر لوح من الواحها ولا ضلع من اضلاعها فعدنا اليها واخذت تجري بنا في الجهة الشمالية الشرقية

وتبين لي حينئذ انها ستصل من نفسها الى اقصى ما يمكنها البلوغ اليه شمالي ارض فرنس جوزف (جزائر في اقصى الشمال) . ثم تبلغ البحر شمالي سبتسبرجن في اوائل الصيف المقبل (انظر الشكل الثاني) وارادت ان اعرف احوال الاماكن التي شمالي طريقنا ولا يكون ذلك الا بواسطة المزالق ومعلوم انه اذا ابعد احد منا عن السفينة تعذر عليه ان يجدها ثانية في تلك الاصقاع فلم يسلم ضميري ان اكلف احداً بهذه المهمة فاخذتها على نفسي واخترت من رفاقي واحداً فقط وهو الملازم جنسن واخبرته بما عزمته عليه فقبل ان يذهب معي عن طيب نفس فسلمت قيادة السفينة لرجل من رجالها اعتقد كفاءته واثقاً انه يعود بها وبمن فيها سالمين . ومضى فصل الشتاء وانا تهيأ لمغادرة السفينة وصنعت مزالق متينة لتجرها الكلاب ولو كان الجليد كثير الحزون وبنيت قارين طول كل منهما ١٢ قدماً وهو يسع رجلاً وما يلزم له من المؤونة اربعة اشهر صنعتها من القنا الهندي وغطيتها بالمشمع وبلغ وزن كل منهما ٤٠ ليبرة فقط . وكانت المؤونة لحمياً وسمكاً مقدين وخبزاً وزبدة

كان غرضي ان اغادر السفينة حالما يشرق فجر النهار القطبي ففي السادس والعشرين من فبراير نزلت منها بست مزالق و٢٨ كلباً والقارين والمؤونة اللازمة لي ولجنسن وللكلاب وسرنا اربعة ايام متوالية فوجدنا ان كلابنا لا تستطيع جر ما معنا لان سطح الجليد غير مستوي بل كثير الحزون فعزمنا على العودة الى السفينة لتخفيف احمالنا وفيما

نحن عائدون اشرفت الشمس فوق الافق وكان ذلك في الثالث من شهر مارس (اذار)
فاذا نحن بابدع منظر شاهدناه منذ دخولنا الاصقاع القطبية بعد ليلا الطويل ووجدنا
بالرصد اننا بلغنا الدرجة الرابعة والثمانين والدقيقة الرابعة من العرض الشمالي

فلما وصلنا الى السفينة خففنا احمالنا فلم نبق منها الا زاداً يكفيننا مئة يوم ويكفي
كلابنا ثلاثين يوماً وقتنا في الرابع عشر من شهر مارس (اذار) وودعنا رفاقنا
واخذنا معنا ثلاثة مزالق فقط والقارين والكلاب الثمانية والعشرين . وفي الثاني
والعشرين من مارس بلغنا الدرجة الخامسة والثمانين والدقيقة العاشرة من العرض .
وكنا كلما مر يوم يسهل سيرنا بخفة زادنا ولكن كانت العوائق كثيرة من الانواء
والزوابع وقطع الجليد المترامكة في طريقنا فكنا كلما وصلنا الى حاجز منها نضطر ان
نحمل المزالق على اكتافنا ونقطع الحاجز بها ولا نتخلص من عائق حتى يصادفنا آخر
وكان قطع الجليد جيوش من الكماة في حرب وصادم تجتمع وتفترق حولنا ويلطم
بعضها بعضاً باصوات مزعجة

وفي السابع من ابريل (نيسان) بلغنا الدرجة السادسة والثمانين والدقيقة الرابعة
عشرة من العرض الشمالي ولكن سطح الجليد كان يزداد حزوناً حتى يئست من
مواصلة السير عليه فخرجت اسعى وحدي بعد ان لبست خفي الطويلين وصعدت على
اعلى مرتفع وجدته واستطلعت ما حولي من البلاد فلم ار ارضاً ولا ما يدل على ارض
بل ظهر لي ان الرياح تسوق الجليد كيفما شاءت فلا يعيقه شيء . وارجح انه لا توجد
ارض بقرب القطبية الشمالية من هذه الجهة ولو فرضنا وجودها من الجهة الاخرى

وبقيت حرارة الهواء على الدرجة ٤٠ تحت الصفر ثلاثة اسابيع متوالية وارتفعت
في غرة ابريل الى الدرجة الثامنة تحت الصفر ثم عادت فهبطت الى الدرجة السادسة
والثلاثين وكنا قد تركنا ثيابنا الدافئة (وهي من فراء الذئاب) في السفينة تخفيفاً
للحمل فقرصنا البرد وكان عرقنا يصير جليداً في ثيابنا كل صباح فتبيس علينا وتصير
كدروع الحديد حتى اذا دخلنا الكيس الذي تنام فيه نبقى ساعة قبلما يذوب الجليد
من ثيابنا وتمضي نصف ساعة اخرى قبلما تدب فينا الحرارة . وحالما نخرج من
الكيس في الصباح تجلد ثيابنا ثانية . وبلغت الحرارة في شهر مارس الدرجة التاسعة
والاربعين تحت الصفر

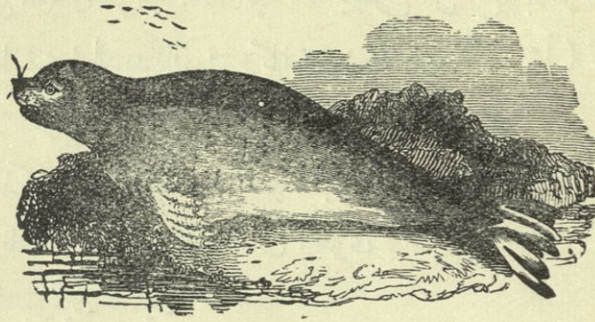
وفي الثامن من ابريل يُسنا من التقدم نحو القطب الشمالية فدرنا نحو جزائر
فرنس جوزف . وقد لقينا في عودتهما من المخاطر ما يشيب الولدان

وفي الثامن من ابريل حوّلنا وجهنا نحو الجنوب نحو ارض فرنس جوزف لكي
نعود الى الوطن . وكان كل منا يدير ساعته كل ليلة قبلما يدخل كيسه الذي ينام فيه .
وفي الثاني عشر من ابريل واصلنا السير بالسرى ستاً وثلاثين ساعة ولما اردنا النوم
نظرنا الى ساعتينا فاذا هما واقفتان فندمنا على ما فرط منا ولات ساعة مندم . وقتت في
الصباح ارقب الشمس وادرت ساعتي بحسبها وادرت ان اصبح الوقت برصد القمر
فوجدت انني تركت الزيج في السفينة سهواً

ولما بلغنا الدرجة الخامسة والثمانين وذلك في الخامس والعشرين من ابريل رأينا
على الجليد آثار ثعابين من ثعالب تلك البلاد فاستنتجنا اننا قرييون من البر ولكننا
نظرنا حوالينا فلم نر براً ولا ما يدل عليه ولم يكن سطح الجليد متصلاً بل كانت فيه
ثغر كثيرة واخاديد كبيرة مغطاة بقشرة رقيقة من الجليد فلا يمكننا الوثوب من فوقها
ولا الدوس عاينها فكنا نضطر ان ندور حولها وكثيراً ما كنا ندور اميالاً كثيرة ثم
نعود طريقنا الاول فيمضي نصف يوم من غير ان نتقدم خطوة . وكثرت هذه
الاخاديد بتقدمنا جنوباً فعاقبت سيرنا وكاد زادنا ينفد فاخذنا نقتل الكلاب التي معنا
واحداً بعد الآخر ونطعم لحمها لرفاقها . وقد عافت الكلاب اولاً اكل اخواتها ولكن
الجوع كافر فألفت ما نفرت منه وبلغ منها القرم والجوع اخيراً ان صارت اذا قتلنا
واحداً منها لا تدع دمه يصل الى الارض . وهزلت ابدانها رويداً رويداً لقلّة الطعام
حتى لم تعد تستطيع السير ولم يبق لنا مناص من قتلها

وزادت الاخاديد في شهر يونيو (حزيران) حتى كاد السير يتعذر علينا وقل زادنا
فصرنا نتبلغ به تبلاً . وكنت احسب اننا سنصيب ارضاً شمالي ارض فرنس جوزف
وهي التي ذكرت في خريطة بير وسميت ارض بترمن ولكن مضت الايام والشهور
ونحن نسير في طلب هذه الارض لعلنا نجد فيها صيداً نصطاده فلم نعثر عليها . واخيراً
رأينا حيواناً كبيراً من نوع الفقمة (ترى صورته على الصفحة التالية) فطابت نفوسنا
برؤيته وعالجناه برصاصة اصابت منه مقتلاً فعزمنا ان نلتي هناك عصانا فنتغذى بلحم

هذا الحيوان ومنتظر الى ان يذوب الجليد . وكان ذلك في الثاني والعشرين من شهر يونيو (حزيران) . وبعد قليل التقينا بثلاثة ادياب فقتلناها وكثر علينا اللحم وعلى كلينا الباقيين في قيد الحياة فأكلنا وشبعنا وطابت نفوسنا



ترى في هذا الشكل صورة فقمتين العليا منهما من النوع الغرينلاندي والسفلى من النوع الاوقيانوسي والفقمة كثيرة في الأنحاء الشمالية وتوجد ايضاً في الاوقيانوس الاطلنטיكي وفي البحر المتوسط وفي الثاني والعشرين من شهر يوليو (تموز) سهل علينا السير على الجليد ولكن اصابتنا مصيبة كادت تقضي على رفيقي وذلك اتنا وصلنا الى خليج واسع فاردنا ان نعبه بقاربينا وفيما انا مشتغل بانزال قاربي سمعت صرخة شديدة فالتفت واذا رفيقي

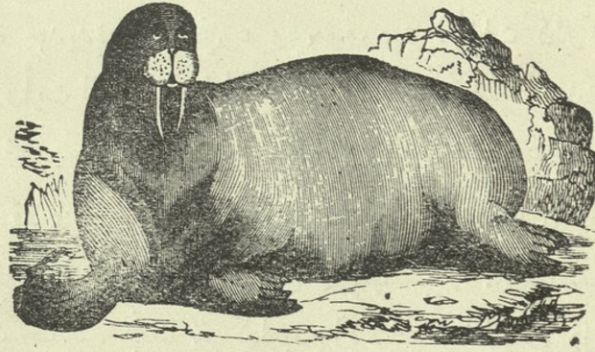
جونسن مطروح على ظهره وفوقه دب كبير وهو ماسك بخناق الدب وكانت بندقيتي على ظهر القارب فحاولت نزعها منه فوق القارب في الماء وناداني جونسن قائلاً « اسرع اليّ والا هلكت » فلما سمعت ذلك اظلم الضياء في عيني فحذبت القارب جذبة عنيفة رفعتها بها من الماء واخرجت البندقية منه بأسرع من لمح البصر واطلقها على الدب ولا نشغال بالي اطلقت الحديدية اليمنى وكانت محشوة خردقاً (رشاً) لا رصاصاً ولكنها اصابته منه مقتلاً فوقه يخبط بدمائه فاحتملناه طعاماً

وكثر الماء المكشوف حينئذ ولم يعد الجليد الذي عليه طبقة متصلة بل صار قطعاً متفرقة فاضطررنا ان نثب من قطعة الى اخرى ونحن في خطر الانقلاب كل لحظة ودمنا على ذلك اسبوعين كاملين

وفي السادس من اغسطس اصبنا ارضاً وذلك عند الدرجة الحادية والثمانين والدقيقة الثامنة والثلاثين وهي اربع جزر مغطاة بانهر الجليد وامامها بحر مكشوف لا جليد عليه غير قطع كبيرة متفرقة فانزلنا قاربينا فيه وكان لم يزل معنا كلبان فقتلناهما لكي نريحهما من الموت جوعاً وسرنا نشق عباب ذلك البحر ورأينا هناك كثيراً من طيور الماء الوردية الصدر وهي اجمل ما يشاهد في تلك الاصقاع . وقد شوهد هذا الطائر قبلاً ولكن لم يعلم احد وطنه ولا من أين يأتي ولا إلى أين يذهب فثبت لنا حينئذ ان وطنه في تلك الجزائر وفيها يعشش ويفرخ ومنها يقطع الى غيرها ويعود اليها

ثم تكاثف الضباب فنحننا عن رؤية ما امامنا . وانقشع بعد ايام فاذا نحن بارض فسيحة او سلسلة من الجزائر الى الغرب والجنوب منا فاستغربنا ذلك لانا لم نجد لتلك الارض اثرأ في خريطة بير فاستنتجت انني مخطيء في تقدير الطول او ان الجليد سار بنا مسافة طويلة جداً ونحن لا ندري وحسبت اننا اذا جددنا السير الى جهة الجنوب والجنوب الغربي وصلنا الى جزيرة سبتسبرجن فنجد فيها بعض سفن التروجيين الذين يصطادون الفظ فتركها وعود معهم الى الوطن . فبدلنا جهدنا تارة بالتجديف في الماء حيث نجد الماء صالحاً لقاربينا وطوراً بجرها على الجليد الى ان كان اليوم الثامن عشر من شهر اغسطس فعصفت الرياح بغتة وقذفت قطع الجليد نحو الشاطئ وحسبنا فيه اسبوعاً من الزمان واحل قيدينا يومين ثم عاد الجليد فتراكم حولنا ومنعنا من السير

ورأينا حينئذ ان فصل الشتاء صار على الابواب ولا فائدة من الوصول الى جزيرة سبتسبرجن لو وصلنا اليها لان السفن تكون قد غادرتها فعزمنا ان نشقي حيث كنا ولا نضيع الوقت في السفر فيدهمنا الشتاء بقره وليله الطويل قبل ان نصطاد ما يكفيننا طعاماً فيه . فنزلنا على البر واخذنا من ساعتنا نصيد الفظ ونستخرج دهنه لكي نوقده في فصل الشتاء . والفظ حيوان كبير (ترى صورته على هذه الصفحة) يتعذر على رجلين ان يحمله او يجراه فصرنا نرميه بالرصاص ونقتله ثم نجلس عليه ونساخ جلده ونستخرج دهنه فتشربت ثيابنا من دهنه ولم تعد تصلح لوقايتنا من البرد ولم يكن عندنا غيرها . وكانت الادباب كثيرة فاصطدنا بعضها فصار عندنا من اللحم والجلود ما يكفيننا . ثم اخذنا نبي كوخاً ناوي اليه ووجدنا حجارة بنيناها منها ومن الطحلب والجليد ووجدنا خشبة القاها البحر على الشاطئ فوضعناها فوق الحجارة وبسطنا



صورة الفظ

جلود الفظ فوقها واثقلناها بالحجارة وصنعنا للكوخ مدخنة من الجليد ليصعد الدخان منها ويتجدد الهواء فلا نموت اختناقاً . وكان طعامنا لحم الادباب ووقودنا دهن الفظ . وخطنا كيساً كبيراً من جلود الادباب كنا ننام فيه معاً وفرشنا تحتنا كثيراً من جلودها وكان معنا مصاييح كنا نملأها بدهن الفظ ونشعلها دواماً فتتير كوختنا وتسخن هواءه . وكان معنا قدر من الالومينيوم كنا نطبخ فيه طعامنا من لحم الادباب فنأكله مسلوقاً في الصباح ومقلوئاً في المساء . وكان الجانب الاكبر من كوختنا تحت الارض ولذلك ولان مصاييحنا كانت موقدة دائماً لم يزد البرد في اسفله عن درجة الجليد واما جدرانها فكانت باردة جداً يكسوها الجليد فينعكس نور المصاييح عنها ويخال لنا اننا في قصر مرصع بالالوان لولا ما بنا من القدر والقدر . وكان طول الكوخ عشرة اقدام وعرضه

ستاً وعلوه نحوقامة حتى نكداد نرفع رؤوسنا فيه . ولم يكن لنا شغل نشغل به فكنا نأكل
وننام وننام ونأكل يوماً بعد يوم واسبوعاً بعد آخر . واذا سكنت العواصف خرجنا
من كوخنا ومشينا ساعة من الزمان لترويض ابداننا . وانقطع مجيء الادباب من
نوفمبر (ت ٢) الى مارس (اذار) ولكن الثعالب بقيت تتردد علينا ونجلس على سطح
كوخنا تقرض ما عليه من اللحم المقدد ونحن نسمع صوتها فنحلم ان الجرذان تقرض
الطعام في منازلنا . وهي من النوع الابيض والنوع الاسود ولكننا لم نصطد شيئاً منها
لان رصاصنا كان ائمن من ان نضيعه في صيدها . والذب اصغر حيوان رأينا ان
نسخى عليه برصاصة . ومضى الشتاء ونحن في احسن صحة ولو كان معنا كتب ودقيق
وسكر لعشنا عيشة الملوك

ثم دخل الربيع واشرقت الشمس وأتت الطيور . ولما رأيت اول عصابة منها
شعرت كان حياة جديدة دبّت في عروقي ووردت عصابات كثيرة بعدها فاتعشت
نفسي برؤياها . ورأيت الافق في الجهة الجنوبية الشرقية اسود فقلت لا بد ان يكون
ذلك انعكاساً عن بحر يسهل السير في مائه والجري مع جليده فاخذنا نستعد للسفر

وكانت ثيابنا قد تمزقت وتراكم عابها الدهن والوسخ فخطنا ثوبين من الاحرمة
التي معنا . وحاولنا غسل قمصاننا فلم نجد الى تنظيفها سيلاً . ولم اشرق قط بالحاجة الى
الصابون كما شعرت حينئذ . فجعلنا نفر كها بدم الادباب والطحلب فلم تنظف وجربنا
اساليب اخرى فلم تجد نفعاً واخيراً جعلنا نسلقها سلقاً ونكشط الوسخ عنها بالسكاكين
فنظفت قليلاً فلبسناها ونحن نحسب ان لبس الثياب النظيفة سيكون اول نعمة تنالها
في بلادنا اذا بلغناها سالمين . وصنعنا كيساً جديداً من جلود الادباب لننام فيه . وكان
معنا خيمة من الحرير فزقتها عواصف الخريف واضطرونا ان نحيط خيمة غيرها من
شراع مزلقتنا

وفي التاسع عشر من شهر مايو (ايار) شرعنا في السفر جنوباً وبلغنا البحر بعد
خمسة ايام لكن العواصف منعتنا من النزول فيه حتى الثالث من شهر يونيو (حزيران)
وكان الجليد يغطيه فسرنا عليه بالمزلقتين بعد ان نشرنا عليهما شراعاً وفي الثاني عشر
من الشهر بلغنا طرف الجليد المتصل ورأينا الماء مبسوطاً امامنا كالمراة فقرنا القارين
معاً ونشرنا عليهما شراع المزلقتين وسرنا سيراً حينئذ بجانب الشاطئ . ونزلنا ذات

يوم على البر بعد ان ربطنا القارين بقطعة ناشزة من الجليد ولم نبعدهما حتى انحل رباطهما وساقتهما الرياح الى قلب البحر وكان فيهما زادنا وبنادقنا ورساونا وبارودنا وكل ما نملكه في تلك البلاد المنقطعة فوقنا ننظر اليهما كمن اصيب بجنة ولكن لم يكن الا لحظة حتى ثاب الي عقلي فطرحت نفسي في الماء وجعلت اسبح وراءهما بكل جهدي لكن القارين كانا اسرع مني لان شراعهما كان منشوراً وكانت الرياح تسوقهما . وخذرت اعضائي من برد الماء حتى صار يعسر علي استعمالها . لكن في الانسان قوة مذخورة الى حين الشدة فدبت في بدني حينئذ من حيث لا ادري فوثبت الى القارين كاني طائر ولم يكن الا برهة يسيرة حتى بلغتهما وصعدت عليهما وعدت بهما سالماً

والظاهر ان الحيوانات التي كنا نكثر من صيدها كالدب والفظ حقدت علينا وعزمت ان تثار لآخواتها منا فجاءنا فظ منها في اليوم التالي وطعن جانب القارب بنايه الطويل فخرقه ودخل الماء من الخرق بسرعة حتى كدنا نغرق فدفعناه الى البر وزلنا منه فنجونا ونجينا من الغرق ولكن تبلل كل ما فيه من الاحرمة والصور الفوتوغرافية وفي اليوم التالي قت باكرأ وصعدت على اكمة لكي اشاهد البلاد التي حولنا فسمعت اصوات طيور البحر وهي كثيرة تصم الاذان وسمعت بينها صوتاً يخالفها وهو صوت نباح كلب سمعته واضخاً حتى لم اشك فيه ولكنه ضاع بين اصوات الطيور فحسبت انه وهم . ثم عصفت الريح من تلك الجهة فسمعت الصوت ثانية . سمعته وانحأ جداً فلم يبق في نفسي ريب انه صوت كلب واننا على مقربة من الناس فهيرت الى جونسن وايقظته قائلاً اني اسمع نباح كلب فلم يفهم ما قلت . فأكلت بلغة وشددت حذائي الطويل واسرعت الى الشاطيء واذا انا بالمستر جكسن (الذي نجأها) ومن يصف ما طفح على قلبي من السرور حينئذ

لقينا عند جكسن ورفاقه من حسن الضيافة ما لم تر مثله تلك الاقطار وكانوا بانتظار سفينة مزمعة ان تأتي اليهم بالمؤن فالحوا علينا لكي نقيم معهم الى حين مجيئها فنعود فيها فلم نر بداً من اجابة طلبهم والتمتع برفاه الحضارة بعد شظف العيش . فاعتمسنا بماء سخن ولبسنا ثياباً نظيفة واكلنا من شهى الطعام وشربنا من فاخر المدام

واقبلنا على الكتب والجرائد اقبال الجياع على القصاص فانتقلنا في لحظة من الزمان من دار الوحشة حيث لا انيس غير الدباب والشعالب الى بين اقوام كرام حاطونا بكل اسباب الانس والرفاهة كأنهم ارادوا ان يجلو عن قلوبنا صدأ الوحشة ويعفوا منها آثار المحن

فاقمنا معهم نبحت في البلاد بحثاً علمياً ونرسم الخرائط حسبما جمعنا من المراقبات



صورة نسن خارجاً من كوخه وهو لا بس ثوباً حريراً صفيقاً فوق الفراء

ونحن في انتظار السفينة ولما ابطأت علينا اسقط في يدنا وخفنا ان نضطر الى البقاء في تلك الجزيرة شتاءً آخر وزاد قلتي لاني خفت ان تعود سفينتنا الى الوطن قبلنا فيحسبنا اهلنا في عداد اهل الكين ويشتد حزنهم علينا
ثم جاءت السفينة وسر من فيها بنا سروراً عظيماً وانزلوا ما معهم من المؤونة الى البر في اسبوع من الزمان واخذونا معهم واكرموا مثوانا اكراماً لا تنساه مدى

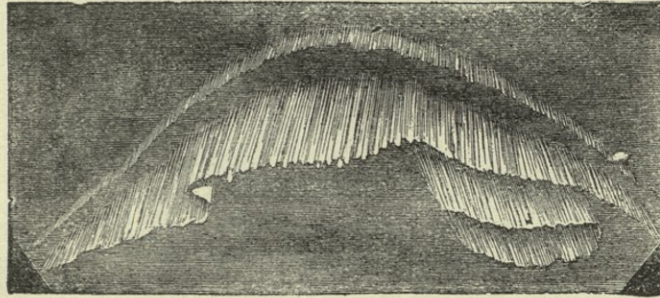
الدهر . وكان الجليد كثيراً في طريقنا ولكن ربان السفينة تمكن بمهارته من تجنبه فلم يعق سيرنا وبلغنا بلاد نروج في ستة ايام . واول شيء اهتممنا به بعد وصولنا استقصاء اخبار الفرام ومن فيها فقيل لنا انه لم يسمع احد عنها شيئاً . وارسلت رسالة برقية الى ملك نروج ورجال حكومته اخبرهم اننا تركنا الفرام آمنة هي ومن فيها .



صورة جونسن لابساً ثوباً من جلود الذئاب

ويقيننا انها تعود الى الوطن سالمة وكان ذلك في الثالث عشر من اغسطس وفي الحادي والعشرين منه ورد عليّ تلغراف ان الفرام عادت بمن فيها الى المرقأ الامين ولما تركت الفرام على ما تقدم اوضيت ربانها واسمه سفردرب ان يدعها تسير غرباً حسبما يجري بها الجليد وان يحرص على حياة من فيها من البحارة اتم الحرص ويعود

٣٣ سالمين باسلم الطرق وقلت له ايضاً اني لا اعلم متى ينحل قيد الجليد من حول السفينة ولكن فيها من المؤونة ما يكفيك ويكفي رجالك بضع سنوات فلا خوف عليكم من الجوع ولكن اذا طالت المدة كثيراً لسبب غير منتظر وخفتم من نقاد المؤونة او اذا ساءت صحة البحارة او رأيت انت او هم ان لا بد لكم من تركها فتركوها وامضوا الى ارض فرانس جوزف او الى سبتسبرجن فاننا نفتش عنكم هناك اولاً بعد رجوعنا وحينما تصلون الى تلك الاراضي اقيموا رجماً من الحجارة وضعوا في اعلاها كتابة بما فعلتم وبما اتم عازمون عليه واقيموا شمالي كل رجمة رجمة اخرى صغيرة على اربعة امتار منها فنعلم انكم اتممتموها ونبعث عما تركتم لنا من الاخبار فيها حتى نقتني اثركم . ولا بد من ان تصنعوا كل ما يلزم لكم من القوارب والمزالق واحذية الثلج لكي يسهل عليكم السفر براً وبحراً وخذوا معكم ما يلزم لكم من المؤونة وما تستطيعون



صورة الثلج القطبي وقد تجمدت حواشيه السفلى كاهداب التوب

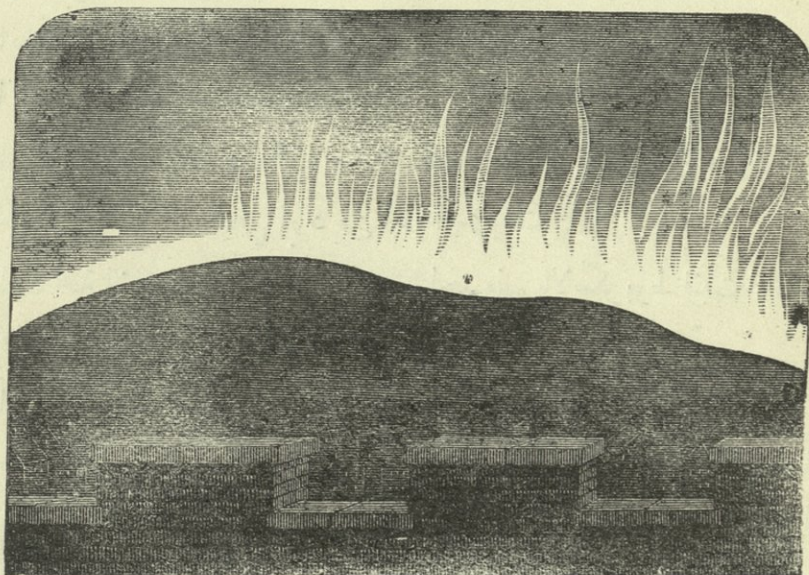
حملة منها . ولا بد من ان تكونوا متأهين لترك السفينة في لحظة من الزمان اذا حدث فيها حادث فجائي كأن حرقت او انكسرت . اي يجب ان تضعوا تجاهكم على الجليد ما يكفي من المؤونة وتنقلوه امامكم بانتقال السفينة بكم من مكان الى آخر حتى اذا غادرتموها فجأة تجدون امامكم ما يسد رمقكم ويكفيكم في سفركم . ولا بد من ان توضع سائر المواد على السفينة بحيث يمكن اخراجها منها الى البر في لحظة من الزمان . واذا تركتم السفينة فلا بد من ان تأخذوا معكم البنادق والرصاص والبارود وكل الكتابات والمرابقات العلمية والصور الفوتوغرافية

(واسهب الدكتور نسن في ذكر الوصايا التي اوصاهم بها قبل خروجه من السفينة

فاجتريها عنها بما تقدم)

فلما تركنا الفرام اخذ الربان سفردرب ورجاله يعدون القوارب والمزالق

والأحذية والكلاب والعدد ويمتحنونها فاستعدوا اتم استعداد لتركها اذا دعت الضرورة وفي اواخر مارس (اذار) اخذ الجليد الملتصق بها يتشقق وينفصل عنها ولكن جانباً منه بقي متصلاً بها حتى آخر شهر يوليو (تموز) وحاول رجالها ان ينسفوه بالبارود ففتح البارود فيه ثغوراً صغيرة ولكنه لم يخلصها منه وكان سفر درب واقفاً عليه يتكلم مع بعض رجاله وينظر في امر يستخدمه لتخليص السفينة واذا بها قد انفصلت عن الجليد بغتة واندفعت في الماء بصوت يصم الآذان وعلا الزبد حتى حجب وجه السماء . ولكن ازمان حريتها لم يطل لان الجليد عاد فقبض عليها وضيق الخناق ولما كانت في قبضة الجليد كان يسير بها غرباً وزاد سيره من اواخر ابريل



صورة الشفق القطبي والسنته النارية ممتدة الى الاعلى

(نيسان) الى اواسط يوليو (تموز) وحينئذ عصفت الرياح الجنوبية الغربية وصدتها عن السير بل ارجعتها على عقبها . ثم تراكم الجليد حولها وجعل يجري بها كل مدة الخريف والشتاء وظلت ملتصقة به حتى اواسط الصيف التالي ولو لم تفلت منه حينئذ لسار بها الى غرينلندا شمالي اميركا

وكانت في كل المدة التي سار بها الجليد عرضة لضغط شديد وزاد الضغط في شهر يونيو الماضي حتى كان الجليد يرفعها فتصبح على ظهره ولولا عرض قاعها ودقة موازتها لقلبت على احد جانبيها . وكانت تعملو وتسفل مرتين كل يوم لكن الضغط الشديد لم يضر بها لمائة بناها

ولم يشتد البرد في الشتائين الاخيرين اكثر مما اشتد في الشتاء الاول فثبت لنا انه يكون على اشده شمالي سيبيريا . وكانت الحرارة في فصل الصيف على درجة الجليد غالباً واحياناً قليلة كانت ترتفع عنها بضع درجات وبلغت مرة واحدة ثماني درجات بميزان فارنهایت فوق درجة الجليد وكان الضباب قليلاً لقلّة البخار في الهواء والمطر نادر جداً

وكثر ظهور الشفق القطبي كل مدة سفرنا وسفر الفرام وقلمنا مضى يوم لم تظهر فيه هذه الظاهرة البديعة بالسنتها النارية والوانها الساطعة وبهاها الفائق الوصف . ولكننا لم نسمع منها صوتاً ولا رأيناها قريبة من الافق وكانت كهربائية الهواء تشتد احياناً كثيرة وكنا نجتمع جانباً منه في انايب صغيرة ونسدها سداً محكماً لئلا نمتحنها بعد عودتنا

وبلغ عمق الماء ١٨٠٠ قامه الى ١٩٠٠ قامه وظل كذلك الى ان قربت الفرام من سبتسبرجن وبقى الماء السطحي ابرد من الماء الذي تحته وظلت صحة النوتية على ما يرام ولم يصب احد منهم بالاسكر بوط فثبت لنا ان العناية بالطعام والشراب تمنع هذا الداء منعاً تاماً

ولما رأى البحارة في الصيف الماضي انه يمكنهم ان يتخلصوا من الجليد ويسيروا جنوباً جعلوا يبذلون الوسع في هذا السيل واعتمدوا على نفسه بقطن البارود . وحدث مرة ان الربان سفردرب ورجلا من رجاله لغما الجليد ووضعوا فيه البارود وأشعلا الفتيل وحاولا الهرب فحسف بهما حيث كانا واقفين ووقعا في الماء وكانت حافة الجليد عالية حولهما فلم يستطيعا الصعود عليه فتصور لهما الموت بعد ان دافعا ثلاث سنوات لان النار كانت تمتد في الفتيل وعن قليل تصل الى البارود بقربهما لكن العناية ساعدتهما على الامساك بقطعة من الجليد فصعدا عليها وفاقزا بالنجاة قبل اشتعال البارود

وفي التاسع عشر من يوليو (تموز) انفك قيد السفينة من الجليد يعد عناء شديد فسارت الهوينا بين قطعه المتركمة والبخار يحثها والرجاء يسوقها والحكمة تقودها فقطعت في شهر من الزمان مئة وخمسين ميلاً اكثرها مغطى بقطع الجليد الكبيرة التي لا ترى العين نهايتها لاتساع سطحها

وفي الثالث عشر من اغسطس بلغت البحر الحالي من الجليد وهو نفس اليوم الذي بلغنا فيه البر وما لبثت طويلاً حتى التقت بسفينة اخرى فحيتها وسألتها عنا فاجابها انا لم نصل الى زوج فقطع الذين فيها كل امل من نجاحنا وكانوا الى ذلك الحين يحسبون انا تنجو ونسبهم فعزموا ان يعودوا ويقتشوا عنا لكنهم قالوا لنصل الى زوج اولاً عسى ان يكون فيها خبر آخر

وفي الليلة العشرين من اغسطس التفت الفرام مرساها واسرع ربانها الى البر واتي بيت التلغراف وقرع الابواب والكوى ولا سامع ولا مجيب واخيراً نهض مأمور التلغراف مغضباً وقال له ما شأنك في هذه الساعة من الليل . قال « أنا سفردرب ربان الفرام » فلما سمع الرجل هذا الكلام اقبل الكوة وقال قابلي من الباب وللحال وضع رداءه على كتفيه وقابله وقال له من فوره قد عاد نسنن وجونسن فلما سمع سفردرب هذه البشرى كرت زاجعاً وجعل ينادي رفاقه في السفينة ويبشرهم برجوعنا سالمين فاطلقت السفينة مدفعين علامة السرور واعلاناً بعودة الوفد الزوجي الى بلاده

سالماتتهى
مقتطف يناير وفبراير ومارس سنة ١٨٩٧



رحلة دوق ابروزي

كثيراً ما تجشم اهل السياحة المشاق واقتحموا الاخطار وعرضوا انفسهم للموت الزؤام لاجل الوصول الى القطب الشمالي. ولهم من ذلك غرضان الواحد علمي والاخر تجاري. اما الغرض العلمي فمداره الوقوف على احوال تلك الاصقاع الجرداء التي كستها الثلوج فلم تبق فيها من انواع الحيوان غير ذوات الفراء الكثيف او الدهن الكثير حتى تجد من كسائها الطبيعي واقياً يقيها صبارة القر. واما الغرض التجاري فاكشاف طريق يصل بين شمالي اوربا واقاصي المشرق حتى ترسل المتاجر فيه بدلاً من ارسالها في طريق السويس او حول افريقية. والى الآن لم يبلغوا هذا الغرض ولن يبلغوه لانهم لم يجدوا مجراً خالياً من الجليد حول القطب كما ظنوا لكنهم بلغوا كل ما راموه علمياً اي انهم عرفوا اكثر الظواهر الجوية والحوادث الطبيعية التي في الاقطار القطبية

واشهر الرحلات الحديثة التي قصد بها البلوغ الى القطب الشمالي رحلة باير الذي تمكن هو ورجاله سنة ١٨٧٤ من الوصول الى الدرجة ٨٢ من العرض الشمالي اي بقي بينهم وبين القطب ثمانين درجت او نحو ٤٥٠ ميلاً. وسنة ١٨٧٦ وصل ماركهام الى الدرجة ٨٣ والدقيقة ٢٥. وسنة ١٨٩٥ وصل نسن الى الدرجة ٨٦ والدقيقة ١٤. وقد وصل رجال دوق ابروزي هذا العام الى الدرجة ٨٦ والدقيقة ٣٣ فلم يبق بينهم وبين القطب الشمالي سوى ثلاث درجات و٢٧ دقيقة اي نحو مئتي ميل. وهاك تفصيل هذه الرحلة ملخصاً مما كتبه الدكتور اولندو ملاغودي في مجلة الستران الانكليزية

كان للسفينة ستلا بولاري (اي نجمة القطب وهي التي سار فيها دوق ابروزي) وداع حافل يوم ابحرت من مرفأ كرستيانا عاصمة بلاد نروج في الثاني من شهر يونيو سنة ١٨٩٩ قاصدة اقاصي الشمال، ابحرت واعلام المدينة تخفق لها ومدافعها تدوي لوداعها والجمهير الكثيرة تدعو لها بالسفر الميمون والعود القريب. وكان بين المودعين الدكتور نسن الرحلة الشهير فوقف يزف الى الراحلين نصائح الخير الجرب ويقوي عزائمهم ويشجعهم على اقتحام الاهوال وكان يكلمهم كمن هو واثق بنجاح رحلتهم وعودهم سالمين غامين

اما الخطة التي كان دوق ابروزي ينوي اتباعها فلم يكن احد يعرفها غير رجاله وقد اسروها لكي لا تصل الى اصحاب الصحف السيارة فيكثر اللغط فيها والايهام بها.

وكان معه عشرة من الايطاليين وعشرة من النرويجيين الا ان اعتمادهم كان على الايطاليين ولم يأخذ النرويجيين معه الا لاعتيادهم السفر في البحار الشمالية . وهو ابن دوق اوستا الذي تولى عرش اسبانيا من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٧٥ وابن عم ملك ايطاليا الحالي . طويل القامة نحيل الجسم قليل الكلام له ولع شديد باقتحام المخاطر اذا كان من اقتحامها نفع ما ولاسيما اذا كان النفع علمياً . يلقبه اخوه بالعضو العلمي في آل ساقوى . درس في مدرسة ليثورنو الحربية ولما تم دروسه طاف في البلدان يدرس اخلاق اهلها وعاداتهم واكثر من الصعود الى قمم الجبال العالية الى ان صعد الى قمة جبل مار الياس في اقاصي اميركا الشمالية بعد ان تعذر على غيره البلوغ اليها كما ذكر في الصفحة ٢٩٤ من المجلد الحادي والعشرين من المقتطف

والسفينة من سفن الصيد استعملها ننسن في رحلته الاولى الى غرينلندا وقد مضى عليها سبع عشرة سنة تمخر في البحار لصيد الحيتان الشمالية فابتاعها دوق ابروزي ووكل اصلاحها الى رجل ماهر ببناء السفن فاصلاحها وقواها على احتمال ضغط الجليد وسميت نجمة القطب . طولها ١٥٠ قدماً وعرضها ٣١ قدماً وعمتها ١٦ قدماً ومحمولها ٤٩٥ طناً وفيها سوار عالية وشراع واسع وآلة بخارية صغيرة تسير بها خمسة اميال في الساعة ولكنها لا تستعمل الا عند الحاجة الشديدة اذ لا سعة فيها للفتح الكثير . وبني على ظهرها بيت كبير يسع ١٢٠ كلباً من الكلاب التي تجر المزالق على الجليد وغرف واسعة للضباط . وقد جمع فيها دوق ابروزي كل ما يحتاج اليه من الزاد والادوات واخذ الاطعمة والخمور من ايطاليا والالات من المانيا والثياب المشمعة من انكلترا والفراء من روسيا ورأى كل شيء بنفسه حتى اذا رآه ننسن يفعل ذلك قال هذا شأن من يفلح في امره ولا يكل اعماله الى غيره . وكان الزاد كثيراً يكفي من في السفينة اكثر من ثلاثة أعوام وهو وسائر المواد في الف وخمس مئة صندوق والصناديق صغيرة حتى يستسهل الرجل حمل الواحد منها . وهي اربعة انواع حسب المواد التي فيها يمتاز بما عليها من الخطوط فصناديق الزاد خطوطها سوداء وفي كل صندوق منها شيء من كل انواع الزاد كالجوز واللحم والخضر والاشربة حتى اذا ضاع بعضها لا يكون فيه ما ليس في غيره . وقس على ذلك صناديق الثياب وصناديق الادوات وصناديق الالعب . والغرض من الالعب كالشطرنج والزد ونحوها تسلية البحارة في الشتاء حتى لا يملوا ولا يسأموا وكان غرض ننسن في رحلته الاخيرة ان يصل الى القطب الشمالي بسفينته معتمداً

على مجرى الجليد الذي اكتشفه وحسب انه يجري بسفينته من سيبريا الى غرينلندا فتمر على القطب الشمالي . فجرى الجليد بها كما قدر لكنه لم يمر بها على القطب الشمالي بل بقيت بعيدة عنه فاضطر ان يركب المزالق ويسير الى القطب على الجليد فبلغ الدرجة ٨٦ والدقيقة ١٤ من العرض الشمالي كما تقدم . اما دوق ابروزي فلم يعتمد على مجرى الجليد بل عزم ان يصل الى القطب في المزالق واخذ السفينة معه ليصل بها الى ابعد ارض يسهل عليه الوصول اليها فيتركها هناك ويرسل منها بعثات الواحدة بعد الاخرى ويبعث معها زاداً تضعه في الطريق فكل بعثة تمهد السبيل للتي بعدها وتضع لها الزاد في طريقها الى ان تصل البعثة الاخيرة الى القطب . وتدرس كل بعثة احوال البلاد التي تصل اليها حتى يكون اختبارها مرشداً للبعثة التي تليها

وقامت بحمة القطب في الثاني عشر من شهر يونيو كما تقدم وبلغت مدينة اركنجل على سواحل روسيا في غرة يوليو ومن هناك اخذت المئة والعشرين كلباً المعدة لهذه الرحلة وكان الفراندوق فلادمير الروسي قد جاء الى اركنجل ليودع دوق ابروزي فودعه واقلعت السفينة من هناك في ١١ يوليو فبلغت رأس فلورا في جزيرة فرنس جوزف بعد عشرة ايام ووجدت هناك كوخاً بنته بعثة جكسن الرحالة وكتبت عليه ان كل المكاتب التي توضع فيه تعود بها سفينة الصيد كابلان الى اوربا حينما تمر من هناك في اواسط اغسطس . فوضع الدوق في ذلك الكوخ زاداً يكفي رجاله ثمانية اشهر حتى اذا اضطروا ان يعودوا من ذلك الطريق وجدوا فيه طعاماً لهم ثم سار بسفينته قاصداً دخول الخليج القطبي الانكليزي وبعد عناء شديد خرقت السفينة الجليد وسمكة خمسة وسبعون سنتيمتراً ووصلت الى بحر لاجليد فيه . والتقت هناك بسفينة الصيد كابلان وفيها «ولمن» الرحالة الاميركي وقد كسرت ساقه وفقد البعض من رفاقه . وبعث من في بحمة القطب مكاتيبهم مع الكابلان وفي جملتها كتاب من دليل اسمه بيتغاس يقول فيه تمر بنا الايام والاسابيع سراعاً والبرد معتدل فقلما يهبط الثرمومتر تحت الصفر وامس اشرفت الشمس بهاتها فمكس الجليد من اشعتها ما يهر الا بصار . وقد قويت سفينتنا على مقاومة هجمات الجليد وهي تمخر فيه وتشقهُ ولو كان ثخنه اربعة اقدام واذا كان ثخنه اكثر من ذلك وعجزت عن شقه اطلقنا لها البخار فثب فوقه وتكسره كسراً مسافاً اربعين متراً او خمسين ولا يفارق الدوق مرقب السفينة وقد لا ينزل لتناول الطعام ولا يدع فرصة للتقدم الا غنمها ونحن نسر بذلك لانه علي قدر تقدمنا هذا العام يقل تعبنا في العام المقبل «

وظلت نجمة القطب سائرة الى ان بلغت الدرجة ٨٢ والدقيقة ٥ من العرض ولم تبلغ سفينة اخرى هذا المدى في البحر وقد جازته سفينة ننسن لكنها سارت محمولة بالجليد. ثم عادت نجمة القطب من هناك لانها لم تجد مرفأً تقيم فيه الى ان وصلت الى حيث الدرجة ٨١ والدقيقة ٤٧ وهناك توالى عليها الكوارث فاجتمع الجليد حولها وتكاثف وضغط عليها ضغطاً شديداً حتى كاد يسحقها ثم وقعت عليها قطعة كبيرة منه فكسرت جانبها وللحال جعل الماء يدخل من الكسر حتى حسب من فيها انها غارقة لا محالة ثم تحرك الجليد فادارها وامالها على الجانب الآخر فنجت من الغرق ولكنها لم تعد تسكن واضطر الدوق ورجاله ان يغادروها ويفقدوا كل ما اعدوه فيها من وسائل الراحة والدفاء ويخيموا على الجليد في ذلك الزمهرير. وكان معهم خيمتان فنصبوها وغطوها بشراع السفينة ووضعوا بينهما موقداً يطبخون عليه ويستدفئون منه وكان مع كل منهم دنار من جلد الذئب الطويل الصوف فلم يقرهم البرد مع انه كان قارصاً جداً ولا سيما في الليلة الاولى فجلد به كل شيء حتى الحزم. وبنوا للكلاب زريبة من الخشب تقيها عصف الرياح. ومضى فصل الشتاء والضباط يبحثون عن مجاري الاوقيانوس والقطب المغنطيسي والنور القطبي وتكون الجليد وامتداده وحرارة الهواء والبحر وسمك طبقة الارض وطبائع الحيوانات القطبية ونحو ذلك من المباحث العلمية. وداموا متمتعين بالصحة التامة الى يوم عيد الميلاد وحينئذ مضى الدوق وثانيه ليمتحنوا المزالق فقرها البرد وهراً ايديهما فايضت اولاً ثم اسودت حتى ظن الطبيب ان لا بد من قطع احدي يدي الدوق ثم رأى انه يمكن الاكتفاء بقطع اصبعين من اصابعه فقطعها ومن ثم انحرفت صحته ولم تعد الى حالها الاولى واضطر ان يلازم خيمته اربعة اشهر متوالية لكنه اعد بعثات المزالق في غضونهما وحاول اولاً ارسالها في آخر فبراير فلم تستطع الذهاب لان البرد كان شديداً جداً فقد بلغ الى ٥٢ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد فماتت الكلاب من شدته واضطر الرجال ان يعودوا في اليوم الثاني

ثم ارسل بعثة اخرى في ١١ مارس وفيها ثلاثة عشر رجلاً وثلاث عشرة مزلفة و١٠٨ كلاب فوجدت من المشاق في طريقها ما لا يوصف وكانت تضطر احياناً كثيرة ان تقطع جبال الثلج بالفؤوس لكي تسير بينها. ورأى رئيسها ان الزاد الذي اخذته معها قد لا يكفيها لكثرة ما كان يأكله رجالها فاعاد ثلاثة منهم في ٢١ مارس ومعهم زاد يكفيهم عشرة ايام فانقطع خبرهم من ذلك الحين ولم يسمع عنهم شيء حتى الآن.

وفي الحادي والثلاثين من مارس ارجع ستة آخرين ومعهم زاد يكفيهم خمسة وعشرين يوماً فوصلوا الى الخيم سالمين . وبقي هو وثلاثة من الايطاليين سائرين في طريقهم والجليد كثير العرايب مترام القطع الى ان بلغوا الدرجة ٨٥ من العرض ومن ثم صارت حقول الجليد منبسطة فسارت مزالقيهم عابها سيراً حثيثاً وقلّ زادهم كثيراً فاقتصروا على اكل لحم الكلاب لكن عزائمهم لم تضعف لانهم كانوا عازمين ان يبلغوا الدرجة ٨٧ حتى يقال أنهم فاقوا كل من تقدم من قصائد القطب الشمالي

وفي الرابع والعشرين من ابريل وصلوا الى الدرجة ٨٤ والدقيقة ٣٣ من العرض والدرجة ٦٥ من الطول ورأوا هناك انه لم يبق لهم سبيل للتقدم لأنه لم يبق معهم زاد فاضطروا ان يعودوا ادراجهم فاقتضى ذهابهم خمسة واربعين يوماً وايابهم تسعة وخمسين يوماً ولم يجدوا ارضاً في طريقهم وكان الجليد يغطي البحر كله في ذهابهم واما في اياهم فوجدوه قد تقطع وصار جزائر طافية في البحر فصاروا يضطرون ان يشبوا من جزيرة الى اخرى او يقفوا على الجزيرة ويدفعوها حتى تسير بهم كلقارب الى ان تصل الى غيرها . وتخطوا رفاقهم في رجوعهم واوغلوا جنوباً نحو ٤٤ دقيقة ثم عادوا ادراجهم لما اكتشفوا خطأهم ووصلوا سالمين ولكن على آخر رمق لانهم اضعوا مزالقيهم كلها ولم يبق معهم من الكلاب الا سبعة

وبذل التجارون جهودهم في اصلاح السفينة فوجدوا انها لا تستطيع البقاء هناك شتاء آخر . وفي الثامن من اغسطس انفك عنها قيد الجليد فقام الدوق ورجاله وتركوا جانباً كبيراً من الزاد هناك للرجال الذين ضلوا الطريق يكفيهم سنتين اذا عثروا عليه وعادوا بالسفينة الى الخليج الانكليزي فوصلوه في يوم واحد لكنهم وجدوه مسدوداً بالجليد فبقيت السفينة تجاهد ستة عشر يوماً واشرفت على الغرق مراراً كثيرة واخيراً وصلوا الى بحر لا يغطيه الجليد وفي اليوم الاخير من اغسطس وصلوا الى رأس فلورا فوجدوا فيه رسائل البريد وقد تركتها لهم سفينة الصيد كابلان في ١٢ يوليو الماضي وفيها كتاب من الملك همبرت ملك ايطاليا . ولما اطاع الدوق عليه كان عمه قد قضى قتيلاً . ووصلت السفينة الى كرستيانا وحياتها الرحالة نسن وقال مخاطباً دوق ابروزي « لقد احببتم تاريخ ماركو بولو وخريستوفورس كولمبوس واوغتم في الشمال يا ابناء الجنوب اكثر مما اوغل ابناء الشمال » . هذا ما يفعله ابناء الملوك في اوربا لخدمة العلم والتجارة فكيف لا ترتقي بلادهم وتسود غيرها

كوك ومهارة صحفي

من رجال العصر الذين نبغوا من بين اهل الصحافة الانكليزية السر فيليب جيس Sir Philip Gibbs ومن الرجال الذين تمكنوا من غش العلماء والساسة ورجال الصحافة الدكتور كوك الذي ادعى انه ضرب في الاصقاع الشمالية حتى وصل الى القطب الشمالي وقد كشف الاول غش الثاني وفصل ذلك الآن تفصيلاً وافياً في مجلة لندن فاقتطفنا منه ما يأتي لما فيه من الغرابة والفكاهة عسى ان يستفيد منه مخبرو الصحف بنوع خاص قال : —

استدعاني المستر بريس محرر الاخبار في جريدة الديلي كرونكل وقال لي ان رجلاً يسمى الدكتور كوك اكتشف القطب الشمالي وينتظر ان يصل الى كوبنهاغن غداً وقد سبقك كثيرون من مخبري الجرائد اليها فانظر لعلك تستطيع ان تقابله وتكتب لنا شيئاً عنه . فتهددت حسب عادتي وذهبت الى الصراف وتناولت منه مبلغاً كافياً من النقود وسافرت الى كوبنهاغن بطريق البحر الشمالي وجعلت اكرر اسم كوك لثلاث اناش ولم اكن اعلم شيئاً عن هذا الرجل ولا عن القطب الشمالي ولا عن الذين حاولوا اكتشافه . وبلغني ان اربعين من مخبري الجرائد سبقوني فترجح لي اني اصل متأخراً وعلى كل حال لا اعلم ماذا اسأل هذا الرجل لو لقيته

وصلت الى كوبنهاغن مساء وقد اخذني التعب والصداع كل مأخذ وظننت ان افضل شيء يريحني حينئذ فنجان من القهوة وكنت اعرف الالمانية فناديت مركبة واخبرت سائقها بمراذي فاخذني الى قهوة صغيرة مزدحمة بالرجال والنساء ودخان التبغ مسردق فيها . فجلست الى مائدة وتناولت جريدة دنماركية واذا فيها اسم الدكتور كوك بحروف كبيرة وانا اجهل هذه اللغة وجاءني خادم القهوة حينئذ فأرثته الاسم واذا هو يعرف الانكليزية فسألته هل وصل كوك الى كوبنهاغن فقال كلا وقد كان المنتظر ان يصل ظهر اليوم ولكن الضباب اخر سفينته فلا تصل الا غداً صباحاً والدمارك كلها منتظرة قدومه . فسرى عني بعض الشيء والتفت لارى هل هناك احد من مخبري الصحف الذين اعرفهم فلم ار احداً وبعد قليل رأيت حركة في الجمع المحتشد فالتفت واذا انا بسيدة جميلة المنظر حول عنقها فرو ايض وعلى رأسها

قبعة من الفرو ومعها سيدة اخرى ورجل طويل القامة . فدنا مني الخادم حينئذ وقال لي رأيت هذه السيدة الحسنة هذه مدام راسموسن . فكانه ذكر لي اسم رجل صيني لانني لم اكن اعلم من هو راسموسن . ولحظ ذلك مني فاستدرك وقال امرأة كنود راسموسن الرائد المشهور الذي جاء بالكلاب للدكتور كوك لكي يسافر بها الى القطب الشمالي وهو من اعز اصدقائه

فرأيت حينئذ ان سعدي اخبرني عن سائر مخبري الجرائد واوصلني الى تلك القهوة وبعث الي بذلك الخادم . فزدت جرأة ودنوت من تلك السيدة وقلت لها بكل تأدب اني آت من قبل جريدة في مدينة لندن لكي ارى الدكتور كوك واحادثه وقد علمت انه صديق حميم لحضرة زوجك فهل تديني اين هو الآن ؟

وكانت هذه السيدة فوق جمالها الفتان على غاية الادب والظرف ولها المام بالفرنسوية والالمانية والانكليزية . والرجل الذي كان معها واسمه بطرس فروكن من رواد الاصقاع القطبية وهو يحسن لغات كثيرة فسهل علينا التخاطب والتفاهم . ووافقني السيدة على ان زوجها صديق لكوك وقالت انه كان آخر من رآه حينما سافر قاصداً ارياد القطب الشمالي ولذلك قصدت هي ان تكون الاولى بين الذين سيستقبلونه وكان هناك رفاص على اهبة السفر لملاقاة الدكتور كوك في سفينته وكانت هي عازمة ان تذهب فيه ولكن خيم الضباب فافسد الخطة التي كانت منوية ولا يستطيع الرفاص ان يسافر قبل الصباح

فقلت لها اذا كنتم تودون السفر فعلا فلماذا لا نذهب الآن الى السينور Elsinore فنييت فيها ونركب الرفاص عند الفجر وانا اذهب في رفقكم اذا سمحتم فضحكت وقالت ولكن لقد سافر آخر قطر يقوم من هنا الليلة

فقلت لها لماذا لا نذهب باتوموبيل ؟

فقلت ان سير الاتوموبيلات ممنوع ليلاً الا الى مسافة قليلة عن كوبنهاغن والسائق الذي يخالف القانون يغرم او يجبس . فناديت خادماً القهوة وقلت له علي باتوموبيل . وفي اقل من دقيقة رأيت السائق امامي وقبعته في يده فقلت له والخادم يترجم بيننا نحن اربعة واريد ان توصلنا الى السينور الليلة . فانغض رأسه وقال انه لا يستطيع لثلاث غرامات كبيرة

فقلت له كم الغرامة ؟ وانا اقول في نفسي لو طلب مني خمسين جنيهاً لدفعتها له

حالا (من مال الديلي كرونكل حتما) ولكنه قال ان الاجرة والغرامة خمسة جنيهات فالتفت الى مسز راسموسن وبطرس فروكن والسيدة الاخرى ودعوتهم الى الذهاب في ضيافتي

فاغربوا في الضحك وبعد اللتيا والتي قبلوا الدعوة . واتفقنا على ان نسافر الساعة العاشرة ليلا اذ تكون السكك قد خلت من السابلة وحينئذ نستطيع ان نسير من غير ان تنار مصاييح الاتوموبيل فلا يرانا البوليس . وكانت الساعة التاسعة حينئذ فتعشنا وكان اكثر الحديث عن الدكتور كوك ثم ركبنا الاتوموبيل وانا لا اكاد اصدق ما ارى اذ امامي سيدة بديعة الجمال زوجها صديق حميم للدكتور كوك الذي لم اسمع باسمه الا امس والى جانبي رجل من رواد الاصقاع القطبية

وصلنا السينور من غير مشقة مع ان البرد كان قارصاً ودخلنا فندقاً شربنا فيه مشروباً سخناً ورأت مسز راسموسن ربان الرفاص الذي كان عازماً ان يلاقي الدكتور كوك وطلبت ان نذهب فيه كلنا وبعد حديث طويل معه عادت الي وهي تضحك وتقول لقد ابى ان يأخذنا معه لان الرفاص مملوء من الركاب ولكنه رضي ان يأخذك انت وحدك لانك (جورنالجي) انكليزي . فاسفت جد الاسف لاني جعلتهم يتكبدون مشقة السفر ليلا على غير طائل اما هم فاظهروا الغاية القصوى من مكارم الاخلاق فاهم هم الذين اخبروا ربان الرفاص اني آت من انكلترا لهذا الغرض حتى اقنعوه لكي يأخذني معه ثم ودعوني داعين لي بالتوفيق

سرنا عند الفجر ولم يكن الا قليل حتى رأينا سفينة الدكتور كوك واسمها (هنس اجيد) ماخرة تهادي فحاذيناها بالرفاص وصعدنا اليها واذا انا برجل بهي الطلعة ملاحه اسكتلندية يحيط به اناس شعورهم مسدولة فاستنتجت انه الدكتور كوك ولم يكن معنا في الرفاص من مخبري الجرائد غير اثنين دنماركيين فتقدمت انا الى الدكتور كوك وصالحته وهنأته وعرفته بنفسي وقلت له اني مخبر جريدة انكليزية . فامسك بيدي وقال تعال وافطر معي واجلسني على المائدة الى جانبه وكان عليها كثيرون من الرجال والنساء بملابس غريبة واكثرهم من الرسائل الدينية . وجعلت اتفرس في وجه الدكتور كوك فرأيتته شديد الانفعال يكثر من الضحك والكلام ولكنه يتجنب التفرس في وجه احد فراق لي منظره واحببته وحسبته بسيطاً مخلصاً . وكنت كلما سألته عن سفرته لا يجيبني جواباً صريحاً . ولما أكثر

لجأحتي ولجاجة المخبرين الدنماركيين عليه ادخلنا الى غرفته وتكلم معنا ساعة وكان المام ذينك المخبرين بالانكليزية قليلا فاقصر على الكلام معي ولم يخامرني حينئذ اقل ريب ان كل ما قاله لي كان صحيحاً ولما كنت اجهل كل شيء عن الاصقاع القطبية وارتياها سألته مسائل كثيرة لعلي اقف على شيء من الحقائق وارتدت ان اكفيه مؤونة الكتابة والتبييض فطلبت منه ان يريني يوميته فنظر اليّ نظر المستريب الغاضب وقال انه لم يكتب يومية وان اوراقه وضعت في يخت لرجل اسمه هوتني لياخذها الى نيويورك

فقلت له متى يصل الى هناك ؟

فقال : في السنة المقبلة

فقلت : ولكن لا بد من ان تكون قد اقيت معك الاوراق الجوهرية

فقال : لا اوراق معي واظهر النيظ

فقلت : لعلك ترينني ارصادك الفلكية (وانا مسرور لان هذه الكلمة

خطرت بيالي)

فقال الم اقل لك اني لم آت بشيء من اوراقي . قال ذلك بغيظ شديد اوقع في نفسي شيئاً من الريب . ثم قال لقد صدقم ما رواه ننسن وامندسن وسقردرب فلماذا لا تصدقوني

كنت قد صدقته اما الآن فرأيت في وجهه وكلامه ما رايني لانه بان لي كمن ارتكب جريمة وهو يخشى كشفها . ولكنني اردت ان اكون على بينة تامة من امره فقلت له انه لا يُعقل انه يأتي الى اوربا كمكتشف اكتشافاً عجز عنه كل الرواد قبله وليس في يده وثيقة تثبت دعواه . ولما رأيتّه زاد غيظاً مني وانا لا بد لي من ان اتناول شيئاً منه ابعث به الى جريدتي تركت الاحاح عليه في هذا الموضوع وجعلت اسأله عما لقيه من المصاعب والمخاطر وعن ثقل المزالق التي كان يسير فيها على الجليد وعدد ما كان معه من الكلاب لجرها . فقص علينا اخباراً كثيرة فيها كثير من المتناقضات فكتبت اكثر ما رواه وكان يقف احياناً كمن يراجع نفسه ويلفق قصة تلفيقاً او يحاور الدفاع عن نفسه . فاستنتجت من ذلك على انه كاذب وانه لم يصل الى القطب الشمالي كما ادعى ومراده ان يخذع الناس ولكن لم تكن عندي بينة على ذلك

ولما وصلنا كوبنهاغن رأينا كأن المدينة كلها خرجت لاستقباله وكان المرفأ مكتظاً بالسفن من كل نوع من اليخوت الكبيرة الى الزوارق الصغيرة وارتفعت من الذين فيها اصوات الترحيب والتهليل وعزفت آلات الطرب بنشيد مطلعها « جاءنا الجبار بالفوز العظيم »

كل هذا والدكتور كوك في قرته لم يخرج منها الى ان جاء رجل دنماركي طويل القامة اسمه نورمن هنسن وهو من الشعراء والرواد. وقد وقف امامي فيما بعد موقف العدا لانني كذبت دعوى كوك

وخرج الدكتور كوك حينئذ من قرته ممتعاً. لم ارجحاً سطرت جريمته على وجهه مثل هذا الرجل ولا سيما لما دنا منه ولي عهد الدمارك ليحييه باسمها ويهنئه باكتشافه المجيد. وهي اول مرة رأيت فيها قد ارتبك وحصر عن الكلام ولما نزلنا الى البر تعذر عليّ اختراق الجمع المحتشد وكاد الدكتور كوك يخفق من تألهم عليه وبلغني ان وليم ستد صاحب مجلة المجلات هرع اليه واعتنقه وطلب من رجال الصحافة الذين كانوا هناك ان يحيطوا به كحرس له لئلا يقضى عليه. ولما بلغت آخر الجمع لقيت اول رجل من رجال الصحافة الانكليزية وهو الفونس كورلندر وكان صديقاً لي ولما علم اني كنت مع كوك في سفينته وحادثته ساعتين نظر الي نظر المتوسل كأنه يريد ان اخبره ببعض ما سمعت ولكنني تماصت منه بالتي هي احسن وركبت اول مركبة لقيتها وهربت بها وانا شاعر ان في جيبي اعظم قصة من قصص العصر

ذهبت الى فندق صغير في طرف المدينة بعيداً عن الناس وكتبت ما يملاً سبعة اعمدة من الديلي كرونكل ذكرت فيها القصة التي رواها لي كوك بتامها وانتقدتها متهمكاً عليه وميناً ارتياي في صدقه. ولما سلمت مقالي لعامل التلغراف ادركت اني خطوت خطوة ستؤدي بي اما الى فوز مجيد واما الى قضاء مبرم

لما كنت اكتب مقالي هذا كان امام الدكتور كوك اربعون من رجال الصحافة وكبيرهم المستر ستد يلقي عليه المسائل وهو يجيب عنها. وما منهم الا راجعه بكلمة او ابدى اقل ارتياب في دعواه واخيراً وقف ستد نائباً عنهم وهنأ باكتشافه القطب الشمالي معجباً بهمة وصائغاً له قلائد المدح

ولحسن الاتفاق كنت انا الوحيد الذي ارتاب في هذه الدعوى وبين مواقع

الريب فيها . وكنت واثقاً بصحة ما استنتجته ولكن هل استطيع ان اؤيد استنتاجي بادلة قاطعة تقنع الجمهور . هذا الامر شغل بالي فبت شديد القلق وعلمت في اليوم التالي ان رسالتي نشرت كلها لان التلغرافات اتت بفقرات منها نشرتها جرائد الدمارك فقام لها الناس وقعدوا . وواليت الكتابة في هذا الموضوع وانا اجبيء بالحجة تلو الحجة تأييداً لرأيي . فجعل الناس يتظاهرون بعداني ونشرت جرائد الدمارك صورة هزلية لي على اقبح ما يكون ولقبتني « بجيس الكذاب » لكنها اعتذرت عن ذلك فيما بعد . ولا داعي لتفصيل كل الادلة التي اقمتها على كوك والاشراك التي نصبتها حول قدميه . فقد ادعى انه اخبر سقردررب الرائد الدماركي المشهور بتفاصيل رحلته الى انه اكتشف القطب الشمالي وان سقردررب جاهر بأن هذه التفاصيل صحيحة وهي تدل على ان كوك وصل الى القطب حقيقة . فذهبت الى سقردررب وسألته عن صحة ما نسبه كوك اليه فقال لي ان كوكاً لم يذكر له دليلاً واحداً عن صحة دعواه

وادعى كوك انه كتب رحلته وارصاده الفلكية واعطاها لجامعة كوبنهاغن . وادعت الجرائد الدماركية ان علماء الفلك وعلماء الجغرافية في تلك الجامعة فحصوها فوجدوها صحيحة واقتنعوا ان كوك وصل الى القطب الشمالي فعلاً . فقابلت رئيس الجامعة فقال لي ان كوك لم يعط الجامعة شيئاً مكتتباً ولم يقدم لها دليلاً واحداً على صحة دعواه وعرضت ما كتبتنه من كلام كوك على فروكن وغيره من رواد الاصقاع الشمالية من حيث المسافات وثقل المزالق ومقدار الزاد الذي كانت الكلاب تجره فاكدوا لي ان كل ما قاله لي ضرب من المحال . ثم عارضت اقواله لي باقواله لسائر مخبري الجرائد وبينت ما فيها من المتناقضات . وكنت اشتغل بذلك نهائياً وليلاً عن طيبة نفس لاعتقادي ان الحق في جانبي ولكن اعترضتني امور كادت تخور منها عزمي فقد نشرت الجرائد كلها ان رئيس جامعة كوبنهاغن انكر انه حادثني في هذا الموضوع او انه مرتاب في ادلة كوك . فبعثت الديلي كرونكل الي تلغرافاً تطلب ايضاح ذلك . وكان مكاتب الديلي كرونكل في كوبنهاغن قد جاءني بجرائدها وفيها هذا الانكار المنسوب الى رئيس الجامعة . فوقع ذلك علي كصاعقة من السماء . وجاءني المستر ستد حينئذ ووضع يده على كتفي وكان لا يزال من المعجبين بكوك وقال لي « لقد قضيت على نفسك ايها الشاب وذلك ليس بكبير الاهمية ولكنك قضيت

ايضاً على الديلي كرونكل ولها عندي مقام رفيع « وكان قد قرأ ما كتبتته جرائد الدمارك . فقلت له : اني شاب ولا شأن لي اذا قوبلت بك وانا الآن لاجيء الى شهامتك لكي تذهب معي الى رئيس الجامعة ومرادي ان اطرح عليه بمض المسائل فتكون شاهداً على ما يقول

فقال : لبيك لبيك وناخذ معنا شاهدين آخرين واحداً من العدول وآخر من الذين نشروا الانكار . الاول الكونت دسدن الفرنسي مكاتب جريدة من امهات الجرائد الفرنسية والثاني وكيل شركة من الشركات التلغرافية وهو الذي اذاع انكار رئيس الجامعة

فذهبنا كلنا وقابلنا رئيس الجامعة فلم يشأ اولاً ان يفوه بكلمة في مسألة كوك لا سلباً ولا ايجاباً لكن المستر سستد قال له ان المسألة هامة جداً وعليها تتوقف نجاة هذا الشاب من العار والدمار . وحاول ممثل شركة التلغرافات ان يحول بين الرئيس والمستر سستد ويمنعه من انكار ما نسب اليه وجعل يتكلم بالالمانية بسرعة حتى يتعذر علي فهم كثير من كلامه . ولكن الكونت الفرنسي نصرني عليه وامره ان يتكلم بالانكليزية او بالفرنسوية حتى نفهم كلنا ما يقول وايده المستر سستد في ذلك . وكررت علي الرئيس المسائل التي سأله اياها في مقابلي الاولى له وكتبتها علي ورقة وتلوتها عليه وهي هل عرض كوك علي الجامعة صورة مكتبة من اسفاره ؟ وهل قدم لها شيئاً من ارساده الفلكية ؟ وهل قدم لها دليلاً علي انه بلغ القطب ؟

فتلكأ الرئيس طويلاً ثم اجاب بالنفي عن كل مسألة من هذه المسائل الثلاث ولكنه كان مضطرباً . ثم علمت ان الجامعة ورئيسها الاعظم وهو الملك كانا قد شاركا كوك في دعواه بمنحه رتبة شرف اعترافاً بوصوله الى القطب . فصار مركز هذا الرئيس حرجاً جداً بل شديد الخطر عليه . فلما لفظ كلمة « لا » الاخيرة تنفست الصعداء وطلبت منه ان يوقع علي المسائل وعلى ما اجاب به . فاني ذلك أولاً وبعد الالحاح وقعها لكنه استدرك قائلاً ان هذا ليس للنشر . فقلت اذاً لا فائدة من توقيعك وايدني المستر سستد والكونت فسلم بالنشر وللحال ودعته وعدوت وانا اخاف ان يقبض احد علي ليأخذ الورقة مني . ونشرت المسائل واجوبتها في الديلي كرونكل وفي مئات من الجرائد

لكن المصائب لا تأتي فرادى فقد كنت اتناول الغداء ذات يوم مع مسز راسموسن

وبطرس فروكن المذكورين آنفاً فأرتني مسز راسموسن كتاباً اتاها من زوجها وكان صديقاً حميماً لكوك كما تقدم وقالت لي ان هذا الكتاب يهيك أكثر مما يهيم اي انسان كان فقرأه فقلت لها اني آسف جداً لانني اجهل اللغة الدنماركية فاشارت الى فقرة فيه وقالت لي اني اسمح لك بنسخ هذه الفقرة . فقطعت ورقة من دفترتي واعطيها لبطرس فروكن فنسخها وترجمها لي اسكار هسن الى الانكليزية وكتب الترجمة تحت الاصل . وفيها ان كنود راسموسن زوجها يقول انه « ثبت له الآن ان كوك غشاش كذاب » . كلام مثل هذا من رجل شريف شهير مثل راسموسن له اعظم شأن في نظري وفي نظر كل احد فاستأذنت مسز راسموسن في نشر هذه الفقرة في رسالة ابعت بها الى جريديتي . فاذنت لي ونقلتها عنها جرائد الدنمارك فتحدث بها كل احد . وفي مساء اليوم التالي لقيني صحفي دنماركي واراني جريدة وقال لي ارأيت هذا . واذا فيها انكار صريح من مسز راسموسن انها ارتني كتاباً من زوجها او ان زوجها كتب اليها شيئاً من ذلك . فوقفت حائراً في امري لا اصدق ما ارى بعيني ثم جعلت افتش عن بطرس فروكن ومسز راسموسن فلم اعثر عليهما وتعذرت عليّ روية مسز راسموسن بعد ذلك لانها امرت بمغادرة كوبنهاغن . فعدت الى غرفتي وجعلت افتش عن الورقة التي كتب عليها بطرس فروكن الاصل الدنماركي والترجمة الانكليزية فلم اجدها بين اوراقه واخيراً وجدتها تحت سريري وكأني وجدت اثنان كنز

ثم ان اسكار هسن شهد شهادة رسمية بعد ان اقسم اليمين انه رأى الاصل الدنماركي وترجمه الى الانكليزية كما نشرته انا وحلف وكيل شركة التلغرافات ان الخط خط بطرس فروكن . وكتبت انا ادعو مسز راسموسن لتعرض كتاب زوجها على لجنة من ستة أشخاص تختار هي ثلاثة منهم واختار انا ثلاثة فاذا قالت اللجنة ان الفقرة لا وجود لها في الكتاب فانا ادفع مبلغ كذا (وعينت مبلغاً كبيراً) لفقراء الدانمارك فلم تلبي طلبي وصدق الناس قولي ولم يعاؤوا بقولها

وبقي المستر ستم مصدقاً دعوى كوك الى ان نزلت جامعة كوبنهاغن الرتبة التي منحها اياه فكتب ستم اليّ حينئذ يقول انت الراجح وانا الخاسر . ويلى ذلك كلام يدل على كرم اخلاقه ولا شبهة ان هذه الحادثة من اغرب الحوادث وقد خدمني السعد فيها اعظم خدمة

الكومندر پيري

مكتشف القطب الشمالي

وُلد في بلدة كرسون بولاية نيسلانيا من اعمال الولايات المتحدة الاميركية يوم ٦ مايو سنة ١٨٥٦ وتخرج في كلية بوودين سنة ١٨٧٧ . ثم تلقى العلوم الهندسية فنال شهادة مهندس سنة ١٨٨١ وانتظم في سلك البحرية الاميركية برتبة ملازم . وعين سنة ١٨٨٤ معاوناً للمهندس الذي عُهد اليه في مسح بحيرة نيكارغوا باميركا الوسطى ثم خلفه اصيلاً في هذا المنصب سنتي ١٨٨٧ و١٨٨٨

على ان دافع المغامرة والاقدام وحب الاكتشاف الذي يدفع كبار الرواد الى تجشم المخاطر والمشاق في سبيل رحلة يقومون بها في مجمل من مجاهل الارض كان يدفع الملازم پيري الى جلائل الاعمال . فاستأذن وزارة البحرية سنة ١٨٨٦ في ان يقضي اجازته السنوية في رحلة الى خليج بلسكو في جزيرة جرينلند (الارض الخضراء) فاذنت له في ذلك وكان من اثر هذه الرحلة في نفسه ما حملهُ فيما بعد على ان يرحل رحلات عديدة الى الاصقاع المتجمدة الشمالية حتى بلغ القطب سنة ١٩٠٩ فتسوجت بذلك اعماله بتاج من الفخار لانه كان اول من بلغ القطب الشمالي في التاريخ على ما يعلم

وفي سنة ١٨٩١ أعدت معدّات رحلة الى الاصقاع الشمالية تشرف عليها اكدمية العلوم الطبيعية بفلاذلفيا وجعل پيري زعيمها فرافقته زوجته فيها فكانت بذلك المرأة الاولى من الجنس الابيض التي رافقت بعثة من البعثات التي رادت الاصقاع المتجمدة الشمالية

قضت هذه البعثة الشتاء في خليج الجلفيد في الشمال الغربي من جزيرة الارض الخضراء وفي اوائل الربيع اصطحب پيري شاباً نرويجياً يدعى استريب فاجتازا الجزيرة من شمالها الغربي الى شمالها الشرقي ذهاباً واياباً فنبت لهما ثبوتاً ينفى كل ريب . ان جرينلند جزيرة . وفي اثناء ذلك بحث رجال البعثة المتخلفون في خليج الجلفيد مباحث علمية دقيقة تتعلق بقبيلة من قبائل الاسكيمو وهي اقرب القبائل الى القطب الشمالي

وفي سنة ١٨٩٣ اعدّ پيري رحلة اخرى رافقته فيها زوجته التي ولدت فتاة في مشقّي البعثة بخليج انجليفيلد وفي سنة ١٨٩٤ رحل رحلة صيفية قصيرة الى خليج ملقيل فكشف ثلاث نيازك كان الاسكيمو يصنعون من قطعها آلاتهم وادواتهم الحديدية .
وسنة ١٨٩٨ نشر كتاباً عنوانه « الى الشمال على الجليد » ذكر فيه اكثر ما عرفه في رحلاته السابقة لتاريخ نشر الكتاب . وكان المستر لارين جب ونادي پيري القطبي يمدانه بالاموال اللازمة لرحلاته المختلفة

وتلا ذلك رحلتان اثبت في اولها حدود جزيرة جرينلند الشمالية وان وراء هذه الحدود محيطاً زاخراً حول القطب . وفي الثانية بلغ الدرجة ٨٤ والدقيقة ١٧ والثانية ٢٧ من العرض الشمالي وهو ابعده ما وصل اليه المكتشفون شمالاً . ولدى عودته من هذه الرحلة انتخب رئيساً للجمعية الجغرافية الاميركية ورتقي الى رتبة كومندر في البحرية الاميركية . وفي سنة ١٩٠٣ ذهب الى انكلترا في بعثة بحرية فاهدت اليه الجمعية الجغرافية الاسكتلندية وسام لفنستون الذهبي

وبعد رجوعه من انكلترا اخذ يعد المعدات لرحلة قطبية جديدة وبنيت لذلك سفينة خاصة اطلق عليها اسم « روزفلت » وهو رئيس الولايات المتحدة حينئذ فاقلع من نيويورك في ١٦ يناير سنة ١٩٠٥ ومعه مؤونة تكفي لرجال البعثة سنتين . وقضى الشتاء على الشاطئ الشمالي من جزيرة الزمير وهي الى الغرب من جزيرة جرينلند وفي ٢١ فبراير استقل هو ورجاله المزاج قاصدين القطب فاعاق سيرهم وجود شقوق كبيرة في الجليد بين الدرجتين ٨٤ و٨٥ من العرض الشمالي . ولما تقدموا قليلاً الى الشمال ثارت في وجههم عاصفة شديدة فتشقق الجليد وتهدمت المخازن التي كانوا قد اقاموها في الطريق لحفظ المؤونة وانقطعت عليهم سبل العودة الى حين وشعروا ان الجليد الذي يسرون عليه يتجه بهم شرقاً . ولكن في ٢١ ابريل سنة ١٩٠٦ بلغوا الدرجة ٨٧ والدقيقة ٦ من العرض الشمالي وهو اقصى ما بلغه انسان شمالاً . وكان السفر قد انهمكهم فحاولوا العودة صابرين على كثير من المكاره والمشاق فوصلوا الى شواطئ جرينلند الشمالية ومن هناك اتصلوا بسفيتهم . وبعد راحة اسبوع سافر پيري بالمزاج في البلاد الواقعة على الشاطئ الشمالي من جزيرة الزمير وتعرف ببلاد غرانت (غرانتلاند) ثم عادت البعثة الى اميركا فوصلت الى بلدة حيرون بلبرادور

في ١٣ اكتوبر سنة ١٩٠٦ بعدما اشرفت سفينتهم على التحطم والغرق وسنة ١٩٠٧
نشر پيري اخبار هذه الرحلة في كتاب دعاهُ « على مقربة من القطب »
وفي سنة ١٩٠٨ رحل پيري على السفينة « روزقلت » الرحلة التي توجت اعماله
بتاج الفخار الخالد الذي يجزى به اهل العزيمة والاقدام فاقلع من بلاد ايتاه بلبرادور
في ١٨ اغسطس سنة ١٩٠٨ ففضى الشتاء في « غراتلاندي » واجبه شمالاً في مارس
سنة ١٩٠٩ . وكان معه ستة رجال قسمت فرقاً تسير كل فريق منها على حدة تتقدم
الفرقة الاخرى ثم تتبعها هذه . ولما اخذت المؤن تقل جعل يعيد رجاله على اعقابهم
واحداً واحداً خوفاً من ان يموتوا جوعاً ولما بلغ الدرجة ٨٧ والدقيقة ٤٨ من
العرض الشمالي كان معه الكبتن بارتلت وهذا عاد على اعقابه لما وصلوا الى هذه
الدرجة من العرض . فسار پيري بصحبه خادمه الاسود واربعة من رجال الاسكيمو
لا تنبهم المصاعب والمشاق حتى بلغوا القطب في ٦ ابريل سنة ١٩٠٩ . فلبثوا هناك
نحو ثلاثين ساعة رصدوا بعض الارصاد ودونوا بعض الملاحظات وسبروا غور
البحر على بضعة اميال من القطب . وعادوا سالمين لم يصب احد منهم بمكروه الا احد
رجال الاسكيمو الذي غرق



عصر الطيارة والبلون

رحلة امندسن الاولى بالطيارة

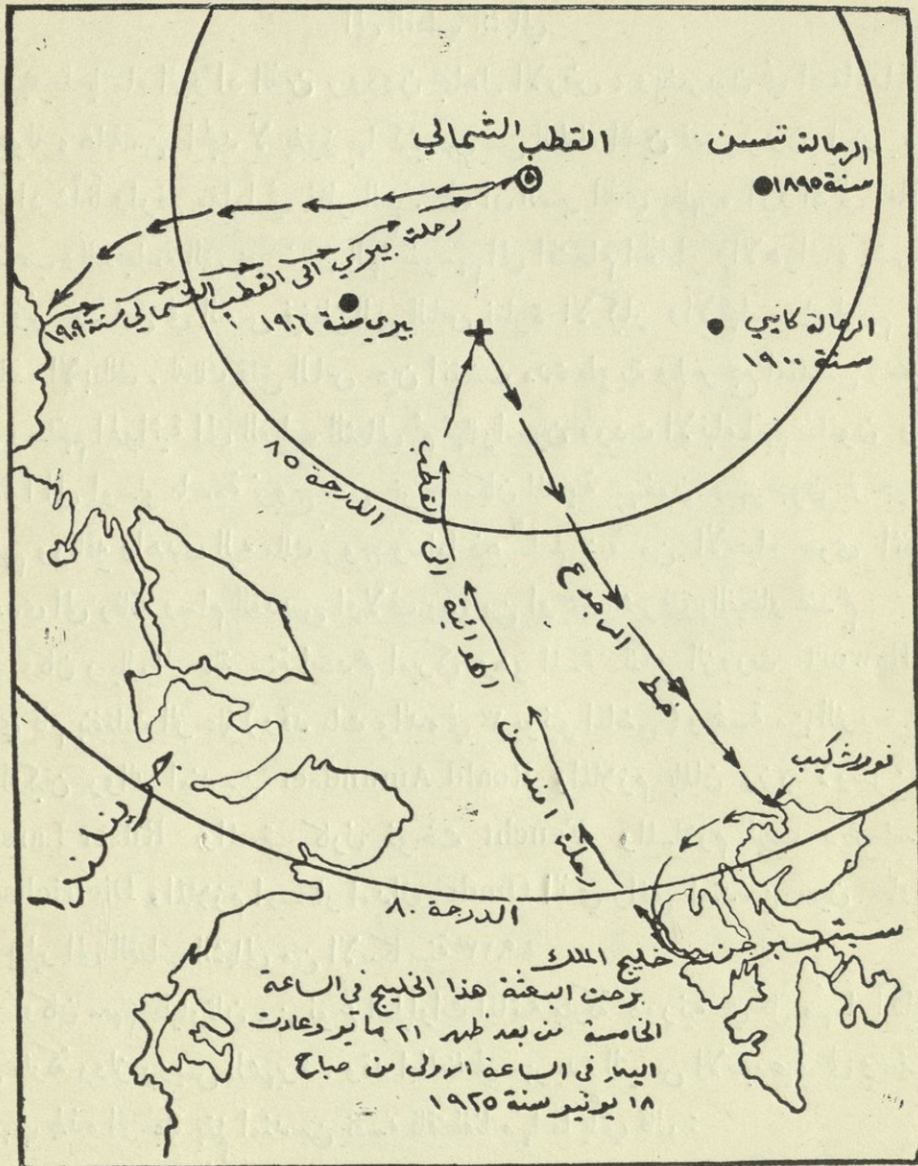
الى القطب الشمالي

تحيط باسماء الرواد الذين يرودون مجاهل الارض ، ويضربون في اصقاعها غير المأهولة ، هالة من المجد لا يفوز بها كثيرون من العلماء الذين قد يكونون اكبر من الرواد شأناً وارفع مقاماً في نظر العلم . على ان الصبر الذي يظهره الرواد في مغالبة المصاعب والشجاعة التي يعرضون اليها نفوسهم الى اقتحام المخاطر والاهوال ، تضرب على وتر حساس في النفس فينظر اليهم الناس نظرة الاكبار والاعجاب ويجعلونهم في مصاف الابطال . لذلك قلق الناس حين انقضت مدة طويلة ولم يرجع امندسن وصحبه من رحلتهم الهوائية الى القطب الشمالي ثم تهللوا حين وردت الانباء انهم سالمون وما وصلوا الى اوسلو عاصمة نرويج حتى خرج سكان المدينة يهتفون ويهزجون لرجوع بطلمهم ورفاقه واهدى اليه ملك نرويج وساماً ذهبياً لم ينله من الاحياء سوى اثنين واهدى الى رفاقه وسام القديس اولاف وهو من اوسمة الشرف والفخار عندهم

وكان رجال الرحلة ستة احدهم اميركي وهو المستر لنكن الزورث Ellsworth الذي قام بنفقات الرحلة (وقدمت والده في ٣ يونيو الماضي) وخمسة من الزوجيين هم الكبتن روالد امندسن Roald Amundsen والملازم بالمان ريزر لارسن Ruser Larsen والمستر كارل فوخت Feucht والملازم ليف ديترخسن Dietrichson والملازم اوسكار امدال Omdal الذي رافق امندسن حين حاول ان يطير الى القطب الشمالي من الاسكا سنة ١٩٢٣

وكان معهم طيارتان من نوع الطيارات المائية ماركة دورنيه في كل منهما آلتان من ماركة رولز رويس الشهيرة . وقد اطلعنا في جريدة التيمس الاسبوعية على وصف مسهب لهذه الرحلة بقلم امندسن نفسه فاقتطفنا منها ما يأتي قال :

انتظرنا اليوم الحادي والعشرين من شهر مايو بفارغ صبر لانه كان اليوم الذي ضربناه للبدء في ارتياد مجاهل الاصقاع المتجمدة الشمالية بالطيارات تناولنا طعام الغداء كالعادة ثم اعدنا احمال الطيارتين وجهزنا امتعتنا فكتب كل منا اسمه وعنوانه على صندوقه حتى ترسل الامتعة الى نرويج اذا لم نرجع واجتمع كثيرون من رفاقنا ومن سكان نيوايلزند حول الطيارتين ليحيونا تحيات



خريطة رحلة امدسن الهوائية الى القطب الشمالي

الوداع فادار ريزر لارسن وديترخسن آلات الطيارتين في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة عشرة مساءً وتركوها تدور ثلاثة ارباع الساعة حتى تسخن ثم سعدنا في الهواء في بدء الساعة الخامسة وكل من الطيارتين يحمل نحو ثلاثة اطنان

وما سرنا طويلاً حتى لقينا ضباباً كثيفاً يمتد الى ابعداً ما يصل اليه البصر فاقتربت الطيارتان احدهما من الاخرى وارتفعتا اولاً الى علو ١٨٠٠ قدم ثم الى علو ٣٠٠٠ قدم ومضينا في سيرنا فوق الضباب . كانت الحرارة حينئذ على عشر درجات تحت الصفر بميزان سنتغراد والضباب كغشاء كثيف يحجب عنا وجه الارض على اننا كنا نرى فروجاً صغيرة فيه بين آونة واخرى فكنت انظر من خلالها الى الارض فأرى جليداً حديث التجمد يختلف عن انهر الجليد القديم التي على شاطئ غرينلندا الشرقي طرنا فوق الضباب نحو ساعتين فوصلنا في نهايتهما الى منطقة صافية الاديم تشرق عليها الشمس فتعكس اشعتها عن سطح الثلوج ناصعة البياض فيرتد الطرف عنها كليلاً . وارجح اننا كنا حينئذ على الدرجة ٨٣ من العرض الشمالي وبصرنا يمتد فوق دائرة قطرها نحو ١٢٠ ميلاً

ثم هبت علينا ريح شمالية شرقية نحفضنا سرعتنا وهبطنا قليلاً لعل الريح تكون الطف هبواً قرب سطح الارض ، وبقينا على ارتفاع يتراوح بين الف قدم والف وخمسة مائة قدم لكي نتمكن من البحث عن مكان يصلح لنزول الطيارات اذا حدث ما يوقفنا عن الطيران او ما يضطرنا الى النزول لكننا لم نر بقعة واحدة بين جدران الجليد المتجمد على جانب كاف من الاتساع لنزول الطيارتين . وكان في الفروج بين هذه الجدران الجليدية نواتئ من الثلج المتجمد تجعل نزول الطيارة متعذراً . فادركنا ان ما املناه من وجود مساحات فسيحة لنزول الطيارات كان برقاً خلباً وللحال عرفنا ان الرحلة صارت محفوفة بالخطر اذا عجزت الطيارات عن الطيران . لكن ثقنا بالآلات رولزر رويس كانت كبيرة فلم يتطرق الخوف الى نفوسنا

وسرنا على هذا النمط بضع ساعات من غير ان نقف على اثر لليابسة . ودلت ارسادنا في الساعة العاشرة اننا كنا طائرئين في اتجاه غربي ورجحنا ان سبب ذلك ريح شمالية شرقية لذلك غيرنا اتجاهنا وسرنا شرقاً من غير ان نرى مكاناً صالحاً لنزول الطيارات . وكنا من آن الى آخر نمر فوق ممر جليدي بين ركام الجليد اقصر من ان يكون كافياً لنزول الطيارتين

وفي الساعة الاولى من صباح ٢٢ مايو اخبرنا فوخت الميكانيكي في الطائرة التي كنت رائدها ، اننا حرقنا نصف ما كان معنا من البنزين فقررنا ان نحط على الجليد لنحقق مركزنا الذي لم تتمكن من تحقيقه بالضبط ونحن مخلقون في الهواء . فهبطنا الى علو ٣٠٠ قدم فوق سطح الارض او فوق سطح البحر لاننا لم نعثر على يابسة هناك . وكان تحتنا بقعة من الجليد حسبها اصلح من غيرها لتزول الطيارتين فطرنا فوقها على ارتفاع ٣٠ قدماً وفيما كان السائق يدير الطائرة ليقطعها عرضاً ظهر عطل في احدى الآلتين التي تطير بقوتهما الطائرة . وكان حملها اكبر من ان تقوى آلة واحدة على رفعها به فاقف السائق الآلتين وخفض السرعة فنزلنا اضطراراً فوق الماء معرضين الطائرة للكسر على نواتي الجليد لان جانحها كانا يلمسان جداري الجليد على جانبي الممر الضيق وقفنا في آخر الممر على ضيقه مرغمين ومقدم الطائرة يكاد يغرز في ركام الجليد الذي يسده ، لكنها لم تصب بعطل ما . وبعدما وقفنا حاولنا ان ندير الطائرة لتخرجها الى مكان قريب اكثر اتساعاً فكابدنا في سبيل ذلك مصاعب حمة واذ كنا على وشك الفوز بمرامنا اطبق الجليد على جوانب الطائرة وغدت كأنها علققت في شرك ورائنا ديترخسن سائق الطائرة الثانية فحسب نزولنا في تلك البقعة ضرباً من الجنون لانه لم يعلم سبب نزولنا الحقيقي فلكي لا ينفصل عنا نزل هو ايضاً بطيارته على الجانب الآخر من الممر الذي نزلنا فيه وكان اكثر اتساعاً

كانت جدران الجليد تحجب عنا الطائرة الثانية فلم ندر - اين حطت ولا اين استقر ركبها وكانت طيارتنا مستهدفة لان تحطم اذ زاد ضغط الجليد عليها

عرفنا من ارصاد اجريناها في الليل اننا على الدرجة ٨٧ والدقيقة ٤٣ والثانية ٢ من العرض الشمالي وعلى الدرجة ١٠ والدقيقة ١٩ والثانية ٥ من الطول الغربي وكنا قد وصلنا الى ابعد من ذلك شمالاً حين كنا نبحت عن ساحة لتزولنا . فنكون قد قطعنا في ثماني ساعات اي من الساعة الخامسة مساء الى الساعة الاولى صباحاً ١٠٠٠ كيلو متر (نحو ٦٢١ ميلاً) بمتوسط ١٢٥ كيلو متراً في الساعة واقتربنا حتى صرنا على ١٣٦ ميلاً جغرافياً من القطب ولولا الريح التي حرقتنا عن السير المستقيم لاقتربنا ٢٠٠ كيلو متر اخرى من القطب

وسبرنا غور البحر هناك فوجدنا عمقه ٣٧٥٠ متراً . ودرسنا في الايام التالية الظواهر الجوية وحركة الجليد ومغناطيسية الارض وكنا في طيراننا الى الشمال قد

لاحظنا بقعة مساحتها نحو ١٠٠ الف كيلو متر تمتد الى الدرجة ٨٨ والدقيقة ٣٠ من العرض الشمالي . فاتضح لنا من سبر غور الماء هناك انه لا يحتمل وجود يابسة قرب القطب في هذه الجهة من الاوقيانوس المتجمد الشمالي الزوجي

ثم نظرنا في امر طيراننا الى القطب فاجمعنا على انه لا يحتمل وجود مكان لنزول الطيارات اصلح من المكان الذي نزلنا فيه ولذلك فالنزول قرب القطب قد يكون محفوفاً بالخطر وحينئذ يتعذر القيام بارصاد ومباحث علمية . اضف الى ذلك اننا لم نر فائدة من مجرد الطيران فوق القطب تعادل الخطر الذي تتعرض له

واتفقنا ان نضع خطة الرجوع بدلاً من متابعة الطيران الى القطب لكن طيارتنا لصقت بالجليد في الليل فحاولنا ان نخلصها من الثلج المطبق عليها فذهبت اتعابنا ادراج الرياح . وبعد ما استرحنا ساعتين عزمنا ان نعود الى رأس كولومبيا على الاقدام وكنا قد اعدنا عدتنا لذلك لاننا حسبنا حساب عطل يصيب الطيارة فنعجز عن الرجوع بها ثم حاولنا ان نبحث عن رفاقنا على غير جدوى لان جداراً عالياً من الجليد كان يحول بيننا وبينهم فلم نرهم . ولكن خيل لنا اننا سمعنا طلقاً نارياً على مقربة منا وقد صدق ظننا بعدئذ اذ قالوا لنا حينما التقينا انهم اطلقوا النار ليعرفونا بوجودهم هناك وحولنا جهدنا ثانية لاجراج الطيارة من شركها الجليدي لكننا ما كنا نفتح ثغرة في الجليد حتى تمتلئ ثانية وتتجمد باسرع مما نفتحها وكان البرد في الليل قد هبط الى ١٢ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد

وكان الهواء بعد الظهر صافياً فادرنا طرفنا في الجو الفسيح فرأينا رايتنا تحفق فوق ركاب عال من الجليد ، رفعها عليه رفاقنا لكي يعلمونا عن مكان وجودهم فرفعنا رايتنا اجابة لهم

ومن ثم صرنا نستخدم الاشارات في المخاطبة فاخبرناهم عن حالتنا واخبرونا عن حالتهم وانهم يحاولون ابقاء طيارتهم مستعدة للطيران لتتضاعف اسباب النجاة من هذا المأزق الحرج وكان الجليد يتحرك فاقتربت محطتنا من محطتهم وفي ٢٥ مايو رأينا فقامة ملتحمية ولكن تعذرت علينا مطاردها انما سررنا جداً برؤية احياء في تلك الاصقاع المتجمدة وكان المظنون ان لا احياء وراء الدرجة ٨٥ من العرض الشمالي

وفي اليوم التالي عرفنا ان رفاقنا يستعدون للقدوم اليانا لانهم فشلوا في كل محاولة حاولوها لتخليص طيارتهم ورأيناهم يقطعون طريقاً لهم في الجليد لكي لا يدوروا دورة

تستغرق ٢٤ ساعة قبل وصولهم اليها . فذهبت مع ريزر لارسن لملاقاتهم ومعنا مركب صغير لنقلهم فوق بقعة ماء خالية من الجليد
 واذا بصراخ رن في آذاننا . صراخ ديترخسن وامدال يطلبان النجدة وقد علمنا
 بعدئذ انهما كانا يمشيان على الجليد وكل منهما يحمل حملاً ثقيلاً على ظهره فهبطا في
 مجرى من مجازي الجليد فهب الزورث للحال لنجدتهما فانقذ ديترخسن اولاً ثم تعاوننا
 على انقاذ امدال ولو تأخرنا دقيقة عنه لكان افلت من ايديهما ولقي حتفه
 ولم نستطع ان نمد يد المعونة لرفاقنا لان بقعة الماء بيننا كانت مغطاة بطبقة رقيقة
 من الجليد وكان يتحتم تحطيمها قبل استخدام الزورق . وان قلبي ليعجز عن وصف
 فرحنا حينما رأينا رؤوسهم ظهرت وراء جدار الجليد بعد ان رنت في آذاننا اصوات
 اليأس وطلب النجاة

ومن ثم تعاوننا جميعاً على فتح طريق لاجراج طيارتنا من الجليد فبقينا حتى الرابع
 عشر من يونيو نكابد من المشاق والمصاعب ما لا تقاس به المشاق التي كابدتها في
 رحلتي الى القطب الجنوبي . لان حركة الجليد في هذه الاصقاع الشمالية لا تجري على خطة
 واحدة يمكن الاعتماد عليها . اخيراً وفقنا الى اخراج الطائرة من انياب الجليد الذي كاد
 يمزقها ، من غير ان تصاب بخلل او عطل ما ، وجردناها الى بقعة تستطيع الجري عليها
 مقدمة لطيرانها وكنا قد مهدناها بقوة سواعدنا وطولها ١٨٠٠ قدم وعرضها ٣٦ قدماً
 وفي ١٤ يونيو ظهرت ثغور وشقوق في الجليد هددتنا بتعطيل جانب كبير من
 الجهد الذي كابدناه في تمهيد هذه الساحة للطيارة لكي تجري فيها قبل الطيران نحققنا
 احمال الطيارة للحال وفي صباح ١٥ يونيو جربنا ان نطير بها فافلحنا وكان ريزر لارسن
 يسوقها فطرنا جنوباً بعد ان تركنا الطيارة الاخرى مدفونة في الجليد وقد عجز رفاقنا عن
 اخراجها منه وحدهم وتركنا وراءنا من المعدات ما قيمته نحو الف جنيه . وكانت ثققتنا
 بالآلات كبيرة فحسبنا نفوسنا قد خرجنا من منطقة الخطر حالما حلقت الطيارة في الهواء
 ثم هبت علينا ريح جنوبية شرقية وانتشر الضباب امامنا فاضطررنا ان نطير على
 ارتفاع ٣٠٠ قدم اولاً ثم ارتفعنا فوق الضباب مسترشدين بالبوصلية الشمسية . وكان
 ديترخسن يلاحظ حركات الجليد كلما تسنى له ذلك . كنا حينئذ على ارتفاع ثلاثة
 آلاف قدم ولم تمض علينا مدة طويلة حتى خرجنا من منطقة الضباب وآلتا الطيارة في
 حالة جيدة جداً . وكنا قد حددنا ما يسمح للواحد منا اكله لما كنا على الجليد ولا بارقة

امل بالفرج، اما الآن وقد فتحت امامنا ابواب النجاة فصرنا نأكل من غير حساب . وكان امدال يراقب مقدار البنزين الذي معنا ويحجر ريزر لارسن بذلك فيقتصد جهده وبعد ما قطعنا الدرجة ٨١ والدقيقة ٣٣ من العرض الشمالي لقينا الضباب ثانية . وكنا قد اقتربنا من اليابسة فلم نستطع ان نلحق فوقه لثلا نضطر الى النزول فجأة اذ قد نفذ البنزين الذي معنا . وزادت كثافة الضباب فطرنا على علو يتراوح ما بين ١٥ قدماً و ٣٠ قدماً فوق سطح البحر . واذا بجيال سبتسبرجن تظهر عند الافق فطرنا باقى سرعة الطيارة وسددنا مقدمنا نحو نورث كيب في جزيرة نورث ايست لنسد لنصل اليه باسرع ما يستطيع وكان ريزر لارسن قد لاحظ ان الاجنحة الصغيرة وعملها يشبه عمل الدفة قد صارت صعبة الحركة وجرب امدال وفوخت ان يعرفا موضع الخلل ليصلحاه فلم يستطعا ذلك ونحن في الجو . وكان النزول فوق امواج البحر الهائجة مخوفاً بالاخطار لذلك طرنا بالطيارة ما بقي الطيران مستطاعاً . اخيراً وقفت الاجنحة الصغيرة فحرب ريزر لارسن ان يعتاض منها بالدفتين المستطيلتين فلم يجد ذلك نفعاً فاضطررنا ان نزل على متن الامواج فامتطيناها نصف ساعة حتى وصلنا الى اليابسة التي على الجانب الغربي من نورث كيب وكان قد بقي معنا حينئذ ٢٠ لتراً من البنزين وهي كافية في احوال عادية ان توصلنا الى محطة هوبي لو لم تصب الطيارة بعطل وكنا نعد شيئاً من الطعام واذا نحن بمركب في عرض البحر فذهبنا اليه في الحال فوجدنا انه المركب الزوجي سويلف فاستقبلنا ضباطه وبجارته احسن استقبال لان حديث رحلتنا كان قد بدأ يثير المخاوف في نفوس ابناء وطننا وهبت في الليل عاصفة شديدة عرفنا اننا لانستطيع الطيران فيها الى خليج الملك فوضعنا الطيارة في مكان امين في الجانب الغربي من خليج لادي فرنكان . ويمنا خليج الملك على ظهر المركب سويلف على ان يعود منا من يرجع بها حين تسكن العاصفة وتقر لبحر فبلغناه في الساعة الاولى صباحاً وكانت بعثة نروجية تستعد للضرب في الاصقاع القطبية للبحث عنا فوصلنا قبل قيامها بساعة واحدة وكان قد تجمع جمهور غفير لوداعها فرأوا المركب سويلف يقترب ولكن لم يخطر لهم اننا عليه ولما علموا بذلك علا هتاف البشر وازدحمت المناكب لمصافحتنا وقد عاد امدال بصندوق من شرائط السينما رسمت عليها مشاهد الاصقاع المتجمدة الشمالية وما قاسته البعثة من الاهوال

مقتطف اغسطس سنة ١٩٢٥

اول رجل بلغ القطبين

رحلة امندسن الى القطب الشمالي بالبلون

١

اخذ القطب الشمالي يفقد جانباً مما يحيط به من الاسرار فرواد خمس من الامم يعدون معداتهم لاقتحام احواله في هذا الصيف وفي مقدمتهم امندسن الرحالة الاسوجي الشهير الذي عجز في الصيف الماضي عن الوصول اليه بالطيارة فلم تشته الاخطار التي لقيها مع رفقاته عن الاستعداد لارتياحه ثانية فاتفق مع المستر الزورث الاميركي وكان من رفاقه في السنة الماضية ، ومع حكومة ايطاليا فاعطته بلونا دعي نورج وجعل احد مهندسيها قبطانه على ان يرفع هذا البلون العلم الزوجي فغادر رومية في ١٠ ابريل طائراً فوق فرنسا الى بلاد الانكليز ومنها لم يطر رأساً الى سبتزرجن بل طار الى اوسلو عاصمة بلاد نروج ومنها الى لننغراد عاصمة روسيا ثم الى فاردو في شمال بلاد نروج فخلج الملك في سبتزرجن ومنه يم القطب ليطير فوقه الى بوينت بارو في الاسكا. وقد وافتنا البرقيات العمومية قبيل كتابة هذه السطور ان امندسن وصحبه اجتازوا القطب الشمالي واما رحلتهم الهوائية في بلدة تير بالاسكا بعدما بقي البلون ٧٢ ساعة في الهواء وقضى برهة فوق القطب لتدوين الارصاد الجوية المختلفة . وقد صنع هذا البلون في ايطاليا ووضع رسومه واشرف على صناعه قبطانه الملازم نويبي الايطالي طوله ٣٢٥ قدماً ويسع ٦٧٠ الف قدم مكعبة من الناز وفيه ثلاث آلات قوتها معاً ٧٥٠ حصاناً يسير بها ٤٥ ميلاً في الساعة وفي استطاعته ان يطير ٣٦٠٠ ميل من غير ان يحط على الارض

بعثة ولكنز

الكبتن جورج ولكنز رائد استرالي اشترك مع جمعية الطيران بدوترويت والجمعية الجغرافية الاميركية واتحاد الصحف الاميركي في اعداد بعثة هوائية الى القطب الشمالي وخطته فيها ان يطير من فرانكس بالاسكا الى بوينت بارو ومنه يطير فوق القطب الى سبتزرجن بطيارتين من ذوات السطح الواحد صنع فوكر Fokker بدأ رحلته هذه في ٢٦ مارس الماضي واحقق حين حاول الطيران فوق القطب لعدم تمرس طياريه بهذا

النوع من الطيارات وقد عزم الآن على ان ينقل الوقود والطعام من فربانكس الى نقطة قريبة من القطب ثم يحاول ثانية تحقيق خطته الاولى على ما فيها من المغامرة والمخاطرة
بعثة برد

والكومندور رتشرد برد ضابط متقاعد من ضباط البحرية الاميركية غادر نيويورك على باخرة الى سبتزبرجن في ٦ ابريل الماضي ومعه طيارة من ذوات السطح الواحد من صنع فكر ايضاً وخطته ان يطير عليها من خليج الملك في سبتزبرجن الى نقطة في « بيريلاند » تبعد نحو ٤٠٠ ميل عن القطب يجعلها مركزه المتقدم ومنها يحاول الطيران الى القطب لارتياح المجاهل التي تحيط به. ويجزو حذو ولكنز في نقل الاطعمة والوقود من خليج الملك الى المكان الذي يختاره للطيران منه الى القطب. ويعضده في بعثته هذا المستر ادزل فورد ابن هنري فورد الشهير والمستر جون روكفلر وغيرهما من اغنياء الاميركيين

بعثات اخرى

عدا هذه البعثات تستعد وزارة البحرية الفرنسية لارسال بعثة لارتياح مجاهل القطب الشمالي تجعل عمدتها على المزالق المحركة والطيارات المائية ويستعد القبطان مكلان الاميركي الذي قام برحلة قطبية في الصيف الماضي للعود الى تلك الاصقاع في هذا الصيف. كذلك تعد روسيا معدات بعثتين تقصدان الى الاصقاع المتجمدة شمال سيريا وقد جاء في انباء زوج ان القبطان ايلياسون الزوجي سيذهب الى جزيرة نوفا زميلا ومنها يحال الطيران الى القطب الشمالي على زورق هوائي. وقد ارسل متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك بعثة علمية الى الاصقاع المتجمدة شمالي جزيرة جرينلاندا لتجمع الحقائق العلمية المتعلقة بتلك الاصقاع وستنشىء هذه البعثة محطة لاسلكية في ايتاه قد تساعد الرواد الذين يحاولون الطيران الى القطب او فوقه على تذليل بعض المخاطر التي يتعرضون لها. وقد اهتمت جريدة نيويورك تيمس بعضها في ذلك اتحاد الصحافة الاميركية على انشاء محطة لاسلكية في بوينت بارو بالاسكا للاتصال بالبعثات القطبية

اما النتائج التي ينتظر تحقيقها من هذه البعثات فاهمها ايجاد خط جوي فوق القطب تسلكه الطيارات والبلونات بين اوربا واميركا واسيا فترسل به الرسائل وينتقل به المسافرون الذين يودون الانتقال على جناح السرعة. فاذا تحققت هذه الامنية اصبحت

مدن الشمال في اوربا واميركا واسيالا تبعد احداها عن الاخرى اكثر من ٢٤ ساعة بطريق الجو

٢

ذكرنا في ما تقدم ان امدسن الرحالة الزوجي بلغ في طيرانه بالبلون القطب الشمالي . وهو الرحالة الوحيد الذي بلغ قطبي الارض الشمالي والجنوبي وقد بلغ القطب



خريطة الاصقاع المتجمدة الشمالية والخط الذي سار فيه امدسن وصحبه بالبلون من سبتسبرجن الى الاسكا مارين فوق القطب الشمالي

الجنوبي في ١٤ ديسمبر سنة ١٩١١ فقلنا في مقتطف ابريل سنة ١٩١٢ ما نصه
 « لقد كان من نصيب اهل زوج الساكنين في اقصى الشمال ان يكون مكتشف
 القطب الجنوبي منهم فقد ثبت الآن ان الرحالة امدسن الزوجي الذي سار يسفينته

الفرام قاصداً الوصول الى القطب الجنوبي وصل اليه في ١٤ ديسمبر الماضي وقد بعث الى جريدة الديلي كرونكل الانكليزية بوصف اكتشافه للقطب الجنوبي فنشرته في ٨ مارس وخلاصته انه شرع في سفره نحو القطب في ١٠ فبراير سنة ١٩١١ فوصل الى حيث قضى فصل الشتاء القطبي وكان متوسط درجة الحرارة ٢٦ تحت الصفر بميزان سنتغراد واطماً ما بلغته ٥٩ درجة تحت الصفر . وابتداءً فصل الربيع في اواسط اكتوبر فعاد الى السير جنوباً فوصل الى الدرجة ٨٣ في ٩ نوفمبر والى الدرجة ٨٥ في ١٤ نوفمبر . وفي ١٧ نوفمبر وصل الى ارض مرتفعة فجعل يصعد فيها هو ورجاله حتى بلغوا ما ارتفاعه ١٠٧٥٠ قدماً في ٦ ديسمبر وكان ذلك حيث العرض ٨٧ درجة و ١٤ دقيقة وفي ٩ ديسمبر بلغوا الدرجة ٨٨ والدقيقة ٣٩ من العرض الجنوبي أي بقي بينهم وبين القطب درجة و ٢١ دقيقة . وفي ١٢ ديسمبر بلغوا الدرجة ٨٩ والدقيقة ٣٠ وفي ١٣ ديسمبر بلغوا الدرجة ٨٩ والدقيقة ٤٥ وفي ١٤ ديسمبر بلغوا القطب نفسه وكانت درجة الحرارة حينئذ ٢٣ تحت الصفر . والقطب في سهل مرتفع فسيح جداً . وفي اليوم التالي كانت السماء صافية فرصدوا ارساداً فلكية كثيرة من الساعة ٦ قبل الظهر الى الساعة ٧ بعده فوجدوا اهم كانوا حيث العرض ٨٩ درجة و ٥٥ دقيقة فساروا جنوباً مسافة ٩ كيلومترات حتى يكونوا قد مشوا على القطب حتماً . وقد كانت المسافة من آخر مكان شتوا فيه الى القطب ١٤٠٠ كيلو متر وعليه فقد كان متوسط ما قطعوه في اليوم ٢٥ كيلو متراً «

لكن شتان بين ما عاناه امندسن حينئذ في الوصول الى القطب وبين ما لقيه الآن من السهولة في البلون نروج فقد ثبت الآن ان بلونه سار من خليج الملك في سبتسبرجن في ١١ مايو الماضي نحو الساعة العاشرة صباحاً ومر فوق القطب الشمالي في اليوم التالي نحو الساعة الثانية والدقيقة الثلاثين وكان معه المستر السورث الاميركي والكبتن نوبلي الايطالي فانزلوا البلون حتى صار على ٦٠٠ قدم فوق الارض وطرح كل منهم علم بلاده وهو متصل بحربة ثقيلة ففرزت الاعلام الثلاثة في الثلج عند قطب الارض . ووصل البلون بهم الى الاسكا بعد ان قطع المسافة من سبتسبرجن اليها في ٤٥ ساعة ولم تكشف ارض جديدة . والبلون ايطالي وهو انجن البلونات الشائعة الآن نسبة الى طولهِ

مقتطف يوليو سنة ١٩٢٦

رحلة الكومندر برد

الى القطب الشمالي بالطيارة

من اغرب الامور في تاريخ الارتياذ ان ينقضي على الرواد ما يزيد على اربعمائة سنة منذ كشفت اميركا لا يصل منهم الى القطب الشمالي سوى رائد واحد هو الكومندر پيري الاميركي سنة ١٩٠٩ . ثم تنتشر الانباء البرقية في شهر مايو سنة ١٩٢٦ ان ٢٠ رجلاً تمكنوا من بلوغ القطب الشمالي في اسبوع واحد اثنين منهم بطيارة والباقي في بلون . وسيخلد ذكر هاتين الرحلتين الجوييتين الى القطب الشمالي في تاريخ الارتياذ لما احاط بهما من الحزم والاقدام وما تعرض احماهما له من المخاطر التي تغلبوا عليها بما رخصوا عليه من الشجاعة والصبر وما تجهزوا به من معدات العلم ومستنبطاته . وقد تمضي سنوات قبلما تنشأ الخطوط الهوائية تمر فوق القطب تنقل البضائع والمسافرين بالبلونات والطيارات بين البلدان الشمالية، ولكن طيران برد و بنت بالطيارة، وامندسن ونوبلي وصحبهما بالبلون نورج، اثبت انه في الامكان استعمال طريق جوي فوق القطب للمواصلات وان كل بقعة من الكرة تحيط بالقطب لا بد ان ينتابها الرواد يكشفون مجاهلها

قضى پيري خمساً وعشرين سنة يستعد ويحاول بلوغ القطب الشمالي ولما بلغه واراد الرجوع قضى شهوراً عديدة قبلما عاد في العمران وقبلما تمكن من نشر انبائه في الصحف والكتب . واما الكومندر برد فطار من سبتسبرجن الى القطب الشمالي وعاد الى سبتسبرجن في اقل من ست عشرة ساعة، وطار امندسن ونوبلي وصحبهما بالبلون نورج من سبتسبرجن فوق القطب الى الاسكا مسافة ٢٧٠٠ ميل في ٤٦ ساعة. وكانت اخبارهم تذاق بالراديو ساعة ساعة وتنتشر في كبريات صحف العالم . وسنصف فيما يلي رحلة الكومندر برد تلخيصاً عن مقالة له في المجلة الجغرافية الوطنية الاميركية مبين الكلام فيها بضمير المتكلم قال :

منذ سبع عشرة سنة قضى الكومندر پيري في رحلته الى القطب الشمالي ذهاباً واياباً نحو ١٣ شهراً اما نحن — اي برد ورفيقه فلويد بنت — فتركنا معالم العمران صباح



رسم تصوري للاصقاع القطبية الجنوبية
انظر الرواد صفحة ١٩١

مكتبة ونداء دار ليليا والهدية

٧٥٢ صفحة ١٩١

وكادت تنقلب الطائرة شر منقلب وانحنت احدى آلاتها على ان اليأس لم يخامر قلوب رجالنا فاخذ بعضهم يصلح ما يجب اصلاحه فيها وآخرون يعدون مزلق جديدة دهنوها بالقطران حتى يسهل زلقها على الجليد والباقون مهدوا لنا طريقاً منحدراً فوق الجليد طوله نحو ميل لتجري عليه الطائرة قبل طيرانها . فلما اطرناها ثانية مدة ساعتين لامتحانها ثبت لنا ان كل شيء فيها على ما يرام

واتمناكل المعدات يوم ٨ مايو ولما اخبرنا المستر هاينز المتيورولوجي ان الطقس صالح ادرنا المحركات واخذنا ما نحتاج اليه من البنزين والطعام وخصنا كل الآلات التي معنا وصعدت مع صديقي بنت الى الطائرة ولكنها لم تطر بنا . وذلك لان ثقل ما حملته كان فوق طاقتها فلم تنهض عن الارض بل جرت بنا فوق الطريق المنحدر الممهد وفي آخره اصطدمت بقطع من الجليد وكادت تنقلب وتتحطم . فخرجت من الطائرة جزءاً وخصت المزلق وآلة النزول فوجدتهما سليمين فسري عني بعض الشيء فحفظنا حملها بضع مئات من الارطال وجررناها الى اعلى المنحدر واشتغلنا كل الليل لتمهيدته ثانية

كان الجو لا يزال صافياً فعزمنا ان نبدأ رحلتنا من جديد حوالي منتصف الليل ولما مضى على انتصاف الليل نصف ساعة كنا قد اعدنا كل امر للرحيل وكان قد اتقضى عليّ وعلى رفيقي بنت ٣٦ ساعة من غير ان نذوق طعم الكرى فتوسل الينا الدكتور اوبرين ان ننام قليلاً قبيل السفر فلم نفعل لاننا رأينا الفرصة سانحة والشمس الى الشمال تدعونا

سرنا للمرة الرابعة فوق المنحدر الجليدي وقبل ان نبلغ آخره ارتفعت بنا الطائرة

كان معنا آلة راديو صغيرة مبنية على محرك يدار باليد نستطيع استعمالها اذا اضطررنا ومزلفة لنقل طعامنا ، وطعام يكفيننا نحو عشرة اسابيع وملابس وبنديقية ومسدس وخيمة وفاس وسكين وكل ما نحتاج اليه في تلك الاقطار النائية

ونظرنا الى تحت فرأينا رفاقنا يلوحون لنا بايديهم وبرانيطهم كأنهم يتمنون لنا النجاح في مهمتنا . ما زلت حياً لانسى فضل اولئك الرفاق ! انهم انكروا نفوسهم وبذلوا جهدهم ليمهدوا لنا سبيل الطيران الى القطب

مصاعب الطيران فوق البحر القطبي

لست تجد فوق قطع الجليد الطافية في البحار القطبية اعلماً او معالم تهتدي بها في اثناء الطيران . فالطيارة من هذا القبيل اشبه شئ بياخرة في عرض الاوقيانوس ليس لها ما تهتدي به سوى القمر والنجوم فيقيس ربانها بالسدس (سكستنت) علو احد النجوم فوق الافق ويستخرج من ذلك موقعه الحقيقي بعناية رياضية طويلة . على ان افق البحر القطبي لا يعتمد عليه لان قطع الجليد وجباله تجذب الافق الحقيقي . كذلك لا يستطيع الطيار ان يضع وقتاً في عملية رياضية طويلة لانه اذا كان سائراً خطأ انحرف عن محجته عشرات الاميال قبل الانتهاء من عملية رياضية بدأها لمعرفة مكانه . لذلك يجب عليه ان يجد طريقة اخرى يعرف بها مكانه معرفة سريعة حتى يجني فائدة هذه المعرفة

وكانت غايتنا ان نتجه اتجاهاً شمالياً من غير انحراف لكي نصل الى القطب اولاً ولكي نتمكن من الرجوع الى سبتسبرجن ثانية لانه اذا لم نتمكن من معرفة اتجاهنا تعذر علينا ان نعود . وكانت البوصلة (الحك) لا تجدينا نفعاً لان ابرتها تتجه الى القطب المغنطيسي الشمالي وهو يبعد نحو الف ميل عن القطب الجغرافي الشمالي جنوباً ولو ان ابرة البوصلة تتجه تماماً الى القطب المغنطيسي لكان يسهل علينا ان نستخرج من ذلك موقعنا فوق البحر القطبي ولكن الابرة تتأثر بما حو لها فقد توجد قربها قطعة كبيرة من الحديد تحرفها عن اتجاهها الحقيقي ولذلك لم نستطع الاعتماد على البوصلة كذلك لم نستطع الاعتماد على الدوامة « الجيروسكوب » لانه كلما اقتربنا من القطب الشمالي اتجه محورها اتجاهاً عمودياً

فلم يبق لدينا سوى الاعتماد على الشمس لتكون دليلنا ولذلك اخذنا معنا بوصلة شمسية استنبطها المستر بمسند رئيس الرسامين الفنيين بالجمعية الجغرافية الوطنية ولولاها لما استطعنا ان نصل الى القطب ولا ان نعود الى سبتسبرجن

وهذه البوصلة الشمسية كالزولة الا انها تعكس فعلها . ففي المزولة يلزم معرفة الجهة الشمالية فموقع ظل الشمس يدل على الوقت . اما في البوصلة الشمسية فاذا عرفنا الوقت عرفنا الجهة من اتجاه ظل الشمس

اضف الى ذلك ان الطيارة وهي طائرة تكون جزءاً من الهواء الذي تسبح فيه كسفينة

تسير في تيار. فاذا هبت ربح سرعتها ٣٠ ميلا في الساعة حرفت الطائرة عن مسيرها المستقيم ثلاثين ميلا الى اليمين او الى الشمال حسب اتجاه الريح . ولمعرفة هذا الانحراف كان لدينا آلة تدل عليه . وكان لابد لنا في كل ذلك من معرفة وقت غرينتش معرفة دقيقة لذلك كان معي كرونومتران حفظتهما في غرفتي اسابيع وعرفت مبلغ الخطأ الذي يصديهما من تقلص اجزائهما اذا تعرضا للبرد الشديد . ودونت ذلك لادخله في حسابي

كان بنت يسوق الطائرة وانا اعطيه تعليمات الاتجاه التي استخرجها من رصد الآلات التي معنا فاذا انحرفت الطائرة من وقت الى آخر كان ينظر الى الورا فاخبره في اي اتجاه يجب ان يسير وكنا نفعل ذلك كل دقيقتين لتتحقق صحة المسير وكنت انا احقق مرة كل ثلاث دقائق قوة اتجاه الهواء لاكون على بينة من هبوب ربح متى هبت

ولما ثبت لي اننا سارون في اتجاه شمالي مستقيم حولت نظري الى مفازة الجليد التي تحتنا وكنا حينئذ على ارتفاع ٢٠٠٠ قدم واستطيع ان ارى الى بعد خمسين ميلا من اليمين وخمسين ميلا من اليسار فلم ار اثراً ما لليابسة ولو كان هناك اثر لليابسة في منطقة قطرها ١٠٠ ميل لكننا رأينا قمم جبالها لان الهواء كان صافياً

وكانت الحرارة حينئذ ٨ درجات فوق الصفر بميزان فارنهایت اي ٢٤ درجة تحت درجة الجليد اي نحو ١١ درجة تحت الصفر بميزان ستنغراد . وكان في مفازة الجليد شقوق كثيرة في اتجاهات مختلفة وكان الهواء ساكناً ليس فيه تيارات متعارضة لتسطح الجليد وانتظام الحرارة وهذا كله سهل علينا الطيران

نظرت الى بنت فرأيت ان احل محله قليلاً في تسير الطائرة لكي يستريح قليلاً ولكي يملا الخزان بالبنزين الذي كنا نحمله في صفايح صغيرة

ولم يكن تسير الطائرة صعباً للأسباب المتقدم ذكرها فكنت ادير الدولاب بيد واحمل بيد اخرى البوصلة الشمسية لا تثبت من اننا نسير في خط مستقيم متجهين الى الشمال ولما اتمت بنت املاء الخزان بالبنزين عاد الى مكانه وعدت الى رصد الآلات وكاد يصيبني الهم من كثرة تحديتي الى الجليد لكننا كنا قد اخذنا معنا نظارات من لون الكهرباء يمنع ذلك

واخذت محل بنت مرتين في الساعتين التاليتين . ولما دلت حساباتنا على اننا صرنا على ساعة من القطب لحظت ان هناك ثقباً في خزان الزيت الذي يزيت احد المحركين ورأيت الزيت يكف منه . وكان بنت قد لحظ ذلك ايضاً فكتب على وريقة « سيقف المحرك »

واقترح بنت ان نحاول الهبوط الى الارض لاصلاح الخلل . اما انا فكنت قد عرفت ان بعثات كثيرة كبعثتنا فشلت لنزولها فوق الجليد فقررنا ان نستمر في سيرنا الى القطب ولو اضطررنا ان نعتمد على المحركين الباقيين فقط . لان الخطر في نزولنا قرب القطب اذا اضطررنا الى ذلك لا يكون اعظم من نزولنا حيث نحن . ولو تبعنا الخطة التي سار عليها الرواد قبلنا لكننا فشلنا في مهمتنا

ولما اخذت مكان بنت بعيد ذلك كنت انظر الى ذلك الثقب والى عداد الزيت وجلاً لانه اذا خف الضغط في العداد وجب توقيف المحرك . على ان قبلتنا كانت قد صارت على قاب قوسين او ادنى منا ولم نشأ ان نلوي راجعين

القطب

وفي الساعة التاسعة والدقيقة الثانية (وقت غرينتش) دلت حساباتنا على اننا فوق القطب فتحققت بذلك امنية كانت تساورني منذ طفولتي

صورنا بضع صور ثابتة ومتحركة وسرنا بضعة اميال في الجهة التي اتينا منها ثم درنا حول القطب في دائرة متسعة . هنا يضيع كل حساب في الوقت والاتجاه لان كل مكان وانت فوق القطب هو الى الجنوب

وفي الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة عشرة اتجهنا الى سبتسبرجن بعد ما عدلنا عن المرور فوق كايب مورس بسبب الثقب في خزان الزيت ولكن دهشنا بعدئذ من استمرار المحرك في عمله وتوقف الزيت عن الوكف من الخزان . والسبب ان الزيت كان يكف من ثقب مسمار غير ثابت في مكانه فلما انخفض مستوى الزيت عن ذلك الثقب وقف الوكف وبقي المحرك سائراً على ما يرام

ران الكرى علينا من شدة الفرح في اتمام مهمتنا ومن تأثير هدير المحركين ومن التعب الذي نالنا من قلة النوم فقفوت لما كينت اسير الطيارة مرة ، وحلت محل بنت مراراً انعاسه وتعبه

وكانت غايتنا القمة المسماة بوينت غراي في سبتسبرجن فلما رأيناها امامنا عرفنا اننا قد سرنا سيراً مستقيماً من القطب الى سبتسبرجن . ووصلنا الى خليج الملك ونحن على علو ٤٠٠٠ قدم ولم تكن الا بضع دقائق حتى جعلنا نصافح رفاقنا — بعد طيران نحو ١٦ ساعة متواصلة بلغنا فيها القطب الشمالي وعدنا منه سالمين . اه

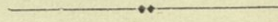
هذا وقد منح برد مدالية هبرد الذهبية ومنح رفيقه بنت مدالية ذهبية في حفلة زاهرة اقامتها الجمعية الجغرافية الوطنية الاميركية حضرها الرئيس كولدج وخطب فيها وذلك بعد ما حققت لجنة من العلماء ما دونه برد على خريطته من الاقيسة والملاحظات مما اثبت انه اول من وصل الى القطب الشمالي عن طريق الجو

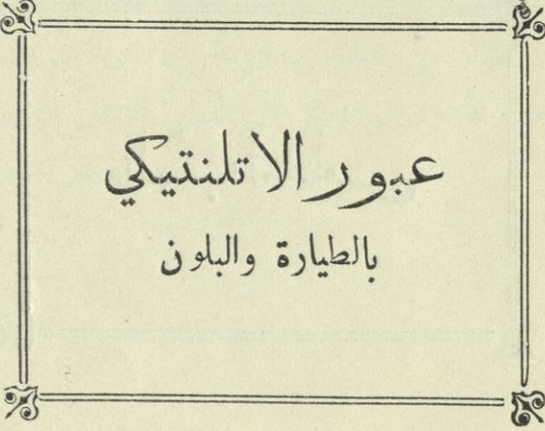
مقتطف نوفمبر سنة ١٩٢٦



الباب الخامس

في بيان...





عبور الأتلنطيكي
بالطيارة والبلون

الطيران بين اوربا واميركا

١

استمرار البارون فون تسبلن

يقال ان الكونت تسبلن الالماني المعروف بالبلونات المنسوبة اليه يحاول الآن صنع طرز جديد يجتاز الاوقيانوس لاتلنتيكي الفاصل بين اوربا واميركا . وقد عرف عن هذا البارون ان الغاية التي كان يرمي اليها من عمل بلوناتِه في بادىء الامر هي اكتشاف القطب الشمالي فلما سبقه پيري الاميركي الى ذلك غير خطته فجعل من جملة اغراضه اجتياز الاتلنتيكي ببلونته . فتألفت لجنة لاجراء هذه الفكرة الى العمل يرأسها الاستاذ هر جسل المتيورولوجي الالماني

ومما هو جدير بالذكر ان الرحالة الاميركي « ولمان » كان قد بنى بلوناً لاكتشاف القطب سماه « اميركا » فحقق ولكنه سبق كل من سلفه بجعل بلونته يطير مدة ٧٠ ساعة متوالية من غير ان ينزل به الى الارض : وهذا رحالة آخر اميركي اسمه « فنيان » حذوه فبنى بلوناً اسمه « اكرون ا » على نية اجتياز الاتلنتيكي من الغرب الى الشرق فضاء البلون بمن فيه

وعلى هذا الاثر تألفت شركة المانية اميركية لعبور الاوقيانوس المذكور برئاسة رجل اسمه جوروكر . فصنع بلوناً سماه « سوكراد » وعزم على السفر به من جزر كناري غربي افريقية الى جزر الانتيل الصغرى مطاوعة للرياح التجارية ثم عدل عن هذا العزم كما سيحيى

وقد بحث كاتب في السينتك اميركان في مسألة الطيران فوق الاتلنتيكي وما تستلزم من التدابير قبل الاقدام عليها فقال انها تستلزم اختيار طريق يكون اخصر الطرق وتكون الاحداث الجوية فيه اكثر ملاءمة للمسافر منها في غيره . وهذه الاحداث هي اولاً دوام الحرارة والضغط الجوي على حال واحدة تقريباً غير عرضة للتقلب الكثير . وثانياً هبوب رياح ثابتة معتدلة لا تزيد شدتها على حد معين اما من حيث الامر الاول فيقال اجمالاً ان كل تغير مفاجيء في درجة الحرارة

والضغط الجوي يقضي الى تقلص غاز الهدروجين الذي يملأ البالون به او الى تمدده فلا بد من التحوط لذلك اذا اريد ابقاء البالون على علو واحد وهذا ما يسمونه بالتوازن العمودي وهو اهم ما يشغل المشتغلين بهذا الفن . وقد احتاطوا لتقلص الغاز وما يعقبه من تغير شكل البالون بنفخ الهواء فيه الى ما يسمونه « البالونت » وهي بلونات صغيرة ضمن البالون الكبير ويعيشه الهواء مما فقده تقلص الغاز ولكن يزيد ثقله ويقل ارتفاعه . ومتى تمدد الهدروجين ضغط على الهواء واخرجه من « البالونت » ولكن قد يبقى الهدروجين آخذاً في التمدد بعد خروج الهواء من البالونت فلا بد حينئذ من ايقافه عند حده خشية ان تفضي زيادة تمدده الى انشقاق البالون . وفي معظم البلونات يتداركون ذلك بمصراع يخرج منه الغاز متى بلغ حداً معيناً من الضغط . وعيب هذه الطريقة فقد بعض الغاز من غير ان تكون هناك واسطة لتعويضه عند الاقتضاء

وقد اخترع مشاهير الطيارين عدة طرق لاصلاح هذا العيب . فالطيار « ولمان » وصل ببلونه « اميركا » ذيلاً وتركه يفوص في ماء البحر فاذا خف البالون بتمدد الغاز اخذ في الارتفاع فيرتفع الذيل معه فيزيد ثقله بخروجه من الماء وبالتالي يزيد ثقل البالون فيكف عن الصعود واذا ثقل البالون بتقلص الغاز غاص الذيل في الماء نخف وبالتالي خف البالون فكف عن الهبوط . ولكنه وجد بالاختبار ان هذا الذيل لا يفي بالمرام لانه يعرض البالون لكثير من الاضطراب لاقبل نوء يحدث في البحر اما الطيار فينان فاحاط البالون بشبكة من اسلاك الفولاذ تمنع الغاز من التمدد وتبقيه على حجم محدود فاذا احمت الشمس الغاز ازداد الضغط في البالون ولكن حجم الغاز يبقى واحداً وبالتالي تبقى قوة رفع البالون كما هي . واذا برد الغاز باقبال الليل او بسبب آخر قل ضغط الغاز ولكن حجمه يبقى كما كان لان البالون يملأ غازاً تحت اقل درجات الحرارة . اما ارتفاع البالون فيضبط باجربة يملأ هواء اذا ارتفع البالون فيكف عن الارتفاع او يأخذ في الهبوط حتى يبطل ارسال الهواء الى الاجربة

واما الطيار بروكر فكان يرمي الى ابقاء ضغط الغاز في بلونه متساوياً برشاش من الماء يبقي حرارة الغاز واحدة على الدوام . ولكن شركته توقفت كما تقدم القول ويقال ان في احداث البلونات التي بنيت على نية اجتياز الاوقيانوس جهازاً مؤلفاً من طلمبة مزدوجة تصل ما بين غلاف البالون الحاوي للغاز وخزان حاو للغاز

الاحتياطي فتعطي الطلمبة وتأخذ بينهما على حسب تقلص الغاز في غلاف البلون او ممدده . ولهذا الطريقة مزيتان الاولى عدم فقد شيء من الغاز . والثانية ان الخزان يعيض البلون مما يفقد من غازه بخروجه من مسامه

هذا ما يقال في الحرارة وضغط الهواء . اما مسألة اعتدال الرياح فغاية ما يقال فيها انه منذ نحو عشرين سنين كانت سرعة اسرع البلونات لا تزيد عن اربعين ميلاً في الساعة وعليه لم يكن البلون ليستطيع المسير ضد ربح تساوي سرعتها او تزيد عليها اما الان وقد بلغت سرعة احدث البلونات ٧٥ ميلاً في الساعة فقد سهل عليها اجتياز الاتلنتيكي على نسبة ازدياد سرعتها

ومما يساعدها على ذلك ما رسم من الخرائط الكثيرة في بعض مراصد اميركا وانكلمترا مدة سنين كثيرة . وفي هذه الخرائط بيان الرياح المتسلطة على جو الاتلنتيكي الى علو كثير باعظم ما يكون من الضبط والدقة . ويؤخذ منها ان اسهل الدروب التي يجتاز فيها الاوقيانوس اثنان . الاول طريق يمتد بين مدينة سان جون في نيوفونديلند بازاء كندا وبين مدينة فالنشيا في ارلندا والمسافة بينهما ١٨٠٠ ميل (انظر الخريطة المرسومة) ولا تزيد سرعة هبوب الرياح فيها على ٢٨ ميلاً . ويمكن البلون الذي سرعته ٧٥ ميلاً في الساعة ان يجتاز هذه المسافة من الغرب الى الشرق في ١٨ ساعة الى ٢٠ ساعة . ومن الشرق الى الغرب في ٣٦ ساعة الى ٤٠ ، وهذا الفرق ناشى عن تسلط الرياح الغربية . وكذلك يمكن البلونات ان تسير على هذا الخط ستة اشهر في السنة على القليل

واما الطريق الثاني فيمتد ما بين لسبون (لشبونه) عاصمة برتوغال واحدى جزر الاتيل الصغرى والمسافة بينهما ٣٦٠٠ ميل فهو طويل فلذلك نبذوه في جنب الطريق الاول المختصر

على ان وجود طرفي الطريق الاول في ارض انكليزية يحول الآن دون قيام البلونات الالمانية منها فلا بد من قيامها من ارض المانية هي اقرب ما يكون الى الساحل الاميركي . واذا قلنا ان الالمان اتخذوا غانت في البلجيك قاعدة لبلوناتهم هذه فان المسافة بينها وبين فرضة بنفور في ولاية ماين باميركا نحو ٣٢٠٠ ميل . فهل عندهم بلونات تقوى على البقاء طائراً طول هذه المسافة . والمقول ان عندهم ما يشبه هذه البلونات فانهم بنوا بلونات ثقل الواحد منها ٦١ طناً منها ٢١ طناً حمولة تقسم هكذا :

١	طن ثقل ١٥ رجلاً (ربان ومساعدان له و٤ للدفة ومهندس و٢ ميكانيكيين)	$\frac{1}{4}$
١٩	» ثقل الوقود مدة ٥٢ ساعة	$\frac{1}{2}$
	» مؤونة	$\frac{1}{4}$
		$\frac{1}{2}$
		٢١

وغني عن البيان انه اذا كانت سرعة البلون في الساعة ٧٥ ميلاً فإنه يقطع ٣٩٠٠ ميل في ٥٢ ساعة . وهذا يزيد ٧٠٠ ميل على المسافة بين البلجيك واميركا والمظنون ان هذه الزيادة قد تكفي لحساب الطوارئ التي تطرأ على البلون فتعوق مسيره . على انها قد تكون دون الكفاية بكثير . وهذا ما تبينه لنا الايام

مقتطف ديسمبر ١٩١٦

٢

الطيارون ريدر وهوكس والكوك

صار الطيران فوق البرامراً محققاً لا خطر فيه او لا يزيد خطره على خطر السير بالانومويل كما كان منذ عشر سنوات . ولكن لا دليل حتى الآن على ان الطيارات ستستعمل لغرض تجاري وغاية ما يحتمل انها تستعمل له غير النزهة والاعراض الحربية نقل البريد المستعجل . والهمة مبذولة الآن في جعل الطيارات تسير فوق البحار الكبيرة وقد جربوا سيرها فوق الاوقيانوس الاثنتيني من اميركا الى اوربا وهو اشد خطراً من سيرها فوق البرلانة اذا وقع خلل في الطائرة وهي طائرة فوق البر استطاع الطيار ان ينزل بها ويصالحها واما فوق البحر فلا يستطيع ما لم تكن من الطيارات البحرية او الزوارق الطائرة كما يسميها الاميركيون

وقد تمكنت طيارتان من عبور الاثنتيني في هذه الاثناء اولاهما بحرية اميركية والثانية برية انكليزية . اما الاولى فمديرها الكومندر ريد ومعه خمسة رجال وهي من ذوات الزورق طار بها في السادس عشر من مايو الماضي من تراباسي بنيو فوندلند في الطرف الشرقي من اميركا الشمالية قاصداً ان يقطع الاوقيانوس الاثنتيني الى البرتغال بطريق جزائر الازورس فوصل الى الازورس في اليوم التالي والمسافة بينهما ١٣٨١ ميلاً قطعها في ١٥ ساعة و١٨ دقيقة فكان متوسط سرعته ٨١ ميلاً وسبعة اعشار الميل

البحري في الساعة . وطارت معه طيارتان اخريان ولكن اكتنفهما الضباب فتعذر عليهما السير فاضطرتا ان تنزلا الى البحر ونجا ركابهما لان الحكومة الاميركية كانت قد بثت سفنها في كل الطريق الذي سارت فيه هذه الطيارات من اميركا الى اوربا حتى لا يقع بركابها مكروه . وبعد ان قام ريد بطيارته يومين في الازورس طار في ٢١ مايو قاصداً مدينة لسبون في البرتغال فوصلها سالماً والمسافة بينهما ٩٠٤ اميال ثم طار فوق البر الى شمال اسبانيا ومن هناك فوق البحر الى مدينة بليموث في بلاد الانكليز مسافة ٥٠٠ ميل قطعها في خمس ساعات فقط فوصل بليموث في ٣١ مايو وكان لوصوله اليها احتفال عظيم جداً والعبرة هنا في المسافة الاولى وهي ١٣٨١ ميلاً طارها شوطاً واحداً ولو استطاع ان يمتد في هذا الشوط ٤٢٠ ميلاً لبلغ انكثرا

ولهذه الطائرة مزية في الطيران فوق البحر لانها اذا وقع فيها خلل طفيف استطاع الطيار ان ينزل بها الى سطح الماء ويقف ويصلح خللها ثم يطير بها لان في اسفلها زورق متصل بها ولكنها لو طارت فوق البر ووقع فيها خلل لما استطاع ان يقف بها ويصلحها . ولا بد من استنباط وسيلة تتمكن بها الطيارات من الوقوف في البر والبحر . ويظهر لنا ان ذلك ممكن بان يجعل للطيارة البحرية اربع عجلات او طراً من قاربها نحو قدم فاذا نزلت في البحر غاصت هذه العجلات في الماء واذا نزلت في البر استقرت عليها لانها او طراً من القارب

وقد صنعت هذه الطائرة في اميركا هي وكل ادواتها في معمل كرتس فنال بها الاميريكون نحر السبق في قطع الاوقيانوس الاتلنتيكي طيراناً وترى صورتها في الشكل المقابل ففي القسم الايمن منه لا يزال رجاها فيها فوق زورقها حينما وصلوا الى بليموث وفي القسم الايسر اخذوا يخرجون منه الى زورق اتى لاستقبالهم

وكان الطيار هوكر الانكليزي الاسترالي قد طار من نيوفونديلند في ١٨ مايو قاصداً ارلندا بطيارة برية فيها قارب يسهل فصله عنها فاختلت طيارته واضطر ان يفصل القارب منها وينزل فيه هو ورفيقه فراهما الباخرة ماري في منتصف الطريق بين نيوفونديلند وارلندا وانقذتها لانه حالما وصلت طيارتها الى سطح الماء جعلت تغرق . الا ان مافات الانكليزي في السفارة الاولى احرزوه في الثانية فقد جاءت الاخبار التلغرافية ان طيارين من طيارهم طارا بطيارة برية من نوع فكريس من طرف اميركا الشمالية الى ارلندا فبلغاها سالمين وهما الكبتن الكوك والملازم برون وقد

استغرق طيرانهما ١٥ ساعة و٥٧ دقيقة وكانت الريح اولاً ملائمة ولكن حالة الجو كانت من اسوأ ما يكون وكان معظم الطيران بين الغيوم وطبقات الضباب الكثيف فلم يكبد الطياران يريان الجو والبحر وقد حلقا في الجو الى علو ١١ الف قدم فلم يستطيعا التماس من الغيوم ونزلا الى علو ٣٠٠٠ قدم عن سطح البحر فكان الضباب كثيفاً هناك ووقف مقياس السرعة عن العمل . وكانت الطائرة في بعض الاحيان في حالة خطرة ولم يكونا يشعران بوجود الافق وكان الجو شديد التقلب والريح شديدة حتى على سطح الماء وكان ماء المطر يجمد على العدة وغطى الجليد نوافذ الطائرة وظلت بلوراتهُ تنزل وتصيب وجهيهما فتفعل بهما فعل المدى اما في ما سوى ذلك فلم يتألما من البرد والاعياء وقد شربا القهوة والبيرة واكلا السنديوتش والشكولاته . ولما صارا على بعد ساعة ونصف ساعة من البراضا مكنهما . ولم يوقدا سوى ثلثي البنزين الذي كان معهما . ويرى الكبتن الكوك ان عبور الاتلنتيكي في الجو يجب ان يكون بزورق طيار كالذي طار به الطيار الاميريكي

وقد صنعت طائرة فكرس لتطير مسافات بعيدة وتلقي القنابل . وقوة عدتها ٧٠٠ حصان وسرعتها في طيرانها ٩٠ ميلا في الساعة ويسع حوضها من البنزين ٨٦٥ غالوناً تكفي لطيرانها ٢٤٤٠ ميلا . وقد خدم الكبتن الكوك في الحرب مع تركيا وكان في سلاح الطيران البحري ووقع اسيراً في يد الترك لخلل طراً على عدة طيارته فظل في الاسر الى انتهاء الحرب . اما الملازم برون فخدم في فرنسا كقريب وجرح واسر سنة ١٩١٥ واعيد الى وطنه سنة ١٩١٧ بعد اعتقاله في سويسرا . وقد نزلت طيارتهما الآن في حماة فاصيبت بعطل يسير وكاد برون يفقد صوابه وصمت اذنا الكوك من شدة الصدمة عند نزول الطائرة على الارض

وقال الكبتن الكوك من حديث ان السر العظيم في عبور الاتلنتيكي بطيارة هو حسن العناية بعديتها فان سرعة طائرة فكرس العادية ٩٠ ميلا في الساعة وكان في استطاعتنا ان نجعلها ١١٥ ميلا ولكننا لم نفتح المصرف مرة واحدة وهبت ريح ملائمة فتمكنا بها من جعل متوسط سرعة الطيران ١٢٠ ميلا في الساعة وقد جاءت طائرة فكرس بثماني مئة رسالة ولم يتمكن الكبتن برون من تعيين موقع الطائرة الا بالاستعانة بالشمس والقمر ونجم القطب الشمالي والنسر الواقع

مقتطف يوليو سنة ١٩١٩

٣

طيارة فكريس

ذكر في الفصل السابق ان الكبتن الكوك طار من اميركا الى اوربا بطيارة انكليزية من غير ان يقف في الطريق فنال جائزة الديلي مايل وهي عشرة آلاف جنيه . وقد نشر محل فكريس صانع هذه الطيارة كراساً فيه صورتها وصورة الكبتن الكوك ربان الطيارة ورفيقه الملازم برون . فالكبتن الكوك شاب ولد في منشستر سنة ١٨٩٢ واشتهر في الحرب الحاضرة بطول المسافات التي كان يقطعها بطيارته واصيبت طيارته بعطل مرة فاسره الاتراك وبقي في اسرهم الى آخر الحرب . ورفيقه الملازم برون اكبر منه سنّاً ولد في غلاسكو سنة ١٨٨٦ وانقطع لدرس الطيران وجرح في فرنسا في الحرب الحاضرة وأخذ اسيراً ثم اعتقل في سويسرا ورد الى بلاده سنة ١٩١٧ ومن ثم انتظم في وزارة الذخيرة وطار مراراً كثيرة وهو الذي ساق الطيارة عبر الاوقيانوس

وقد شرع الاثنان في الطيران من طرف نيوفون دندند الشرقي في ١٤ يونيو الساعة الرابعة والدقيقة ١٣ بعد الظهر فارتفعت الطيارة بهما ١٠٠ قدم وفي سبع دقائق غابت عن الابصار وكان النسيم يهب لطيفاً فحسبنا انهما يقطعان ١٤٠ ميلاً في الساعة ما دام على هذه الصورة فوصلا الى كلفدن بارلندا في الخامس عشر من يونيو الساعة ٩ والدقيقة ٤٠ قبل الظهر . فاذا اعتبر فرق الوقت بين ارلندا واميركا فقد قطعنا ١٨٨٠ ميلاً في ١٥ ساعة و٥٧ دقيقة وحرقا في هذه المدة ٥٨٠ جالوناً من البنزين وهي ثلثا ما كان معها . ولما وصلت الطيارة الى ارلندا ارتطمت في حماة حتى كادت تتلف ولكن الطيارين خرجا منها سالمين وتغديا مع ملك الانكليز في قصر وندزر في ١٩ يونيو واولمت لهما جريدة الديلي مايل وليمة في اليوم التالي واعطتهما الجائزة وهي عشرة آلاف جنيه ولا نرى ان مسألة عبور الاوقيانوس بهذه الطيارة حلت الآن حلاً يقنع الناس باستعمالها في السفر من اوربا الى اميركا ومن اميركا الى اوربا . ومن المحتمل ان تزداد قوة المحركات حتى تتغلب على العواصف مهما كانت كما تتغلب السفن البخارية بقوة آلاتها على امواج البحر وحينئذ يصير السفر بالطيارات مأموناً فوق البحر كما يكاد يكون مأموناً فوق البر

والطيارة المذكورة ههنا صنعتها شركة فكريس واسمها Vickers Vimy Rolli وقد تم صنعها في اواخر ابريل الماضي وامتحنها الكبتن الكوك والملازم برون فوجداها طبق المرام وللاحال فككت ونقلت الى نيوفوندلند في اميركا الشمالية فوصلت اليها في اواخر مايو

وفيها آلتان من نوع رولز رويس قوة كل منهما ٣٥٠ حصانا وفيها احواض للبنزين تسع ٨٦٥ جالوناً ولزيت التزيت تسع ٥٠ جالوناً وهذا البنزين يكفيها وقوداً لتقطع ٢٤٤٠ ميلاً . ومعظم سرعتها ١١٥ ميلاً في الساعة . ومعظم طولها ١٥ قدماً و٣ بوصات ومعظم عرضها بامتداد جناحها ٦٧ قدماً وتحرق كل آلة من آلتها ١٧ جالوناً ونصف جالون في الساعة وتستعمل جالوناً من زيت التزيت في الساعة لكل آلة وقد وزعت شركة فكريس كراساً متقناً جداً فيه صورة هذه الطيارة والتفاصيل المتقدمة

مقتطف اغسطس سنة ١٩١٩

٤

البالون R 34

سفره بين انكلترا واميركا ذهاباً واياباً

اما تفصيل هذه الرحلة من انكلترا الى اميركا فهو ان البالون قام من مخزنه في ايست فورتشن بمقاطعة هدتونشر في اسكتلندا فجر ٢ يوليو فارتفع حالاً الى علو ١٥٠٠ قدم وسار غرباً ماراً فوق غلاسجوي في اسكتلندا وما زال كذلك حتى بلغ الاتلنتيكي وكان يرتفع وينخفض طبقاً لمرکز النيوم وكانت تضايقه كثيراً فتحرم ركبته رؤية ما حولهم . وكان كلما بلغ موقعاً معيناً يرسل الانباء بالتلغراف اللاسلكي مبيناً فيها مركزه من العرض والطول حتى بلغ مدينة منيولا في الجزيرة المناوحة لنيويورك والمعروفة باسم لونج اينلد بعد ما لقي مخاطر حمة في الجزء الاخير من رحلته وكانت المسافة التي قطعها ٢٠٥٠ ميلاً من ايست فورتشن سكتلندا الى خليج ترينتي ١٠٨٠ من هذا الخليج الى نيويورك فالمجموع ٣١٣٠ ميلاً قطعها البالون في نحو ١٠٨ ساعات . اي ان متوسط سرعته بلغ ٢٩ ميلاً في الساعة او ربع سرعة الطيارة التي اجتازت الاتلنتيكي

واسم ربانه الماجور سكوت وكان فيه خمس آلات محرّكة قوتها معاً ١٣٧٥ حصاناً

وكان فيه زاد كثير و ١٨ طن من السبيرتو وطن زيت لتزيت الآلات و ٤٩٠٠ جالون من البنزين ثقلها نحو ١٦ طناً . وقوة البلون الرافعة ٦٠ طناً . وفي اواخر رحلته نفذ البنزين وكان قد قرب من نيوفوندلند فارسل يطلبه بالتلغراف اللاسلكي فامدته به الحكومة الاميركية على عجل

هذه خلاصة رحلته من انكلترا الى اميركا . اما عودته فنلخصها من التلغرافات التي نشرت في الصحف اليومية . وقد جاء فيها ان البلون قام على عجل في ١٠ يوليو اذ جاء في التقرير الرسمي ان عاصفة تهب من البحيرات العظيمة فقام قبل ان تصل اليه . وقد شاهد عشرات الالوف البلون يطير فوق نيويورك ووقفت حركة الاعمال والاشغال واكثر الناس من الهتاف له

واعلنت وزارة الطيران البريطانية ان مركزه في الساعة التاسعة من صباح ١٠ يوليو كان عند الدرجة ٤٠ والدقيقة ٤٧ من العرض الشمالي والدرجة ٧٠ والدقيقة ٣٠ من الطول الغربي بحساب وقت الصيف في بريطانيا

وفي ظهر ذلك اليوم كان قد بعد نحو ٥٠٠ ميل من نيويورك . وفي اليوم التالي ١١ يوليو ورد على وزارة الطيران تلغراف لاسلكي من البلون فخواه انه كان الساعة ٢ بعد الظهر بحساب وقت جرينتش عند الدرجة ٤٦ والدقيقة ٣٢ شمالاً والدرجة ٣٨ والدقيقة ٩٨ غرباً . وانه ينوي النزول في ايستفورتشن وان عدة من عدده تعطلت تماماً

ثم اعلنت الوزارة المذكورة ان مركز البلون كان في الساعة الرابعة صباحاً عند الدرجة ٤٣ والدقيقة ٤٠ شمالاً والدرجة ٤٦ غرباً اي في منتصف الطريق فوق الاتلنتيكي . وهو يخاطب كلفدن وجزر الازورس ويطير بسرعة ٤٥ ميلاً في الساعة وكان في نيته ان ينزل في ايست فورتشن كما تقدم وهي المدينة التي طار منها ولكن وزارة الطيران بعثت تطلب منه ان ينزل في بلهام فنزل فيها الساعة ٦ والدقيقة ٥٧ من يوم ١٣ يوليو بعد ما قضى على الطريق ٧٥ ساعة و ٣ دقائق من لونغ اينلد الى بلهام . وكان قد بقي معه الف جالون من البنزين

مقتطف اغسطس سنة ١٩١٩

وهو المعروف ببلون لوس انجلوس

صنع الاميريكيون في المانيا بلوناً كبيراً من نوع بلونات تزلبن طولهُ نحو ٧٠٠ قدم سمي Z.R.3 وقد طار البلون في شهر اكتوبر الماضي من المانيا الى الولايات المتحدة مسافة تزيد على خمسة آلاف ميل في ٨٠ ساعة و٤٥ دقيقة فاقرب بذلك تحقيق الامل بانشاء خط هوائي يصل نيويورك بمدن اوروبا. وتقول الصحف الاميركية ان لا حديث لارباب الاموال واصحاب معامل الطيران في هذه الايام إلا حديث هذا الخط حتى لقد شاع ان سينشأ قريباً خط هوائي منتظم بين نيويورك ولندن فيقطع المسافر به المسافة بينهما في ٧٢ ساعة ثم يصبح انتقاله من لندن الى مختلف مدن اوربا من الهنات الهينات. فيستطيع النيويوركي حينئذ ان يأتي لندن او غيرها من عواصم اوربا فيقضي ما له فيها من الشؤون ويعود فلا يستغرقه ذلك اكثر من اسبوع. ولو اراد ان يقطع الاوقيانوس الاتلنטיكي ذهاباً واياباً واستقل الموريتانيا اسرع البواخر الآن لما تم له ذلك في اقل من ١١ يوماً

لكن قبل ان يصبح هذا الخط الهوائي امراً واقعاً يجب بناء بلون يستطيع ان يقاوم التقلبات الفجائية في الهواء التي تحدث مصادفتها في شقة طويلة كالشقة بين اوربا واميركا. ولقد اثبت البلون الالمانى في طيرانه من المانيا الى الولايات المتحدة ان البلونات تستطيع قطع الاتلنטיكي باسرع سرعتها الحاضرة والثبات امام تقلبات الهواء الفجائية وهذان الامران يجعلان الامل وطيداً ان يزيد اتقان البلون حتى يصح الاعتماد عليه في السير سيراً منتظماً فيسافر في اوقات معينة ويصل في اوقات معينة مهما كانت الاحوال الجوية. ولا يخفى ان السرعة لها شأن كبير في سلامة الطائرة او البلون وثباتهما على هبوب الرياح والعواصف فالطائرات التي تطير الآن بسرعة ١٥٠ ميلاً مثلاً تستطيع الثبات والطيران في عاصفة تقلب ما كان من الطائرات ابطاً منها. وقد طار البلون الالمانى بمعدل ثمانين ميلاً بحرياً في الساعة فقاوم ريحاً شديداً تقلب بلوناً عن البلونات البطيئة التي على الطرز القديم. وسيعني المهندسون بزيادة سرعة البلون ومثانة بنائه حتى يستطيع ان يقاوم كل عاصفة تمور عليه ويشق طريقه فيها والامر الثاني الذي يجب النظر فيه لانشاء خط هوائي منتظم بين العالم القديم

والعالم الجديد هو الغاز الذي يملأ به البلون

فبلونات تزلبن كانت ولا تزال تستخدم غاز الهدروجين والالمان يقولون ان هذا هو الغاز الوحيد الذي يستطيع استخدامه الآن ولكن الخبراء في البحرية الاميركية وكثيرين غيرهم من المهندسين يقولون ان غاز الهليوم هو الغاز الذي يصح الاعتماد عليه لأنه لا يشتعل . ولا يستطيع التوفيق بين هذين المذهبين الا بعد تجارب كثيرة . فالهدروجين يشتعل بسرعة ويصير من المتفجرات حين امتزاجه بالهواء اما الهليوم فليس كذلك . ولو كان هذا الامر وحده ركن الخلاف بين الرأيين لحكم الجميع للهليوم لكن هناك مسألة الثمن فالهليوم لا يزال غالي الثمن جداً ويقول الالمان انه بسبب غلائه ما من شركة نقل تستطيع ان تسيّر بلوناتها اذا اضطرت ان تملأها كلها به وان الهدروجين اذا احسن استعماله لم يكن خطراً

ويظهر ان المعامل الالمانية التي تصنع بلونات تزلبن ما فتت تهم بانشاء خط هوائي ينقل المسافرين بين اوربا واميركا وهالك رأي الدكتور دور Dorr من كبار المهندسين بمعامل تزلبن واحد الذين وضعوا رسوم البلون Z.R.3 قال

« اعتقد ان طيران هذا البلون يثبت اثباتاً لا يقبل الريب اننا نستطيع المضي في صنع السفن الهوائية للمسافرين . فقد اثبتنا ان البلون يعتمد عليه في سفرة طويلة . وقد قطع الاوقيانوس ولم يصب بمكروه . وسرعة سيره ستعجل في انشاء خط هوائي للمسافرين . الا نرى كيف تقدم السفر البحري بعد اكتشاف البخار . فنحن لا نرضى بتقدم ابطاً من ذلك . « وسأرى السفن الهوائية تنقل المسافرين بعد سنين قلائل . ولا ما يمنع الشروع في ذلك الآن فلقد اثبتنا صحة المبدأ الذي يقوم عليه مثل هذا النقل »
« ولقد وضعنا رسوم بلونات حجمها ضعف حجم هذا البلون او ثلاثة اضعافه لكننا لم ننته من درس مسألة المسافرين والعدد الذي يستطيع البلون ان ينقله منهم . فالبلون Z.R.3 يستطيع ان ينقل ٥٠ راكباً او ستين اذا كانت سفينته اوسع مما هي الآن فاذا بنينا بلوناً حجمه ضعف هذا ضاعفنا عدد المسافرين . ولا ما يمنع ان نبني بلوناً مثل خمسة اضعاف هذا البلون او ستة اضعافه فيصبح عدد المسافرين الذين يستطيع حملهم في بلون واحد ٣٠٠ راكب او ٤٠٠ او ٥٠٠ »

وقد رأينا صوراً لهذا البلون وضباطه جالسون الى موائد الطعام يأكلون

ويشربون كأنهم في باخرة كبيرة متقنة

عبور الاوقيانوس الاطلنטיكي بالطيارة

سنة ١٩٢٧

رأي الكومندر برد أول من طار الى القطب الشمالي

نكتب هذه السطور وقد انقضت عشرة ايام على شروع الطيار الفرنسي تنجسر ورفيقه كولي في محاولة الطيران من باريس الى نيويورك دفعة واحدة . غادرا باريس قبل فجر الاحد في ٨ مايو الماضي وقيل في اليوم التالي انهما بلغا نيويورك سالمين فقام الجمهور الفرنسي وقعد فرحاً بهذا الفوز الجديد في الطيران البعيد المدى . على انه لم يلبث فرحه ان تحول ترحاً لأنه لدى التثبت ظهر ان تنجسر ورفيقه لم يصلا الى نيويورك فطيرت الانباء الى البواخر التي تشق عباب الاوقيانوس ان تتسم اخبارها وهبت الطيارات الاميريكية وبواخر مصلحة الشواطىء الى البحث عنهما في جوار جزيرة نيوفوندلند وشواطىء لبرادور ونوفاسكوشا فلم تقف لهما على اثر . على ان الامل بوجودهما لم يقطع بعد اذ قد يكونا نزلا في البحر قرب خليج من الخلجان الصغيرة النائبة عن العمران

ولا يخفى ان الطيران بالطيارة من باريس الى نيويورك او من نيويورك الى باريس في شوط واحد عمل محفوف بالمخاطر لان الشقة بينهما نحو ٣٦٠٠ ميل لا يستطيع الطيران ان تجتازها في أقل من اربعين ساعة ولا بد ان يكون جانب من الرحلة في اثناء الليل وهذا يزيد المخاطر التي يتعرض لها الطيار اذ لامناً في البحر يهتدي بنورها اذا ضل السبيل . اخف الى ذلك ما قد يثور في وجهه من العواصف التي تحملها على تخفيف سرعة سيره او على تنكب الطريق الذي رسمه . وقد يضطر ان يهبط على سطح الماء في بحر تائر متلاطم الامواج واذا اتفق حدوث هبوطه ليلاً فهناك الويل الاكبر على ان في صدور بعض الناس قوة تدفعهم الى اقتحام المخاطر في الصحاري المحرقة والاصقاع المتجمدة والمسالك الجوية والبحرية الحافلة بالمخاطر والمشاق . هذه هي القوة التي دفعت كولمبوس ومجلان وسكوت وبيري وشكلتون وكوبهام وامندسن وده بنيدو وبرد وحسنين وغيرهم من الرواد الذين كانت اعمالهم اعلاماً يهتدى بها على طريق التقدم والارتقاء

وقد اطلعنا على مقالة في مجلة العلم العام للكومندر برد الاميركي اول من طار الى

القطب الشمالي ذهاباً واياباً جاء فيها على ذكر المعدات التي اعدتها للطيران من نيويورك الى باريس فاقتطفنا منها ما يأتي :

لما وضعت الحرب الكبرى اوزارها اخذتُ اعد العدة لعبور الاتلنטיكي بالطيارة فسبقني الى ذلك الكومندر ريد اذ طار في مايو سنة ١٩١٩ من جزيرة نيوفوندلند الى جزائر الازورس والمسافة بينهما ١٣٨٠ ميلا اجتازها في ١٥ ساعة و١٨ دقيقة وتلاه الطياران الكوك و برون في يونيو من السنة نفسها فطارا من نيوفوندلند الى ارلندا مسافة ١٩٦٠ ميلا في ١٦ ساعة و١٢ دقيقة . على ان المسافة بين نيويورك وباريس تبلغ نحو ٣٦٠٠ ميل ويستغرق اجتيازها نحو اربعين ساعة ولم يفز احد بعد بعبورها بالطيارة دفعة واحدة مع ان البلون الالماني الذي سمي لوس انجلوس طار من همبرج الى نيويورك سنة ١٩٢٤ مسافة تزيد على خمسة آلاف ميل في نحو ثمانين ساعة . واودت كثيراً ان يتاح لي ان اكون اول من يفوز بالطيران من نيويورك الى باريس لان من يفعل ذلك يكون من اعظم المحسنين للعمران

ثم قال انه يعد العدة لهذه الرحلة فاذا نجحت او اذا خرج منها سالماً على الاقل فانه ينوي الطيران الى القطب الجنوبي في اواخر هذه السنة . وسيجعل اعتماده على طيارة من ذوات السطح الواحد كالطيارة « جوزفين فورد » التي طار بها الى القطب الشمالي ويكون لها ثلاثة محركات ككل الطيارات الانكليزية التي تطير بين هايوبوليس وبنغداد اما تختلف طيارته عن هذه الطيارات في امر جوهرى . ذلك ان المحركات الثلاثة في طيارته الاولى وفي الطيارات الانكليزية بعيد احدها عن الآخر فتجد احدها عند مقدم الطيارة والاثنين الباقيين على كل من الجانبين يبعد نحو خمسة امتار او اكثر عن مقعد السائق . فاذا اصيب احد هذين المحركين بخلل ما في اثناء الطيران تعذر على السائق او احد رجاله ان يتصل به ليصلح ذلك الخلل . وقد تلافى الكومندر برد هذا الامر بجعل المحركات الثلاثة في متناول السائق او متناول احد رجاله من غير عناء كبير . وادخل على خزانات طيارته تحسیناً لا بد منه اتقاءً لبعض المخاطر التي قد يعرض لها اذ اضطر ان ينزل في البحر فصنع لها صمامات خاصة تمكنه من افراغ ما فيها من البنزين بسرعة ليخفف وزن الطيارة ثم يسدها سداً محكماً ويستعملها كطوافة تحفظ الطيارة عاممة بمن فيها الى ان يقيض لهم من ينجيهم

لما طار برد الى القطب الشمالي كان يرافقه معاون واحد فكان يتناوب معه تسيير

الطيارة وادارة دفتها . ولكن الرحلة الى القطب ذهاباً واياباً استغرقت نحو ١٦ ساعة فقط وينتظر ان تستغرق الرحلة من نيويورك الى باريس ٤٠ ساعة كما تقدم وعليه فلا بد من معاون آخر يحمل محل احدهما آناً ويعني بالآلة التلغراف اللاسلكي وباصلاح ما قد يطرأ على الآلات من خلل طفيف آناً آخر

واكبر خطر يعرض له الطائر من نيويورك الى باريس هو اضطرابه ان ينزل بطيارته في عرض البحر ليلاً . فاذا حدث للكومندر برد ما حملهُ على ذلك افرغ البنزين من خزانات طيارته بسرعة وسدها سدها محكماً حتى تبقى عائمة وقصّ جناحي الطيارة ونصب فيها سارية ورفع على السارية شراعاً ومن ثم يحاول ان يسير بها الى اليابسة كأنه في مركب شراعي صغير . ويقتات مع رفاقه حينئذ بما يصطادونه من السمك ياكلونه نبتاً . وقد ثبت له في جهات القطب الشمالي ان اكل السمك نبتاً ليس امراً كريهاً . وعنده ان اكبر خطر يعرضون له حينئذ هو الموت ظمأً لان الحصول على ماء للشرب اصعب المصاعب التي قد يلاقونها فماء البحر اجاج لا يشرب ومحركات الطيارة تبرد بالهواء فلا ماء فيها يمكن شربه وما يستطيعون حملهُ من الماء معهم قليل لان الطيارة يجب ان تحمل اكبر مقدار تستطيع حملهُ من البنزين

ويجب الابتداء في هذه الرحلة عند طلوع الفجر ويستمر الطيران طول النهار والليل وطول النهار التالي اي لاقل من اربعين ساعة . ولما كانت حالة الجو في يونيو تبعث على الارتياح والرياح تهب من الغرب فتدفع الطيارة في سيرها الى الامام بدلا من ان تعيقها فالرجح ان الكومندر برد يشرع في رحلته هذه في يونيو . وهو يعتقد ان مخاطر الطيران فوق الاتلنتيكي اقل من مخاطر الطيران من شرقي الولايات المتحدة الى غربها وسيحمل معه آلة لاسلكية ترسل الاشارات اللاسلكية وتستقبلها وبها يستطيع ان يبقى على اتصال بالبوأخر التي تمخر الاوقيانوس بين اوربا واميركا

اما الفوائد التي محنى في هذا الطيران فكثيرة اولها في رأيه انها تثبت للناس ان هذا الطيران في حيز الامكان وقد قال في ذلك « ان طيراني الى القطب الشمالي اثبت ان هذا الطيران مستطاع وانه امين الجانب وكفى بهذا فائدة تجنى منه » . ومن هذه الفوائد امتحان آلات الطيارة ومثانة المواد التي تبنى منها واصلاح الاشكال لبنائها وهلمّ جراً بما لا تثبت حقيقته الا بالامتحان الفعلي . ومنها معرفة حقائق حجة عن احوال الجو وامكان تسيير طيارات الركاب بين اميركا واوربا

٢

لشربغ

فما الناس يتحدثون بجرأة الطيارين الفرنسيين نتجسر وكولي على الطيران من باريس الى نيويورك دفعة واحدة ويتقربون اخبار وصولهما ثم البحث عنهما بفارغ الصبر وفيما الناس يطالعون في الصحف انباء الاستعدادات الكبيرة التي يقوم بها كبار الطيارين الاميركيين لاجتياز الاثنتيني من نيويورك الى باريس وفي مقدمتهم الكومندر برد اول من طار الى القطب الشمالي ذهاباً واياباً ، اذا طيار اميركي مجهول الاسم الا في دوائر البريد الجوي الاميركي يستقل طيارة من ذوات السطح الواحد من طراز ريان ويقوم بها من ميدان روزفلت قرب نيويورك الساعة السابعة والدقيقة ٥٢ من صباح ٢١ مايو قاصداً اجتياز الاثنتيني وحده لم يصحب معه سوى قطنه وثلاث قطع صندوق سندويتش وزجاجة ماء صغيرة و ٤٢٠ جالونا من البنزين ، فهت الناس لهذا الاقدام النادر المثال وباتوا يتقربون اخباره ساعة فساعة مخافة ان يكون نصيبه من الفشل والفقدان نصيب سابقه الفرنسيين ، ولكن لم تلبث ان وردت الانباء البرقية انه شوهد اولاً طاراً فوق سانت جون بنيو فوندلند ثم رؤي فوق ارلند متجهاً الى باريس ثم شوهد فوق شربورغ وفي الساعة العاشرة والدقيقة ٢١ حط في مطار لو بورجيه بباريس بعد طيران مستمر استغرق نحو ٣٢ ساعة اجتاز في اثنائها نحو ٣٦١٠ اميال فتفوق بذلك على جميع الذين سبقوه من طياري العالم في الطيران البعيد المدى وابدى في عمله من الشجاعة والاقدام والصبر وقوة الارادة ما يندر مثيله في تاريخ الارتياح

ولما شاع في باريس ان وصوله بات محققاً احاط جمع غفير من الناس يقدر بنحو مائة وخمسين الف نفس بمطار لو بورجيه قبل وصوله بساعتين ولما انسدل ستار الظلام انيرت المنائر ووقدت المشاعل فظهرت جماهير الناس متدلية من جدران المنازل كعناقيد العنب

وفي الساعة العاشرة والدقيقة ١٥ من مساء ٢٢ مايو سمع محرك الطيارة فأثار ذلك هزة في النفوس وصوبت اشعة المنائر الى الفضاء فظهرت طيارته على ارتفاع قليل فخامت حول المطار قليلاً ثم حطت على الارض بخفة ورشاقة . ولم تكد تستقر حتى

اندفع عشرات الالوف من الناس اندفاع السيل فاكستسحوا امامهم رجال البوليس وحطموا حواجز الحديد وكانت مظاهر السكينة والوقار بادية على حيا الطيار المقدم فوثب من طيارته الى الارض ونزع قبعة الطيران عن رأسه فحمله المعجبون به على الاكتاف ثم احاط به الجنود وساروا به بكل صعوبة الى مركز ادارة المطار فحياه السفير الاميركي والوزراء

واتصل خبر فوزه بالاميركيين فظهروا في نيويورك بمظاهر من الحماسة والابتهاج لم يشاهد مثلها منذ عقد الهدنة . وارسل اليه الرئيس كولدج تلغرافاً اعرب فيه عن ابتهاجه بنجاحه وقال فيه « هذه اول مرة طار فيها طيار من نيويورك الى باريس وحده من غير ان يقف في الطريق . ان هذا العمل تاج على مفرق اميركا يبين ما لها من فخر السبق في الطيران » وختم تلغرافه بالاعجاب بنجس وكولي ونوه بما تعانیه اميركا من القلق عليهما وارسل اليه زعماء البرلمان في استوكوهلم تلغراف تهنئة لانه من اصل اسوجي وارسل اليه السنيور موسوليني تلغراف تهنئة اطب فيه « بالعزيمة التي تفوق طاقة البشر والتي قبضت على زمام الفضاء بقوة واخضعته » . واستقبله ثاني يوم وصوله الرئيس دومرغ في قصر الاليزة وقلده وسام اللجيون دونور وسامه كتاباً الى امه يهنئها فيه بابنها البطل واستقبله المسيو بوانكاره في نادي الطيران ثم سلم اليه الميدالية الذهبية الكبرى بحضور السفير الاميركي والوزراء الفرنسيين وكبار الطيارين . وقيل ان السر الان كونهما الطيار الانكليزي المشهور طار من لندن الى باريس ليهنئه بنفسه نيابة عن الطيارين الانكليز . ورفع الفرنسيون الاعلام الاميركية في كل مكان ابتهاجاً . وكان اول عمل عمله لندبرج في باريس ان زار والده ننجسر الطيار الفرنسي فدخل بيتها حاسر الرأس وخاطبها متهدج الصوت فاعرب عن اعرابه بشجاعة ابناها ثم خاطب والدته بالتلفون اللاسلكي وهي في مدينة درويت

كتب احد اساتذة اللغة الانكليزية وآدابها في اميركا مقالة بين فيها ان طياران لندبرج من نيويورك الى باريز وما سبقه من الحوادث رواية كاملة تجتمع فيها كل فنون التأليف الروائي على اتم ما يكون ، وقال انه لا يعرف مؤلفاً يستطيع ان يتكر رواية

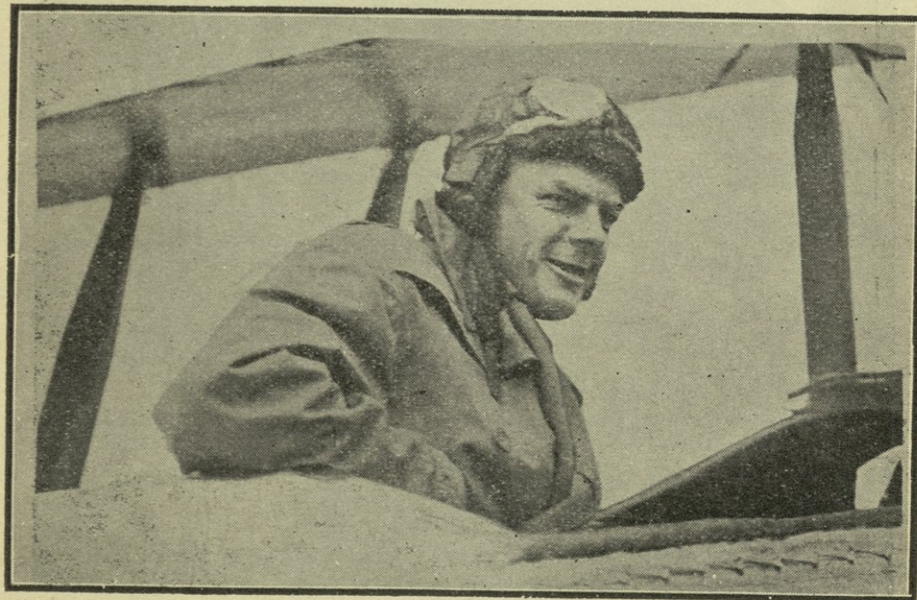


دكتور لندبرغ

الرواد صفحة ٢٧٩



الطيار تينجر الفرنسي



الطيار كلارك الانكليزي

١٩١٧

وينسق حوادثها بحيث تكون اوقع في النفس من تتابع الحوادث الواقعية في رواية لندرغ الجوية

يرتفع الستار عن رجل من اغنياء اميركا يهتم بشؤون الطيران فيعرض على الطيارين جائزة قيمتها ٢٥ الف ريال ينالها اول رجل يطير من نيويورك الى باريس دفعة واحدة. فتشير جائزته بعض الاهتمام في الرأي العام وتبدأ الصحف تعنى بعض العناية باخبار الطيارين الذين يظن انهم قد يتقدمون الى نيل هذه الجائزة. على ان احاديث العارفين بشؤون الطيارات والطيران تدور على مصاعب هذه الرحلة الجوية وما يحول دون تحقيقها من المخاطر. فيزداد اهتمام الناس بها وتكثر عنايتهم بقراءة ما تنشره الصحف في هذا الشأن. ثم يتقدم طيار افرنسي يدعى فونك ينجي بطيارته من فرنسا الى نيويورك خاصة. ويعد ما يعد معداته للطيران يحاول الارتفاع بطيارته فترتفع قليلاً ثم تنكس رأسها وتهبط الى الارض تتحطم وتحترق ويقتل اثنان من ركبها وينجو سائقها. ثم يتقدم طيار اميركي يدعى نول دايفس فيحاول امتحان طيارته قبل الاقدام على هذه الرحلة الشاقة فهوي به من الجو فيقتل هو ورفيقه. وفيما الناس يطالعون هذه الانباء والحزن ملء نفوسهم يطير من باريس اثنان من اكبر الطيارين واشجعهم، نتجسر وكولي، فيضلان الطريق وتنقطع اخبارها. يجري كل ذلك وبطل الرواية لم يظهر بعد في ميدان العمل. ولكن الرواية تتقدم رويداً رويداً وحوادثها تزدحم وتتوالى آخذ بعضها برقاب بعض، فيزداد الاهتمام بتوالي هذه الحوادث اذ يرى القارىء من خلالها امرين الاول ما لهذه الرحلة من الشأن الكبير والثاني المصاعب والمخاطر الجمة التي تحول دون تحقيقها

واي شأن لهذه الرحلة الجوية! ها خمسة آلاف جنيه بانتظار الفأر وشهرة تطبق الخافقين وتهليل من الجماهير يسكر النفوس. ولكن النقود لا قيمة لها ازاء النجاح في هذا العمل العظيم لان النقود في الحقيقة رمز الى النجاح لا اكثر ولا اقل. والقيمة الحقيقية صعب تحديدها لان هذا العمل ككل الاعمال الفنية العظيمة لا فائدة ظاهرة تتجم عنه. ولكن من ينكر اثره الخفي في النفوس؟ ان الفوز في الطيران من نيويورك الى باريس شبيه باية من آيات الفن فيه تتجلى كل الصفات السامية التي تشرف الانسان

كذلك نرى ان الحوادث التي سبقت طيران لنديبرغ وتعايق الصحف على الفوائد الظاهرة والخفية التي تنجم عنه اثبتت لنا قيمة العمل وفي الوقت ذاته بينت ما يحول دون تحقيقه من المصاعب والمخاطر — مصاعب النهوض بالطيارة بعد تحميلها حملاً كبيراً من البنزين والمخاطر التي تنجم عنه تقلبات الهواء وضعف في بناء الآلات او خلل يطرأ عليها ، اضعف الى ذلك ضعف الانسان وتعرضه للخمول والنوم على اثر جهاد عنيف

ها قد مرَّ امامنا اكثر الاشخاص الذين تدور عليهم الرواية ونحن بانتظار بطلها . وفيما نحن ننتظر يزداد اهتمامنا بالامر لما نطالعُه في الجرائد من منافسة نشأت بين اثنين من اكبر الطيارين في اميركا تقدما لنيل هذه الجائزة ، احدهما اول رجل بلغ القطب الشمالي عن طريق الجو وهو الكومندر برد والثاني رجل حلق بطيارته فبقي فيها ٥١ ساعة و١٢ دقيقة في الجو وهو كلارنس تشمبرلين

واذ نحن مأخوذون بحوادث هذه المنافسة يدخل علينا بطل الرواية كأنه ملك هابط من الجو ويكون دخوله على اعظم جانب من الأثر في نفوس المشاهدين . ما من روائي مهما سمت فيه قوة الابتكار يستطيع ان يبتدع طريقة لتعريف البطل بالقراء اقرب الى الحقيقة وواقع في النفس . انه يجتاز القارة الاميركية في مرحلتين فيأخذنا بأقدامه ومفاجأته

لكن احوال الجو تحول دون استئناف طيرانه بالسرعة التي كان يريد بها فيلبث هنيهة في نيويورك والناس تنتظر ما يكون من امره وهم في هذا الانتظار اشد ما يكون اهتماماً وعناية بحوادث الرواية وتشوقاً لمعرفة الوجه الذي تنتهي عليه . وهذا من الفن الروائي في مكان عظيم . لانه لو هبط البطل نيويورك واستأنف طيرانه بعيد وصوله لما كان اهتمام الناس به كبيراً . ولو انه انتظر طويلاً قبل طيرانه الى باريس لكان اهتمامهم به فتر وزال . ولكن الحقيقة شاءت ان يلبث زمناً كافياً حتى يرتفع اهتمام الناس به الى اوجه . وفي هذه الهنيهة اخذت الناس سورة من اللوعة والشوق لان البحث عن الطيارين الفرنسيين المفقودين كان قائماً على قدم وساق والامل في العثور عليهما يتراوح بين اليأس والرجاء بين ساعة واخرى . وفيما نحن ننتظر ما يكون من امر هذا البحث ومن امر بطلنا تطلع علينا الصحف والمجلات باوصافه — امه

معاملة في احدى مدارس درويت . وهو حديث السن ، لكن حادثته لا تمنع ان يكون له تاريخ في الطيران حافل بالمخاطر والمغامرات . اربع مرات لزم الامر ان ينجو من طيارة محطمة في الجو باللجوء الى شمسية (باراشوت) . ثم نسمع انه عثر في مقعد طيارته على قطة سوداء فيتخذها شعاراً له ولكنه يخاف ان يصطحبها معه لئلا تموت في الطريق من شدة البرد . ثم تنشر صورته ففسرنا قسما وجهه ، ونقرأ عما يقوم به من الاعمال فاذا به يدل على انه سكوت ، هادىء ، وديع ، حرُّ الرأي ، شجاع . ثم تأتي امه لتودعه وداعاً قد يكون الاخير ، وحينما يطلب اليها مصورو الصحف ان تقبل ابنها امامهم ترفض طلبهم بآباء — كل هذه الامور تحببنا اليها وتزيد في شوقنا لمعرفة نهاية امره

ها نحن نستقبل اكبر المشاهد اثراً في النفس ، نفاجىء به مفاجأة كما فوجئنا بوصول البطل الى الميدان . انه يعزم فجأة على استئناف الطيران الى باريس فيقضي الليل يعدُّ طيارته لا ينام إلا ساعتين ، ثم يصعد الى مقعده عند الفجر فيرتفع بالطيارة فتترنح قليلاً لتقل حملها ويرفرف شبح الفشل والموت عليها هنيهة فيضع الناس ايديهم على قلوبهم وجلالاً على هذا الفتى الغض الاهاب ، يقدم وحيداً على رحلة حافلة بالمخاطر العظيمة ليجتاز بحر الظلمات . ولكن الطيارة لا تلبث ان تستوي على متن الهواء وتتجه الى هدفها فيودعها جمهور قليل في مقدمتهم الكومندور برد اول رجل طار الى القطب الشمالي

وتعود الام الى مدرستها تسير في عملها اليومي كأن ليس لها ابن يغالب العواصف ويجالد عناصر الجو وحيداً كمتن السيف عري مثناه عن الخلل . ان تلاميذها يجتنبون ذكرى ابنها امامها لكي لا تتور شجونها . وتسير سيرة النزاع بين الطيارين الاخرين وترد الانباء باضطراب الجو فنخاف سوء المصير . ثم يصحو الجو فنرى بارقة امل في نجاح بطمانا ولكن تعاودنا المخاوف حينما نذكر انه لم ينم في الليل السابق لطيرانه سوى ساعتين . ترى أيغلب الليل والنعاس ! كيف يتقي البرد وهو لم يعد لذلك عدة خاصة ؟ ايبقى صافي الذهن يسير الى هدفه على هدى الى ان يبلغه ؟

وفيا نحن علي احرّ من الجمر تبدأ الاخبار البرقية بالورود وفيها انه شوهد اولاً فوق نيوفونلند ثم فوق ارلندا . ثم فوق شربورغ . ها هو ينزل في باريس في جمع

محتشد يقدر بمائة وخمسين الفاً . ان اسمه على كل الشفاء . وصوره في صفحات الجرائد
الاولى الملوك ورؤساء الجمهوريات يستقبلونه ويهدون اليه اوسمة الشرف . والجمعيات
المختلفة تتسابق الى تكريمه والاحتفال به . ها هي الرواية الكاملة خطها يد الحقيقة
على صفحات التاريخ فجاءت في مجملها وتفصيلها اغرب من بنات الخيال يتكرها اربع
الروائين
مقتطف يونيو واغسطس سنة ١٩٢٧

٣

تشميرلين وبرد

وبعد طيران لندبرغ فازالطيار تشمبرلين الاميركي بالطيارة من نيويورك الى ايزلابن
على مقربة من برلين وتلاه الكومندر برد اول من بلغ الى القطب الشمالي بالطيارة
فطار مع ثلاثة من نيويورك الى فرنسا وكسرت بوصلته فلم يستطع ان يعرف مكانه
بالتدقيق لما صار فوق باريس فنزل في البحر قرب بلدة فيرسيير مير Ver-sur-mer



ارتياك الهواء
والمواصلات الجوية

ركوب الهواء في السلم والحرب

١

لا تزال بعيدين عن الزمن الذي يستخدم فيه ركوب الهواء للنقل والانتقال لكنه آت كما أني استخدم البخار. أما الآن فاستخدم في الحرب للاستطلاع والارهاب وفي السلم للنزهة والمباراة باقتحام الاخطار. وقد وقفنا على ما كتبه اثنان ركبا الهواء منذ عهد قريب الاول في الحرب والثاني في السلم ووصفا ما شاهداه وشعرا به ادق وصف فرأينا ان نعرب بعض ما قالا

ركوب الهواء في الحرب

قال الطيار الروسي توما افيموف الذي كان مع جيش البلغار وطار فوق ادرنه في اوائل الحرب ما خلاصته

كنت في مصطفى باشا في الثامن عشر من اكتوبر (١٩١٢) وكان الهواء ساكناً حاراً كان الفصل غير الخريف. فجعلت انا ورفاقي نعد محرك الاروبلان وزكب اجزائه بعضها مع بعض وجعل الجنرال يدور حوله من وقت الى آخر وهو يتكلم معنا في امر الاستطلاع. ثم طلب مني ان اطير فوق ادرنه لكي اقف على احوالها وارمي فيها بعض المنشورات المطبوعة باللغة التركية وقد وعد فيها المحصورين بالمعاملة الطيبة ان هم سلموا له. ولم اكن مستعداً لهذا الاستطلاع ولا كانت معي النظارات التي اقي بها عيني ومع ذلك وعدته ان افعل ما طلب. وكان معنا اروبلاان من نوع بلريو احدهما قديم ركبته مراراً والآخر جديد لم اركبه من قبل فاخترت القديم لاني قطعت به مسافات شاسعة وعرفت اطواره فجلست فيه وودعت الذين حولي وادرت الآلة وسلمت نفسي للهواء فارتفعت رويداً رويداً على مهل وكان النسيم عليلاً حتى كاد يتولاني النعاس

ومرت تحتي البيوت والحراج والآكام وصغرت الخيام حتى صارت نقطاً على بساط الغبراء فالتفت الى البارومتر واذا انا لم اعل غير ٦٠٠ متر فقلت في نفسي لقد شاخ هذا الاروبلان وضعف عن الطيران. وخفت ان لا يعلو بي عن ذلك الحد فتبلغني بنادق العثمانيين وجعلت احاول الارتفاع وهو لا يطيع لي امراً الى ان أسقط

في يدي فسلمت امرى للتقادير . وكان جمال الطبيعة يختلب الالباب فنظرت الى ما حولي يمينة ويسرة وكأني سمعت صوت البنادق ودوي المدافع وملاك الموت من خلالها يحصد الارواح ودماء القتلى تصبغ اديم الارض وانين الجرحى يمزق كبد السماء لا من يرثي ولا من يغيث . هنا تتبارى الامم ويمحق بعضها بعضاً لكنني لم اكن اسمع في الحقيقة شيئاً لان صوت الآلة ومقاومة الهواء صها اذني . الارض تحتي قلقلة مضطربة والسماء فوقى ساكنة هادئة وانا بينهما كالساعي الى حتفه بظلفه

هناك ادرنة وهذا نهرها واما حصونها ومعقلها وخيام جنودها فلا تزال على خمس كيلو مترات مني وانا على ٩٠٠ متر فوق وجه الارض فلا ازال في موقع الخطر ولكن ليس تحتي الآن سوى خنادق البلغار . ثم ارتفعت الى ١٣٠٠ متر وهذا ايضا لا يكفي وقد فرغت حيلتي ورأيت ان لا بد لي من الدنو من المدينة ولو بقيت على ثلاثة كيلو مترات منها فجعلت ادور حولها وانا اقرب منها رويداً رويداً فمررت فوق بعض امكنات ورأيت الحيوش تستعرض فصوبوا بنادقهم اليّ ورأيت الدخان خارجاً من افواهها ولكنني كنت ابعد من ان يصل اليّ رصاصها فابعدت عنهم واحتفى دخان بنادقهم ثم خطر لي ان آتي قد تقف قارع بين هؤلاء الجنود فالتفت اليها ورأيتها دائرة دورانا منتظماً فاطمان بالي

الى الآن لم اصل الى ما فوق المدينة نفسها ولكن لا بد من ان اطير فوقها وارمي المنشورات فيها فتأهبت لذلك ووجهت الاروبلان اليها ولم يكن الا القليل حتى صرت فوقها تماماً فرأيت بيوتها تحيط بها الحدائق واخرجت رزمة من المنشورات ورميت بها فنزلت معاً ثم تفرقت وللحال جعلت البنادق تطلق عليّ فخرقت رصاصة جناح آلي الايمن خفضت الرافعة خمس درجات لكي ازيد سرعتها ورميت رزمة ثانية من المنشورات ثم رزمة ثالثة واذا برصاصة خرقت الجناح الايمن على قدمين مني ورأيت الدخان ينفجر تحتي وعلمت اني رميت بمدفع رشاش . ورأيت بعد ذلك قاع الطائرة مخروقة بالرصاص وثلاث قنابل بلغارية سقطت في الطابية . فابعدت عن المدينة ووصلت الى مخيم البلغاريين وبعد ثلث ساعة بلغت مصطفى باشا سالماً

ركوب الهواء في السلم

لما صنع الكونت زبلن الالماني بلونه المسير وطار به الى ابعاد شاسعة وعاد الى المكان الذي طار منه حسب كثيرون انه حل مسألة ركوب الهواء ولم يبق امامه الا

التوسع والاتقان . ثم لما سقط ذلك البلون وعصفت به الرياح قال الاكثرون انه قضي على مراكب الهواء التي من نوع البلون ولم يبق لركوب الهواء الا الطيارات المعروفة بالاروبلان سواء كانت من ذوات السطح الواحد او من ذوات السطحين . ولكن عزيمة الكونت زبلن لم تضعف بفشله الاول فصنع بلوناً بعد آخر واستعان بالآلات المحركة التي استنبطت حديثاً لتسيير الاوتوموبيل والاروبلان فنجح نجاحاً باهراً وقد ركب احد الادباء البلون المعروف باسم فيكتوريا لويزا من بلونات زبلن وسار به من مدينة دوسلدرف بالمانيا الى مدينة برلين عاصمتها مسافة اربع مئة ميل ووصف سفرته به قال

يظهر ان الرغبة في ركوب البلون شديدة جداً فلا يجد الانسان مكاناً فيه ما لم يوص عليه قبل يوم السفر بثلاثين يوماً وكان ميعاد قيام بلوننا من دوسلدرف الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين صباحاً فوصلت الى المكان الذي يطير منه قبل الميعاد بساعة ولكنني رأيت الركاب قد ازدحموا فيه وكان ربانهُ يدور حوله وهو لا يزال في بيته وطياروه يتفقدون آلاته المختلفة وحباله وطبقاته

وكان الركاب ثلاثة وعشرين نفساً فلما جلسنا في اماكتنا بدت علينا كلنا امارات الاهتمام بما نحن مقدمون عليه . فرفعت المرساة فارتفع رأس البلون ومخر بنا في الجو بقوة آلاته الرافعة والدافعة حتى اذا بلغنا حدّاً معلوماً من الارتفاع استوى البلون في سطح اقلي وسار بنا سيراً منتظماً كأنه قطر من قطار سكة الحديد لا يرتفع ولا ينخفض ولا يميل يمنة ولا يسرة . وكانت الريح تهب جنوباً بشرق . واما نحن فكنا سائرين شمالاً كما يستدل من حركة القمر . وعلونا فوق الضباب وكان يغطي وجه الارض وفوق النيران التي كانت السننها تندلع من افواه مداخن المسابك وكنا اعلى من ان تصل الينا لكننا سررنا بالابتعاد عنها والسير فوق السهول والهضاب . وكنا نقطع اربعين ميلاً في الساعة والبلون يسرع اكثر من ذلك عند الاقتضاء فقد بلغ متوسط سرعته في سفرة اخرى ٩٤ ميلاً في الساعة

ووصلنا فوق مدينة بريمن قبيل الساعة السابعة فرأينا زمر العمال آتين الى المعامل فنظروا الينا على غير اكرات لكثرة ما شاهدوا هذا البلون وامثاله . وكنا من وقت الى آخر نرى تحتنا رجلاً يرد تحيئنا بمثلها . اما في الارياف ومزارع الفلاحين فكان الناس يقفون وينظرون الينا مسرورين وكانت المواشي تخاف منا اذا رأتنا كنا

قضاء مبرم او طائر كبير آت لاختطافها فتقف اولاً تحديق بنظرها اليها ثم تفر لا تلوي على احد

ووصلنا الى فوق مدينة همبرج الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين فدرنا حولها وكنا نسمع لفظ سكانها وآلاتها فوق صوت آلاتنا . وسرنا من هناك نحو برلين جنوباً بشرق وعند الظهر صرنا فوق وادي الالب ومدت لنا حينئذ موائد الطعام فتغدينا غداء فاخراً شوربا ومقيلات ورسنو وخضر مطبوخة وسلطة وجيناً وشرابنا القهوة . وكان غداؤنا كالعشاء في تنوع اشكاله ولكنه لم يطبخ على نار بل طبخ على الحرارة المتولدة من آلات البلون . ونام اكثرنا القيلولة بعد الغذاء وكنا نشعر ان الهواء تقي منعش يصلح للعمليات الجراحية من غير تطهير

وقيل الساعة الثالثة مررنا فوق برج التلغراف اللاسلكي بنوان الذي يتراسل مع اماكن تبعد عنه ثلاثة آلاف ميل وكان في بلوتنا جهاز لهذا التلغراف فتراسل هو والبرج ولكن الركاب لم يعرفوا ما دار بينهما

واستمر البلون سائراً بنا الى ان وصل الى مقره في برلين قبيل الساعة الرابعة فخفض رأسه كأنه ينوي النزول على العمال الواقفين في انتظاره لكي يمسكوه بحباله . وهنا لقينا الصعوبة الوحيدة التي صادفتنا في هذه السفرة . فان ثقل البلون نقص نحو طن بما حرق من وقوده فحرف ولما قل دوران الآلات المحركة ارتفع في الجو قبلما تمكن العمال من استلام الجبال التي ينزلون بها حتى اذا بلغ الف قدم في الارتفاع اطلق منه جانب من الغاز فتقل وعاد الى الهبوط والآلات المحركة تسدده الى المكان الذي يراد نزوله فيه . وبعد قليل استلمت آلة زمامه وانزلته الى الارض فخرجنا منه على الرصيف المعد لنزول ركابه . انتهى

فهنا بلون يسير اربع مئة ميل اي نحو اربعة اضعاف المسافة بين القاهرة والاسكندرية يركبه ثلاثة وعشرون راكباً ما عدا ربابته وخدمته وفيه موائد للطعام وكراسي مبسوطة للقيلولة وكل لوازم الراحة ولا يشعر ركابه بشيء من التعب . والاجرة الآن نصف شلن عن كل ميل ولذلك فالسفر فيه لا يزال من انواع الترف التي لا يستطيعها الا الاغنياء . ويشترط في وسائل النقل والانتقال حتى تعم ان تكون رخيصة او تكون درجات للاغنياء والفقراء ولكن ما هو خاص بالاغنياء اليوم لا يبعد ان يصير عاماً لجميع الناس غداً

وفي المانيا نوع آخر من البلون المسير اسمه بلون بارسقال وهو كثير الاستعمال فيها مثل بلون زبلن أو أكثر وقد صادف ربانه الكبتن ستلنج مرة زوبعة اذاقته المر وهالك وصف ما عاناه منها قال

سار البلون ضد الريح مع ان سرعتها كانت ٢٥ ميلاً في الساعة لكنني علمت اننا ملاقون المشاق حتماً ولم يكن الا قليل حتى دخلنا نوءاً كهربائياً فاشتدت العاصفة حتى اوقفتنا عن سيرنا. ابتدأت ونحن على ٣٠٠ قدم فوق الارض ثم انصب المطر علينا كالوابل الهتون فزاد به ثقل البلون. واستحال علينا ان نغالب العاصفة فخفضته لان سرعة الريح تقل قرب سطح الارض ولكن الدنو من الارض لا يخلو من الخطر فقد كان على يميننا قرية بيوتها وعلى يسارنا غابة باشجارها وامامنا اكمة مرتفعة فاضطررنا ان نسير في طريق سوي لانعرج يمنة ولا يسرة. وكما وقفت الريح لحظة وثبنا بالبلون وثباً وكدنا مرة نصطدم بصوار من البقر كان مجتمعاً بعضه مع بعض لينجو من عصف الرياح وكانت سرعتها قد بلغت ٤٥ ميلاً في الساعة

ولا تسل عما اصاب الركاب من الاضطراب حتى عزمت ان انزل بالبلون حيث كنا اذا لم تسكن الريح قبل الليل. وبعد جهاد ساعتين هجمت قليلاً فعاد البلون يسير ويبدأ ثم اسرع قليلاً وكنا لانزال على ستين قدماً فوق سطح الارض وهو موقف لا يخلو من الخطر لما يحتمل ان يصطدم به من الاشجار والبيوت ولكنني لم احسر ان ارتفع اكثر من ذلك خوفاً من العاصفة

ثم زاد هجوع الريح فعلونا الى ٢٢٠ قدماً فوق الارض ووصلنا الى مدينة اوغسبرج عند الغسق فنزلنا هناك وتركنا البلون معرضاً للمطار والرياح الليل كله لكنها لم تضر به ضرراً يذكر ثم ركبناه في الصباح وطرنا به الى مقره. انتهى وطول البلون الاول الموصوف ههنا أي فكتوريا لوزا ٤٨٦ قدماً وعرضه ٤٦ قدماً وفيه ثلاث محركات من نوع ديزل قوتها معاً ٤٥٠ حصاناً ويمكن تسيير البلون بها ٥٠ ميلاً في الساعة اذا لم تسكن الريح شديدة. واذا وقف محركان منها لسبب من الاسباب فالمحرك الثالث وحده يكفي لتسيير البلون ضد الريح ولو كانت سرعتها ٢٧ ميلاً في الساعة. وفي كل بلون من بلونات زبلن جهاز للتلغراف اللاسلكي فيستخبر به عن حالة الهواء امامه حتى اذا علم انه ملاق عاصفة يمنحها

والظاهر ان في الجو مجاري وانهرأ وتيارات كما في البر والبحر وقد جعل ربانو البلونات يبحثون عنها الان حتى يستخدموا النافع منها ويتجنبوا الضار . قال القبطان هيكر ربان البلون فكتوريا لوزا انه صادف الريح في الربيع الماضي تعصف عند سطح الارض عصفاً شديداً وكانت سرعتها ٣٠ ميلاً في الساعة فارتفع ١٨٠٠ قدم فوجد الهواء ساكناً لا يتحرك فارتفع الف قدم فوقها فوجد ريحاً سرعتها ١٥ ميلاً متجهة في الجهة التي كان يقصد السير فيها . واتفق مرة انه صادف زوبعة في طريقه واعلمه التلغراف اللاسلكي حينئذ انه اذا حاد خمسين ميلاً ابعد عنها ففعل ونجا منها

وغرف هذا البلون مثل غرف اخفر الفنادق في اثائها وتدفتها وفيها كتب وجرائد ومقاعد للاستلقاء . والمجال على الركاب اوسع مما هو في مركبات السكك الحديدية ذات الكراسي وفي اماكن النقل ماء بارد وماء سخن . واصحاب هذه البلونات في المانيا شركات تجارية غرضها الريح ويقال ان ربحها غير قليل فهي تحرص عليه وتهم باصلاح البلون لزيادته . ومتى صارت الاعمال تجارية فلا بد من ان تنتشر ويكثر استعمالها

مقتطف ابريل سنة ١٩١٣

٢

من القاهرة الى الطب

اشارت التلغرافات في اوائل هذا الصيف الى عزم الحكومة الانكليزية على انشاء خط للطائرات في الشرق الاوسط وجعل القاهرة مركزاً له . ويراد بالشرق الاوسط هنا شمال افريقية وسورية والبلاد الواقعة على جانبي البحر الاحمر واملاك انكلترا في شرق افريقية وجنوبها والهند

وفي مقدمة الطرق التي وجهت الحكومة الانكليزية همها اليها طريق القاهرة والراس . فان وقوف القتال بين انكلترا وتركيا في آخر اكتوبر الماضي مكن قوة الطيران الملكية في الشرق الاوسط من التفرغ لانشاء الطرق الجوية لنقل البريد خصيصاً بعد الحرب فعينت ثلاث بعثات لاختيار افضل الطرق للطيران بين القاهرة ومدينة الراس وكان منذ سنتين ان الماجور مكارن عند طيرانه من انكلترا الى مصر انشأ ميادين للطيران في السلوم ومرسى مطروح والعمرية قرب الاسكندرية واعدت

محطات للنزول بينها عند حدوث الطوارئ . وكذلك انشأ ميدان آخر في الخرطوم عند استخدام الطائرات في مقاتلة علي دينار
وقد قسمت قارة افريقية لهذه الغاية الى ثلاثة اقسام وكلت كل بعثة من البعثات
الثلاث بواحد منها . فوكل الى الاولى تخطيط طريق السير في مصر والسودان
حتى فكتوريا نيانزا . ووكل الى الثانية تخطيط طريق القسم الاوسط من
فكتوريا نيانزا الى كتوتة في الطرف الجنوبي من بحيرة تانجانیکا . ووكل الى الثالثة
تخطيط الطريق من كتوتة الى مدينة الراس

اما البعثة الاولى فطريقها اطول ولكن تخطيطه سهل . وهذا الطريق يسير
حذاء النيل من اوله الى آخره تقريباً . وقد استعانت بالنهر في نقل الرجال
والمؤونة . واما الثانية فقد كان طريقها قصيراً ولكنه يمر في ارض مجهولة كثيرة
الصعوبات من كل وجه . واما الثالثة فقد كان طريقها طويلاً جداً . لكنه محاذ
لسكة الحديد من اوله الى آخره . وكل بعثة مؤلفة من رئيس وخمسة ضباط الى
ثمانية ونحو عشرين جندياً من رجال قوة الطيران الملكي في الشرق الاوسط

ورئيس البعثة الاولى الماجور لونغ . والمحطات التي في طريقها هي القاهرة
واسيوط واسوان ووادي حلفا ومرروي واتبره والخرطوم وكندك وجندكورو
وجنجا وبورت فكتوريا

ورئيس الثانية الماجور امت ومحطاتها موازاً عند الطرف الجنوبي من
فكتوريا نيانزا واوجيجي كيتوته .

ورئيس الثالثة الماجور كورت تريت ومحطاتها ابركورن (قرب كيتوته)
وبروكن هل ولفنستون وساسبري وبولووايو وبلا تشوي قرب ميكنج (او كبرلي —
قرب بريتوريا) وبلومفوتين وبوفورت وست ومدينة الراس

هذا هو الطريق الذي وقع الاختيار عليه وكانوا قد بحثوا عن طريق آخر ثم
عدلوا عنه وهو اتباع مجرى النيل الى فكتوريا نيانزا ثم الى بحيرة تنجنيكا ونياسا
فهر الزمبيسي فشرق افريقية البرتوغالي ثم السير حذاء الساحل حتى مدينة الراس
اما اسباب اختيار الطريق المشار اليه فهي اولاً ان اتجاه وادي النيل من الشمال
الى الجنوب هو خير هاد للملاحة الجوية ثم ان اتباع مجرى النهر يسهل النقل ويمكن

من استعمال الطائرات او الزوارق الطائرة حسبها يقتضي الحال . وزد على ذلك ان سكة الحديد محاذي النيل في جزء كبير من الطريق . وثانياً ان الجزء الاوسط على مشقة السير فيه لا تجد الطرق الاخرى اسهل منه . فطريق بحيرة كيفو مثلاً اخصر ولكن البلاد التي بين سلسلة البحيرات العظمى ذات اشجار غيباء ومستنقعات بحيث يتعذر على الطائرات مها يكن نوعها ان تسير فوقها . وثالثاً ان سكة الحديد ممتدة في معظم الجزء الجنوبي والارض هناك صالحة للطيران كلها

وفي ديسمبر الماضي خرجت البعثة الاولى من القاهرة بطريق النيل . وقصدت الثانية بمبسا في شرق افريقية . والثالثة لورنسو ماركيس ومدينة الراس فبلغتا قاعدتهما في اواخر ديسمبر . ولم تجد البعثة الاولى صعوبة ما حتى الخرطوم فلم تدخل السنة الجديدة حتى كان الخط الى الخرطوم مستعداً للسير فيه ولم تمض ثلاثة اسابيع حتى ركب الجنرال هربرت طيارة من طرز هندي بايج من القاهرة الى الخرطوم

اما جنوبي الخرطوم من الدرجة ١٣ شمالي خط الاستواء الى بروكن هل على نحو الدرجة ١٣ جنوبية فقد وجدوا مصاعب كاداء وعليه استقر الرأي على انشاء ميادين للطيران تكون كبيرة ودائمة والمسافة بين الواحد والاخر منها ٤٠٠ ميل الى ٥٠٠ وترك الاهتمام بالمحطات الصغيرة التي يراد انشاؤها بينها لنزول الطائرات عند الضرورة الى فرصة اخرى . وتقرر ان يكون الميدان الاول قرب كدك اذا امكن ذلك وهي ٤٠٠ ميل جنوبي الخرطوم ثم عدل عن هذا القرار لاسباب صحية واختيرت الملاكال لبناء ميدان للطيران فيها دون كدك وهي تبعد عن كدك ٤٠ ميلاً الى الجنوب وعاصمة مديريات النيل الاعلى

وبين الملاكال وجندكورو جنوباً — والمسافة نحو ٤٠٠ ميل — يجري النيل في ارض السد المشهورة وقد فتشت البعثة كل التفتيش في بلاد رجاف وجندكورو ومنجلا لعلها تعثر على بقعة تصلح لنزول الطائرات فيها فلم تفلح . فاقترح بعضهم ان تبني دكة لهذه الغاية ولكن اقتراحه لم يحز قبولاً لعظم النفقة . فلا حل لهذه المشكلة على ما يظهر إلا باستخدام الزوارق الطائرة لان النهر عريض فيمكن نزول الطائرات مها يكن اتجاه الرياح

ولم نعلم حتى الآن نتيجة عمل البعثة الثانية في بلاد البحيرات الكبيرة . فان البلاد

بين جندكورو وجنجا كثيرة الغابات والانجم والحشائش الغزيرة النمو وفي فصل
الامطار من مارس الى يناير تبتت مستنقعات غامرة . فاذا حرقت الاعشاب في فصل
القيظ امكن نزول الطيارات حيث تحرق

والزوارق الطائرة تستطيع الطيران بسهولة فوق فكتوريا نيانزا وموانزا وعلى
ضفافهما كثير من الخيجان والخيران يمكن اتخاذها محطات للزوارق . على ان اعظم
عقبة في هذا السبيل تكرر الزوابع ومفاجاتها واشتداد النوء في البحيرات على
اثرها . ومتوسط ما ينزل من المطر هناك نحو ٦٠ بوصة في السنة . وتكثر الاعاصير
في خلال وقوع الامطار ويصعد من البحيرة احياناً اسراب من الحشرات الصغيرة
يخيل الى الناظر اليها عن بعد انها سحب كثيفة

والارض بين موانزا واوجيجي سهلة المراس على مسافة ٣٠٠ ميل فيسهل
الاهتداء فيها الى بقعة تعد ميداناً للطيران . ومثل ذلك يقال عن الارض الواقعة
شرقي بحيرة تنجنيكا بخلاف كيتوته عند طرف البحيرة الجنوبي . ومن ابركورن
جنوباً يتعذر الطيران على الزوارق الطائرة فلا بد من استعمال الطيارات العادية بطريق
سرنجي حتى بروكن هل والمسافة ٤٤٠ ميلاً

اما البعثة الثالثة فلم تجد مصاعب عاتية في تخطيط الارض التي وكل اليها تخطيطها
بل ربما كان اعظم مصاعبها اختيار احسن الميادين من بين ميادين كثيرة
ومن الطرق التي تعد للطيران في القارة الافريقية طريق من الاتبرة الى
ترنكيتات على البحر الاحمر ومنها الى جزيرتي فرسان وقران ثم الى بريم وعدن .
والمرجح ان هذه الطريق تستعمل للاغراض الحربية اكثر منها للاغراض الملكية
ولكنها قد تصبح جزءاً من طريق اخرى الى الهند مارة بمصر وساحل شبه جزيرة
العرب . وقد عهد في تخطيط هذه الطريق وتمهيدها الى المايجور كارت
ويرجح ان تستعمل الزوارق الطائرة والطيارات معاً في بادىء الامر وان يشرع
في الطيران من القاهرة الى الراس في اكتوبر او نوفمبر من هذه السنة

مقتطف اغسطس سنة ١٩١٩

الطيران التجاري في اوربا

اصبح الطيران التجاري في اوربا عملاً منتظماً وقد انتشرت فوق اوربا شبكة كبيرة من الخطوط الهوائية فينتقل بالطائرات الوف المسافرين وتنقل مقادير كبيرة من البضائع ولولا مساعدة الحكومات للمهتمين بهذا العمل وتنظيمه لمات في مهده ولما كان كما نراه اليوم زاهياً زاهراً

وقفت حكومات اوربا عام ١٩٢٠ امام امرين حقيقيين — اما ان تقف وقفة الناظر الى هذا العمل فيموت واما ان تمد اليه يدها فيحيا ويعيش فعضدت الامر الثاني وشجعت القائمين به وامتدتهم بالاموال فازدهى ونما وذلك لانها رأت في احيائه واسطة جديدة للدفاع عن بلادها ووسيلة فعالة لدرء الكوارث عنها لذلك لا نجد في اوربا كلها ولا في العالم بأسره خطأ هوائياً تجارياً مستقلاً ينفق على تعزيزه من ارباحه وعوائده نخط الشركة الهولندية الذي يعتبر من اكثر الخطوط التجارية شغلاً واثقاً يزيد دخله شيئاً قليلاً على نفقاته

فشركات الطيران الانكليزية تتناول كل سنة من حكومتها مليون جنيه انكليزي والشركة الهولندية تتقاضى من حكومتها كل سنة ستة عشر الف جنيه انكليزي وقد تناولت شركات الطيران الافرنسية من حكومتها ما يقارب سبعة وسبعين مليون فرنك في السنة الماضية ولا يعلم بالتمام ما تتناوله الشركات الالمانية من حكومتها لتعزيز خطوطها ولقد بلغ عدد الذين نقلوا بالطائرات من محل الى آخر في اوربا سنة ١٩٢٤ تسعين الفاً وتضاعف عددهم سنة ١٩٢٥ اما مقدار الشحن والوسق فلا يوجد احصاء رسمي له الا انه في ازدياد مطرد

واليك البيان الآتي عن الخطوط التجارية الهوائية في اوربا :

تقوم الطائرة الساعة التاسعة والنصف صباحاً من مطار تمبلدرف في برلين الى امستردام فتصلها الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ومنها اما ان تستألف طيراتها الى لندن فتصلها الساعة السادسة والنصف مساء واما ان تتجه الى باريز فتبلغها الساعة السابعة مساء فتكون المسافة بين برلين ولندن بالطيارة تسع ساعات وبينها وبين باريز

تسع ساعات ونصف ساعة وتستغرق هذه السفره بين برلين و لندن اثنتين وعشرين ساعة في اسرع قطار بحاري و بينها وبين باريز عشرين ساعة و تترك الطائرة موسكو عاصمة السوفيات الساعة السابعة صباحاً فتصل الى كونجسبرغ الساعة السادسة مساءً ومنها يركب المسافر القطار السريع فيصل الى برلين في الصباح الثاني اي تستغرق السفره بين عاصمة السوفيات و بين لندن و باريز ستاً و ثلاثين ساعة يقابلها ثلاثة ايام بالقطار الحديدي لو سار كل هذه المسافة به

ولا تستغرق الرحلة من باريز الى فينا بالطيارة اكثر من نهار واحد ومنها اي من باريز الى بلغراد ست عشرة ساعة و الى الاستانة اربعاً و عشرين ساعة اي ان السفره من باريز الى الاستانة لا تستغرق اكثر من يوم كامل و اذا لم تظر الطائرة ليلا تناولت ثلاثة ايام مقابل خمسة ايام في القطار الحديدي

ثم ان هلسنغفور عاصمة فنلندا و كوبنهاغن و موسكو و ورسو و براغ و فينا و بودابست و بلغراد و الاستانة متصله رأساً بالخطوط الهوائية مع برلين و باريز و لندن و لفرنسا الآن المقام الثاني في الطيران التجاري ففيها تسعة خطوط — اثنان منها يسيران الى مستعمراتها الافريقية و الباقية الى المحاء متعددة في اوربا . الا ان الخط من باريز الى لندن اكثرها عملاً و حركة و يستخدمه السياح الاميركيون كثيراً و اجرة السفر فيه ستة جنيهات يتلوه في الشأن خط باريز — بروكسل — امستردام و اجرة السفر فيه مثل اجرة الدرجة الاولى في السكة الحديديّة

وهناك خطان هوائيان يكادان يعادلان الخطين المذكورين آنفاً اهمية و شيئاً — الاول يسير شرقاً من باريز الى زورخ فبراغ فوورسو فجنوباً الى فينا و بودابست فبخارست فالاستانة فانقرة . و الثاني يسير من طولوز على الشاطئ الاسباني الى الدار البيضاء في افريقيا الى دكر في السنغال و خط من اليكانت في اسبانيا الى الجزائر و آخر من انطيس الى تونس

و يعتبر مطارها الذي في اللابورجه على تسعة اميال عن باريز من ارقى المطارات الاوربية فهناك البنايات الفخمة التي لا تحرق و النزل المتقنة و شعب البريد المنظمة و المحطات للارصاد الجوية و من هذه المحطات يتناول الطيارون التقارير الرسمية عن الاحوال الجوية فيأخذون للامر اهتته

ولما بنا المركز الاول في عالم الطيران التجاري وهي وروسيا الدولتان الوحيدتان

التان تسيّران خطوطاً رسمية إلى مدنها في الداخل والسبب في ذلك انصراف الدول عن التعاطي معها واقامتها الصعوبات المتعددة بينها وبينها

وتعتبر برلين اليوم نقطة مركزية في شركة تجارية هوائية كبيرة تمتد منها الخطوط الهوائية إلى كل مدينة كبيرة في ولايات ألمانيا وإلى ممالك البلطيق والشمال

نخرج من برلين ثمان عشرة طائرة للركاب كل يوم إلى كونيغسبرج ومنها إلى موسكو فالمدن البلطيقية ريغا وريثال وهاسنغفور ومن هذه المدن تمتد الخطوط إلى

درسدن التي ينتظر ان تتصل في القريب العاجل ببراغ والبلقان متى تم الاتفاق مع تشكوسلوفاكيا. ويسير خط يومي إلى ليبسك وستتغارت وسويسرا وتمتد خطوط

غربية إلى همبرغ وبريمن وأمستردام حيث تتصل بالخطوط الممتدة إلى لندن وباريز وفي الجنوب تصل الخطوط الهوائية بمونيخ وستتغارت وفرانكفورت وغيرها من

المدن الكبيرة ببرلين وهمبرغ وبريمن وفينا وبودابست وتمتد خطوط هوائية إلى كوبنهاغن واستوكهلم وأمستردام

وتمتاز ألمانيا عن غيرها بأن لها خطوطاً تحمل بريدها ليلاً فتبرح الطائرة برلين الساعة العاشرة ليلاً فتصل مالو في اسوج صباحاً فينقل البريد إلى القطار السريع في

استوكهلم الساعة السابعة والنصف

وقد عززت ألمانيا مطاراتها الهوائية ومحلات النزول فيها. فطار تمبلدورف في ضواحي برلين يعتبر من أرقى المطارات الأوروبية ترتيباً وتنظيماً وهيئة المحطة العامة فيه

للاطلاع الجوية الخرائط المتقنة التي تنبئ عن الأحوال الجوية في أوربا كلها. وفي المطار ذاته مركز متقن للراديو متصل بكثير من المدن الكبيرة في أوربا كلها

وتضاء محطات النزول بين برلين وكوبنهاغن في الطيران الليلي

أما الخطوط النمساوية فتتمتع للخطوط الفرنسية في شرقي أوربا وتتصل النمسا بواسطة الخطوط الفرنسية بزورخ وباريز ولندن في الغرب وبالبلقان وبالاستانة في

الجنوب الشرقي ويخط آخر يمتد إلى ورسو. أما اتصالها بالبلطيق فبواسطة خط بولوني عبر بورسو إلى دنترغ ومنها يتصل بالخط الألماني

ويصل خط ألماني فيينا بمونيخ ومنها يتصل بالمدن الألمانية وبهولندا وبالبلاد السكندنافية

أما روسيا فقد اضطرت ان تخطو خطوة كبيرة في هذا العمل بسبب رداءة سلكها

الحديدية وتراحي اجزاء جمهوريتها المتسعة فهناك الف ميل بين اركنجل في الشمال وباكو على بحر قزوين وستة آلاف بين موسكو وقلاديفستوك ففيها خط يسير بين موسكو وكونجسبرغ فيمتصل بالخطوط الالمانية وخطان آخران يسير الاول منهما الى الجنوب الى روستوف وتفليس وباكو والثاني يتجه من موسكو الى لنغراد وخط يسير شرقي الاورال وآخر يسير في سيبيريا . وتعد الحكومة الخطوط الجديدة لربط مدن سيبيريا الاوربية

اما هولندا فالخطوط فيها دولية بسبب صغر البلاد فتسير الخطوط المنظمة فيها الى بروكسل وباريز ولندن وكوبنهاغن وهمبرغ . وتسير الشركة الهولندية كل يوم خطين منتظمين الاول من امستردام الى روتردام وباريز والثاني من امستردام الى روتردام فلندن

ولامستردام اليوم مركز خطير في النقل والانتقال الجوي فهي فضلاً عن انها منتهى الخطوط الهوائية تعتبر ايضاً نقطة تحويل للخطوط الافرنسية والانكليزية والالمانية والسويسرية والدنماركية ومنها ايضاً يتفرق الركاب الى جهات اوربا المختلفة ويوزع البريد الى انحاء اوربا السحيقة كهلسنغفور وموسكو وورسو والاسنانة اما حالة الطيران التجاري في بريطانيا العظمى فمختلفة تماماً عنها في الممالك التي ذكرناها اذ لا فرق يذكر في الوقت بين ما تقطعه البواخر في المياه والطائرات الطائرة في الجو فالسفر من لندن الى باريز في البحر وفي القطار يستغرق سبع ساعات وفي الجو حوالي ثلاث ساعات اما الخطوط الدولية المستعملة اليوم فتربط لندن بامستردام وباريز وزورخ وتفكر الحكومة في تسيير الخطوط الهوائية المنظمة من بلادها الى مستعمراتها ومناطق نفوذها في الشرق الادنى

اما دول اوربا الصغرى فبعضها له خطوط خاصة به والبعض الآخر يسعى لتأسيس خطوط هوائية جديدة

الخلاصة مما تقدم اولاً ان في اوربا اليوم خطوطاً هوائية تجارية تسيير من بلاد الى بلاد ومن مدينة الى أخرى وان مقدار البضاعة المنقولة على ازدياد مطرد ثانياً — لا يمكن تسيير الخطوط التجارية بدون مساعدة الحكومة المالية لان تسيير الشركات لها مستقلة عاد عليها بالخسارة

نجيب نصار

مقتطف مايو سنة ١٩٢٦

الطيران التجاري في ألمانيا

امين الجانب — قليل النفقات — منتظم المواعيد

رحل منشى مجلة « الطيران » الاميركية واحد الثقة في تاريخ ارتقاء الطيران ، رحلة جوية طويلة في اوربا والبلدان المجاورة لها قطع فيها ٢١ الف ميل واجتاز ٢٦ بلداً من بلدان اوربا وافريقية واسيا ، واستقل ٦٥ طائرة مختلفة وبلوناً واحداً فلم يحدث له او للمسافرين معه وكانت زوجته احدهم حادث ما ، بل كان السفر منتظم المواعيد في القيام وفي الوصول ، امين الجانب في اثناء الطيران وحين النزول على الارض ولم تصب الطائرات التي طار فيها بعطل حين طيرانها ولا اضطرت احداها ان تحط على الارض الا في المحطات المهيئة للنزول وفي المواعيد المضروبة لذلك. وقال في ذلك ان نفقات السفر في اكثر شركات الطيران الاوربية لا تزيد على نفقات السفر في مركبات الدرجة الاولى من السكك الحديدية اذا اضفت اليها اجرة غرف النوم ومن الطعام. لان مديري شركات الطيران عرفوا اهم لا يستطيعون ان يزاحموا السكك الحديدية اذا تقاضوا اجوراً تفوق الاجور التي تتقاضاها السكك الحديدية وساعدتهم الحكومات المختلفة في ذلك فعينت لهم في ميزانياتها مبالغ مختلفة لسد ما تقع فيه شركاتهم من العجز. والحكومات لا تستفيد من ذلك فائدة مباشرة بل تحسب ان للطيران التجاري علاقة ممتينة بالطيران الحربي فتعمد الى تنشيط القائمين بامره وتمدهم بالمال بدلاً من ان تنفق مباشرة على معدات الطيران الحربي فتشير حول عملها الشبهات والظاهر ان ألمانيا كانت ولا تزال اسبق البلدان في هذا المضمار، رغماً عما قيدتها به معاهدة فرساي من القيود. فقد صنعت شركات الطيران فيها طائرات كبيرة كلها من المعدن تحتوي الطائرة منها على اسرّة للنوم ، لانها كثيراً ما تطير ليلاً ، وغرفة لتناول الطعام، واخرى للتدخين وتناول الاشربة المختلفة. وخطوطها الجوية تمتد بين اكبر المدن الالمانية والى البلدان المجاورة. وقد اطلعنا على مقالة في هذا الموضوع لاحد كتاب الانكليز نشرها في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر فاقتطفنا منها ما يلي قال : في ربيع السنة الماضية اتحدت شركات الطيران التجاري في ألمانيا فتألفت منها شركة كبيرة تدعى لفت هنسا رأس مالها ٢٥ مليون مارك ، واشترك في انشائها والاشراف على ادارتها اكبر رجال المال والاعمال في ألمانيا

تنال هذه الشركة من حكومة المانيا اعانة مالية تبلغ قدرها في السنة الماضية خمسة ملايين مارك وزاد هذه السنة فصار ثمانية ملايين مارك ونصف مليون . ويضاف الى ذلك اعانة قدرها نحو خمسة ملايين مارك تتفق خاصة على محطات التلغراف اللاسلكي والطواهر الجوية وغير ذلك من الوسائل اللازمة لجعل الطيران امين الجانب فمجموع ما تنفقه الحكومة الالمانية على تنشيط الطيران التجاري يبلغ ١٣ مليون مارك . وليس هذا كل ما ينفق على الطيران التجاري في المانيا من قبيل الاعانة فان مدن المانيا ومجالسها البلدية تنفق ايضاً على تنشيط الخطوط الجوية التي تمر بها وقد بلغ مجموع ما انفقته سنة ١٩٢٥ ثلاثة عشر مليون مارك ٨ ملايين منها أنفقت في اعداد مطارات فيها كل المعدات الحديثة لنزول الطيارات واستقبال الركاب وخمسة ملايين لشراء اسهم في شركات الطيران التي تمر خطوطها بها . فمدينة مونيخ مثلاً أنفقت ثلاثة ملايين مارك على بناء مطار ووضعت جائزة قدرها خمسة آلاف مارك لمن يرسم افضل رسم له

برلين اكبر مركز للطيران التجاري في المانيا وعليه فهي اكبر مركز له في كل البلدان وقد بني مطارها في تمبلهوفر فلد وهي الساحة التي كان الامبراطور غليوم يستعرض فيها جيوشه قبل الحرب وفيها الآن فندق حديث ينزل فيه المسافرين قبل سفرهم او حين وصولهم . رأيت هذا المطار حوالي الساعة العاشرة صباحاً فزرت المكاتب وغرف الانتظار ومكاتب البريد ورأيت نحواً من خمسة عشرة طائرة مستعدة للطيران، طارت كلها في خلال ساعة بعيد وصولي حسب المواعيد المضروبة لطيرانها فأتجهت احداها الى امستردام واخرى الى ليبزغ فنورنبرج فمونيخ واخرى الى دانتزغ وكونيجزبرج واخرى الى اسن وكولون واخرى الى فيينا وبودابست . ومطار تمبلهوفر يدار كإدارة مرفأ من المرافئ ، اي انه يخص شركة لا علاقة بها بشركات الطيران تتعاقد مع شركات الطيران على استقبال طياراتها وتجهيزها بما يلزم لها لقاء اجور معينة

اما الطيارات التي تستعملها شركة لفت هنسا فكثيرة الانواع . واكثر اعتمادها على طيارات تصنعها شركة ينكرز تعرف بـ (ج ٢٣) وهي مصنوعة من المعدن وجوانحها من الدورانيوم وهو معدن متين خفيف الوزن وعليه فاحباب الطيارات الالمانية يسمحون للمسافرين بالتدخين لان الطيارات معدنية وغير معرضة للاحتراق . وكل طائرة لها ثلاثة محركات اذا اصاب احدها بعطل كان المحركان الباقيان كافيين لتسييرها

وهذا يكفل سلامة الركاب . وتغادر الطائرات المطار في المواعيد المضروبة لا تتأخر دقيقة واحدة عنها لكي تنتظر احد المسافرين . فاصبحت من هذا القبيل منتظمة انتظام القطارات اذ لا نسمع الآن ان مدير محطة يؤخر قطاراً عن القيام في ميعاده لتأخر احد الركاب عن الوصول الى المحطة في الموعد المعين . وشراء تذكرة السفر باحدى طائرات هذه الشركة بمثابة تأمين على حياة المسافر قيمته ٢٥ الف مارك ذهب تدفع لاهله اذا قتل في اثناء الطيران واذا اصاب بجادث ما اقعده عن العمل تدفع له الشركة ٢٥ ماركا ذهباً كل يوم ما زال تحت المعالجة . وغني عن البيان انه لم يحدث حادثة ما في المانيا في السنة الماضية ولا تحطمت فيها طائرة او اصاب راكبوها بضرر ما وهناك نوع آخر من الطائرات يدعى البترس ويدير بين برلين وملمو وكوبنهاغن عاصمة الدنمارك. ولما كانت هذه الطائرات قد بنيت للطيران الليلي على مسافات شاسعة فالكراسي التي يجلس فيها المسافر هاراً تتحول الى اسرة ليلا فينام فيها، والطائرة تسع ثمانية مسافرين نائمين . وتغادر الطائرة برلين ليلاً وتصل كوبنهاغن صباح اليوم التالي وهناك نوع ثالث من الطائرات يدعى «رورخ» كل طائرة فيها ثلاثة محركات وتسع عشرة ركاب ، واهم ما يلفت النظر فيها ان لاصوت لمحركاتها يصم الاذان كما في الطائرات الاخرى ، وهي ذات سطح واحد، كما كثر الطائرات التجارية الالمانية، وترتفع الف متر في سبع دقائق وقوة كل من محركاتها ٢٣٠ حصاناً وقد صنعت شركة ينكرز طائرة جديدة اطلقت عليها اسم (ج ٣١) لها ثلاثة محركات قوة كل منها ٢٨٠ حصاناً وفيها ثلاث غرف احداها للنوم واخرى للتدخين والثالثة لتناول الطعام وتسع ٢٨ راكباً والظاهر ان شركة لفت هنسا لم تقرر بعد الخط الجوي الذي تسير فيه هذه الطائرة والراجح انها ستشقى خطاً جويماً بين برلين وباكين عن طريق موسكو فتستعملها فيه وتبنى على شواطئ بحيرة كونستانس الآن طائرات مائة هي اكبر طائرات من نوعها وقد اشترت شركة لفت هنسا اولى هذه الطائرات لتسييرها بين مرسيليا وبرشلونة في اسبانيا لانها لهم الآن بانشاء خط جوي بين برلين وبرشلونة عن طريق مونيخ ومرسيليا وقد اتفقت مع الحكومة الفرنسية على شروط استقبال هذه الطائرة في مرفأ مرسيليا ، وقيامها منه . وهي تحمل ٢١ مسافراً ومن رأي المسيو دورز وهو من كبار اصحاب المعامل التي تصنعها ان ما من مانع يمنع بناء طائرة تحمل ثمانين راكباً فالمسألة في رأيه « مالية لا هندسية »

الطيران من انكلترا الى الهند

مصر والمواصلات بين الغرب والشرق

لقد كان اهتمام ملوك اوربا وتجارها بالوصول الى الهند من اكبر البواعث على السير بسفهم حول افريقية ثم على فتح ترعة السويس بعد ان كان الوصول الى الهند براً بطريق سورية وبغداد وايران وافغانستان يقتضي شهوراً كثيرة ويعرض القوافل للمخاطر . اما الآن فاهل هذا العصر لم يكتفوا بطريق البر والبحر بل عزموا ان يزاحموا الطيور ويصلوا الى الهند في الهواء . وللانكليز في ذلك الشأن الاكبر لاتساع املاكهم في الشرق الاقصى فرسموا خطأً تسير فيه طياراتهم من القاهرة الى قراشي في بلاد الهند وهو المرسوم في الصفحة التالية بمحطاته المختلفة وطوله ٢٥٣٦ ميلاً . اما بين انكلترا والقاهرة وبين القاهرة وبغداد فقد صارت السكة الهوائية مطروقة

وقد تعهدت الحكومة الانكليزية بان تعطي الشركة التي تسير طياراتها الى الهند ٩٣٦٠٠ جنيه كل سنة وتساعدتها في تنظيم المحطات بمبلغ ٦٤٠٠ جنيه فيكون مجموع الاعانة السنوية مائة الف جنيه . واشترطت عليها ان يكون في كل طائرة محركان او ثلاثة . وان تسير الطيارات بين اوربا والهند مرة كل اسبوعين ثم تسير مرة كل اسبوع . وفي الاشهر الثلاثة الاولى تصل من القاهرة الى البصرة مسافة ١١٢٠ ميلاً ثم تصير تصل الى قراشي بعد الاشهر الثلاثة وستكون محطة هليوبوليس (مصر الجديدة) اهم المحطات كلها

وكل طائرة تحمل ١٤٨٠٠ رطل وهي تشمل وزن الطائرة وآلاتها وطيارها والعامل بالتلغراف اللاسلكي فلا يبقى فيها مما يدفع اجرة إلا ٢٩٠٠ رطل فلا تحمل إلا ١٢ نفساً وما يلزم لهم وتكون سرعتها من ٩٥ ميلاً الى ١٠٠ ميل في الساعة فتقطع المسافة بين مصر والهند في نحو ٢٩ ساعة ولكن لا بد من الوقوف والمبيت في بعض المحطات فيقتضي قطع المسافة من مصر الى الهند ثلاثة ايام او اربعة على الاكثر واما في البحر فلا يمكن الوصول الى الهند في اقل من ١١ يوماً اذا سارت السفينة من الاسماعيلية الى الهند تواءً واذا اراد المسافر ان يمر على بغداد والبصرة لزم له ١٨ يوماً . وهي الآن من بغداد الى قراشي سبعة ايام بحراً مقابل يومين في الهواء

وفي ٨ يناير وصل السر صموئيل هور واللادي قرينته الى دهلي عاصمة الهند على متن طائرة طارا بها من لندن فقطعا مسافة تزيد على ستة آلاف ميل في ٦٣ ساعة من الطيران الفعلي . وكان وصولها الى دهلي في الميعاد المضروب لم تتأخر سوى بضع دقائق مع انها اجتازت بلداناً تتفاوت في حرها وبردها وحالة اجوائها فثبت ان السفر في الجو كالسفر في البر والبحر مأمون يصح الاعتماد على انتظامه وأي باخرة بل أي قطار حديدي لا يتأخر من حين الى آخر دقائق عن ميعاده

وسلم وزير الطيران البريطاني الى حاكم الهند العام رسالة بعث بها ملك بريطانيا وامبراطور الهند فكانت أول رسالة أرسلت كذلك وكان الوزير وقرينته اول الذين طاروا من لندن الى دهلي

ثم عاد السر صموئيل هور وقرينته بالطيارة من دهلي الى قراشي ومنها الى البصرة فبغداد فهليوبوليس فوصلاها في الساعة السابعة والدقيقة الخامسة من مساء يوم الاثنين في ٧ فبراير سنة ١٩٢٧ وبذلك تمت اول رحلة جوية من انكلترا الى الهند على غاية ما يرام من الانتظام وسلامة الجانب والطيران بين هليوبوليس وبغداد والبصرة منتظم الآن كل الانتظام وقد زاد الركاب زيادة حملت الشركة على تخفيض اجورها

مقتطف يناير سنة ١٩٢٧



طبقات الجو العالية وارتدادها

في ١٥ ابريل سنة ١٨٧٥ طار المسيو غاستون تيسنديه مع رفيقين له في بلون كروي فخلقوا فوق باريس الى علو ٢٨ الف قدم او خمسة اميال وثلث ميل . لكن شدة البرد وقلة الاكسجين فعلتا بهم فاعلمي على تيسنديه ومات رفيقاه . اما الآن وقد مضى على ذلك نحو خمسين سنة فقد صار في وسع الطيارين ان يخلقوا بالطيارات وهي اثقل من الهواء الى علو ٣٨ الف قدم او نحو ثمانية اميال من غير ان يتعرضوا للخطر وقد استنبطت آلات مختلفة تجهز الطيار بالاكسجين ومحرك الطائرة بضغط كضغط الهواء على سطح البحر فيبقى سائراً في عمله من غير خلل او نقص في قوته . واذا كان الجو صافياً يمكن الطيار البارح ان يصور البلاد التي تحته من ارتفاع شاهق كما ترى في الصورة التالية وهي صورة لمدينة ديتون باوهايو من اعمال الولايات المتحدة الاميركية صورت من علو ٣٢ الف قدم . وقد اطلعنا الآن على مقالة للملازم مكريدي الاميركي وهو الطيار الذي خلق الى اعلى ما بلغه الانسان فاقتطفنا منها ما يأتي : قال

في فبراير سنة ١٩٢٠ استقل الماجور شرويد الاميركي طائرة من طراز لوبير مجهزة بكل الآلات الحديثة وخلق بها فوق الغيوم فلما وصل الى ارتفاع ٣٣ الف قدم اختلت الآلة التي تجهزه بالاكسجين فرفع نظاراته التي تقي عينيه من البرد القارس لكي يرى سبب الخلل فلم يستطع لان قلة الاكسجين كانت قد افقدته رشده فهبط هو وطيارته من حلق كانهما احد الرجم المنقضة في الفضاء وبقيتا هابطين كذلك نحو ستة اميال . وكان وجود الاكسجين في الهواء القريب من سطح الارض انعشه واعاده الى رشده فاستيقظ قبل وصوله الى الارض وقبض على زمام طيارته واعاد موازتها وحط بها سليمة مع انه كان قد عشي لتجمد رطوبة الهواء على عينيه المكشوفتين

كنت حينئذ قد شرعت اقوم بتجاربي في « التحليق بالطيارة » وكنت بين الذين شهدوا نزول الماجور شرويد الى الارض وهو على هذه الحالة وساعدت في حمله الى الاتوموبيل الذي نقله الى المستشفى فآثر ذلك بي ، ولكن لم يخطر لي حينئذ اني سأتزع منه قصب السبق الذي حازه ذلك اليوم بتحليقه الى ذلك العلو الشاهق

لكل طائرة حد لا ترتفع فوقه

يظن الناس انه ما من مانع يمنع تحليق الطائرة الى طبقات الجو العليا سوى مقدرة الطيار على احتمال البرد وقلة الاكسجين والضغط وغير ذلك من المصاعب التي تؤثر في الجسد وتضعفه. ولكن ذلك بعيد عن الحقيقة البعد كله ولا اذكر اني نزلت مرة من حالق لسبب من هذه الاسباب بل لان جزءاً من اجزاء الطائرة اصيب بعطل او اختلت الآلة التي مجهزي بالاكسجين او لان الطائرة لم تتمكن من الارتفاع فوق حد محدود. ومع ذلك فلا بد للطيار من ان يثابر على تمرين جسمه ليحفظه في حالة صحية تامة ولكل طائرة حد لا تستطيع ان ترتفع فوقه وهذا الحد يتوقف على ثقل الحمل الذي تحمله وقوة الآلة التي تسيروها وشكل اجنحتها ومحركاتها وغير ذلك من العوامل فالطائرة من الطائرات العادية لا تستطيع ان ترتفع اكثر من ١٦ الف قدم الى ١٧ الفاً. ان الطائرة المعروفة « بيارلنغ بومير » وهي اكبر طائرة صنعت حتى الآن يبلغ وزنها ٤٢ الف رطل متى حملت كل ما تستطيع حمله وهي لا تستطيع ان ترتفع حينئذ اكثر من ثلاثة آلاف قدم فوق سطح البحر. ومتى بلغت حدها هذا فمن العبث ان يحاول سائقها الارتفاع بها اكثر من ذلك

وهناك عامل آخر شديد الاثر في ارتفاع الطائرة وهو ضغط الهواء فمن المعروف المقرر في العلوم الطبيعية انه كلما ارتفع الانسان فوق سطح البحر قلت كثافة الهواء وقل ضغطه وهذا الضغط لازم للآلة التي تسيّر الطائرة حتى تولد اقصى ما تستطيع توليده من القوة. فضغط الهواء على سطح البحر يساوي ١٤ و ٧ الرطل على كل بوصة مربعة ولكنه ينخفض الى رطلين ونصف على ٣٥ الف قدم. والمحرك الذي يولد قوة تساوي ٤٠٠ حصان على سطح البحر لا يولد سوى ٨٧ حصاناً على علو ٣٥ الف قدم او اقل من ذلك ومن الواضح ان هذه القوة ليست كافية لرفع الطائرة

وعليه فقد استنبطت آلة تضغط الهواء اللطيف في المرتفعات العالية حتى يصير ضغطه كضغط الهواء على سطح البحر ومن ثم يتصل الى الآلة في انبوب فتستعمله وهذا يزيد حد الارتفاع في اية طائرة بضعة آلاف قدم. اي اذا كان اعلى ما تبلغه طائرة من غير هذه الآلة ٢٠ الف قدم فقد يصبح حدها الاعلى متى استعملت هذه الآلة فيها ١٥ الف قدم او اكثر. قد يستغرب القارئ كيف تستطيع آلة الطائرة ان تولد القوة اللازمة لرفع الطائرة من هواء تبلغ درجة حرارته في بعض الاحيان نحو

٦٠ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد والسبب في ذلك ان هذا الهواء متى دخل هذه الآلة ارتفعت حرارته حتى تلزم له آلة تبرده لكي لا يحمى فوق درجة معينة
٦٣ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد

اهم المصاعب التي تعترض الطيار الذي يريد ان يخلق الى اعلى ما يستطيعه في الجو شدة البرد وقلة الاكسجين وضعف الضغط الناتج عن لطافة الهواء
اما البرد فاقلمها خطراً وقد دون ميزان الحرارة في احدى التجارب التي حلقت بها الى علو شاهق ٦٣ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد وما من وسيلة لصد هذا البرد عن الطيار ، لانه يخرق الجسم الى العظام وكل ما نستطيع ان نستعمله للوقاية منه هو الاكثار من الملابس الدافئة

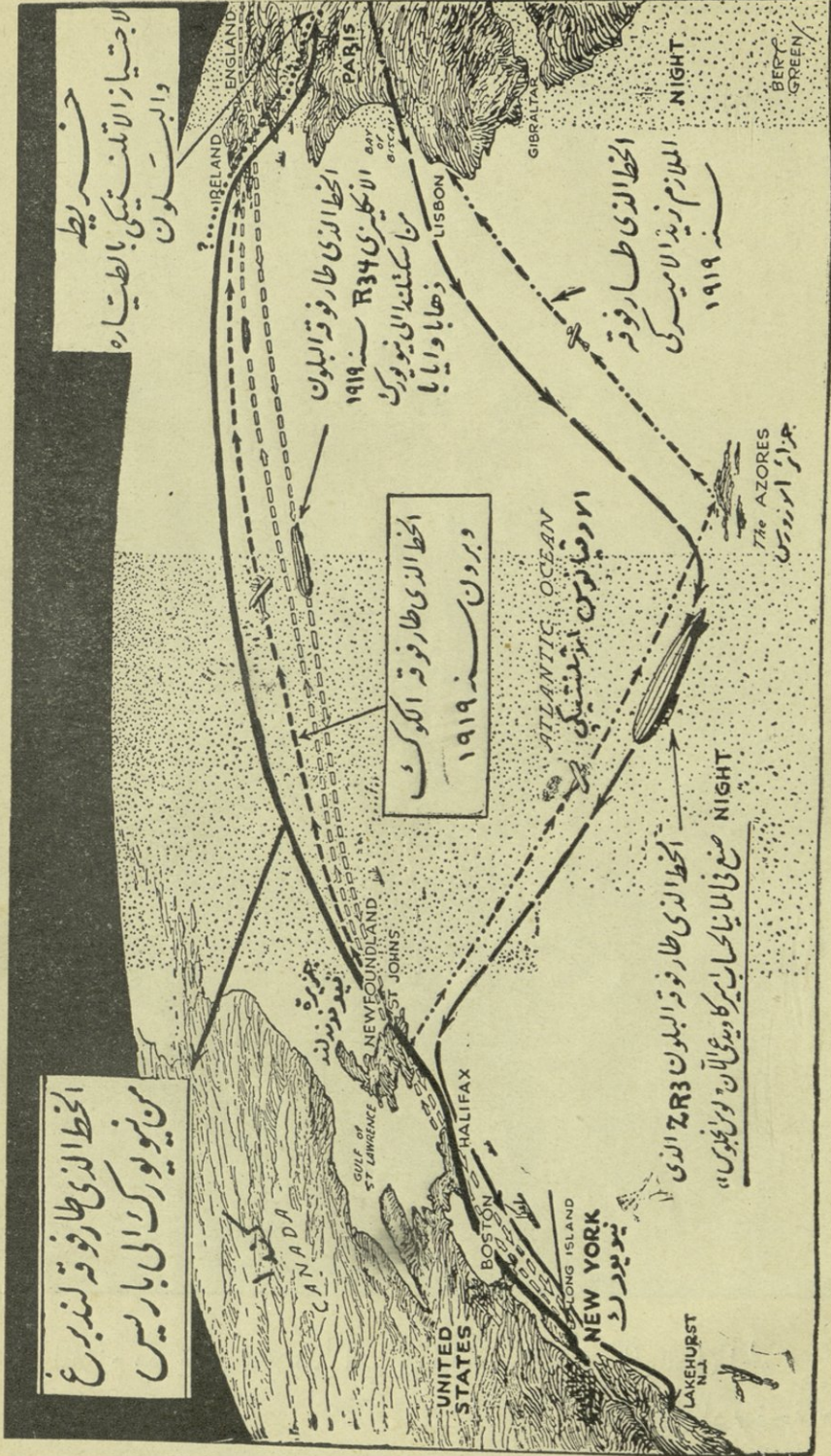
اني البس تحت ملابسي العسكرية ثوبين او ثلاثة اثواب من الصوف وفوقها قيصاً من الصوف ايضاً ثم فوق كل ذلك ثوباً من الجلد مبطناً بالريش والبس على يدي قفازات من الجلد مبطنة بالفرو وعلي رجلي مثل ذلك ثم البس على وجهي خوذة كالحوذة التي يلبسها الغواص وفيها انبوب متصل بالآلة التي تجهزي بالاكسجين حين احتاج اليه . والنظارات التي اضعها على عيني مصنوعة من نوع من الجلاتين يمنع تجمد الماء عليه ولو كانت درجة الحرارة خمسين درجة تحت الصفر . واما اذا تجمد بعض بخار الماء على النظارات تحت تلك الدرجة فيتعذر البصر على الطيار ولا يستطيع ان ينزع نظارته حينئذٍ لئلا يتجمد الماء على عينيه وهذا شر اعظم من الاول
وقد ثبت ان الملابس التي تدفأ بالكهربائية لا تفيد لانها تعرض الطيار للموت برداً اذا اختل نظام الاسلاك الكهربائية المتصلة بالثوب وهو دقيق جداً سهل الاختلال
اما الغرفة التي يقعد فيها السائق ليدير دفة الطائرة فتحمي بهواء سخن يتصل بها من المحرك وهي مبطنة بطبقة سميكة من البباد . وما زالت الطائرة آخذة في الارتفاع او سائرة سيراً افقياً تبقى غرفة الطيار دافئة ولكن متى بدأ الطيار بالهبوط او وقف المحرك عن العمل وبذلك يقف تسخين الهواء فتبرد برداً شديداً

وقد كان المظنون ان حرارة الهواء لا تتغير فوق ارتفاع محدود . على ان تجاربي في فصول السنة المختلفة اثبتت بطلان هذا الظن . فقد طرت في يناير وفبراير هذه السنة (سنة ١٩٢٦) مراراً الى علو ٣٧ الف قدم فدوّن ميزان الحرارة في طياري على هذا العلو ادنى درجات الحرارة التي دوّنها الى ذلك الوقت وهي نحو $62 \frac{1}{9}$ درجة تحت

الصفير بميزان سنتغراد. وفي ١٠ ابريل طرت ايضاً الى ذلك العلو فدون الميزان درجة $٦٣ \frac{1}{2}$ تحت الصفير بميزان سنتغراد. على اني طرت في يناير (١٩٢٦) فلما بلغت علو ٣٧ الف قدم كانت الحرارة $٦٢ \frac{7}{9}$ تحت الصفير بميزان سنتغراد ولما بلغت علو ٣٨٧٠٢ اقدم كانت الحرارة قد ارتفعت الى درجة ٦٠ تحت الصفير. ثم في فبراير كانت الحرارة على علو ٣٥ الف قدم $٦٠ \frac{1}{9}$ الدرجة تحت الصفير بميزان سنتغراد فلما بلغت علو ٣٦ الف قدم ارتفعت الحرارة الى $٥٥ \frac{1}{9}$ وبقيت كذلك الى علو ٣٩ الف قدم، وهو حد الطيارة الاعلى. وقد دعيت منطقة الهواء التي ترتفع فيها درجة الحرارة بعد علو معين «السترانوسفير» وجربت تجارب مختلفة لمعرفة حرارتها باطارة بلونات ترتفع من نفسها فيها آلات لتدوين الحرارة فاذا بلغت علوً معيناً اشدت ضغط الغاز فيها فتنفجر وتقع الآلات منها وقد دونت هذه الآلات درجة $٦٧ \frac{7}{9}$ تحت الصفير بميزان سنتغراد على علو ٥٨ الف قدم. وقد حققت هذه القياسات في بلدان مختلفة وحتى الآن لم يستطع احد ان يطير الى ذلك العلو

الطيّار والاكسجين

صعبُ على الطيار ان يقاوم البرد ولكن قلة الاكسجين تضعفه وتفقدته رشده وتمنعه عن العمل فاذا بلغ علو ٢٠ الف قدم فوق سطح البحر امتلكه ضعف عام في قواه الجسدية والفكرية فيضع انبوب الاكسجين في الخوذة التي على وجهه ويتنفس هذا الغاز اللازم للحياة فتشرق الدنيا في عينيه وتبسم له ويحس بنشاط في جسمه وفكره. واذا بلغ علو ٣٠ الف قدم احس ان كل عمل يعملُه يزيد حاجته الى الاكسجين واذا لم يزد مقدار الاكسجين الذي يتنفسه غامت الدنيا في عينيه ورأى الآلات امامه اشباحاً وفقد صوابه. واكثر الطيارين يبدأون يتناولون الاكسجين من الآنية التي يحفظ فيها على علو ١٦ الف قدم او ١٧ الفاً ويزيدون مقدار ما يتناولونه كلما ارتفعوا في الجو. وقد كان الاكسجين الذي يتناولونه يحفظ غازاً في آنية من حديد تحت ضغط شديد ولكنهم الآن لا يستعملون الاكسجين السائل الا في الآنية التي تستعمل حين الخطر فهذه تحتوي على غاز الاكسجين وهو خال من كل الشوائب فليس فيه شيء من الماء لان الماء قد يجمد في الانبوب ويسده ويعرض حياة الطيار للخطر يوضع الاكسجين السائل في الآنية المعدة له وهو يغلي لان درجة غليانه واطئة جداً. وكلما ارتفع الطيار في الهواء وقل ضغط الهواء زاد غليانه وزاد تبخره او



الاجتياز الآتلف تيكى بالطياره
والبلون
حريطه

الخط الذي طار فوقه البلون
الانجليزى R34 سنة 1919
من اسكتلندا الى نيويورك
ذهابا وايابا

الخط الذي طار فوقه
الملازم نيزد الاميركى
سنة 1919

الخط الذي طار فوقه الكوكب
وبرون سنة 1919

الخط الذي طار فوقه البلون ZR3 الذي
صنع فى المانيا مسكاً ميركا وعين الآرن لورنجرينوس

الخط الذي طار فوقه لنديرغ
من نيويورك الى باريس

انظر الرواد صفحة ٣١٠



الملازم مكريدي بالملابس التي يلبسها حين التحليق الى اعالي الجو
انظر الرواد صفحة ٣٠٧

تحوله الى غاز فيزيد مقدار ما يتناوله الطيار منه نسبة الى العلو

الطيار وضغط الهواء

اتقنت الوسائل التي تجهز الطيار بالاكسجين والدفء فيتغلب بهما على قلة الاكسجين وشدة البرد في الاعالي . ولكن العلماء لم يستنبطوا حتى الآن وسيلة ما تمكن جسم الانسان من اعتياد قلة الضغط الناجمة عن لطافة الهواء اذا صعد احد الى قمة جبل عال صعوداً سريعاً رعباً انفه لان ضغط الدم في انايب جسمه الشعريه على سطح البحر مساو لضغط الهواء فاذا قلَّ ضغط الهواء في الخارج فجأة وهو ما يحدث حين التصعيد في جبل تصعيداً سريعاً اشتد ضغط الدم داخل الانايب الشعريه التي في انفه فتتمدد حتى ينبثق الدم منها . كذلك نعلم ان النواص اذا نزل الى اعماق البحر لم يستطع جسمه ان يحتمل ضغط الماء عليه فيرسل اليه اكسجين مضغوط في انبوب فيتنفسه ويعدل به الضغط داخل جسمه حتى يساوي ضغط الماء خارجه وقد ثبت حتى الآن ان قلة الضغط في الهواء لا تضر الطيار كثيراً ولكننا لانعلم الى اي حد يستطيع ان يخلق من غير ان يصاب بضرر ما من هذا القيل . ولا شك في ان عدم اكتشاف وسيلة تساعد على حل هذه المسألة يجعل التقدم في درس الستراتوسفير على مرتفعات عالية متعذراً . وقد حاولت مصلحة الطيران في الجيش الاميركي ان تجد حلاً لهذا المشكل فلم تسفر تجاربها عن نتيجة ما حتى الآن . وقد حاول احدهم منذ سنوات ان يجعل الغرفة التي يجلس فيها الطيار في شكل برميل من الفولاذ يزداد فيها الضغط بآلة خاصة كلما ارتفع الطيار لكن بعد ما جربت وجد ان الخطر الذي يتعرض له من قلة الضغط . ذلك انه اذا احتل نظام الجهاز الذي يصرف بعض الضغط من الغرفة تعرض الطيار للموت اختناقاً من شدة الضغط

الطيران فوق جبل افرست

اعلى ما حلقت اليه بالطيارة A — XCO5 كان ٣٨٧٠٤ اقدام وقد بنيت هذه الطيارة خصوصاً لهذا النوع من الطيران وفيها كل الآلات اللازمة لتدوين الحرارة والعلو وتصوير الارض من علو ٣٠ الف قدم وغير ذلك مما يلزم لدرس احوال الجو في طبقاته العالية . وبها تمكنا ايضا من تصوير قمم بعض الجبال التي لم تصل اليها قدم انسان ولا ارى سبباً يحول دون الطيران بها او بطيارة مثلها فوق جبل افرست الذي ما زال محجة لمصعدي الجبال تنحطم دون بلوغها اماهم مقتطف يناير سنة ١٩٢٧

٧

غلب النسر على دولته

اتجهت انظار الامم في الشهرين الماضيين في شؤون الطيران على اختلافها . فالصحف حافلة باخبار الطيارين وفعالهم ، واحاديث المجالس تدور على جراتهم واقدامهم ، والجو يعج بطياراتهم وضجيج محركاتها . فانك كيف اجلت نظرك في هذا الفضاء الفسيح تسمع عن جماعة من الطيارين الشجعان يغامرون بنفوسهم لتمهيد سبل الجو والقبض على زمام الهواء . ان اقبالهم على هذه الرحلات الحافلة بالمشاق والمخاطر واقدامهم على التعرض لانواع المكاره والصبر عليها يعيدان الى الذهن ما دونه التاريخ في طياته عن عصور الارتياح الذهبية — عصر كولمبوس ومجلان وقاسكودي غاما في ارتياح البحار وعصر لفنستون وستانلي وسبيك وشوينفرت في كشف المجاهل الافريقية وعصر نسن وپيري وسكوت وشاكلتن وامندسن في اقتحام الاصقاع المتجمدة حول قطبي الارض والانتصار عليها

كان الطيران في مهده منذ ١٧ سنة لا تتجاوز المسافة التي يستطيع الطيار قطعها مائة من الاميال وكانت قوة المحرك من محركات الطائرات لا تزيد على عشرين حصاناً او ثلاثين وكانت نكبات الطيران يتلو بعضها بعضاً بسرعة تدمي القلوب وتثير الريب في امكان النجاح . ولكن ماذا نرى اليوم ؟

دع عنك حديث الطيران التجاري وتقدمه في اوربا واميركا عامة وفي المانيا خاصة بل دع عنك حديث الطيران حول الارض الذي قام به جماعة من الطيارين الاميركيين سنة ١٩٢٤ والطيران الى القطب الشمالي والطيران من لندن الى مدينة الكاب ثم من لندن الى استراليا ذهاباً واياباً دع عنك كل هذا وما هو من قبيله واحصر نظرك في حوادث الشهرين الماضيين تر في لمح الشوط البعيد الذي قطعه الطيران في حقبة وجيزة من الزمان لا تحسب شيئاً يذكر في تاريخ ارتقاء العمران فينطلق لسانك بابيات شوقي مخاطباً فرنسا سنة ١٩١٣ لما جاء الطيار قدرين الى مصر

غلب النسر على دولته وتحنى لك عن عرش الهواء
واتتك الريح تمشي امة لك يابلقيس من اوفى الاماء
رؤضت بعد جهاج وجرت طوع سلطانيين علم وذكاء

في ٢٠ مايو الماضي طار الكابتن لندبرغ من نيويورك الى باريس بطيارة من ذوات السطح الواحد تسير بمحرك واحد قوته ٢٢٠ حصاناً غير مصطحب معه سوى قطته واربع قطع من الصندوتش وزجاجة من الماء فوصل باريس بعد ما طار ثلاثاً وثلاثين ساعة ونصفاً قضى عشرها في مجالدة عاصفة هوجاء لقيها فوق الاوقيانوس الاتلنטיكي بعد مروره فوق جزيرة نيوفونلند. ولما وصل الى باريس استقبل فيها استقبال الملوك وكبار الفاحين وانهالت عليه رسائل التهئة واوسمة الامتياز ودعوات التكريم فكان فوزه التام في هذه الرحلة الجوية الصعبة المراس اعظم مظهر للعزيمة الصادقة التي قبضت على زمام الهواء فاخضعته لمطالبها

وقيل وصول لندبرغ الى باريس نزلت في خليج فارس على ٥٠ ميلاً من بندر عباس طيارة انكليزية تقل ضابطين من ضباط الجيش الانكليز — كار وجلمان — صدرت اليهما الاوامر من رؤسائهما ان يطيرا من انكلترا الى الهند دفعة واحدة فغادرا كرنول بانكلترا يوم ٢٠ مايو وطارا فوق اوربا من غربها الشمالي الى شرقها الجنوبي ثم اجتازا اسيا الصغرى وبادية الشام وبلاد العراق فاشرقت عليهما الشمس مرتين وغابت مرتين وهما محلقيان في الجو الى ان اصيب محرك طيارتهما بمخلل حملها على النزول في خليج فارس بعد ما اجتازا ثلاثة آلاف وثلاثمائة ميل دفعة واحدة

وبعيد وصول لندبرغ الى باريس قام المركيز ده بنيدو الايطالي من جزيرة نيوفونلند على طيارته الى جزائر الازورس عائداً الى ايطاليا بعد رحلة جوية طويلة الشقة حمة المخاطر قام بها من روما الى جنوب اميركا مجتازاً الاوقيانوس الاتلنטיكي بين جزائر الرأس الاخضر وشواطئ البرازيل. وبعد ما جوف في اميركا الجنوبية بطيارته اتجه شمالاً الى اميركا الوسطى ثم الى الولايات المتحدة الاميركية فاحترقت طيارته بعيد وصوله الى ولاية اريزونا ونزوله على سطح بحيرة فيها. فطار منها الى نيويورك بطيارة اميركية ولبث ينتظر وصول طيارة ايطالية ارسلت اليه من ايطاليا ليكمل بها رحلته فخلت دون ذلك عاصفة شديدة ثارت في وجهه قيل وصوله الى جزائر الازورس فنزل على يم ثائر متلاطم الامواج ولبث بين الموت والحياة الى ان انتشله باخرة دانماركية

وفي ٢٢ مايو اي بعد وصول لندبرغ الى باريس عادت الى مطار هليوبوليس

الطائرات الاربع التابعة لفرقة الطيران الانكليزية العسكرية في مصر وكانت قد غادرتها بضباطها الى مدينة الكاب في جنوب افريقية في ٣٠ مارس الماضي . ومما هو جدير بالذكر ان قيادة فرقة الطيران في مصر كانت قد وضعت بياناً لهذه الرحلة ذكرت فيه اسماء البلدان والمحطات التي تمرُّ بها الطائرات وتخطط فيها ومواعيد وصولها اليها وقيامها منها فحرت هذه الطائرات في ذهابها وايابها على هذا البيان من غير ان تحيد عنه قيد شعرة

نكتب هذه السطور بعيد ورود الانباء البرقية عن قيام الطيار الاميركي تشمبرلين من نيويورك على طيارة من ذوات السطح الواحد تدعى كولومبيا قاصداً الى برلين ومعه مسافر اميركي من ارباب الاموال رضي ان يقوم بنفقات هذه الرحلة وان يغامر بنفسه ثقة منه بنجاحها . وقد جاءت الانباء انه وصل الى المانيا ونزل على مقربة من برلين سالماً بعد ما نفذ منه البنزين ولكنه كان قد قضى في الجو ما يزيد على ٤٢ ساعة واجتاز نحو اربعة آلاف ميل فتفوق على كل الطيارين الذين سبقوه في الطيران الطويل المدى

وفي اليوم الذي طار فيه تشمبرلين من نيويورك قام طياران فرنسيان من باريس قاصدين ان يطيرا الى طوكيو عاصمة اليابان دفعة واحدة مجتازين اوربا وجبال الاورال وسيبيريا ولكنها نزلت قرب طوبولسك بعد ما اجتازا نصف المسافة تقريباً بين باريس وطوكيو في ٢٩ ساعة ونصف ساعة

كذلك نرى ان تاريخ الاكتشاف والارتياح بل تاريخ العلم يعيد نفسه نرى الرواد يسير بعضهم في اثر بعض يفوزون آناً ويفشلون آونة ولكنهم مهما تعددت وجوه الفشل والفوز فانهم يتخذون من الفوز مرتبة يرقون عليها الى فوز آخر ويتربصون للفشل حتى يثأروا لآخوانهم منه بفوز جديد . اخفق نتجسر ورفيقه كولي في عبور الاطلنطيكي من باريس الى نيويورك واخفق ده بنيدو في امام رحلته الجوية الواسعة النطاق قبيل نهايتها واخفق الطياران الانكليزيان قبل بلوغ الهند واخفق الطياران الفرنسيان قبل بلوغ طوكيو ولكنهم كلهم اخفقوا بعد ما تجاوزوا ما سبقهم اليه الطيارون من قبل وجاء طيران لندنبرغ ثم تلاه طيران تشمبرلين فكان انتصارها تاماً باهراً وستلوه انتصارات اخرى يثأر بها الطيارون لآخوانهم من الفشل الذي كان نصيبهم

نطلع على انباء هذه المغامرات فنعجب باحجابها وتهتز اعطافنا طرباً وفخراً بما يبدو منه من الجرأة والعزيمة والاقدام . ثم نخلو الى نفوسنا فنسألها « . . . ولكن ماهي الفائدة التي تجني من طيران برد الى القطب الشمالي او من طيران لنديبرغ وتشمبرلين من اميركا الى اوربا او من طيران كوبهان وده بنيدو وتنجسر وغيرهم غير لذة التحدث بفعالهم وما يلقونه من ضروب الحفاوة والاكرام » ؟

سؤال يوجهه المتشائمون في كل عصور التاريخ الى كل اصحاب الاكتشافات العظيمة والاختراعات المفيدة لما كانت في مهدها . على ان تاريخ ارتقاء العلم من فجر التاريخ الى الآن جواب واحد متسلسل بليغ مؤداه ان كل عمل يبدأ صغيراً ولا ينتظر ان تجني منه فائدة عملية ما ثم يتقن ويرتقى فتتعدد وجوه الافادة منه وتكثر نواحي تطبيقه على شؤون الحياة ومقتضياتها . من كان يقول ان المباحث الاولى في الكهرباء وتقرير قواعدها وكشف حقائقها تؤدي في القرن العشرين الى ما نرى من عجائبها وغرائبها التي نشاهدها بأم العين كل ساعة . التلغراف والتلغراف والترامواي والنور الكهربائي والتلغراف اللاسلكي والتلفون اللاسلكي ليست سوى امثلة قليلة من المستنبطات التي بنيت على مباحث فراداي وهرتز واوهم وغيرهم في الكهرباء

كذلك في الطيران . قلنا ان الطيران كان في مهده منذ ١٧ سنة . ففي سنة ١٩١٠ حاول الطيار لانام ان يجتاز بحر المانش فسقط فيه ثم نجته سفينة اتفق مرورها على مقربة منه . وتلاه الطيار بلريو فطار من كاله الى دوغر مجتازاً بحر المانش في ٢٣ دقيقة وكانت الطائرة التي طار بها من ذوات السطح الواحد وقوة محركها ٢٥ حصاناً والمسافة بين طرفي جاجيها ٢٠ قدماً . فآثار فوز بلريو هزة كهربائية في انحاء العالم المتمدن وانجحت الانظار الى امكان تنظيم وسائل الطيران بين لندن وباريس . على ان للمتشائمين نصيباً من القول في كل مقام فيبقى صوتهم مرتفعاً حتى تبدد الحقائق او هامهم وتفتح عيونهم . وها هي الطيارات الفرنسية والانجليزية تطير كل يوم بين لندن وباريس وبين باريس ولندن مجتازة بحر المانش تنقل على منها الرسائل والركاب ايضاً . وقد انقضت السنة الماضية كلها من غير ان يصاب احد المسافرين بمكروه . وليس الطيران بين لندن وباريس الخط التجاري الجوي الوحيد في اوربا بل ان خطوط الطيران التجاري المنتظمة منتشرة فوق اوربا انتشار شبكة من الشباك وفي مايو سنة ١٩١٩ طار الكابتن ريد من تراباسي بجزيرة نيوفونلند وقطع

الاقويانوس الاتلنتيكي الى البرتغال بطريق جزائر الازورس ثم طار منها الى لسبون عاصمة البرتغال ومنها اتجه شمالاً الى مدينة بلهوث ببلاد الانكليز . وكان معه طيارتان عدا طيارته اكتنفها الضباب فتعذر عليهما السير فاضطرتا ان تنزلا الى البحر ونجا ركابهما وتلاه الملازم هوكر الانكليزي الاسترالي محاولاً ان يطير من نيوفوندلند الى ايرلندا فاختلت طيارته واضطر ان ينزل في عرض البحر . ثم جاء الكبتن الكوك والملازم برون فطارا من طرف نيوفوندلند الشرقي في ١٤ يونيو سنة ١٩١٩ الى كلفن بارلندا والمسافة بينهما ١٨٨٠ ميلاً اجتازها في نحو ١٦ ساعة

وفي هذه الرحلات الجوية الثلاث عرف الطيارون ومن ساعدتهم في اعداد معداتها اموراً كثيرة تعذر معرفتها بالبحث النظري . فقد استدعت الحاجة مثلاً وجود آلتين احدهما لمعرفة اتجاه الرياح والثانية لمعرفة موقع الطائرة والحاجة تفتق الحيلة فاشتغل المستنبطون في استنباطها وتجدها الآن في كل طائرة تجوب الآفاق لانهما تمكنانها من السير على هدى سواء في ظلام الليل او في رابعة النهار

وفي اكتوبر سنة ١٩١٩ طار الملازم مينار الاميركي من شرق الولايات المتحدة الى غربها ثم طار من غربها الى شرقها مسافة خمسة آلاف وخمسمائة ميل في خمسين ساعة من الطيران الفعلي ولكنه وقف في ذهابه وايابه في اماكن كثيرة فكانت رحلته مقدمة لرحلة الملازمين كلي ومكريدي من نيويورك الى سان فرانسكو سنة ١٩٢٣ فاجتازا المسافة بينهما وهي ٢٥٢٠ ميلاً في ٢٦ ساعة من غير ان ينزلا الى الارض وكان طيرانهما هذا اساساً لا تنظيم البريد الجوي بين نيويورك وسان فرانسكو ونقله بطائرات لا تقف في الطريق . وكان من اظهر آثار هذه الرحلة اثاره خواطر الناس الى الاهتمام بشؤون الطيران ومطالعة الكتب التي وضعت في هذا الموضوع وقد ظهر ذلك جلياً في سجلات المكاتب العامة في كل انحاء اميركا

واطول رحلة جوية تمت الى الآن هي رحلة الكابتن سمث والملازمين ارندن ونلسن وهاردنغ وويد والسارجنت اوجدن الاميركيين . فانهم طاروا سنة ١٩٢٤ بثلاث طيارات من صنع دوغلاس في كل منها محرك واحد قوته ٤٠٠ حصان . طاروا ٢٨ الف ميل في خمسة اشهر و٢٤ يوماً وكانت اطول مراحل الطيران بين جزيرتي اسلندا وجرينلندا مسافة ٨٣٠ ميلاً . وكانت الطيارات حين تطير فوق البحر تربطها عوامات تحمل محل العجلات حتى اذا حدث لها ما جعل نزولها في عرض البحر لا مندوحة عنه كان النزول

في حيز الامكان من غير تعريض الطائرة وركابها للغرق . وقد تمّ هذا الطيران في احوال جغرافية ومتيورولوجية مختلفة فوق السهول والجبال والبحار والادغال الاستوائية في الصحو والمطر وفي كل ذلك كان لا بدّ من اختيار المحطات المناسبة لنزول الطائرات فكانت الخبرة التي جنيت من هذه التجربة كبيرة الفائدة في الرحلات الجوية التي تلتها . ومثل هذه الرحلة في الطول رحلة السر الان كوهام الجوية من لندن الى استراليا واوبته منها في ٣١٠ ساعات من الطيران الفعلي وكان متوسط سرعته ٨٧ ميلاً ونصف ميل في الساعة

ويجب الا ننفل ذكر البلونات الكبيرة والرحلات الجوية التي قامت بها ففي ٢ يوليو سنة ١٩١٩ طار البلون الانكليزي R.34 من انكلترا الى اميركا وعاد اليها وتلا ذلك طيران البلون الالماني ZR3 الذي صنع في المانيا لحساب اميركا سنة ١٩٢٤ فانه طار من همبرج الى نيوجرزي باميركا في ٨١ ساعة و١٧ دقيقة اجتاز في اثناها خمسة آلاف ميل وستين ميلاً

وتلا ذلك سنة ١٩٢٦ طيران البلون روما الذي اقل بعثة امندسن القطبية من روما الى فرنسا الى انكلترا الى روسيا الى نروج الى جزيرة سبتسبرجن ثم فوق القطب الى الاسكا . واذا ذكر طيران البلون روما فلا بد من الاشارة الى الطائرة جوزفين فورد التي طار عليها الكومندر برد من سبتسبرجن الى القطب الشمالي ذهاباً واياباً في ١٦ ساعة من غير ان يقف

لقد تقدم طيران بلريو من كاله الى دوشر انتظام السفر الجوي بين لندن وباريس ومهد له السبيل . وتقدم طيران الملازم مينارد من نيويورك الى سان فرنسكو انتظام البريد الجوي السريع بينهما ومهد له السبيل . وتقدم طيران الكوك وهوكر وريد المحفوف بالمخاطر طيران لنديبرغ وتشمبرلين ومهد لها الطريق . وتقدم طيران فدرين وكوهام وضباط الجيش الانكليزي في مصر والعراق انتظام السفر الجوي بين هليوبوليس وبنغداد واثبت امكان انتظامه بين لندن وهليوبوليس . ومن يدري فقد يكون طيران كوهام الى مدينة الكاب اولاً ثم من لندن الى استراليا ثانياً ، وطيران امندسن ونوبلي من سبتسبرجن الى الاسكا ، وطيران لنديبرغ وتشمبرلين

من اميركا الى اوربا، وطيران المركيز ده بنيدو من روما الى اميركا الجنوبية وطيران
كوست من باريس الى طوبولسك — قد تكون كل هذه الرحلات الجوية مقدمة
لانتظام خطوط السفر الجوي البعيد المدى فترتبط البلدان المختلفة باسباب سريعة
للمواصلات يصح الاعتماد عليها. بل تتجاوز حد التخمين الى حد الترجيح بانها
ستكون كذلك

ما اشبه اليوم بالامس! قبيل كتابة هذه السطور كنا نطالع في الانسكلوبيديا
البريطانية فوقع نظرنا اتفاقاً على مقالة عنوانها تاريخ شركات الملاحة. فذهب بنا
الفكر حالاً الى المقارنة بين السفن البخارية الاولى التي اجتازت الاوقيانوس
الاتلنتيكي في اوائل القرن التاسع عشر والبواخر الفخمة التي تجتازه الآن
كانت الباخرة الاولى التي اجتازت الاوقيانوس الاتلنتيكي بين اوربا واميركا تدعى
ساقانا اجتازته سنة ١٨١٩ ولم يذكر ما كان محمولها ولكن كان قد انقضى على سفرها
١٩ سنة لما سافرت الباخرة « سيربوس » وكان محمولها ٧٠٠ طن. اقلعت من مدينة
كورك بارلندا في ٤ ابريل سنة ١٨٣٨ ووصلت الى نيويورك في ٢٣ منه اي بعد
مسيرة ١٧ يوماً

قارن بين هذه الباخرة التي اجتازت الاتلنتيكي منذ تسعين سنة وبين البواخر
الاميركية والانكليزية التي تمخر عبابه الآن. ان تفرغ الباخرة متجستك ٥٦ الف
طن وقوة آلاتها ٦٣ الف حصان واسباب الراحة والرفاهة فيها على اكملها والباخرة
موريتانيا تجتاز المسافة بين شربورج ونيويورك في اربعة ايام ونصف يوم
من كان يحلم سنة ١٨٣٨ ان عبور الاتلنتيكي بالبواخر يبلغ هذا المبلغ من السرعة
والانتظام والاتقان وتوفير اسباب الرفاهة والراحة

على ان تقدم الطيران اسرع واهم فانه لم تنقض الا سنوات قلائل على عبور
بلريو لبحر المانش بطيارته حتى قرأنا ما قاله لندبرغ: « ظهر لي الاقايانوس الاتلنتيكي
كأنه مضيق ضيق من الماء ». فاذا تكنه لنا السنوات العشر القادمة من هذا القبيل!

مقتطف يوليو سنة ١٩٢٧

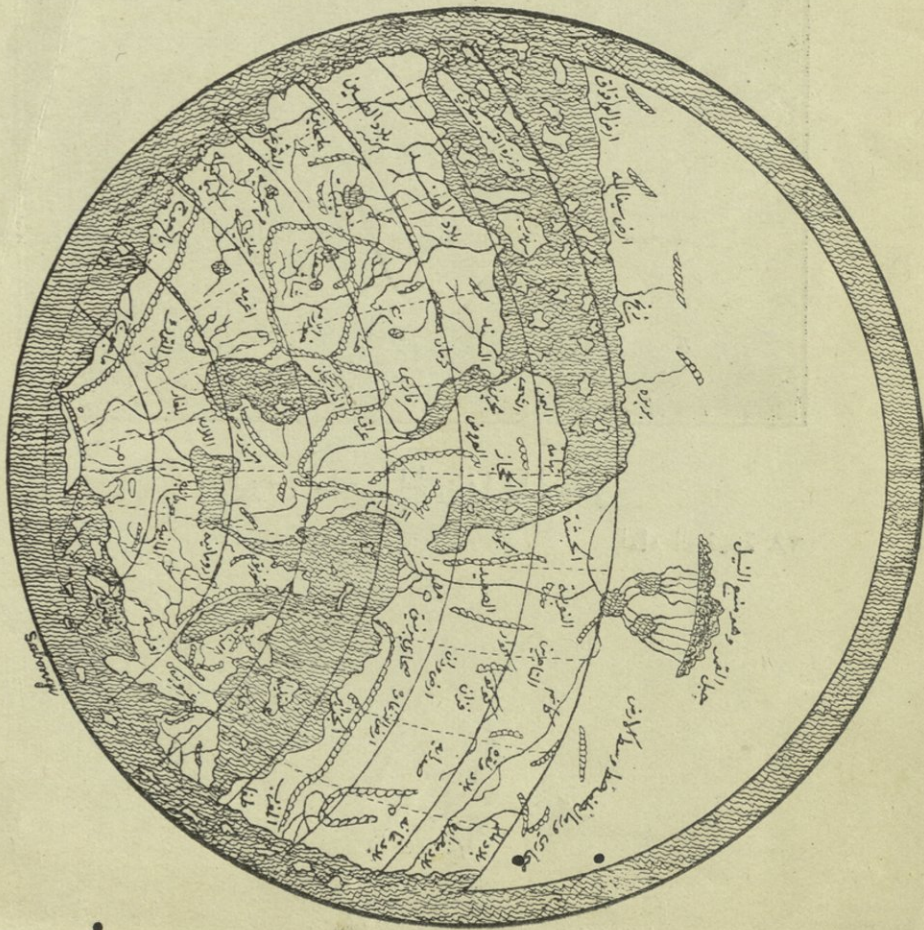


بطليموس صاحب الجغرافيا والمجسطي

امام الصفحة ٢٨



• خريطة بطليموس



خريطة الشريف الإدريسي

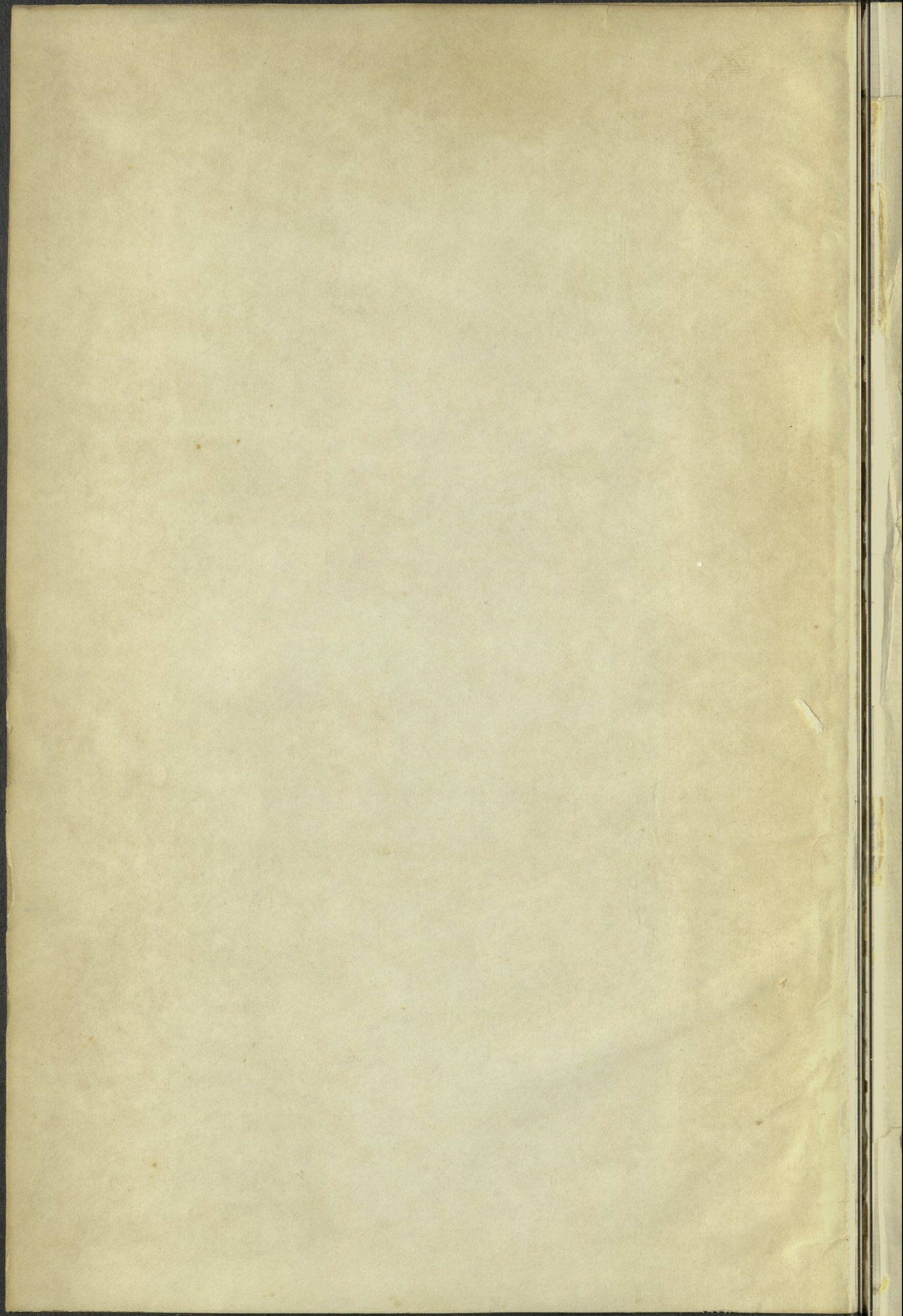
فهارس «الرواد»

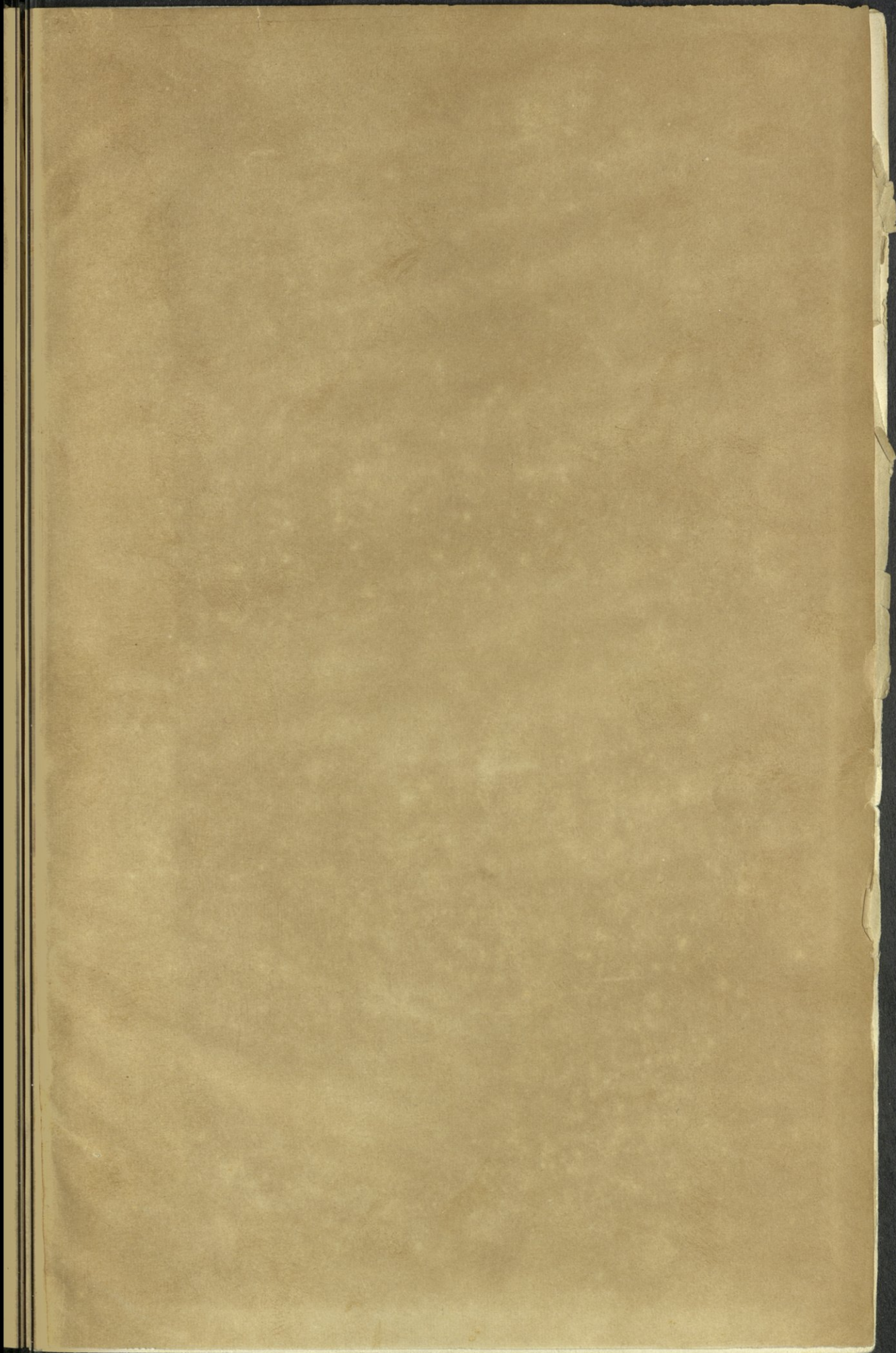
فهرس الموضوعات

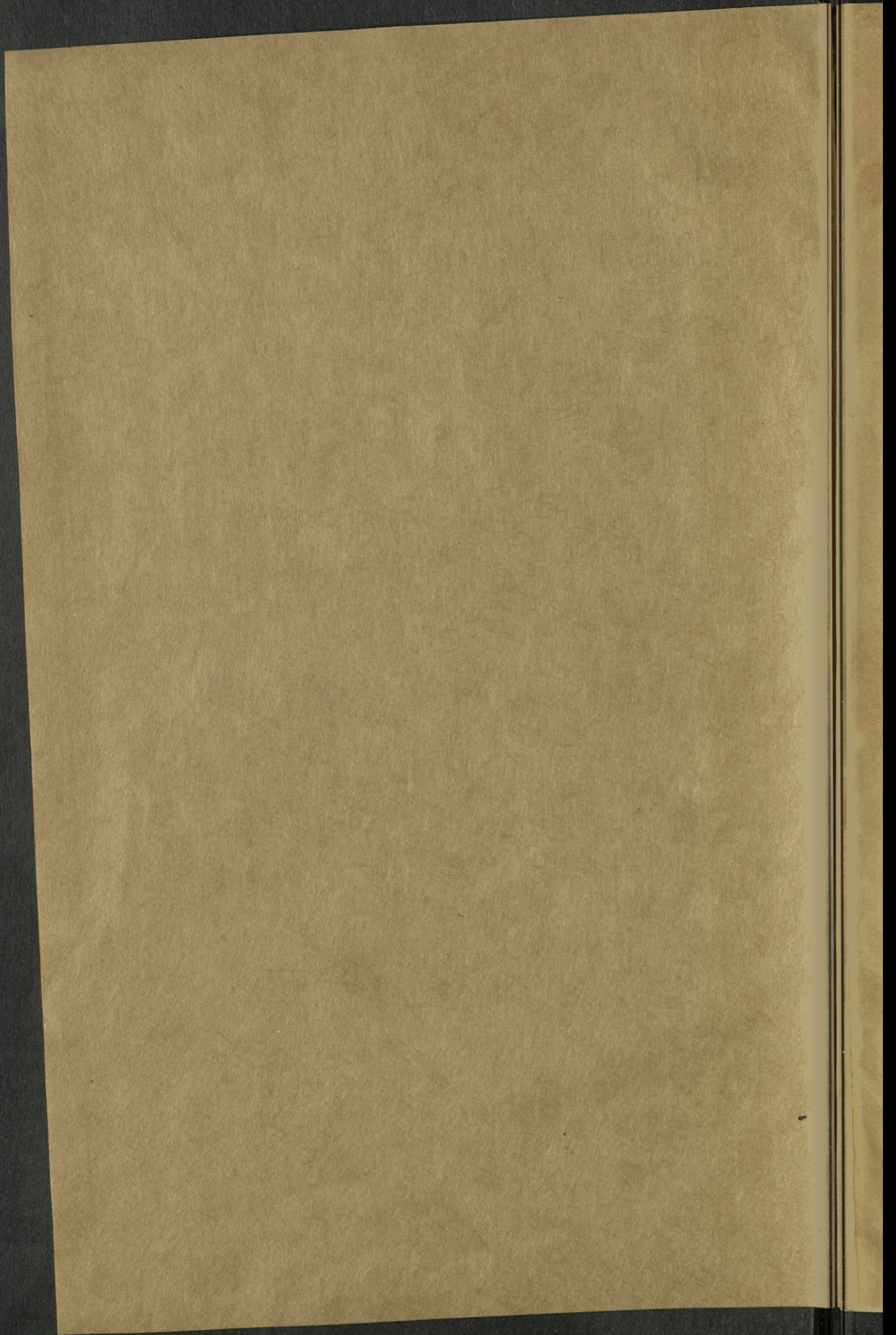
صفحة	صفحة
١٠٦	٣ مقدمة : اين يذهب الرواد؟
١٢٢	الباب الاول
١٢٦	٠٩ تاريخ علم الجغرافيا
١٣٨	١٨ تقدم الجغرافيا في القرن التاسع عشر
١٤٥	٢٤ تخطيط البلدان ورسم الخرائط
١٥٣	٣٤ اقدم المناجم والخرائط
١٦١	٣٦ جغرافيو الاسلام
حسنين بك	الباب الثاني
الباب الرابع	٥٩ كولمبوس
١ — القطب الجنوبي	٦٦ اميركوس فسبوشيوس
١٨٣ السكتين سكوت ورفاقه	٧٠ العربية في اميركا قبل كولمبوس؟
١٨٧ امندسن	٧٣ مجلان
١٨٩ السر ارنست شكلتن	٧٧ فاسكو دي غاما
١٩٦ شكلتن رحلته الاخيرة ووفاته	الباب الثالث
١٩٨ الاصقاع المتجمدة الجنوبية	٨١ الرواد المصريون القدماء
٢ — القطب الشمالي	٨٨ الرحلات الافريقية
٢٠٨ الدكتور نسن والرحلة القطبية	٨٨ القدمية
٢٢٨ رحلة دوق ابروزي	٩٢ تاريخها الاسلامي
٢٣٣ كوك ومهارة صحافي	٩٦ البرتوغالية
٢٤١ الكومندر بيرري	١٠١ الحديثة

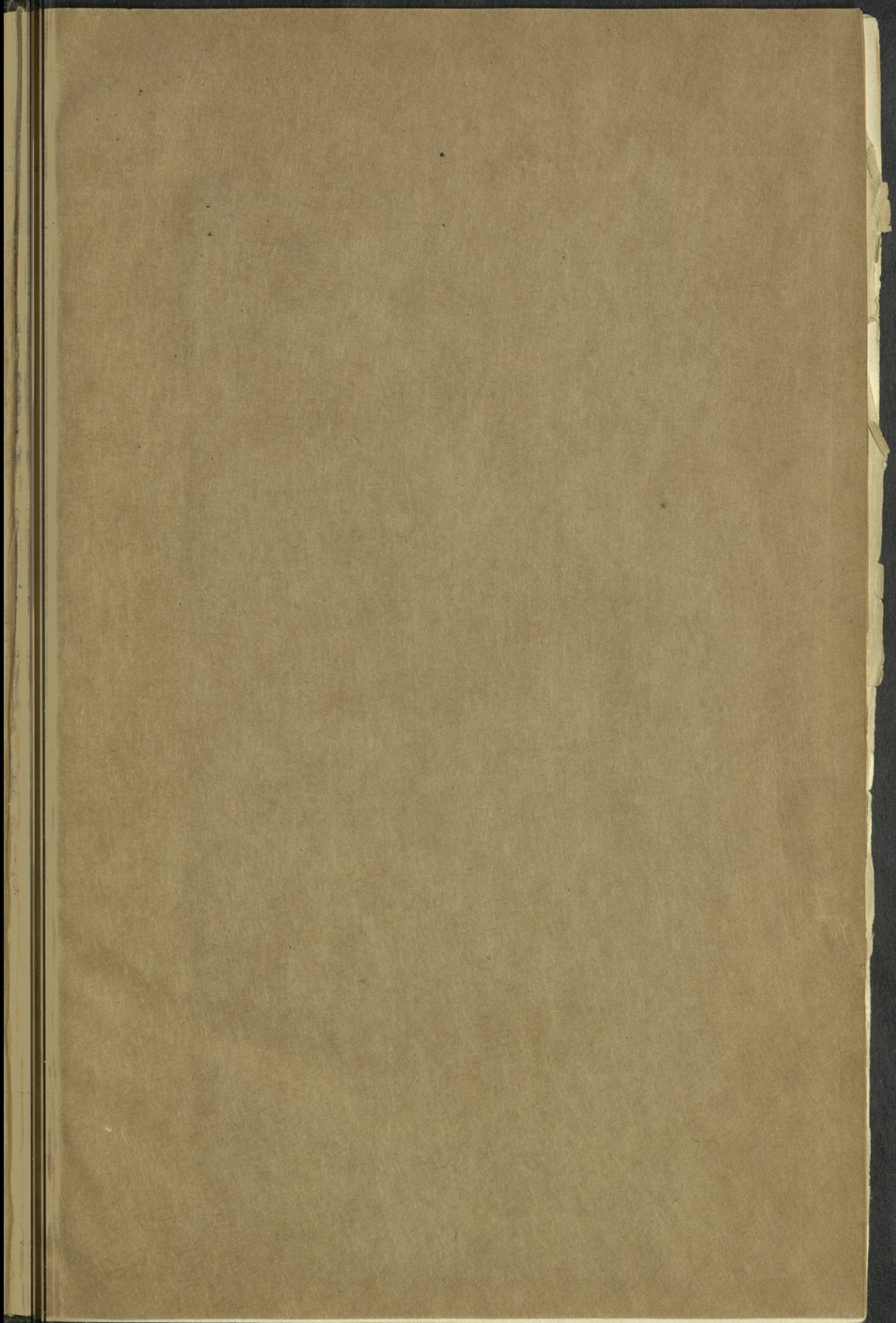
٢٧٤	البلون ZR3	٣ — عصر الطائرة والبلون
٢٧٦	رأي برد في عبور الاتلنتيكي	٢٤٥ رحلة امندسن الى القطب الشمالي
٢٧٨	لندبرغ	بالتجارة
٢٨٤	تشمبرلين وبرد	٢٥٢ اول رجل باغ القطبين
٢ —	ارتباد الهواء والمواصلات الجوية	٢٥٦ رحلة الكومندر برد بالطيارة الى
٢٨٦	ركوب الهواء في السلم والحرب	القطب الشمالي
٢٩١	من القاهرة الى الكاب	الباب الخامس
٢٩٥	الطيران التجاري في اوربا	١ — عبور الاتلنتيكي بالطيارة والبلون
٢٩٩	الطيران التجاري في المانيا	٢٦٥ استعداد البارون فون تسبلن
٣٠٢	الطيران من انكلترا الى الهند	٢٦٨ الطيارون ريد وهوكر والسكوك
٣٠٥	طبقات الجو العالية	٢٧١ طيارة فكريس
٣١٠	خامة — غلب النسر على دولته	٢٧٢ البلون











R:920.02:M951aA:v.2:c.1

المقتطف

اعلام المقتطف...

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01069151

